

العلامة الشيخ مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي الجزائري

قسم التاريخ والجغرافيا

تطور المبادئ القومية في أوروبا

خلال القرن 19 م

1870 – 1815

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

اشراف الدكتور

حسين عبد الستار

اعداد الطالبة:

مليكة بلقاضي

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	المؤسسة الجامعية	الرتبة العلمية	اسم و لقب الاستاذ
رئيسا	المدرسة العليا للأستاذة بوزريعة	أستاذ التعليم العالي	عبد المجيد بن عدة
مشرفا و مقرا	المدرسة العليا للأستاذة بوزريعة	أستاذ محاضر قسم أ	حسين عبد الستار
مناقشا	جامعة الجزائر 02	أستاذ التعليم العالي	بوضرساية بوعزة
مناقشا	المدرسة العليا للأستاذة بوزريعة	أستاذ التعليم العالي	الحاج موسى بن عمر
مناقشا	جامعة الجزائر 02	أستاذ محاضر قسم أ	الحاج صدوق
مناقشا	المدرسة العليا للأستاذة بوزريعة	أستاذة محاضر قسم أ	بية نجاة



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة



العلامة الشيخ مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي الجزائري

قسم التاريخ والجغرافيا

تطور المبادئ القومية في أوروبا

خلال القرن 19 م

1870 – 1815

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الدكتور

حسين عبد الستار

إعداد الطالبة:

مليكة بلقاضي

السنة الجامعية : 1440-1441 / 2019-2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و تقدير

وفاء بالواجب و اعترافا بالجميل أتقدم بجزيل الشكر و التقدير إلى الدكتور عبد الستار حسين لتفضله الإشراف على هذه الرسالة، فشمّلها بمزيد من الرعاية و الحذب، و قد استفدت من واسع علمه و تجربته، و الشكر موصول إلى بقية أعضاء لجنة المناقشة الاستاذ الدكتور عبد المجيد بن عدة و الأستاذ الدكتور بوعزة بوضرساية و الأستاذ الدكتور الحاج موسى بن عمر و الدكتور الحاج صدوق و الدكتورة بية نجاة على قبولهم مناقشة هذه الدراسة ،فلهم مني جزيل الشكر و التقدير.

كما أتقدم بتحية تقدير إلى زملائي الأساتذة ممن استفدت من مناقشاتهم و آراءهم و بحوثهم ،و اخص بالذكر منهم الأساتذة: بريش عائشة و لزرق صبرينة. و أدين بخالص الشكر و عظيم الامتنان إلى عدد من العاملين في مكتبات الجزائر و أرشيف الخارجية الفرنسية كوردوسي، بالنظر إلى التسهيلات التي منحت لي دون أن انسي موظفي مكتبة التاريخ المعاصر بجامعة ننتير بفرنسا و خاصة مسؤولة العلاقات العامة السيدة سيسيل تاردي.

و لا يفوتني أن اشكر كل الأساتذة الذين أناروا لنا الطريق و أمدونا بالعلمو المعرفة ،فلهم مني كل التقدير و الامتنان.

أجزل الله للجميع الأجر وحسن المثوبة انه سميع مجيب

اهداء

اهدي ثمرة جهدي هذا

إلى من قال فيهما الله تعالى " و لا تقل لهما أف و لا تنهرهما ،
و قل لهما قولاً كريماً"

إلى من أكن لهما الفخر و الاعتزاز أُمي الغالية و أبي العزيز
إلى كل أفراد أسرتي الزوج العزيز و أبنائي حفظهم الله و رعاهم
و إلى كل من أمدني يد المساعدة لانجاز هذه الرسالة

المقدمة

مقدمة:

إن ظهور كلمة القومية في القاموس السياسي للقرن التاسع عشر، يسجل ميلاد مدلول جديد غامض وشديد التعقيد بسبب الابهام الذي اكتنف محتواه والمعنى الذي يؤديه، ذلك أن كلمة القومية هي من نوع تلك الكلمات الحضارية التي لا تستطيع الحروف المكونة لها تحديد المعنى الذي تريد التعبير عنه والمحتوى الذي تتضمنه.

لقد أخذ مدلول لفظة القومية حجمًا وازدادت مفاهيمه، تُشير كثير من الكتابات حول القومية إلى مسألة مهمّة في تحديد ماهية القومية وهي عنصري الوعي الذاتي والحركة السياسية لدى أبناء (الأمة) في سعيهم لتقرير مصيرهم وإثبات حقهم في خلق سلطتهم أو كيانهم المتميّز (ثقافيًا وسياسيًا واقتصاديًا)، أيّ في إنجاز مشروع دولتهم المستقلّة.

وارتبط ظهور الدولة القومية من الناحية التاريخية بظهور الدولة في أوروبا العصر الحديث، ثمّ اكتسبها فيما بعد طابعًا قوميًا، كنتيجة لما أفرزته التطوّرات التي حدثت في أوروبا النّهضة والحداثة (التنوير) من حالة الانفتاح نحو المبادئ القومية واستخدام اللغات المحلية

وإذا كانت الاسطوغرافيا الاوربية – المركزية الاوربية في تفسير الظواهر التاريخية والمجتمعية – تربط ظهور الظاهرة القومية بكلّ مستوياتها، بالحالة الاوربية، والحقيقة ان كل المجتمعات عرفت الظاهرة القومية، قبل أن تدخل أوروبا وشعوبها عصور التمدن والحضارة، ولكن ما عرفته المجتمعات غير الأوروبية كلّها وفي مختلف العصور من الظاهرة القومية، كان أحد أو كلا مستوياتها الوجوديين الشعوري والفكري، ولكن هذين المستويين لم يستكملا وجودهما فعليًا وكليًا بظهور المستوى الوجودي لهما إلا في أوروبا العصر الحديث، وهو ما نتج عنه نشوء الدولة القومية في أنموذجها الغربي، ليكون ظهور المستوى السياسي للارتباط القومي في المجتمعات الأخرى تاليًا لظهوره في أوروبا، ولاحق لقيام الدولة القومية هناك.

أحدثت التحوّلات الاقتصادية خاصّة ما تعلّق بالانتقال من نمط الإنتاج الإقطاعي إلى نمط

الإنتاج الرأسمالي التجاري في ملامحه المركنتيلية وإنّ الانتقال خلال عصر النهضة قد عكس آثارًا واضحة على المستوى الاجتماعي، فقد تغيّر مواقع الطبقات الاجتماعية ورتابتهما، وأدوارها في المجتمعات الأوروبية، إذ فقدت طبقة النبلاء وفئة رجال الدين مراكزهما الراجحة وأدوارهما المؤثرة التي كانتا تتمتعان بهما في العصور الوسطى لصالح الطبقة الوسطى التي سمّيت فيما بعد بالطبقة البورجوازية.

لعبت الإدارة الملكية (الدولة) دورًا مهمًا في إضعاف طبقة النبلاء (الإقطاعيين) اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، إذ غالبًا ما كانت رغبة الملوك (الدولة) في توسيع نطاق هيمنتهم، تصطدم بالنزعة المحليّة اللامركزية للنبلاء الإقطاعيين التي لم يكن تجاوزها ممكنًا دونما صعوبات.

انتهت هذه التحوّلات الاجتماعية في نتائجها إلى تركيز السلطة السياسية في إطار دولة وطنية/قومية يقف على رأسها الملك الذي أصبح بحاجة إلى البورجوازية لضمان سير الإدارة، وسدّ نفقات حروبه الداخليّة والخارجية ودفع مرتبات أعضاء البيروقراطية الحكومية الملكية، يمكن الحديث هاهنا عن تحالف بين الدولة الملكية المطلقة والطبقة البرجوازية.

لقد استطاعت حركة الإصلاح الديني-المذهبي البروتستانتية من أن تُؤثر في البيئة الحاضنة للظاهرة القومية من خلال الاستجابة للشعور الوطني/القومي الناشئ والمتزايد، فلم تصبح الكنيسة البروتستانتية مؤسسة عالمية على غرار الكنيسة الكاثوليكية في روما، بل تعدّدت وتنوّعت الكنائس البروتستانتية بما يتطابق مع تعدّد وتنوّع الكيانات الوطنية / القومية الأوربيّة وبدأت الحركة الإصلاحية البروتستانتية نشاطًا واسعًا لترجمة الكتاب المقدّس من اللّغة اللاتينية إلى اللّغات الوطنية/القومية الأوروبية، ممّا ساعد على نشر هذه اللّغات وتعميق إحساس الناطقين بكل لغة منها بوحدهم وتميّزهم، وهو ما كان أساسًا أوليًا مهمًا لخلق ثقافات وطنية/قومية متميزة.

وساهمت حركة الإصلاح الديني أو الانشقاق الكنسي أيضا في كسر التجانس داخل الإمبراطورية

الرومانية المقدسة نتيجة تحول عدد من الرعايا الكاثوليك إلى البروتستانتية، وعملت على تقوية سلطة

الحُكَّام السِّيَاسِيِّين الزَّمَنِيِّين وتدعيم نفوذهم، بتخليصهم من مُنافسة رجال الدِّين وتدخلاتهم في الشؤون الزَّمَنِيَّة السِّيَاسِيَّة، وهو ما انتهى تلقائيًا إلى تقوية سلطة الدَّولة الوطنيَّة/القومية في مُواجهة السُّلطة الكنيسية.

لقد تعزّزت سلطة الملك المطلقة من خلال مركزية الدَّولة في شخصه المطلق، فقد زادت قوَّة الدَّولة ممثلة في شخص الملك الذي استطاع بفضل مكانته السُّلطوية المهيمنة، المتمثلة بالدَّولة ومؤسساتها البيروقراطية والعسكرية القمعيَّة، أن يزيد في قوَّته التي دعمتها وزادتها جُملة عوامل مساعدة ومكملة شهدها العصر مثل: إقامة الأنظمة البيروقراطية والقانونية والجبائية، وتأسيس الجيش الوطني القومي، وظهور الشركات التجاريَّة والورش الصَّناعية، وكانت هذه العوامل كلّها، نتاجًا للتَّحديث في المؤسسات البيروقراطية والقانونية والجبائية والعسكرية والتَّجارية والصَّناعية.

وكان الاقتصادي الميركنتلي دورًا في دفع الدَّولة إلى إتباع السِّيَاسات الحمائية التَّدخلية على نطاق واسع في الشؤون الاقتصادية، ممَّا ترتب عليه تسهيل الانتقال من السِّيَاسة البلدية (المحلية) إلى السِّيَاسة الوطنيَّة القومية. لذلك انتشرت عبارة أن الشركات التجاريَّة كانت تمثِّل جيوشًا للدَّولة والملك، أمَّا التَّجارة فهي (حرب الأموال).

كما شهد القرن الثامن عشر الميلادي وحتى القرن التاسع عشر (1700-1800) جملة من الثورات الوطنيَّة/القومية الغربيَّة، التي بدأت خارج القارة الأوروبيَّة وتحديدًا في القارة الأمريكيَّة الشماليَّة، لتتلو ذلك الثورة الفرنسيَّة والتي شكلت نقطة تحول سياسيَّة واجتماعية كبرى في التاريخ السياسي والثقافي الفرنسي والأوربي بوجه عام، وفي إقرار الديمقراطية وحقوق الإنسان، مؤكدة على حق الأفراد في التنظيم وحريتهم في الاعتقاد، وتركت نتائج واسعة النطاق من حيث التَّغيير والتأثير في الدول والشعوب الأوروبيَّة.

بفعل التَّأثير المزدوج للثورة الفرنسيَّة ونظامها السِّيَاسي الجديد شهدت هذه المرحلة أواسط القرن

التَّاسع عشر الميلادي وحتى بدايات القرن العشرين (1815-1900)، انتشار الفكرة الوطنيَّة/القومية

ونظرية الحقوق السياسية للأمة (حق تقرير المصير، حق إقامة الدولة الوطنية/القومية، حق السيادة للأمة) في المجتمعات الأوروبية كلها.

وهكذا ظهرت أغلب الدول القومية في القارة الأوروبية إبان الحقب التاريخية السابقة، وإذا كانت هذه الدولة قد نشأت كثمرة مباشرة لانتصارات حربية أو ثورات شعبية أو الاعتبارات متعلقة بالتوازن الاستراتيجي الأوروبي فإنَّ ثمة حقيقة مؤداها أن رسوخ الوعي القومي والإيمان بمبادئ القومية كان بمثابة الدافع القوي والمؤثر في نجاح الحركة القومية.

وارتبطت صورة الدولة الحديثة منذ القرن التاسع عشر في الغرب بمفهوم -الدول القومية- ولم تعد الدولة القومية تعني في الاصطلاح ما كانت تعنيه الفلسفات الغربية القديمة من ضرورة الجمع بين الأمة الواحدة والوحدة السياسية الواحدة فلا توزع الأمة بين عديد من دول ولا تجمع الدولة الواحدة بين العديد من قوميات وإنما الدولة القومية في الاصطلاح الحديث هي الدولة التي يتحقق للعنصر البشري فيها عامل التجانس القومي المهيئ للوحدة القومية سواء باللغة أو الأصل أو حتى بوحدة المصالح وما تهيئ له من وحدة المصير.

عمل النظام الأوروبي الجديد المبتكر والمعروف باسم نظام الكونغرس او المحفل الاوربي Congress على أساس الفكر المحافظ والذي يرفض كل التحركات والأفكار الثورية وأعاد إلى أوروبا الملوك والأمراء القدامى قبل الاجتياح النابليوني للأوربا، مع حرص الساسة الأوروبيين على خلق نوع من التعاون على المستوى القاري من أجل دعم المبادئ المحافظة والتي تحارب أي فكر ثوري.

-دواعي اختيار الموضوع:

لقد خلف لنا دعاة القومية نمط من التفكير التقليدي يفسر القومية كما لو كانت قوة تلقائية واضحة تحرك أحداث التاريخ، ولكن إلى جانب هؤلاء ظهرت منذ ثمانينات القرن الماضي محاولات جدية وموضوعية لدراسة الفكر القومي واخضاعه للمنهج العلمي. وبالرغم من الأهمية التي تمثلها هذا الموضوع، فلا زال الغموض يكتنف أساس التنظير لهذه الظاهرة، لأنَّه ينطوي على مصاعب نظرية

ومنهجية جمة.

كما عرفت الجامعة الجزائرية في السنوات الأخيرة طفرة كبيرة فيما يخص المواضيع المتناولة في الرسائل والأطروحات، وهو ما يعني بأن انشغالات الجيل الجديد من الجامعيين الجزائريين تختلف إلى حدّ ما عن انشغالات الجيل القديم، كما أن ذلك يعني بأن الجيل الجديد قد خلق آفاقا جديدة وهو ما يترجم تلك الرغبة في التميز سواء على مستوى اختيار المواضيع أو المناهج المعتمدة لإنجازها. تكمن إذا مبررات الاهتمام بهذا الموضوع فيما يلي:

- إن مختلف الدراسات الجزائرية التي تناولت تاريخ أوروبا خلال هذه الفترة كانت دراسات عامة في إطار التاريخ العام واغلبها اعتمد على النظرة الأوربية في شرح الأحداث وتفسيرها، وقد يقول الواحد منا ما الجديد المتوقع من دراسة قضايا أوربية كتب عنها الأوروبيون واستفاضوا؟

- إن إعادة كتابة فصول من التاريخ الأوربي والعالمي بأقلام ودراسات جزائرية ومن خلال نظرتنا نحن لهذه الأحداث دون أن ننساق إلى النظرة الأوربية التي غالبا ما تكون متحيزة بدواعي القومية والانتماء العرقي واخرى بالنظرة الاستعلائية، وهذا ما قد يتسبب في ابتعادنا عن فهم حقيقة الأحداث وإعطاءها تفسيرا واقعيا. وفي هذا السياق تدرج هذه الدراسة التي اخترت لها عنوانا " تطور المبادئ القومية في أوروبا خلال القرن 19 م".

- الرغبة في المساهمة في بناء المدرسة التاريخية الجزائرية والتي اعتقد أنه لا ينبغي ان تضل حبيسة في إطار التاريخ الوطني، ولكن فتح آفاق جديدة لها من خلال تناول التاريخ العالمي وإعطاءه تفسيرا يتناغم وروح هذه المدرسة.

-إشكالية البحث وتحديدها:

انطلاقا مما سبق ذكره واعتقادا مني بأن موضوع " تطور المبادئ القومية في أوروبا خلال القرن 19

م 1815 - 1870"، لم ينل حظه من الدراسة بصفة عميقة من الدراسات العربية ولا سيما الدراسات الجزائرية، لذلك فإن هذه الدراسة تسعى إلى تناول هذا الموضوع من خلال الإجابة عن جملة من التساؤلات التي تفرضها طبيعة الموضوع والتي تتمحور حول إشكالية رئيسة هي " ما طبيعة التحولات التي طرأت على أوروبا خلال القرن التاسع عشر في ظل تنامي الفكر القومي وكيف انتقلت أوروبا من الدولة الاممية الى الدولة القومية؟".

وتقتضي الإجابة عن هذه الإشكالية، الإجابة عن الإشكاليات الفرعية التالية:

- ما التأثيرات التي تركتها الثورة الفرنسية على الواقع الأوربي وعلى النظام الأوربي.
- كيف نظر قادة وساسة أوروبا الى الظاهرة القومية خاصة في ظل نظام المحفل الأوربي؟.
- كيف تعاملت الملكيات الاوربية مع المسائل والمطالب القومية وانعكاس ذلك على مستقبل الشعوب الاوربية؟
- ما تداعيات ظهور التيار القومي الثوري في أوروبا وأشكال مواجهته؟
- ما ملامح التطور في التكوين السياسي لأوروبا انطلاقا من التوجهات القومية الحاصلة؟

-أهداف البحث:

تحاول الدراسة الحالية أن تصل إلى الأهداف التالية:

- بناء إطار عام للتحولات الاوربية في المجال الفكري والسياسي خلال القرن 19م
 - معرفة التوجهات والأسس التي اعتمدتها الأنظمة الأوربية في القرن 19 م
 - طبيعة الصراع الأوربي - الأوربي وتأثيراته على المسائل القومية في أوروبا.
- ويمكن القول أن الجديد المتوقع من هذه الدراسة فضلا عن الإجابة عن الإشكاليات المطروحة، هو تسليط الضوء على رافد من روافد الفكر السياسي هو الفكر القومي والذي مازالت ملامحه اليوم

تتجدد في إدارة الأزمات الدولية الراهنة وفي ظل هيمنة العولمة والاقتصاد الواحد وتجاوز مسائل الهوية والمناطقية في العلاقات الدولية.

-أهمية البحث:

إذا توصلت الدراسة الحالية إلى الأهداف السابقة فيمكن أن يستفيد منها:

- المشتغلون في مجال البحث التاريخي خاصة ما تعلق بالتحويلات السياسية في القرن 19م.
- المشتغلون في مجال العلاقات الدولية، وواقع العلاقات الدولية خلال فترة الامتداد الاستعماري والمواجهة المباشرة
- المشتغلون في مجال البحوث في القضايا الفكرية والسياسية.
- البرامج التعليمية في المؤسسات التربوية من اجل ثقافة تاريخية على أسس علمية.

-حدود البحث:

تحكمت المصادر المعتمدة في البحث إلى جانب عوامل أخرى موضوعية في تحديد الإطار الزمني للدراسة ما بين سنتي 1815 و1870، وتبين بعد تفكير عميق أن هذه المرحلة التي وقع عليها الاختيار تستحق ان تفرد لها دراسة قائمة بذاتها لأسباب عديدة من بينها:

- تعد التطورات السياسية التي اجتاحت أوروبا للسنوات 1815 إلى 1870 واحدة من أهم الفترات التاريخية في تاريخ العالم عامة وأوروبا خاصة لما نتج عنها من تغيرات قدر لها أن تكون بالنتيجة نهاية عهد في العلاقات الدولية واستهلال عهد آخر.

- المكانة المتميزة التي تبوأها الدول الأوروبية الناشئة ألمانيا وإيطاليا في حل الخلافات والمسائل الإقليمية والقومية وتأثيرات ظهورهما على الواقع السياسي العام.

- هناك سبب ثالث هو اعتمادي في هذه الدراسة على وثائق هامة لها صلات متعددة بالتاريخ

السياسي والاقتصادي والاجتماعي لأوروبا القرن 19م.

إذا يقتصر البحث زمانيا على فترة ما بين نهاية الحروب نابليونية 1815 وسنة 1870:

أما عن أسباب اختيار التاريخ الأول فقد تم تحديده بناء على مجموعة دلائل تاريخية مرتبطة بتحويلات أوربية إقليمية ودوليا، فقد شهدت سنة 1815 نهاية الحروب النابليونية، وما ميز ذلك من تحول في سياسة أوروبا اتجاه التيار الثوري وفرنسا من خلال فرض سياسة حذرة اتجاه تزايد أخطار التيار الثوري على الأنظمة المحافظة -الرجعية-

كما شهدت سنة 1815 حدثا أوربيا كبيرا تمثل في عقد مؤتمر فيينا لإعادة ترتيب البيت الأوربي، بعدما أحدثته الثورة الفرنسية بأفكارها من تأثير هائل في الواقع الأوربي السياسي والاجتماعي والاقتصادي وخيبة امال كثير من الشعوب الاوربية من مخرجات هذا المؤتمر خاصة ما تعلق بمطالبها القومية والتي ضربت عرض الحائط تحقيقا للتوازن الأوربي بين القوى الكبرى.

شهدت الساحة الدولية أيضا تزايد الاندفاع الروسي اتجاه منطقة البلقان والمواجهة المباشرة مع الدولة العثمانية ما يعني تهديدا صريحا للمصالح الأوربية في المتوسط، وبروز قوى بروسيا والنمسا في مواجهة التوجهات الانجليزية.

أما اختياري للتاريخ الثاني 1870، فله مبرراته أيضا، ففي هذه السنة توجت جهود الالمان والايطاليين بإعلان وحدتهم، كما بدأت انعكاسات الظاهرة القومية في مستواها السياسي على أوروبا، وبداية ملامح عهد جديد وإعادة تشكيل خارطة جديدة لأوروبا.

-مدخل وصفي ونقدي للبيبلوغرافية المعتمدة في الدراسة:

رصدت قائمة للمصادر والمراجع، بما تتطلبه مقتضيات البحث وأهدافه، وحرصت على ان لا أغفل عن أي مصدر او مرجع يمكن ان استفيد منه في بناء هذه الأطروحة، سأحاول من خلال هذه

الاسطر ان أبين أهمية بعض المادة التوثيقية التي اعتمدها في دراستي، وكذا ابراز ما أغفلت عنه والجديد المتوقع من دراستي.

- المصادر والمادة الأرشيفية:

وتضم هذه المجموعة الوثائق الرسمية الأوروبية ومختلف المراسلات والتقارير الدبلوماسية والتي تم طبعها ضمن مجموعات للاستفادة منها.

- المراجع: مجموع ما طبع من دراسات وبحوث أكاديمية تناولت الموضوع من مختلف أبعاده.

أولا المصادر والمادة الأرشيفية:

1- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية باريس: تم الاطلاع على سلسلتين:

- مذكرات ووثائق فرنسية وخاصة ما تعلق بمؤتمر اكس لاشايل ومؤتمر تروباو وليباخ ومؤتمر فيرونا وندوة لندن حول مسألة الاستقلال اليونانية وندوة لندن حول مسألة الاستقلال البلجيكية.

- المراسلات الدبلوماسية وخاصة مراسلات سان بطرس بورغ سنة 1824

2- الوثائق الرسمية لمؤتمر فيينا- قرارات ختامية - وقد تحصلت على نسخة لأعمال المؤتمر والمسائل التي تمت دراستها بالإضافة إلى القرارات التي تمت المصادقة عليها.

3- الوثائق الرسمية لمؤتمر فيرونا- قرارات ختامية -

4- الوثائق الرسمية لمؤتمر تروباو - قرارات ختامية -

5- مجموعة من الصحف والجرائد خاصة صحيفة le moniteur الفرنسية.

5- المصادر المطبوعة: مذكرات، شهادات:

1- Angeberg (comte d') :le congres de vienne et les traités de 1815 ,paris ,Amyot,1863-1864,2 vol.

وقد احتوى هذا الكتاب على مادة أرشيفية هامة، تتعلق بمؤتمر فيينا وأهم المسائل التي تناولها والاجتماعات الرسمية وغير رسمية للمؤتمرين وبذلك يعد هذا الكتاب مصدرا مهما للدراسة.

2- Martens (Charles de): recueil général de traité servant la connaissance des relations étrangères des puissances et états dans leur rapports mutuels ,gottingue,1843-1875.

يزخر هذا الكتاب بمعطيات جد مهمة حول سير العلاقات الأوربية الأوربية، وخاصة فيما يتعلق بقضايا تبادل الرسائل والمباحثات الرسمية، خاصة في الفترة المدروسة.

3-Chateaubriand ; Mémoires d'outre-tombe, Paris, la pochothèque,2 vol.

أهمية الكتاب ترجع إلى مشاركة مؤلفه في اجتماعات مؤتمر تروباو، ويعتبر مؤلفه اول مثقف يحضر اجتماعات على هذا المستوى، وهنا تظهر أهمية ما كتب، فقد عايش الكاتب كل اجتماعات وكواليس المؤتمر وأرخ لواقع العلاقات الأوربية - الأوربية بصفته مشاركا فيه وبصفته مؤرخا.

4-Metternich (prince de) :Mémoires ,lettres et documents divers, Paris,plon,1880-1884,8vol.

أهمية هذا المصدر أنه يمثل مذكرات احد أهم صانعي السياسة الأوربية وأهم موجه لها في هذه الفترة، وقد ظهرت إلى وجود عقب وفاته، وتتضمن هذه المذكرات زخما هائلا من المعلومات والانطباعات التي أرخ لها مترنيخ نفسه.

5- Otto von Bismarck, Mémoires, Paris, Éditions Perrin, 2021

لاشك أن أهمية هذه المذكرات تعود إلى مؤلفها احد الذين صنعوا السياسة الخارجية الألمانية

وهو مهندس الوحدة القومية الألمانية، ويزخر الكتاب بمادة توثيقية هامة حول الفكر القومي والكثير من الملاحظات حول مسائل العلاقات الدولية ويكفي فقط انه الوحيد الذي تنبأ بقرب اندلاع حرب عالمية ضروس، وقد مكّني من فهم وتحديد التوجهات الفكرية والسياسية لقادة أوروبا خلال هذه الفترة.

ثانيا: المراجع والبحوث والأعمال الأكاديمية:

وفيها البحوث والأعمال التي خاضت في موضوع البحث الحالي او تناولت جزءا منه، وهي على كثرتها وتنوعها فسأقدم بعضا منها:

The Key Treaties for Great Powers 1814-1914, (London, 1972).

((المعاهدات الرئيسية للقوى العظمى 1814 - 1914)) الذي جمع وثائق ميشيل هيرست Michael Hurst، وأهمية وقيمة هذا الكتاب تعود إلى الكميات الهامة من المراسلات الدبلوماسية وهو بحق يعد سجلا وثائقيا حافلا، ويمكن القول أن هذه الدراسة ما كانت لترى النور لولا هذا الكتاب فقد شمل كل مراحل والأحداث الأوربية خلال الفترة المدروسة، خاصة في فهم المواد الواردة في المعاهدات

الكتاب المعنون Documents in the Political History of European Continent 1815-1939 (Oxford, 1970)

((وثائق في التاريخ السياسي للقارة الأوربية 1815-1939)). الذي جمع وثائقه. ح. أ. كيرتز G. A. Kertesz، فقد احتوى مادة وثائقية ضخمة غطت أحداث أوروبا وعلاقتها السياسية لأكثر من قرن، إذ أفاد الرسالة بنصوص بعض المعاهدات.

أما الكتاب المعنون أوروبا مترنيخ: Metternich's Europe, (London, 1968)

الذي جمع وثائقه ماك وولكر Mack Walker، فيعد سجلا وثائقيا لا غنى عنه لمن يبحث في العلاقات السياسية الأوربية للسنوات 1815-1848. إذ أفاد الرسالة في فصلها الثالث بنصوص بعض

المعاهدات والأحلاف والمذكرات الحكومية لسياسة أوروبا، الأمر الذي وظف لتعزيز مادة الرسالة وليكسبها مزيداً من العلمية والتوثيق.

أما الكتب، ولاسيما تلك التي اتسمت بالدراسات الوثائقية، فقد رفدت الرسالة بمادة أساس. ويقف على رأسها كتاب: مؤتمر فينّا، دراسة في وحدة التحالف 1812-1822.

The Congress of Vienna, A study in Allied Unity 1812-1822. (London, 1947)

لؤلّفه هارولد نكلسون Harlod Nicolson فضلاً عن كونه قد خدم في السلك الدبلوماسي البريطاني لسنوات عدة وعمل في وزارة الخارجية البريطانية أيضاً، فانه يعدّ خبيراً بالإجراءات والمشكلات الدبلوماسية وألّف كتباً عديدةً في التاريخ البريطاني والأوروبي ومن ضمنها هذا الكتاب الذي تناول طبيعة العلاقات الدولية إبان انعقاد مؤتمر فينّا، وسير مفاوضات المؤتمرين، وركز على مجهودات سياسة فينّا الدبلوماسية للإبقاء على صفوفهم مرصوصة بوجه خطر فرنسا المحتمل. كما قدم الكتاب وصفاً رائعاً لأجواء مؤتمر فينّا وما ساد مفاوضاتها من عقبات. وقد أفاد هذا الكتاب الرسالة في فصلها الثاني وعوض إلى حد ما ندرة المصادر التي تتناول مفاوضات المؤتمرين فيما يتعلق ببعض مشاكل التسوية.

كما اعتمدت على جملة من المصادر والتي رصدت الظاهرة القومية في حينها والتي اذكر منها:

- Général Georges Boulanger, L'invasion Allemande - Guerre De 1870-1871

وقد تناول موضوع الحرب البروسية الفرنسية وأهمية الكتاب ان صاحبه شارك في احداث هذه الحرب ووضعنا في السياق الذي جاءت فيه هذه الحرب وأسباب الانهزام الفرنسي.

من المؤلفات المهمة المعتمدة كتاب:

- Godefroy Cavaignac, La Formation de la Prusse contemporaine (1806-1813). 1. Les Origines - Le Ministère de Stein, 1806-1808, Paris, 1891

وأهمية الكتاب انه تتبع نشأة إمارة بروسيا وناقش العديد من القضايا المرتبطة بالمسائل القومية

وتطور الشعور القومي في ألمانيا، في إطاره التاريخي. ويعد بحق مفتاح للدراسات المرتبطة بهذا المجال.

* أما الكتب العربية والمعرية، فيأتي في مقدمتها:

- الدراسة القيمة لمحمد فؤاد شكري والموسومة، الصراع بين البرجوازية والاقطاع 1789 - 1848، بأجزائها الثلاثة، والتي ركز فيها الكاتب على التوجهات القومية في أوروبا، وأهمية هذه الدراسة في إطارها الزمني الذي تناولته، والمصادر المعتمدة في إنجازها، ويمكن القول انني ما كنت لاستكمل البحث في موضوعي لو لا قراءتي لهذه الدراسة، والتي مكنتني من تدليل الكثير من الصعوبات فكانت بحق مميزة، وتختلف الدراسة الحالية عما كتبه محمد فؤاد شكري في اعتماد العديد من المصادر الارشيفية الجديدة والفترة المدروسة من خلال ان دراستي تتناول أوروبا ما بعد 1848 م، ما تعلق بالوحدة الألمانية كنموذج تطبيقي لتطور مسألة القومية.

- الدراسة الموسوعية لنورالدين حاطوم الموسومة بـ: تاريخ الحركات القومية في أوروبا، لاسيما المجلد الثاني بعنوان يقظة القوميات الأوروبية (الحرية والقومية)، وقد استفدت كثيرا من ما ورد من غزارة المعلومات حول تطور الفكر القومي وممارساته في أوروبا، حتى بدا ان الكتاب لم يترك لا شاردة ولا واردة الا وذكرها، الا ان ما يؤخذ عليه هو صبغته الأدبية والفلسفية في عرض مضامين الكتاب، وغياب الإشارة الى مصادر المعلومة، فالكتاب خال من الاحالات الا ما كان من تعليق المؤلف وهي إشارات قليلة جدا.

- ((كتاب تاريخ العلاقات الدولية 1815-1914)) لمؤلفه المؤرخ الفرنسي بيير رنوفان، وترجمة جلال يحيى (القاهرة، 1968). فيعدّ أفضل كتاب باللغة العربية تناول تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر، إذ تناول مؤلفه ما طرأ على مسيرة العلاقات الدولية من تغيرات، أشرت في حقيقتها تغير المصالح بين الدول والحاجة في كل فترة زمنية الى ترميم وإصلاح ما اعترى هذه العلاقات من قصور. وقد افاد هذا الكتاب الرسالة في الفصل الثاني، والثالث نظرا لما اورده من تفاصيل مهمة.

- ((القومية والامة مدخل الى الفكر السياسي القومي لمؤلفيه علي عباس مراد وعامر حسن

فياض)). وهو بمثابة المفتاح الأهم لهذه الرسالة خاصة في فصلها الأول والثاني، بما احتواه من مفاهيم وتأسيس تاريخي للظاهرة القومية، وتمكنا الباحثان من وضع مدخل علمي ومنهجي راق لمفهوم القومية، الا انني لم أتمكن من الحصول على النسخة الكاملة منه، مكتفية بالنسخة المحدودة الصفحات المسموح الاطلاع عليها على النت، رغم انني اتصلت بدار توزيع الكتاب ووعودها المتكررة لإرساله.

-فصول الدراسة:

وبعد الاطلاع على الدراسات السابقة المرتبطة بالموضوع وعلى الرصيد الهائل والمتنوع الذي هو متوفر، وضعت خطة الدراسة والتي حاولت من خلالها تناول الموضوع ومتابعته بكل تفاصيله فجاءت الخطة شاملة على 07 فصول تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع:

تناول الفصل الاول مسائل مفاهيمية وتحديد المصطلحات، ودراسة تطور مفهوم كل مصطلح ودلالاته الفلسفية والتاريخية، كمصطلح القومية والامة والوطنية، والفكر القومي والوطنية، وقد حاولت اظهار ملامح الترابط بين المصطلحات والاختلافات المفاهيمية المهيكله لكل مصطلح.

تناول الفصل الثاني التأصيل التاريخي للظاهرة القومية من خلال تتبع مراحل ظهورها وفي ابعادها الشعورية والفكرية والسياسية، وتناولت أيضا بعض ملامح الظاهرة والنظريات السياسية التي جاءت في هذا السياق، وضمنته مجموع العوامل المساعدة في بعث الظاهرة القومية كالتجانس البشري والإقليمي.

وتناول الفصل الثالث تأثيرات الثورة الفرنسية على محيطها الإقليمي والأوروبي، من خلال عرض اهم انعكاسات هذه الثورة على الإقليم الأوربية، وأبرزت سياسة قادة الثورة مع تطلعات الشعوب الاوربية للقومية، وتناولت أيضا حركية شعوب أوروبا ونشاطها الثوري اتجاه أنظمتها الرجعية، كما ان محاولة فرنسا النابليونية تصدير ثورتها الى أوروبا كان من مضامين هذا الفصل.

تناول الفصل الرابع المسائل القومية في ظل المحفل الأوربي 1815-1830، وفيه ابرزت فلسفة هذا المحفل وكيف تبنى الفكر الرجعي وعودة الأنظمة المطلقة، واختار ساسة أوروبا أسلوب التضامن فيما

بينهم لمواجهة الفكر القومي التحرري، وتعرضت الى كثير من مسائل القومية التي تمت مناقشتها اثناء مختلف المؤتمرات المنعقدة خلال نفس الفترة، كما قدمت نقدا تاريخيا لمخرجات المؤتمرات الاوربية وضرب المطالب والتطلعات القومية للشعوب عرض الحائط.

أما **الفصل الخامس** فسيتناول تطور المسائل القومية خلال موجة الثورات الأوربية سنة 1830 وثورات 1848، وتأثيراتها في تسريع المسائل القومية وبداية النهاية للتيار المحافظ في اوروبا، والجهود القومية الرامية لتحقيق الوحدات القومية في أرجاء أوروبا. وقمت بدراسة نماذج مختارة لهذه الثورات، وبرزت أسباب نجاح بعضها وفشل الآخر.

الفصل السادس تناولت بالدراسة المراحل الأولى من مسار تحقيق الوحدة القومية الألمانية بدءا من سنة 1815، وما شهدته من ثورة فكرية وعلمية كبيرة، وحالة المجتمع الألماني بعد مخرجات مؤتمرات المحفل الأوربي، وتجربة الالمان الوحدوية خلال الفترة ما بين 1815 - 1848، ومحاولة تشريح أسباب فشلها وانعكاساتها على المسار الوحدوي العام لها.

الفصل السابع والذي تعرضت من خلاله الى الوحدة القومية الألمانية سنة 1859 الى 1870، وترغم بروسيا لقيادة الوحدة وبروز شخصية بسمارك، ومختلف المراحل التي شهدتها الوحدة سواء في ابعادها الاقتصادية او السياسية وحروبها، إضافة الى الانعكاسات ظهور ألمانيا الموحدة على الساحة الاوربية.

-منهج الدراسة:

من حيث المنهج الذي اتبعته لرصد التحولات الحاصلة في أوروبا عقب الثورة الفرنسية والانتقال من الدولة الأمية إلى الدولة القومية، فقد اعتمدت الوصف التاريخي مع تركيب الوقائع والاكتفاء بما له دلالة خاصة في القضايا التي تناولها البحث دون الدخول في التفاصيل الجزئية والإحالة على ما أنجز من دراسات حرصا على تجنب المبالغة في الاستنتاج. وعلى العموم فقد حاولت جهد نفسي أن أضع القاعدة الأولى والأخيرة من قواعد المنهج كما قررها ديكارت موضع التطبيق في البحث:

- ألا أقبل شيئاً ما على أنه حق، ما لم اعرف يقيناً انه كذلك بمعنى أن أتجنب بعناية التهوير والسبق إلى الحكم قبل النظر ولا ادخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميز بحيث لا يكون لدي أي مجال لوضعه موضع الشك.

- أن أعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة، ما يجعلني على ثقة من أنني لم أغفل عن شيء.

-صعوبات البحث:

ولأن الدراسة الأكاديمية لا تخلو من الصعوبات والعوائق والتي كان أهمها عدم توفر المراجع والمصادر العربية المتخصصة في الفكر الأوربي القومي وما هو موجود منها تناول الموضوع باللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية، مما تطلب الامر الاستعانة ببعض الأساتذة زملاء لترجمة بعض النصوص والمادة التوثيقية.

تجاوز مشكلة التنسيق بين المعلومات خاصة المتكرر منها كذلك العمل ألا يكون الموضوع منفصل في جزئياته وفروعه مما اضطرني إلى اختصار الكثير من المعلومات.

رغم علمي بوجود مادة تاريخية مهمة في دور الأرشيف الأوروبية، الا أن ظروف الجائحة وتعليق الرحلات الجوية حال دون الاستفادة منها إلا ما تم تحميله والاطلاع عليه من مواقع دور الأرشيف المختلفة.

وفي الأخير أتقدم مسبقاً بجزيل الشكر للجنة المناقشة، وأتمنى أن أكون قد ساهمت ولو بالندر القليل في الإحاطة بموضوع الدراسة.

الفصل الأول

التأصيل الفلسفي المفاهيمي للقومية

المبحث الأول: ما هي القومية.

المبحث الثاني: القومية والمفاهيم المقاربة لها.

المبحث الثالث: قراءه في النظريات القومية الحديثة.

أجبد قبل البدء في دراسة تطور المبادئ القومية في أوروبا، أن نبدأ أولاً بالتأصيل المفاهيمي للقومية ولا شك أن ذلك سيسهم في التنظير الجيد للموضوع، إذ أن عملية بناء الأطر النظرية من المسائل الحاكمة في العلوم الانسانية إذ تمثل " بناء متكامل من الأفكار والمفاهيم النظرية يؤدي كل منها إلى الآخر وترتبط بينهما جميعاً رابطة واحدة. ¹

وحيث أن الاطار النظري لكل مفهوم هو بناء مركب من عناصر، فإن ذلك يستدعي تفكيك المفهوم موضوع لدراسة، وتحديد ماهية كل عنصر من عناصره ومن ثم تركيب هذه العناصر، وفق علاقة أو رابطة، ومن ثم تركيب هذه العناصر، لتحديد بدالاتها ماهية المفهوم الأساس وجملة مفاهيمه الفرعية. ²

إن من أهم معايير التنظيم الجيد، ذلك الجزء المرتبط بتعامل الباحث مع المصطلحات (المفاهيم) وقدرته على صياغة نسق من العلاقات والروابط المنعقدة من مفاهيم بحثه، ومتغيرات دراسته. ³ ولأن المفاهيم والمصطلحات النقدية ليست بنت عصرها ، فكل عصر مصطلحاته ومفاهيمه، لذا فالمصطلحات والمفاهيم، عبر التاريخ تتجه نحو الدقة في الدلالة، وتوحي من الزمن بشيء من التخصص والتخصيص. ⁴

¹ علي الدين هلال وآخرون، معجم المصطلحات السياسية، ط1، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، 1994، ص 32

² علي عباس مراد، عامر حسن فياض، القومية والأمة، مدخل إلى الفكر السياسي القومي، ط1، العربي للنشر والتوزيع، 2017، ص 15.

³ جودة أحمد سعادة، مناهج الدراسات الاجتماعية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1984، ص 314.

⁴ علي عباس مراد، عامر حسن فياض، المرجع السابق، ص 16.

إن عملية تحديد (ماهية المبادئ القومية)، ستجري هنا باستخدام المنهج القائم على تعريف الشيء بدلالة تفكيكه إلى عناصره وأنساقه الأولية، وتحديد ماهية كل عنصر أو نسق منها، وتحديد العلاقة بين تلك العناصر أو الأنساق المكونة للشيء.¹

المبحث الأول: ماهية القومية :

ارتبط مصطلح القومية مع التطورات التي شهدتها أوروبا مطلع العصور الحديثة أي بداية من عصر النهضة، وقد اختلفت الآراء وتنوعت في تحديد مفهوم جامع للقومية، وملامح فكرها وأسسها بل وصل الأمر الى حد التناقض بين ما طرح من مفاهيم وشروحات لها.

إن ظهور كلمة القومية في القاموس السياسي القرن التاسع عشر، يسجل مبلاد مدلول جديد غامض وشديد التعقيد بسبب الابهام الذي اكتنف محتواه والمعنى الذي يؤديه، ذلك أن كلمة القومية هي من نوع تلك الكلمات الحضارية التي لا تستطيع الحروف المكونة لها تحديد المعنى الذي تريد التعبير عنه والمحتوى الذي تتضمنه.²

و يمكن تحديد جملة من الأسباب وراء هذا التعدد في الرؤى والمفاهيم لمصطلح القومية والتي يمكن تحديد بعضها فيما يلي:

- عدد من المشتغلين في هذا المفهوم من غير المتخصصين فيستخدمون مفاهيم أقرب إلى ايدولوجيات الأخرى عن القومية (خلط في تحديد المفاهيم والمناهج المتبعة في دراستها).³

1 علي عباس مراد، عامر حسن فياض، المرجع السابق، ص 16.

2 جمال قنان، مفهوم القومية في الفكر الأوروبي في القرن 19م، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، ص. 91

3 جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، الفرنسية، الإنكليزية، اللاتينية، ج 2، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص 205.

- تشعبات المواضيع والمفاهيم المرتبطة بالقومية، فالقومية من المصطلحات التي تتسع وتتوسع مفاهيمها لتكيف نفسها مع الأوضاع السياسية والجغرافية المختلفة. 1
- كثير من الدراسات المرتبطة بالقومية، يتم التأصيل فيها بناء على مصالح ذاتية وأهداف كل مجتمع، فيكون الولاء الإثني والثقافي أكثر تأثيراً من التوجه العلمي. 2
- عدم وجود منظر أو مفكر خاص بالقومية كما هو بالنسبة للايديولوجيات الأخرى مثل (الاشتراكية، الليبرالية، والفاشية)، وما هو موجود مجموعة من الأفكار والآراء حول القومية. 3
- يجري التعبير عن قومية كل أمة بشكل يخالف الآراء الأخرى ويتميز عنها، فلكل أمة أو قومية تعيش تجربتها الخاصة بها في فكرها وحركتها القومية. 4
- تظهر كتابات القوميين على درجة كبيرة من الاعتزاز بالذات، وقد أغفلوا في ذلك قواعد البحث العلمي. 5. وهو ما جعلها تشترك في خصائص مشتركة أبرزها الاستعلاء القومي، أي التّرجسية القومية والروح العدوانية. 6.

1 نقلاً عن: بيتر تيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية، ص 16.

2 Ernest Renan, What is a Nation, 1882, in John Hutchinson et Anthony D.

Smith, Nationalism, 1^{er} edition, Oxford University Press, UK, 1994, P15

أنظر أيضاً ساطع الحصري، ما هي القومية، ص 106

3 هوراس دافيز، القومية، ترجمة: سمير كرم، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1980، ص 153

4. ساطع الحصري، المرجع السابق، ص. 205، يمكن التفصيل في كتاب: القومية والأمة لصاحبه علي مراد حسن فياض، ص 41-43.

5. هوراس دافيز، المرجع السابق، ص 154.

6. Gil Delannoi, Pierre-André Taguieff. ;Théories du nationalisme: nation, nationalité, ethnicité. Editions Kimé, 1991, pp. 122,

لقد خلف لنا هؤلاء القوميون نمط من التفكير التقليدي يفسر القومية كما لو كانت قوة تلقائية واضحة تحرك أحداث التاريخ، ولكن إلى جانب هؤلاء ظهرت منذ الثمانينات القرن الماضي محاولات جدية وموضوعية لدراسة القومية ¹. رغم أنّها تواجه ثلاثة تناقضات وهي:

- هناك محاولات لبناء نظرية موضوعية حديثة عن القومية، ولكنها تقوم على قواعد ذاتية قديمة ².

- هناك أيضًا شمولية أو عمومية المفهوم التي تجور على خصوصية التطبيقات، ففي عالم الأمم تمثل كلّ أمّة حال منفردة ³.

- هناك قوة سياسية للفكرة، التي تتعارض بشكل كبير مع دلالاتها الفلسفية، ولذلك على هذه النظريات الاعتراف بهذه التناقضات وشرح مبرراتها ⁴.

ورغم ما يتضح من إشكالات حول مصطلح القومية، فإنّه لا يمنع من محاولة تحديد ماهية القومية، بتعريفها، ثمّ توضيح الخطوط الفاصلة بينها وبين المفاهيم المناظرة أو المقابلة لها والمرتبطة بها.

من المنطقي أن نبدأ هذه المحاولة بالعودة إلى الأصل اللّغوي لكلمة قومية، ثم نستعرض عددًا من تعريفاتها لإيجاد معايير واضحة تساعدنا على أن نحدّد بالضبط هذا المفهوم، وأن نجد مناطق التقاطعات بين التعاريف، ولربما صياغة مفهوم يتماشى مع غالبية الآراء حول مصطلح القومية.

اشتقت القومية في اللّغة العربية من كلمة قوم، والقوم مصدر قام، باعتدال المرء أو الأمر اتزان، وقام بالأمر أيّ تولاّه واعتنى به، قام الحقّ ظهر وثبت، والقوم أقرباء الإنسان الذين يجتمعون معه في أصل

1. Gil Delannoi, Pierre-André Taguieff ;op. cit 123

2. أبو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية (أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات)، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت - لبنان، 1985، ص. 31-32.

3. الحصري، المرجع السابق، ص. 35.

4. نفسه، ص. 36.

واحد، أو أرومة واحدة، والقوم الجماعة من جد واحد، وقومية الإنسان تعني قوامه 1، أو ما يقوم به أمره أو سند به، أو ما يقيم به أمره وشأنه، والإنسان يقوم أمره وسند يقومه أيّ أهل نسبه فقامة المرء تقوم بقومه وانتمائه إليهم وولائه لهم، وقوام أمر المرء أيّ اعتداله، وقيّمته وقوّته تكون بقوم 2.

فالقومية بهذا المعنى تعني علاقة القوم فيما بينهم وكلمة القوم جمع لا واحد له. والقوم هم جماعة من الناس تربطهم ببعض علاقة اجتماعية، وقوم الرجل شيعته وعشيرته، إذاً القومية مصدرها اللّغوي في العربيّة من القوم، أيّ جماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها 3، ووردت كلمة القوم في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ 4.

وإذا كانت كلمة القومية في اللّغة العربيّة مستمّدة من كلمة قوم والقوم هم الأُمّة، فإنّ هذه الكلمة في اللّغات الأجنبية (National) لاتينية المنبت، مستمّدة من كلمة (Nascor) التي اشتقت منها كلمة القومية والقومي 5، أمّا كلمة الأُمّة فنجد أصلها في الفعل اللاتيني (Nasei) الذي يعني من أبسط معانيه فعل الولادة (To be born). ويستخدم عادةً للإشارة إلى مجموعة من البشر المولودين في رقعة معيّنة من الأرض، ويستوي في ذلك أن تكون مساحة الأرض كبيرة أو صغيرة 6.

يرى البعض ان دراسة معنى القومية من خلال دراسة اشتقاق الكلمة الأساسية (Nation) لا يساهم في استيضاح المعنى الحقيقي لها، وفي هذا الرأي ذهب الكاتب بويد شيفر الى القول ان سبب ذلك هو ان كل شعب عبر عن قوميته بشكل مخالف وأحياناً مناقض لما عبرت عنه غيره من الشعوب،

1. محمد عمارة، الظاهرة القومية في الحضارة العربية، رابطة الادباء في الكويت، ص 36

2. أسعد مفرج، موسوعة عالم السياسة، المجلد 24، دار نوبليس للنشر، 1900، ص. 137.

3. ابن منظور، لسان العرب، المجلد 11، ط 3، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004، ص. ص. 223-228.

4. سورة آل عمران، الآية 86.

5. علي عبّاس مراد، عامر حسن فياض، القومية والأُمّة: مدخل إلى الفكر السياسي القومي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017، ص. 39.

6. نفس المرجع السابق، ص. 40.

لفلظة القومية تغير في مدلولها واتسع مفهومها واكتسب مضامين إضافية، كما ان مفهومها اختلف بالنسبة لكل لغة ولكل قوم ولكل فترة زمنية¹.

ظهرت كلمة القومية (Nationalisme) لأول مرة في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر في مذكرات الإمبراطور النمساوي جوزيف الثاني تحت عنوان نقاشات نمساوية " Disputes Autrichiennes"، وكانت تطلق بالبلاط مع نعمة الاحتقار والخط، على تلك الشعوب الغير الإكمانية التي تعيش في كنف الإمبراطورية²، وقد عرّفها ملك بروسيا فردريك الثاني (1712-1786) في كتابه " رسائل حول حب الوطن " الصّادر عام 1779م، بدلالة الشعور الموجود والواقعي بحب الوطن، وشرح قوّة هذا الشعور القومي بقوله: " ليس حب الوطن كائنًا وليد العقل إنّه موجود واقعاً 3 ".

استعمل الفيلسوف الألماني هيجل في العشرية الأخيرة من القرن الثامن عشر كلمة القومية للتعبير عن مضمون آخر يهدف إلى إعادة الاعتبار للتراث الشعبي من شعر وملاحم وتقاليد التي يرى أنّها تعبّر عن الضمير الجماعي للأمة (Volksgeist) 4، وبالنظر إلى الظروف السياسية المضطربة التي عاشتها ألمانيا أثناء الحروب النابليونية ووطأة الاحتلال الذي تعرّضت له، فقد ولد لديها الإحساس

1. بويد شيفر، القومية (عرض وتحليل)، ترجمة: جعفر خصياك وعدنان الحميري، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1962، ص. 66-67. انظر أيضا :

David A. BELL, The Cult of the Nation. Inventing Nationalism, 1680-1820, Harvard University Press, 2001,p. 35- 36

2. جمال قنان، مرجع سابق، ص. 92.

3. جان تشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: علي مقلد، ط 2، بيروت، الدّار العالمية للطباعة والنّشر، 1983، ص. 346. انظر أيضا:

Benedict Anderson, L'imaginaire national: Réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme (trad. Pierre-Emmanuel Dauzat), éditions La Découverte, 1996 , pp. 12-13.

4. Joxe Azurmendi, « Génie du peuple, Esprit de la nation, Volksgeist », dans Humboldt: Hizkuntza eta pentsamendua, Bilbo, UEU, 2007,pp. 27-31.

بالمرة، وحملت كلمة القومية مضمون جديد لتصبح ذات دلالة لمشروع إحياء قومي شامل
1. Volrslum.

أما في فرنسا فإن لفظة القومية **Nationalisme** ظهرت أول مرة عند أواخر القرن الثامن عشر عندما استعملها القسيس (برويل Barruel) في إحدى كتاباته 1788 للتنديد بالتطرف الذي تتميز به الوطنية عند اليعاقبة بقوله: " أن القومية عندهم " اليعاقبة " حلت محل الحب العام وهكذا أصبح احتقار الأجانب وخداعهم والقدح فيهم، وطنية عندهم ".

وقد يكون هناك اجماع بين المؤرخين على ان السيدة دي ستال Stael 2 الفرنسية كانت اول من استخدم لفظة القومية بمدلولها السياسي، ولم يتطور استعمال هذه الكلمة في العشرينات التالية وبقيت تحمل دائما معنى الاستهجان والتنديد، إلا أن كلمة الوطنية في فرنسا كانت تعبر تقريبا عن نفس المعنى التي تعبر عنها كلمة القومية في اللغة الألمانية 3، ففي سنة 1823 اخرج العالم اللغوي الفرنسي "كلود بواس" Claude Boiste " معجما في اللغة الفرنسية عرف فيه القومية بأنها: تعبير حديث يدل على طابع او صفة وطنية خاصة، وعلى وجود روح وطني ومحبة واخوة وشعور بالوطنية مما يشترك في الانصاف به جميع الناس.

و في 1825 نقل عن الألمانية احد الناشرين الفرنسيون " لورتا " Lortat كتابا عالج فيه صاحبه بوضوح القومية وروح الشعوب الألمانية، والأنظمة المناسبة لعوائدهم وخلقهم، فاعتذر الناشر في مقدمته لهذا الكتاب عن استخدام مصطلح القومية الحديث، والذي اختصه بمعنى لا يوحى بالمعاني الدارجة والتي ألفها الناس في عصره.

1. قنان، مرجع سابق، ص ص. 92-93.

2. مدام دي ستال (1766 – 1817) ابنة المصرفي السويسري الأصل " جاك نكر " Necker الذي تولى الوزارة في فرنسا في عهد مليكها لويس السادس عشر، نالت شهرة ذائعة كأديبة وكاتبة ناهضة. وضعت مؤلفا عن ألمانيا " De l'Allemagne "، وظهر فيه مصطلح القومية بمعناها السياسي. انظر: Françoise d'Eaubonnes, *Une femme témoin de son siècle*, Germaine de Staël, Paris, Flammarion, 1966, pp. 96-98

3. قنان، المرجع السابق، ص. 93

في سنة 1834 ظهر مؤلف مشترك لـ: بوشيه Buchez ورو Roux حول تاريخ الثورة الفرنسية البرلماني وقد جاء في 48 جزءا، وقد افرد المؤلفان فصلا كاملا تناول القومية الفرنسية. وأشار بوشيه الى ان المقصود بالقومية لم يعد مجرد التعريف بالأمة، بل صار المقصود بها كذلك الدلالة على ان هناك شيئا معيناً يضمن بقاء الأمة ويكفل وجودها، حتى لو كانت هذه الأمة تفقد الحق في ممارسة شؤونها بنفسها على أساس الحكومة الذاتية.

تجاهلت قواميس اللغة الفرنسية إيراد هذه الكلمة حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بالرغم من أن الكلمة (الجنسية Nationalité)، كان قاموس الأكاديمية الفرنسية قد أوردتها في طبعته السادسة عام 1836 للدلالة على حركة التحرر لدى الشعوب المستعبدة خاصة في أوروبا¹، وقد كان لهذا المعنى ذيوفا أيام الإمبراطورية النابليونية من قبل، ثم لم يلبث ان تأكد تماما اثناء ثورة يوليو سنة 1830 المشهورة في فرنسا، فعرف الناس القومية ووقتئذ بانها: الاجتماع او التكتل الذي يحدث بين الافراد وتم حصوله فعلا، وفي الواقع في صورة أمة، او كانت تحدد هؤلاء المتكتلين الرغبة في تكوين أمة متميزة عن غيرها من الأمم، بفضل ما لدى هؤلاء من تقاليد واحدة ومصالح مشتركة وانتمائهم الى اصل واحد.

وظهرت لفظه (القومية) اول مرة في قاموس لاروس وضمنها معنيين: الأول ويعني الوطنية المتطرفة التي تسمى أيضاً الشوفينية وشرحها بكونها تعني التعلق الأعمى والتفضيل لكل ما هو متصل بالأمة التي ينتمي إليها الفرد، والمعنى الثاني بكونها تعني الوجود المتميز للشعوب في إطار دولة مستقلة.

وعند أواخر القرن التاسع عشر أصبحت كلمة (Nationalisme) تحمل ثلاث معاني مختلفة

2 وهي :

1. قنان، مرجع سابق، ص. 93، انظر أيضا: Ernest Gellner, Nations et nationalisme, éditions du Seuil, 1989, p. 37-39

2. Gil Delannoi, Pierre-André Taguieff ; op. cit ,p. 171

- فهي تعبّر عن الوطنية المتطرّقة المستهجنة من طرف قطاع واسع من الرّأي، على غرار رجالات الكنيسة والطبقة الارستقراطية المهجنة¹.

- للتعبير عن الكفاح الذي تقوم به الشعوب المستعبدة للتحرر من ريقه السيّطرة الأجنبية، وهو ما مثلته روح ثورات 1830 م كردود فعل حقيقية اتجه سياسة المؤتمرات الاوربية والتي ضربت المشاعر القومية لكثير من شعوب أوربا عرض الحائط مثل الأمة البلجيكية او البروسية او حتى الاسبانية والإيطالية².

- عنوان لتيّار سيّاسي ذو توجّه متميّز وبرنامج سياسي ميداني والذي يحتلّ في الخريطة السيّاسة موقعًا في اليمين أو أقصى اليمين³.

أمّا في انجلترا فإنّ كلمة القومية ظلت مرادفة لكلمة الوطنية، ولا يشعر المستخدم للفظتين أي اختلاف في استعمالهما، بل استخدمت للدلالة عن شيء واحد، وهو حب الوطن والتّحمس لمصالحه الحقيقية والتّعلّق بالدولة والاستعداد للتّضحية من أجله ومن أجل مصالحه الحيوية، الا أنّه مع بداية القرن العشرين سجّل في هاته البلاد بداية التمايز بين كلمتي الوطنية والقومية لتصبح هذه الأخيرة عنوان لتيّار سيّاسي قائم بذاته له إيديولوجيته الخاصة بشأنه شأن البلدان الأورويّة الأخرى والتي تلتقي مع بعضها البعض في خصائص مشتركة أبرزها: الاستعلاء القومي، أيّ التّرجسية القومية والروح العدوانية⁴.

لقد أخذ مدلول لفظة القومية حجمًا وزادت مفاهيمه، وهذا ما يتضح عند تتبع التعريفات التي حاول المشتغلون في مجال الفلسفة وتاريخ الأفكار والذهنيات، تحديده لها :

1. Raoul Girardet, Nationalismes et nation, éditions Complexe, 1996, pp. 66-67

2. Eric Hobsbawm, Nations et Nationalisme depuis 1780: programme, mythe, réalité, éditions Gallimard, 1992, pp. 93-95

3. قنان، مرجع سابق، ص. 94.

4. قنان، مرجع سابق، ص. 94. للمزيد يمكن العودة الى: Dimitri Kitsikis, Le Nationalisme, Revue Études internationales, vol. 2 no 3, 1971, pp. 21-37.

يعرّف " أنتومي غدنز " القومية بأنّها منظومة من الرموز والمبادئ التي تضيفي على الفرد الإحساس بأنّه جزء من جماعة سيّاسية واحدة، وتتضمّن القومية في أجلى مظاهرها عند بناء الدولة الحديثة 1.

وحسب الكاتب ارنست غيلنر " أن القومية من منطلق أنّها مبدأ سيّاسي، ينبغي أن يكون هناك انسجامًا بين الوحدة السيّاسية والقومية، وأنّ النزعة القومية كعاطفة أو كحركة سيّاسية يمكن تعريفها على أفضل وجه بلغة هذا المبدأ، والعاطفة القومية هي الشعور بالغضب الذي يستثيره انتهاك المبدأ، أو الشعور بالرّضا الذي يبعثه تحقيقه، والحركة القومية هي التي تفعلها عاطفة من هذا النوع 2. و يضيف في ذلك " أن القومية نظرية للشرعية السيّاسية، التي تتطلّب عدم تقاطع الحدود الإثنية مع الحدود السيّاسية، وبخاصّة ينبغي على الحدود الإثنية في دولة معيّنة أن لا تفصل القابضين على السّلطة عن البقية وهو شرط استبعده شكليًا المبدأ في صياغته العامّة 3.

وفي تعريفه للقومية يقول " انتموني سميت " تمثّل القومية كإيديولوجية أهمّ ركائز العصر الحديثة، فلم يقدر لأيّ رؤى في العالم أن تترك بصمتها على الخريطة العالمية مثلما خلفته القومية في تحريك الوجدان والوعي بالهوية، فالقومية تعطي الإنسان بالهوية والأهميّة، ومبدأ القومية فرض على الإيديولوجيات الأخرى أن تكيّف نفسها مع إيديولوجية القومية 4.

كما قدّم " قاموس أكسفورد " الإنجليزي تعريفًا للقومية على أنّها هي الإرادة والرغبة لجماعة بشرية معيّنة تشتترط في العنصر والثقافة، اللّغة. .. الخ في تأسيس دولة مستقلة 5.

1. انتوني غديز، علم الاجتماع، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت -لبنان، ص. 468.

2. ارنست غيلنر، الأمم والقومية، ترجمة: مجيد الرّاضي، ط 1، دار المدعى للطباعة والنّشر، سوريا، 1999، ص. 15.

3. المرجع نفسه، ص. 16.

4. بيتر تيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السيّاسية لعالمنا المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985، ص. 16.

5. The Oxford English Dictionary, 6^e edition, edited by Solly Welimeie, Oxford, university press, Britannica, 2001, p. 847.

وجاء في المعجم الفلسفي لـ "جميل صليبا" المذهب القومي (Nationalism) بأنه مذهب سياسي قوامه إثارة المصالح القومية على كل شيء، فأما أن يتظاهر هذا الإثارة في منازع الأفراد، وأما أن يظهر في منهج حزب سياسي يُناضل في سبيل قومه ويدافع عنهم ويعتز بهم 1.

تُشير كثير من الكتابات حول القومية إلى مسألة مهمّة في تحديد ماهية القومية وهي عنصري الوعي الذاتي والحركة السياسية لدى أبناء (الأمة) في سعيهم لتقرير مصيرهم وإثبات حقهم في خلق سلطتهم أو كيانهم المتميز (ثقافياً وسياسياً واقتصادياً)، أي في إنجاز مشروع دولتهم المستقلة 2، فإذا كانت مقومات الأمة موجودة موضوعياً، فإنّ القومية هي الوعي الذاتي الجماعي بهذا الوجود والحركة القومية السياسية هي من أجل التعبير عنه في شكل سياسي، ويكون هدفه في العادة هو إنشاء الدولة 3.

ويرى "بويد شيفر" أن القومية "الشعور الوطني الذي معناه الإخلاص للأمة" ويُضيف أن استعمال كلمة القومية بهذا المعنى بوصفها شعوراً لا ينطبق إلا على المعنى التي كانت تدل عليه في نهاية القرن الثامن عشر عهد الثورة الفرنسية 4.

- ويورد "بويد شيفر" خمسة تعريفات أساسية للقومية على النحو التالي 5 :
- حبّ الأرض المشتركة أو العنصر المشترك أو اللغة المشتركة أو الثقافة المشتركة.
 - رغبة في الاستقلال السياسي للأمة وسلامتها وهيبتها.

1. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص. 205-206.

2. سعد الدين إبراهيم وآخرون، اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة (دراسة ميدانية)، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1980، ص. 26-27.

3. نفس المرجع السابق، ص. 27.

4. بويد شيفر، القومية، مرجع سابق، ص. 66.

5. نفسه، ص. 69.

- إخلاص غامض لكائن اجتماعي مُبهم يعلو على الطّبيعة يعرف أحياناً بالأمة أو الشعب Folk هو أكثر من مجموع أجزائه كلّها.
- عقيدة حُلّاصتها أن الفرد لا يعيش إلّا من أجل الأمة مع ما يتّبّع ذلك من أن الأمة غاية في نفسها.
- أو أن يعتقد القومي أن أمته يجب أن تسيطر على الأمم الأخرى.
- وقد اعطى البعض تعريفاً آخر للقومية على أنّها نزعة وهوية تتمثل في خصوصيات سوسيو ثقافية ومرتبطة بالأرض والجغرافية، وكتبوا في ذلك " انطباع عن هويّة معيّنة لها خصوصية ثقافية وتاريخية وحضارية فضلاً عن الخصوصية الهوية الجغرافية لهذه القومية 1".
- ويرى " مالك أبو شهيوه " أن القومية أيديولوجية سياسية تدفع بالأفراد إلى التلاحم والانخراط في جماعة سياسية واحدة 2. وهو ما يعني أن القومية عنده بمثابة نظام متميّز من القيم والتقاليد المشتركة والتأريخ المشترك والطّابع القومي المشترك والجنسي أو العرق الواحد والروح المشتركة 3.
- ويذهب " محمد مصطفى زيدان " إلى أن القومية هي " الإحساس أو الشعور بالانتماء والارتباط بأفراد الأمة، أيّ هي تلك الروابط النفسيّة والثقافية التي تربط مجموعة من النّاس وتجعل الفرد فيها يفعل بانفعالاتها، ويرتبط بحاضرها ومستقبلها، ويتشرب لغتها وثقافتها، وتطمح المجموعة من النّاس لتحقيق الكيان القومي والمحافظة عليه وتطويره 4".

1. Eric Hobsbawm, Nations et nationalisme depuis 1780, Paris: Gallimard, 1992, pp. 44-45

2. مالك عبيد أبو شهيوه وآخرون، الإيديولوجيا والسياسة (دراسات في الإيديولوجيات السياسية المعاصرة)، ط 1، مصراتة - ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1993، ص. 325.

3. مالك أبو شهيوه وآخرون، المرجع السابق، ص. 15-16

4. محمد مصطفى زيدان، القومية العربية بين التحدي والاستجابة، دار مكتبة الأندلس، ليبيا، 1982، ص. 111-112

أمّا " مصطفى أبو زيد قدرى " فإنّه أسقط عنصر الدولة من مفهوم القومية، حيث يؤكد أن القومية تعني مجموعة من البشر لها نفس الصفات الأساسية المكوّنة للأمة، ولكنها لا تمتلك بعد دولة مستقلة 1 .

في حين ربط البعض الآخر القومية بعنصر الوعي، حيث يرى، " حسن خليلي حسني " أن القومية: " وعي الجماعة مجتمعة أو أفراد بعوامل وجود الأمة والعمل على تأكيد وحدتها " 2. ومع أنّه ليس بين هذه التعريفات ما هو صحيح بالكامل، وأنّها جميعاً أضيق من اللازم وأشدّ تخصّيصاً، فكل تعريف منها لا يصف إلّا وجهًا واحدًا فقط من أوجه القومية، مع أن القومية الحديثة تتكوّن من هذه المظاهر ومن غيرها جميعًا.

ونستخلص من التعريفات السابقة حول القومية أنّه مصطلح ذو مضمون تاريخي اجتماعي، ثمّ سياسي وأنّ أيّ تغيّر في أحد أوجه هذا المضمون تكون عادةً، أسرع من التّغير الحاصل في دلالات المصطلح والمقاصد الذاتية والموضوعية المبتغاة من استخدامه وإشاعته.

على أن الملاحظ أن غالبية الباحثين والمفكرين، تبدو متفقّة على أن تعدّد معاني مصطلح القومية، وتنوّع دلالاته ومضامينه، ساعدت على استخدامه للإشارة إلى ظواهر مجتمعية، هي الأخرى متعدّدة المعاني 3.

إذا ينطوي المذهب القومي على فكرة ومبدأ، فالفكرة معناها: الارتباط بمصالح مشتركة واستهداف غايات محدودة مشتركة، يجمع بينها شعور واحد يستند على مقومات مشتركة من اللغة والجنس والدين وما الى ذلك.

1. مصطفى أبو زيد قدرى، الوجيز في النّظرية العامّة للقومية العربيّة، القاهرة، 1964، ص. ص. 119-120.

2. حسن خليل حسن، الإسلام والقومية العربيّة، ط 1، دار الكتاب، بن غازي، 1974، ص. ص. 11-12.

3. علي عبّاس مراد، المرجع السابق، ص. 43، انظر: Anne-Marie Thiesse, La création des identités nationales: Europe xviii – xixe siècle, éditions du Seuil, 1999, 311 p, 113-115

و المبدأ هو اخراج الفكرة الى حيز الوجود، وكضرورة لازمة لتفسير احداث التاريخ ولتسوية وقوعها، الى رسم سياسة معينة تسترشد عند تطبيقها بتلك المصالح والأهداف او الغايات المشتركة التي انطوت عليها فكرة القومية ذاتها¹.

وبناء عليه فان تحديد مفهوم القومية وماهيتها، لا يتحدد بدلالة التعريف فقط، بل وأيضاً بدلالة المفاهيم النظرية أو المقاربة له، مثل مفهوم الأمة والتحرر القومي، والدولة القومية الوطنية، الجنسية وغيرها من المفاهيم القريبة جداً لمصطلح القومية والتي بالضرورة تسمح بتحديد الخطوط الفاصلة بينها ومناطق التدخل ايضاً.

المبحث الثاني: المفاهيم المقاربة لمفهوم القومية

يرتبط مفهوم القومية بمجموعة أخرى من المفاهيم، ومن أبرزها: الأمة والجنسية، العرق، الوطنية، وسنحاول من خلال الأسطر التالية تحديد نقاط الاشتراك والتداخل بين هذه المفاهيم، ومحاولة تحديد خطوط الفصل بينها.

1- القومية والأمة:

من أبرز المفاهيم المتداخلة مع القومية، لفظه الأمة، نظراً لكونه قريب جداً لها وحتى استخداماته وتوظيفه المستمر والشائع للدلالة على مفهوم قومية ما او محاولة ابراز اختلافها وتميزها عن غيرها.

يرجع " برنار لويس " تاريخ ظهور هذا المصطلح عربياً إلى عصور ما قبل الإسلام، حيث ورد في اللغة العربية القديمة واللغات السامية الأخرى، مثلما ورد مرّات عديدة بعد ذلك في القرآن الكريم، ولكن بمعاني مختلفة².

فمن الممكن أن يكون عرقاً، ويمكن أن يكون ديناً، ويمكن أن يكون مصطلحاً أخلاقياً لأنّ القرآن يتحدّث عن أمة الأخيار والصّالحين في مقابل أمة الأشرار والطّالحين، ويمكن أن يكون

1. محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والاقطاع 1789 - 1848، المجلد الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،

القاهرة، 2014، ص. 19.

2. برنار لويس، لغة السياسة في الإسلام، ط 1، ترجمة: إبراهيم شتا قبرص، دار قرطبة للنشر، 1993، ص. 55-56.

أيدولوجيًا، لأنّ القرآن يتحدّث عن أولئك الذين يسلكون الطّريق القويم 1. ويضيف " لويس " أن " جنوب بلاد العرب القديمة، فإنّ المصطلح وثيق الصّلة (لومية)، كان يعني اتحادًا قبليًا 2.

والأمة ليست فكرة قانونية بل حادث او حقيقة من حقائق المجتمع وهي لذلك فكرة اجتماعية، وليست مجرد مجموعة اجتماعية، وليست مجموعة دينية، وليست أيضًا مجموعة عرقية، ويعني ذلك أن الوشائج التي تربط أفراد الأمة الواحدة وتوحدهم، هي نتاج تركيب مؤحد من المعطيات التاريخية 3 التي لا يمكن حصرها في بعد واحد أو شجيرة منفردة اجتماعية أودينية أو عرقية أو مهنية 4.

ويرى بعض الدّارسين أن ما يميّز أيّة أمة، وفق التعريف الأوروبي، عن سائر الأمم الأخرى هو أنّها: تجمع في إطارها أناسًا لا من حيث ما يمثلونه اليوم، ولكن على قاعدة الدّكرة بالنسبة لما كانوا يمثلونه بالأمس، وبذلك لا يوجد أيّ تحديد للأمة إلّا التّحديد التاريخي 5 .

لكن الأمة لا تتحدّد بدلالة الانتماء لأصل واحد فحسب، وإلّا لاعتبرناها قبيلة واسعة الأرجاء. لأنّ الأمة وفقًا للتعريف الأوروبي للكلمة هي أولًا مكان حيّز أيّ أراضٍ تُعيّنها حدود دقيقة لدرجة تشبه العلامات التي كانت تحدّد أطراف الحقول في الأرياف الأوروبية قديمًا 6.

1. علي عبّاس مراد، المرجع سابق، ص. 46. انظر أيضًا: Thiesse, op. cit, p. 116

2. برنار لويس، المرجع سابق، ص. 56.

3. Gil Delannoi, Réflexions sur le Nationalisme, Rév. Esprit, N°. 198 (1) (Janvier 1994), pp. 84-96.

4. علي عبّاس مراد، المرجع سابق، ص. 47.

5. جان ماري جوينو، نهاية الديمقراطيّة، ط 1، الدّار الجماهيرية للتوزيع والنّشر والإعلان، 1995، ص. ص. 19-28.

6. نفس المرجع السابق، ص 27

إذن الأمة هي جماعة اجتمع أمرها لأحد الأسباب التي قد تكون (قصد واحد، دين واحد، شريعة واحدة، نخب واحد أو غاية واحدة)، أو هي جماعة تجتم على أكثر من واحد من تلك الشرائط، فيميزها اجتماعها ذاك أمة عن غيرها من الأمم ¹.

والشعور بالأمة هو ما يسمّى بالقومية التي تجسّد الشعور بوعي والانتماء لهذه الأمة، وفي الاصطلاح الدولي يقصد بالأمة أحياناً الدولة، بدليل ورودها في تسمية عُصبة الأمم والأمم المتحدة ².

ومما ورد من تحديد لمفهوم الأمة في الموسوعة السياسية بأنهم مجموعة بشرية متجانسة، يكون تآلفها القومي عبر مراحل تاريخية، تحققت خلالها لغة مشتركة والعيش على أرض واحدة ومصالح اقتصادية مشتركة، بما يؤدي إلى إحساس بشخصية قومية، وتطلّعات ومصالح قومية واحدة ومستقلة، ومع هذا فإنّ هذه الشروط ليست نهائية ولا قاطعة، فهناك أمم لا تتوفّر فيها كلّ هذه الشروط وهناك شعوب توفّرت فيها ولم تبرز إلى حيّز الوجود، كأمم بل كجماعات قومية داخل أمم متفرقة أخرى ³.

ويعرض لنا "ساطع الحصري" مجموعة من التعاريف المتنوعة ومنها ⁴، تعريف يعود إلى أواسط القرن الثامن عشر، وهو التعريف المسطور الأنسكلوبيديا (1751-1755) أيّ الموسوعة المشهورة، التي نشرت تحت إشراف "ديدروود الأمير"، لقد شرحت هذه الموسوعة كلمة (الأمة Nation) بما يلي: "اسم جمع يستعمل للدلالة على كمية كبيرة من الناس الذين يعيشون على قطعة من الأرض داخل حدود معينة، ويخضعون لحكومة واحدة ⁵.

1. علي عباس مراد، الظاهرة القومية، مرجع سابق، ص. 31.

2. ناظم عبد الواحد جاسور، موسوعة علم السياسة، مرجع سابق، 2004، ص. 76.

3. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج 1، ط 3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997، ص. 305-306.

4. أبو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية (أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات)، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص. 31-36.

5. أبو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية، مرجع سابق، ص. 31-36.

وقدّمت الموسوعة شرحًا لكلمة (الدولة **Etat**) بأنها " اسم جنس، يدلّ على جماعة من الناس الذين يعيشون معًا، تحت حكومة واحدة وفي حالة سعادة أو شقاء 1 ".

ويبدون أن الموسوعيين ما كانوا يميّزون بين الجماعة التي تؤلف (الأمة) وبين الجماعة التي تعرف باسم (تبعة الدولة ورعاياها)، أيّ المواطنين، أو الشعب، أن نظرهم للأمة كانت تستلزم اعتبار جميع رعايا الدولة الواحدة أمة واحدة 2.

عرّفت الأكاديمية الفرنسية، الأمة بأنها مجموع الأشخاص المولودين في البلاد، أو المتجنسين بجنسيتها، والعائشين تحت رعاية حكومة واحدة، وأضافت الأكاديمية لاحقاً فقرة على اعتبار أن التعريف الأول جاء ناقصاً، ويطلق كذلك على مجموع المواطنين الذين يؤلفون هيئة اجتماعية متميّزة عن الحكومة التي تُدير شؤونها 3.

انتقد " ساطع الحصري " الآراء التي لا تميّز بين الأمة والدولة، أو الأمة والشعب (رعايا الدولة) والواردة في الفكر الفرنسي والانجليزي، ويقول بأنّه قد تفقد الأمة استقلالها فتحرم من الدولة الخاصة بها من جرّاء الاستيلاء أو الاحتلال على دولتها، وأن ذلك لا يغيّر ماهية الأمة، فلا يستلزم تغيير تسميتها، وهو يفضل التمييز بين الأمة والدولة، ويؤكد على أن كلّ أمة تنزع إلى تكوين دولة خاصة بها، أيّ أن الأمة موجودة قبل وجود الدولة 4.

1. ساطع الحصري، مرجع سابق، ص. 33.

2. المرجع السابق، ص. 34. انظر أيضاً: Alain Bihl, Le Crépuscule des États-nations, transnationalisation et crispations nationalistes, Ed. Page deux, 2000, pp. 49-52.

3. الحصري، مرجع سابق، ص. 35.

4. نفسه.

يعرف " ماتزيني الإيطالي "، الأمة بأنها مجتمع طبيعي من البشر، يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والأصل والعادات واللغة، من جزاء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي 1 ".
ويعرّف " إميل دور كهايم " الأمة بأنها " جماعة إنسانية، تُريد لأسباب إثنية أو تاريخية فقط أن تحيا في ظل قوانين معيّنة، وأن تشكل دولة سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، وهو الآن مبدأ مقرر عند الأمم المتّحدة " 2.

ولكن الأمة وعلى الرغم من الاختلاف على دلالتها³، تظل من المفاهيم المهمّة، سواء لارتباطها بفكرة القومية، أو بوصفها جزءاً من مفهوم دولة الأمة أيّ الدولة القومية، من دون أن يوجد تعريف فيّ محدّد للأمة التي يمكن هنا قبول تعريفها إجرائياً بأنها: مجموعة من الأفراد يتبلور شعورها بالهوية المشتركة من جزاء قدر من الاستمرارية التاريخية، والتجانس الثقافي والارتباط الجغرافي بمكان بذاته 4 ".

وممكن الصّعوبة في هذا التعريف، هو الادعاءات المضلّة التي يمكن أن يرتبط بأيّ من المعايير السابقة، أو كلّها، لأنّ أمماً كثيرة اكتمل وجودها، على الرغم من افتقارها لمقومات التجانس اللغوي أو الديني أو التواصل الجغرافي، واختلاف عناصرها على هذه المقومات ذاتها أحياناً 5 ".

والواضح أن بين مصطلحي القومية والأمة تقارباً في الدلالات اللغوية والاصطلاحية، وتداخل مفهوميهما :

1. ويعترض بعض الباحثين على عنصر وحدة الأصل في هذا التعريف، لأنّ من الصّعب من التّاحية العلميّة والتّاريخية إيجاد مجموعة بشرية ذات أصل نقي واحد نتيجة للاختلاط بين الأجناس والأعراق عبر التّاريخ، انظر الحصري، مرجع سابق، ص. 36.

2. أسعد مفرج، موسوعة عالم السياسة 24، ص. 137.

3. يمكن التفصيل في مفهوم الامة ودلالاته التاريخية والقانونية من خلال: Geores Burdeau: Droit Constitutionnel et institutions Politique , Paris , 20e d , 1989. p. 19

4. علي الدّين هلال وآخرون، مرجع سابق، ص. 181.

5. علي عبّاس مراد، القومية والأمة، مرجع سابق، ص. 47.

- الإشارة إلى وجود جماعة بشرية محدّدة بذاتها.
 - الإشارة إلى وجود مجموعة من الروابط المادّية والمعنوية، الواقعية والافتراضية، التي تمنح لكلّ أمة هويتها، وشخصيّتها المميّزة والمختلفة عن الجماعات الأخرى.
 - الإشارة إلى أن الجماعة البشرية ذات الروابط المادّية والمعنوية، الفعلية والافتراضية، المشتركة والمميّزة، تدرك هويتها وذاتيتها، وتسعى لإثباتها وتأكيدّها، وتحرص عليها، وتُدافع عنها 1.
- "وبذلك يرتبط مفهوم القومية بمفهوم الأمة، فيتأسس أحدهما على الآخر ويستند إليه، ولا يمنع ذلك من وجود اختلاف في دلالات المصطلحين وتمايزهما، من حيث أن الأمة تدلّ أساساً على الوجود المادّي للجماعة البشرية، بينما تدلّ القومية أساساً على الرابطة الشعورية المعنوية الواعية بين أعضاء الجماعة الواحدة التي تُعدّ نفسها أمة، وهو ما يستند إليه الرّأي القائل باستخدام " مصطلح القومية " على نحو خاطئ كمُرادف لمصطلح " أمة " .
- فالقومية حسب جروزي تشير إلى " مجموعة من المعتقدات بشأن الأمة. .. وما يميّز القومية هو الاعتقاد بأنّ الأمة هي الهدف الأوحد الذي يستحقّ السّعي وراء تحقيقه. .. على نقيض القومية، فإنّ الأمة هي نوع معيّن من المجتمعات " 2.
- ولكن الشائع اليوم هو الاستخدام التّقابلي المتبادل بين مصطلحي القومية والأمة للدلالة على: مجموعة بشرية ذات وجود مادّي ملموس، يرتبط أعضاؤها بروابط مادّية ومعنوية، ذاتية وموضوعية، فعلية وافتراضية، مثل وحدة الأصل والانتماء، ووحدة اللّغة، والطّابع الحضاري، والمعتقد، والتّاريخ، والمصالح والأهداف، وأكثر الأحيان وحدة الإقليم الجغرافي أو اتّصاله، وهو ما يظهر في الحديث عن الأمة الألمانية والقومية الألمانية مثلاً 3 .

1. علي عبّاس مراد، المرجع السّابق، ص. 48. انظر أيضاً: Benedict Anderson, op. cit ,pp. 85-89.

2. ستيف جروزي، القومية، ترجمة محمّد إبراهيم الجندي، ومحمّد عبد الرّحمن إسماعيل، ط 1، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة، 2015، ص. 12. Alain Bihir, Le Crépuscule des États-nations, transnationalisation et crispations nationalistes, Page deux, 2000,pp. 76-75

3. علي عبّاس مراد، المرجع السّابق، ص. 49.

ويترتب على قبول التمييز بين مصطلحي الأمة والقومية على أساس دلالة الأمة على الوجود المادي ودلالة القومية على الشعور المعنوي، أن يكون وجود الأمة هي الأساس المادي الذي يستند إليه ويقوم عليه الإحساس أو الشعور القومي.

2- الشعب والجنسية :

يقصد بلفظة الشعب (People) مفهوم اجتماعي وسياسي¹:

الأول يعني مجموعة من الأفراد الذين يعيشون على إقليم الدولة والذين ينتسبون إليها عن طريق التمتع بجنسيتها ويطلق على هؤلاء بالمواطنين إذا كانوا يعيشون في دولتهم أو رعايا إذا كانوا يعيشون خارجها.

أما الثاني، فيعني إن كل من ينتمي إلى شعب ما برابطة الجنسية يتمتع بمجموعة من الحقوق السياسية منها على سبيل المثال وليس الحصر: حق الانتخاب وحق الترشح - طالما توافرت الشروط القانونية اللازمة لذلك -، وحق حرية الرأي والتعبير، والحق في تولي الوظائف العامة.

وهي بذلك ترمي للدلالة على جمهرة من المواطنين الذين يتمتعون بالأهلية القانونية والسياسية، ويتمثل الفارق بين الشعب والأمة في أن الرابطة التي تجمع بين أفراد الأمة رابطة طبيعية معنوية تستند إلى عوامل معينة هي الأصل البشري، واللغة، والدين، والتاريخ المشترك ... الخ، ولكن لا يترتب عليها أي أثر قانوني. 2

أما الرابطة بين أفراد شعب الدولة فهي رابطة سياسية قانونية تفرض عليهم الولاء للدولة والخضوع لقانونها، وتفرض على الدولة في المقابل حماية أرواحهم وأموالهم وكافة حقوقهم التي يقرها القانون. ولا يشترط في الشعب - كركن في الدولة - أن تتوافر له خصائص الأمة ومقوماتها، إذ يوجد الشعب رغم اختلاف الأصل أو اللغة أو الدين وغيرها من العناصر التي تسهم في وجود الأمة، فالتجانس ليس شرطاً لوجود الشعب، خلافاً لمفهوم (الأمة) الذي يُشير إلى كلّ أعضاء الجماعة الذين يشعرون بوحدة

1. عبد الغني بسيوني عبد الله، النظم السياسية: أسس التنظيم السياسي، دار المعارف، الإسكندرية، 1990، ص 19

2. Ernest Gellner, op. cit ;pp. 33-38.

الانتماء، ويعتبر في الشعب الوقت الراهن عنصرًا رئيسيًا من عناصر تكوين أمة دولة حديثة، من حيث أن الشعب هو العنصر البشري (الإنساني) في تكوين الدولة الحديثة. هكذا يكون الشعب هو مجموع المواطنين الذين يربطهم بدولة ما عنصر الجنسية، بغض النظر عن (العرق أو الأصل أو الدين) 1. واصطلاح الألمان على تسمية الانتساب إلى الدولة بكلمة (Nationalitat) والانتساب إلى الأمة بكلمة (Volkstum) 2.

أن اللفظة الجنسية (Nationality)، مدلول قانوني وسياسي وهو الانتماء إلى دولة، تحدده معايير قانونية وسياسية خاصة بهذه الدولة. وإذا استخدم مصطلح الجنسية لبيان العلاقة القانونية الأولية القائمة بين الفرد والدولة، فستكون الجنسية إحدى الخصائص القانونية التي تميز الإنسان بوصفه مواطنًا في دولة ما عن غيره من مواطني البلدان الأخرى وهي إحدى عناصر هذه الشخصية مثل الاسم والوطن أو المنشأ، وبما أن الجنسية هي علاقة قانونية سياسية في الفرد والدولة، فإن جوهرها يتلخص في فرض الدولة سيادتها على ركن من أركانها (شعبها) بحيث يصبح الفرد بموجب ذلك عضوًا في شعب الدولة، ولا بد لقيام الجنسية من توفر ثلاثة أركان (وجود دولة أي سلطة ذات سيادة على شعب بإقليم معروف محدود، ووجود فرد أو أفراد يتلقون الجنسية من الدولة ووجود علاقة بين الفرد والدولة) 3.

ويرتبط المفهوم القانوني للجنسية بتطور الدولة-الأمة، وبالعودة إلى فكرة المواطنة التي يؤازرها هذا التطور باسم شرعيتها القائمة على أولية السيادة الشعبية، والمواطنة (Citizenship) قانونيًا هي التمتع بالحقوق المرتبطة بالجنسية. وهذا المفهوم مرتبط بالديمقراطية 4، ويقول "عبد الرحمن البزاز"

1. سعد الدين إبراهيم وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، ص ص. 44-45.

2. ابن خلدون، ساطع الحصري، ما هي القومية، مرجع سابق، ص. 32.

3. غيه هرميه وآخرون، معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، مرجع سابق، ص. 178.

4. غيه هرميه وآخرون، مرجع سابق، ص. 179.

أن الانتماء إلى الجنسية هو انتماء قانوني ولا يشترط على كل من يعمل جنسية معينة أن يكون منتمياً إلى نفس القوم أو الأمة 1.

3-الأمة والعرق والإثنية :

استخدم مفهوم "العرق" Race - وهو مصطلح بيولوجي - في النقاشات العامة لتوصيف جماعة من البشر، تبني روابطهم بين بعضهم البعض على عوامل أخرى غير العلاقات الوراثية. فمصطلحات مثل "العرق الإنكليزي" والعرق اليهودي و"العرق الإفريقي" و"العرق الفرنسي" على سبيل المثال، تبدو صحيحة هنا. إذ تنطوي هذه المصطلحات على أن اللغة المشتركة، والدين، والإقامة في البقعة الجغرافية نفسها، والمواطنة في دولة واحدة، تخلق روابط عرقية يُشير مصطلح العرق (Race) أو العنصر إلى مجموعة من الأفراد من النوع البشري، ويمكن تمييزها على أسس بيولوجية وراثية، وكان المصطلح يُطلق سابقاً على أفراد يتشابهون في أشكالهم الخارجية وقد أوصى مونتاغيو باستبدال مفهوم العرق (Race) بمفهوم "الجماعة الإثنية" Ethnic group، ونصح بأن هذا المفهوم الجديد سيفتح المجال لإعادة التثقيف في ما يتعلق الفروق الجماعية مع إعادة تصحيح المواقف العرقية.

كما أصدرت مجموعة من علماء الاجتماع في عام 1952 كتاباً عن منظمة اليونسكو بعنوان The Statement on Race وقد استفاد الكتاب من توصيات مونتاغيو في وجوب إسقاط مصطلح عرق "واستبداله بمصطلح "جماعة إثنية" وهو مصطلح يميز الجماعات عن بعضها البعض على الصعيد الجسدي 2.

لقد اشار "الكتاب" إلى أن "العرق" كمصطلح بيولوجي يعطي انطباعاً أن الفروق في الخصائص الثقافية شأن الدين والقومية واللغة والسلوك، هي فروق فطرية وغير قابلة للتغيير. أما مصطلح "الجماعة الإثنية" فيتضمن أن هذه الفروق ليست موروثية، بل مكتسبة. وتم اعتماد مصطلح

1. مفاهيم سياسية: القومية والهوية والعلاقة بينهما، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، تاريخ النشر

2018/10/30.

2. Henri Dorion , Races, nations, peuples... Une terminologie à préciser, Cahiers de géographie du Québec Volume 9, numéro 18, 1965, pp. 243-251.

"الجماعة الإثنية" كمصطلح ملائم للتعبير عما يعنيه البشر عندما يتحدثون عن العرق. فبرأيهم سوف لن تحقق الجهود المبذولة لإبطال استخدام مصطلح العرق، إلا إذا امتنع البشر عن تعريف الشعوب بالمصطلحات البيولوجية¹. ولكنه اقتصر في الوقت الراهن على أفراد يملكون نسبة معينة من الصفات الوراثية، مثل لون البشرة والشعر ونوعه وشكل الجمجمة ولون العيون وطول القامة وغير ذلك، أعلى من النسبة التي يملكها آخرون من النوع نفسه ويعني هذا أن العنصر أو العرق ليس غير جماعة من الأفراد تشيع بينها صفات طبيعية معينة أكثر من شيوعها بين غيرها من الجماعات².

وقد يفرز العرق أو العنصر وعياً وشعوراً عنصرياً، ويؤدي إلى حركة قومية على أسس عنصرية، ويتضمن ذلك الشعور بتفوق عنصر ما وسموه على الآخرين. ووجدت مثل هذه الحركات القومية العنصرية المعتمدة على آراء مفكرين ومنظرين قوميين عنصريين مثل النازية والفاشية³.

4- الإثنية (Ethnicity) :

مفهوم متعدد المعاني ويفتقد إلى الدقة، ظهر هذا المفهوم في الأساس للتحايل على الدلالات اللغوية المباشرة لمفهوم الأقلية التي تشير إلى القلة العددية، وكذلك على ميراثه التاريخي الذي يشير ولو بطريقة لا شعورية في التراث الغربي إلى مفهوم التعصب العنصري بمعنى إعلاء شأن من يمثل الأصل القومي والتمييز ضد من لا يمثلته والتشكيك من ثم في صدق انتمائه.

ومفهوم الجماعة الإثنية أحد أكثر المفاهيم خلافية حيث تردد مضمونه بين التعبير عن جماعة فرعية أو أقلية، والتعبير عن جماعة أساسية أو أمة أو الجمع بين المعنيين باعتبار أن من الشعوب من يملك كل خصائص الأمة ومقوماتها وإن لم تكن له دولته المستقلة فالجماعات الفرعية الأيرلندية واليونانية والإيطالية في المجتمع الأمريكي على سبيل المثال ليست في حقيقتها إلا أمما بذاتها وإن لم

1. Idem

2. Ernest Renan, Qu'est-ce qu'une nation ?, éd. Le Mot et le Reste, 2007, pp. 44-45

3. غيه هرمية وآخرون، المرجع السابق، ص. 275.

يعترف المجتمع لها بحقوقها في التمايز عنه من منطلق استيعابه لمختلف الأقليات وصهرهم في بوتقته¹. ويعرفها " أنتوني غدنز " بأنها القيم والمعايير الثقافية التي تميز جماعة عن جماعة أخرى، وتتسم الجماعة الإثنية بوعي أفرادها وإدراكهم لهوية واحدة تفصلهم عن الجماعات الأخرى المحيطة بهم². والإثنية **Ethnicity** مشتقة من **Etnicus** اللاتينية، وتعني جماعة بشرية³، وهناك من يقول بأنه تمت صياغة مصطلح الإثنية تمييزاً عن مصطلح العنصر أو العرق. وهنا قد يقع نوع من الفصل التعسفي بين مفهوم الجماعة العرقية **Ethnic Group** بمعنى تلك الجماعة التي تتميز بمجموعة من التقاليد الثقافية والاجتماعية الخاصة بها، ومفهوم الجماعة العنصرية **Racial Group** بمعنى تلك الجماعة التي تتمتع بمجموعة من الخصائص البيولوجية، وذلك على الرغم من أنه في صحيح اللغة العربية ليس ثمة فارق يذكر بين مفهومى العرق والعنصر فكلاهما يشير إلى الأصل، علاوة على أنه في ظل امتزاج الدماء واختلاط العروق يصعب الحديث عن جماعة عرقية نقية. وتختلف الدلالات والمعان وراء استخدام مفهوم العرق والإثنية، فالأول يحمل معان مرتبطة بالأصول البيولوجية والتي هي في نظر البعض ثابتة، بينما يحمل مصطلح الإثنية مفهوما اجتماعيا، وهو يرمز إلى الموروث الثقافي والممارسات الثقافية عند جماعة إنسانية، والتي تميزهم عن غيرها من الجماعات البشرية الأخرى وهي في الغالب تتركز في اللغة والعادات والتقاليد⁴.

وهنا لابد من الإشارة إلى ما ذهب إليه بعض المهتمين بالدراسات الفكرية وتطور المصطلحات بوجود صعوبات كبيرة للفصل بين مفهوم الإثنية و(الأمة والقومية)، وهذا بالنظر إلى مدلولات كل

1. Anne-Sophie Lamine, « L'ethnicité comme question sociologique », Archives de sciences sociales des religions, 131-132 | 2005, 189-197.

2. أنتوني غدنز، المرجع السابق، ص. 736

3. للمزيد من التفاصيل حول أصل الكلمة وجذورها يمكن العودة.

- Webster's Third, **New international dictionary of the english language**, Volume I (A-G), encyclopedia Britannica, INC. , G. and Merriamco. , 1971, p. 781-782.

4. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ص. 712. انظر أيضا: Tredoux Gavan, Ethnicity and ideology. Stalking the wild taboo. 1990, pp. 76-78

مفهوم، والخصائص المشتركة بينها، وقد عرفهما " ديفيد ميللر David Miller " الباحث الإنجليزي في مسائل الهوية بقوله: القومية والإثنية عبارة عن مجموعة من الناس متوحدّة معاً بواسطة خصائص ثقافية مشتركة¹، وأن جماعة إثنية معيّنة عبارة عن جماعة تشكّلت عبر التاريخ، وتترك في خصائص ثقافية (اللغة والدين.. الخ)، ولذلك فإنّ الإثنية ان لم تكن هي القومية، فإنّها مصدر محتمل لها بصورة مستمرة أيّ الإثنية هي قومية مبتدئة (جنينية)².

و قد ظهرت كتابات حاولت التمييز بين الإثنية والقومية³، من خلال اعتبار الإثنية كيان ثقافي اجتماعي، والقومية والامة كيان سياسي وثقافي معاً، وهنا ظهر توجه في تحديد نوعين من القومية :

– القومية المدنية السياسية: وهي قائمة على عقد سياسي مدني يكفله الدستور.

– القومية الثقافية تعتمد الإثنية أساساً لمرجعياتها.

إذا يمكن القول عموماً ان ثمة تقارب بين كل هذه التعاريف، فالقومية او الامة وجود سياسي يعتمد أسس اثنية وقد يتجاوزها الى تعدد اثني، والإثنية وجود اجتماعي وثقافي قد يتحول الى وجود سياسي أي قومية⁴.

5-الأمّة والوطنية Patriotism :

الوطنية من الوطن (Patria) وهي مشتقة من (Patria) وهي مشتقة من (Patria) اللاتينية، وتدل الكلمة في أولى استخداماتها الى الأبرشية والأسقفية كتنظيم اداري لواقع أوروبا خلال

1. David Miller, On nationality, Oxford university press, Clarendon Press, 1995, p. p. 13-22.

2. David Miller, Op. cit. , p. 21.

3. هذا التوجه نجده عند بعض الكتاب المشتغلين بقضايا القومية والمجموعات الإثنية مثل ما أورده تودوروف في كتابه: نحن والآخرين، راجع الصفحات 200-202، ترجمة ربي حمود، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، 1998.

4. مفاهيم سياسية: القومية والهوية والعلاقة بينهما، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، تاريخ النشر 2018/10/30.

العصر الوسيط، والأسقف فيها هو والد الوطن (**Pater Patriac**) أي الرئيس، وتحوّلت سلطته إلى سلطة زمنية على إقليم محدّد، هذه الكلمة ستكون البلد-الوطن أو **1 Pays Patria**.

و قد فصل الحصري في ابراز مسألة التشابه والاختلاف بين مفهومي الامة والوطنية، والتي اعتبرها رفيعة جدا، الوطنية هي حُبّ الوطن والقومية هي حُبّ الأمة (القوم) والشعور بالارتباط الباطني نحوها **2**.

ويُضيف " الحصري " بأنّ الوطن هو قطعة من الأرض والأمة هي جماعة من البشر، وبناء على ذلك الوطنية هي ارتباط الإنسان بقطعة من الأرض، والقومية هي ارتباط الإنسان بجماعة من البشر (الأمة)، وهناك تداخل بينهما أساسه أن حُبّ الوطن يتضمّن أرضاً حُبّ المواطنين الذين ينتمون إلى ذلك الوطن، مثلما أن حُبّ الأمة يتضمّن في الوقت نفسه حُبّ الأرض التي تعيش عليها تلك الأمة. **3**، وهُنا تعني الوطنية الانتماء والولاء للدولة أو لأرض الدولة، ولكن القومية تعني الانتماء للأمة (جماعة بشرية).

والحقيقة ان لكل امة وقومية تجربتها الخاصة بها، لا يمكن باي حال من الأحوال فرض نموذج وتصور واحد موحد بين الاسبقية بينهما، فتكوين الأمة يسبق تكوين الدولة، وأنّ الدولة هي من خلق وإنتاج الأمة عبر حركة قومية، فالإنجليز والفرنسيين مثلا قد شرعوا في بناء دولتهم القومية وفق التسلسل الآتي: (نظريات ← نزعة ← قومية ← أمة ← دولة) ولكن الألمان والإيطاليون

1. جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، ط. 1، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص. 189.

2. أبو خلدون ساطع الحصري، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ط 3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1980، ص. 4.

3. نفسه، ص. 12.

وآخرون، قلبوا العملية إلى: (دولة ← أمة ← قومية ← نظريات)1.

6-الدولة القومية :

ويُقصد به سيادة نظام سياسي معيّن، هيئة حاكمية بذاتها، على منطقة جغرافية معيّنة، تستوطنها على وجه الدوام، مجموعة اجتماعية، ترى في نفسها أمة، استبياناً إلى اشتراكها في جملة من المقومات الفعلية أو الافتراضية ذات الطبيعة العرقية واللغوية والعقائدية والثقافية والتاريخية والمصلحية. وهذا الشكل من الدول القومية غاب عن الحضارة اليونانية مثلاً، على الرغم من اكتمال شعور اليونانيين بوجود الأمة اليونانية بمقوماتها المختلفة2.

وارتبط ظهور الدولة القومية من الناحية التاريخية بظهور الدولة في أوروبا العصر الحديث، ثم اكتسبها فيما بعد طابعاً قومياً3.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن وجود الهيئة الحاكمة وممارستها لسلطاتها ووظائفها في دولتين قوميتين مبكرتي التشأة والظهور هما بريطانيا وفرنسا، كان سابقاً ومتقدماً على تبلور الشعور القومي فيهما بمفرداته المتعارف عليها، وأن مجتمعات امتلكت مقومات الأمة والدولة القومية منذ بواكير العصر الحديث مثل إيطاليا وألمانيا، لم تصبح دولاً قومية موحدة إلا في القرن التاسع عشر4، بل أن كثيراً من الدول القومية المعاصرة، نشأ بإرادة استعمارية خالصة، من دون أن تنهيا لها الأسانيد الموضوعية والمعنوية المقبولة في الحالات والأحيان كلها5.

1. فالح عبد الجبار، النزعة القومية العربية والإسلام (1890-1990) في القومية مرض العصر أم خلاصه؟ ط01، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1995، ص. 195. نقلاً عن مفاهيم سياسية: القومية والهوية والعلاقة بينهما، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، تاريخ النشر 2018/10/30.

2. Mario Albertini, L'État national, 1978, Ed. Fédérop, pp. 32-33

3. عليّ عباس مراد، القومية والأمة، مرجع سابق، ص. 49.

4. نفس المرجع السابق، ص. 50. انظر أيضاً: Mario Albertini, L'idée de nation, Cahiers fédéralistes N° 2, septembre, 2018, pp. 4-7

5 طلعت رميح: الدولة الوطنية (القومية) في العالم الإسلامي، مجلة البيان، العدد 395، فبراير - مارس 2020 م

وهكذا ظهرت أغلب الدول القومية في القارة الأوروبية إبان الحقب التاريخية السابقة، وإذا كانت هذه الدولة قد نشأت كنشأة مباشرة لانتصارات حربية أو ثورات شعبية أو اعتبارات متعلقة بالتوازن الاستراتيجي الأوروبي فإن ثمة حقيقة مؤداها أن استقرار الوعي القومي والإيمان بمبادئ القومية كان بمثابة الدافع القوي والمؤثر في نجاح الحركة القومية 1.

المبحث الثالث: قراءة في النظريات القومية

تعرف النظرية على أنها ذلك البناء الفكري، فحواء الشرح والتنبؤ وتحديد العلاج في أي مجال للبحث والمعرفة، وبذلك فإنها تمثل إجابة مفتوحة عن أسئلة مطروحة بصدد ظاهرة محدّدة 2.

وعليه تكون النظرية القومية بهذا المعنى هي البناء الفكري الذي فحواء الشرح والتنبؤ وتحديد العلاج في كلّ ما يتعلّق بالقومية، وإنّما إجابة مفتوحة على أسئلة مطروحة عن ماهية وطبيعة القومية. وبالرغم الأهمية التي تمثّلها هذا الموضوع، أفلا زال الغموض يكتنف أساس التنظير لهذه الظاهرة، لأنّه ينطوي على مصاعب نظرية ومنهجية جمة.

إنّ محاولات التنظير للقومية، كانت قد اختلفت عن بعضها من عدّة زوايا، فمن حيث أصل نشأة الأمم، ومن حيث الشكل والإطار السياسي ومن حيث الوظيفة. .. 3.

يُنَبّه " أنتوني سميث " إلى محاولة البعض البحث عن نظرية موحّدة عامّة للأمة والقومية، والسبب، أن لكل مجتمع تاريخه الخاص بعملية التحوّل إلى أمة (تكون) وكلّ قومية، ومن ثمّ كلّ نظرية قومية تكتسب خصائص مميزة وخاصّة بها 4.

1. هشام محمود الاقداحي، معالم الدولة القومية الحديثة: " رؤية معاصرة "، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008، ص. 08.

2. عليّ عبّاس مراد، حسن فياض، الظاهرة القومية، مرجع سابق، ص. 14.

3. نفسه، ص. 75.

4. Anthony D, Smith, Nationalism and Modernism, 1^{er} edition, Rutlege, USA, 1998, p. 29.

تعرف النظرية على أنّها ذلك البناء الفكري، فحواه الشرح والتنبؤ وتحديد العلاج في أيّ مجال للبحث والمعرفة، وبذلك فإنّها تمثّل إجابة مفتوحة عن أسئلة مطروحة بصدد ظاهرة محدّدة 1.

وعليه تكون النظرية القومية بهذا المعنى هي البناء الفكري الذي فحواه الشرح والتنبؤ وتحديد العلاج في كلّ ما يتعلّق بالقومية، وإنّها إجابة مفتوحة على أسئلة مطروحة عن ماهية وطبيعة القومية. وبالرغم الأهمية التي تمثّله هذا الموضوع، أفلا زال الغموض يكتنف أساس التنظير لهذه الظاهرة، لأنّه ينطوي على مصاعب نظرية ومنهجية جمة.

إنّ محاولات التنظير للقومية، كانت قد اختلفت عن بعضها من عدّة زوايا، فمن حيث أصل نشأة الأمم، ومن حيث الشكل والإطار السياسي ومن حيث الوظيفة. .. 2.

يُنبّه " أنتوني سميث " إلى محاولة البعض البحث عن نظرية موحّدة عامّة للأمة والقومية، والسبب، أن لكل مجتمع تاريخه الخاص بعملية التحوّل إلى أمة (تكون) وكلّ قومية، ومن ثمّ كلّ نظرية قومية تكتسب خصائص مميزة وخاصّة بها 3.

وبناء على طبيعة الموضوع ومتطلّباته المنهجية، سأركز على النظريات التي ارتبطت بالمجال الزمني للدراسة، وذلك بتتبّع النظريات القومية الحديثة (التقليدية).

يذهب أغلب الباحثين والدارسين لهذه النظريات إلى تقسيمها إلى ثلاثة مجاميع كبرى، وهي 4 :

- النظرية الألمانية (أو نظرية وحدة اللغة والثقافة).

- النظرية الفرنسية (وحدة الإدارة للعيش المشترك).

1. عليّ عباس مراد، حسن فياض، الظاهرة القومية، مرجع سابق، ص. 14.

2. المرجع السابق، ص. 75.

3. Anthony D, Smith, **op. cit**, p. 29.

4. غيه هرميه وآخرون، معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، مرجع سابق، ص. 73.

- النظرية الروسية - أو الماركسية (وحدة الحياة المادية).

1- النظرية الألمانية (وحدة اللغة والثقافة) :

تعود هذه النظرية حول القومية إلى بدايات القرن التاسع عشر، حيث ظهرت في ألمانيا فكرة تأسيس دولة قومية مستقلة للألمان، إستنادًا إلى الرابطة اللغوية بوصفها المحدد الأساس للأمة ¹.

ويعد " هردر Herder " (1742-1803) أول أولئك المنادين بها، حيث يقول " أن العناية الإلهية تدبّرت أمر الفصل بين الأمم أحسن تدبير ليس فقط بالغابات والجبال ولكن أيضًا باللغات والأذواق والشخصيات، وأنّ اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكّل به وتحفظ فيه وتنتقل بواسطة أفكار الشعب، أن قلب الشعب ينبض في لغته. .. أن روح الشعب تكمن في لغة الآباء والأجداد ²، وأيد هذه الأفكار الفيلسوف (فيخته)، وقد تمّت صياغة النظرية القومية الألمانية على أسس وحدة اللغة والثقافة بالإضافة إلى العناصر الأخرى التي تأتي بعد اللغة والثقافة وهي وحدة الأرض ووحدة المصالح المشتركة ³.

تعرّضت هذه النظرية إلى كثير من الانتقادات، وقد صنّفها " ساطع الحصري " إلى انتقادات مُستندة إلى وقائع تاريخية فقد تشكّلت دول مثل سويسرا أو الولايات المتحدة الأمريكية من مختلف الثقافات واللغات، في الوقت نفسه هناك حالات انفصلت فيها دول وتفككت على رغم من وجود وحدة اللغة مثل أمريكا الجنوبية ⁴.

1. المصدر نفسه، ص. 73. انظر أيضا Stéphane Paquin, Les théories explicatives de l'apparition des nations et du nationalisme, Bulletin d'histoire politique, Volume 8, N° 1, 1999, 102-114

2. ساطع الحصري، ما هي القومية، مرجع سابق، ص. 41.

3. حول آراء كل من جوهان فيخته وهردر ينظر :

- John Halloweli, Main currents in modern political thought, First edition, New York, Holth Rinehart and Winston, USA, p. p. 558-563.

4. الحصري، مرجع سابق، ص. 62. راجع أيضا: Paquin ,op. cit. pp. 107

وهناك انتقادات مُستندة إلى ملاحظات نظرية، وهي أن الإنسان ليس لغةً فقط فهناك أهم منها هي العاطفة والمشية، وهذا يؤثر في تكوين الأمة أكثر من اللغة 1.

2- النظرية الفرنسية (الإدارة المشتركة)

أثارت النظرية الألمانية عن القومية وارتباطها باللغة المشتركة ردود فعل قويّة في المحافل الفكرية والسياسية الفرنسيّة، لأنّها كانت تخالف مطامح فرنسا وتعرض مصالحها في سياساتها التوسعية إلى خطر 2.

وهذا ما دفع بهم وانطلاقاً من مصالحهم السياسية الإستراتيجية إلى بناء نظرية قومية خاصة بهم تلبي طموحاتهم وأساسها أن الإدارة المشتركة مبدأ رئيس في توحيد أبناء الأمة وتشكيل الأمة 3.

بعد "أرنست رينان" (1823-1892) أول من نادى بهذه النظرية وخلاصة آرائه هي: " أن المشيئة والإرادة المشتركة هي أساس تكوين الأمة، أن اللغة تدعو للاتحاد ولكن لا تفرضه، لا يجوز أن تتخلّى عن هذه الحقيقة الجوهرية، أن الإنسان مخلوق عاقل وأخلاقي قبل الدخول في حظيرة هذه اللغة أو تلك، وقبل أن يكون عضواً في هذا.... أو ذلك، وقبل أن ينتسب إلى هذه الثقافة أو تلك " 4.

إذا حسب " رينان " أساس تكوين الأمة أمجاد مشتركة في الماضي، مشيئة مشتركة في الحاضر، أعمال عظيمة تمت في سالف الأيام، ومشية صادقة لعلم أمثالها في مستقبل الأيام، " فرينان " يرى أن الأمة كيان اجتماعي مصطنع وليست معطى تاريخي طبيعي أو اقتصادي أو ثقافي أو ذات وجود موضوعي ثابت، إذن الأمة حسب رأيه ليست نتاج تطوّر اقتصادي أو عيش مشترك

1. Paquin ,op. cit. pp. 109

2. الحصري، ما هي القومية، مرجع سابق، ص. 98.

3. نفسه، ص. 99.

4. عبد الغني البشري، أثر سياسة القوميات في الحركة القومية العربية، ط. 1، إدارة المطبوعات والمنشورات للقوات المسلحة، القاهرة، 1964، ص. 28.

لجماعة معيّنة على قطعة أرض مشتركة، بل أن الأمة هي نتيجة مجموعة قرارات سياسية واجتماعية وإرادة سياسية تُبدع وتطوّر أمة وتديرها وتحافظ عليها 1.

إنّ هذه النظرية تعود إلى أفكار وآراء فلاسفة عصر التنوير، الذين نادوا بحقوق وحرّيات الأفراد في الاختيار، وتتجسّد هذه في نظرية العقد الاجتماعي التي تفسّر وتحلّل نشأة السُّلطة والتنظيم الاجتماعي إلى الإرادة الإنسانية 2.

وهناك الكثير من الانتقادات لهذه النظرية، إذ يرى البعض أن المشيئة المشتركة لوحدها ليست عامل رئيس للقومية، بل هذا من نتائجها، أن الأفراد يختارون العيش المشترك عندما ينتمون إلى أمة واحدة، ويفترقون عندما يكونون من أمم مختلفة، ومشيئتهم هذه تتبّع وعيهم القومي وتتأثر بمبلغ معرفتهم للشعوب التي تتكلم بلغتهم وللتاريخ الذي يربطهم، أيّ أن وجود الأمة يسبق وجود ونشأة الوعي والشعور والرغبة بالانتماء إلى الأمة، أيّ الأمة شيء القومية 3.

3- النظرية الروسية

وهي النظرية الماركسية (الشيوعية) حول الأمة، أن الحياة الاقتصادية المشتركة لم تكن في النظرتين السابقتين ذات أهمية كعامل من عوامل نشأة الأمة، بالرغم من أهمية الاقتصاد في بعض كتابات المفكرين الألمان والفرنسيين، ولم يُصبح هذا المجال أو العامل مهمّ حتّى بدأ الماركسيون بإعطاء الأهمية للاقتصاد كعامل أساس في تحليلاتهم السياسية والاجتماعية بصورة عامة، وفي تفسير وتحليل نشأة الأمة بصورة خاصّة 4.

يرى "هوراس دافيز" بأنّ الماركسيون يصرّحون بأنهم أمميون، ومع ذلك فإنّنا نجد في كلّ مكان ماركسيين يتصرّفون كقوميين، على الرغم من أن محاولات مُلائمة القومية مع النظرية الماركسية

1. Ernest Renan, Qu'est-ce qu'une nation? 1882, Paris, Presses-Pocket, 1992, p. 08.

2. Renan. E. , Op. cit, p. 09.

3. ستيفن جروزي، المرجع السابق، ص. 13.

4. Paul James, Nation Formation (Toward a theory of Abstract Community), 1^{er} edition, Sage publication, Great Britannica, University Press, Cambridge, 1996, p 47.

كانت قليلة وغير مرضية، وفي النظرية الماركسية يزعم عادةً أن مصالح الطبقة هي التي تسود، وأنّ بشكل التنظيم الاقتصادي يُمارس تأثيراً حاسماً على مسار الأحداث 1.

ويعرف " ستالين " الأمة في مقالة له عام (1913) بعنوان الماركسية والمسألة القوميّة: " بأنّها مجموعة مستقرّة، نشأت بصورة تاريخية، وقامت على أساس لغة وأرض مشتركة، وحياة اقتصادية مشتركة وتكوين نفسي مشترك، يظهر في وحدة ثقافية 2.

ويرى رواد هذه النظرية فإنّ إلغاء وتفكك الإقطاعية ودعم الرّوابط الاقتصادية بين المناطق المختلفة واندماج الأسواق المحليّة في سوق قوميّة واحدة، كان أساس اقتصادي لتبلور الأمة، وقد كانت البرجوازية القوّة الطليعية في الأمم خلال نشأة الرأسمالية 3.

لا شك ان الباحث في مسائل القومية والامة والوطنية وغيرها من المصطلحات المرتبطة بهذا المجال، سيلحظ حجم الاختلاف والتنوع وزوايا النظر الى هذه القضايا، ولعل مرد ذلك ان أكثر من كتب في القومية والوطنية او اشكال الدولة الوطنية كان وفيما لمجاله سواء اللسانيات واللغوية او الأنثروبولوجيا والاجتماع والاقتصاد. وإن غياب دراسات جامعة في هذا الشأن سيترك هذا الحقل المعرفي رهين أقلام مبتدئة.

لقد حاولت من خلال هذا الفصل ان ابرز مفاهيم أساسية متصلة بحقل القومية وارتباطاته، وحاولت جهد نفسي ان ابين تطور مفهوم كل مصطلح من حيث ظهوره واستخدامه ودلالات ذلك،

1. هوراس دافيز، القومية (نحو نظرية علمية مُعاصرة)، ترجمة: سمير كرم، ط 1، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، 1980، ص. 14.

2. Joseph Stalin, The nation ,Op. cit, p. p. 18-19.

3. هوراس دافيز، مرجع سابق، ص. 153. راجع ظروف بروز هذه النظريات الاقتصادية المفسرة لموضوع القومية:

Yves Santamaria et Brigitte Waché, Du printemps des peuples à la société des nations: Nations, nationalités et nationalismes en Europe, 1850-1920, Paris, éditions La Découverte, 1996, pp. 150-164

الا انني اعترف بصعوبة احتواء الموضوع برمته، وبقاء بعض المفاهيم الأخرى التي لم اتناولها، لان كل مفهوم هو في الاصل يحتاج دراسة قائمة بنفسها.

الفصل الثاني

التأصيل التاريخي للمبادئ القومية

- المبحث الأول: مراحل نشوء وتطور الظاهرة القومية.
- المبحث الثاني: نشأة وتطور البعد السياسي للظاهرة القومية.
- المبحث الثالث: التطور التاريخي للبعد السياسي للظاهرة القومية.

بعدما تناولت في الفصل الأول التأصيل المفاهيمي والفلسفي للظاهرة القومية ومحاولة إبراز الاختلافات والتقاطعات بين المفاهيم المشكلة لهذه الظاهرة، سأحاول من خلال هذا الفصل متابعة الظاهرة القومية من حيث نشأتها وتطورها التاريخي، وتفسير عوامل نشأتها خاصة في الجانب السياسي للظاهرة وتحليلاته.

المبحث الأول: مراحل نشوء وتطور الظاهرة القومية.

اتفقت غالبية المفكرين غرباً وشرقاً، وفي مقدّمتهم الفلاسفة، على أن الإنسان كائن اجتماعي في أصله وطبيعته ونظام حياته، فالإنسان يولد أصلاً في جماعة، ويعتمد عليها، وينشأ فيها وبفضل رعايتها، وتفرض عليه محدودية قدراته وتنوّع احتياجاته استمرار العيش في جماعة للتعاون مع أفرادها على ضمان وتوفير شروط حياتهم حتّى أواخر حياتهم التي يكون اعتمادهم فيها على الجماعة أساسياً أيضاً، ولكن في صورة مختلفة عن اعتمادهم عليها في بداية حياتهم¹.

وبناء على ذلك يميّز الناس أنفسهم عن غيرهم بدلالة انتمائهم إلى جماعة اجتماعية محدّدة، ورغم تعدّد الروابط التي تربط الفرد بالجماعة، وتنوّع هذه الروابط، فإنّ الرابطة النسبية القُربية، الأوضح والأقوى رسوخاً في معتقدات الفرد الذي يرى فيها صلة، تضمن له حقوقاً على الجماعة التي يفترض هو وتفترض هي ارتباطه بها برابطة القرابة والدم ووحدة النسب². وهي الأساس الأوّل في تكوين الجماعات الاجتماعية، وكل ما عداها من الروابط والصّلات بين الأفراد والجماعات، تابع لها ولاحق بها في مراحل متأخّرة³.

إنّ الوثائق القديمة للمجتمعات الحضارية المبكرة، تؤكد على وحدة هذه الجماعات وأصولها المشتركة وتمييزها عن المجتمعات الأخرى، على الرّغم ممّا تتضمنه الوقائع العمليّة والأحداث التاريخيّة المعاصرة لتلك الوثائق من أدلة على اندماج تلك الجماعات البشرية مع غيرها، ومن ثمّ امتزاج أنظمتها

1. علي عبّاس مراد، القومية والأمة، مرجع سابق، ص. 59. انظر أيضاً محمد رياض: الإنسان: دراسة في النوع والحضارة، مؤسسة هنداوي، 2014، القاهرة، ص. 447

2. ماهر محمود عمر، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988، ص 283

3. علي عبّاس مراد، المرجع السابق، ص. 60. انظر أيضاً د. سعود عبد العزيز: نظرية العلاقات الإنسانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة. 2010، ص ص 03 – 04.

الفكرية والقيمية والعقائدية والسلوكية، وتغيّر طبيعة وحدود أنظمتها السياسية، وقد يطال التّغيير أحياناً، حتّى لغتها أو عناصر معيّنة فيها، إلّا أنّها تبقى حريصة على التمسك بفكرة الأصول القرابية الموحدة لها¹.

وبقدر ما تنمو الجماعات الاجتماعية، وتتطوّر مظاهر حياتها وأساليبها وتزداد تعقيداً، تتولّد بشكل طبيعي، بل وحتمي أيضاً، أشكال ارتباطية أخرى بينها الأكثر تطوّرًا أو تعقيداً من سابقتها، وأكثر قدرة على التعبير عن مجموعة الخصائص المشتركة الجديدة التي تضاف إلى الخصائص السابقة².

وتأسيساً على ذلك، تبدأ كل جماعة منها، تميّز نفسها وتحدّد ذاتها وهويّتها، باستخدام مزيج مركّب من الأشكال الارتباطية القديمة والجديدة التي تجمع بين أعضائها، لتعبّر عن نفسها وتصفها بضمير (نحن)، وتصف الآخرين المفتقرين إلى خصائصها والمالّكين لخصائص أخرى بضمير (هم)³.

ويمكن القول بأنّ القومية نوع من أنواع الروابط التي تجمع وتوحد بين أعضاء الجماعات الاجتماعية، لكنّها تميّز عن غيرها في تلك الروابط، بقيام الرابطة القومية على اعتقاد أفراد المجموعة الاجتماعية بوجود مجموعة متعدّدة ومتنوّعة من العوامل الماديّة والمعنوية، الواقعية أو الافتراضية، أو مزيج مركّب منهما، تجمع بينهم وتوحدهم وتمنحهم هويّة مشتركة وشخصيّة مميّزة.

ولا شك ان الظاهرة القومية والرابطة المنشئة لها لا تظهر مرّة واحدة وبشكل واحد، بل تظهر ضمن مستويات وجودية تتابع زمنياً وتطوّرًا حددها الباحثان علي عباس مراد وعامر حسن فياض كما يلي:

1. عدنان محمّد زرزور، جذور الفكر القومي والعلماني، ط 3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1999، ص. 44.

2. جنيفر، وهلين سوبنا هانت: نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية، ترجمة قيس النوري، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة،

1988، ص 52، انظر أيضاً: علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 65.

3. علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 65، داون شلتز: نظريات الشخصية، ترجمة حمد دلي الكربولي وعبد الرحمن القيسي،

بغداد، المكتبة الوطنية، 1983، ص 387.

- المستوى الوجودي الشعوري للارتباط القومي.
- المستوى الوجودي الفكري للارتباط القومي.
- المستوى الوجودي السياسي للارتباط القومي.

1- المستوى الوجودي الشعوري للارتباط القومي.

يقصد بهذا المستوى الوجودي، شعور الجماعة الاجتماعية بذاتها بوصفها جماعة مميزة تحدّد نفسها بـ " نحن " وتميّز الآخرين بـ " هم " وتشترك في هذا المستوى القومي الشعوري الجماعات القومية القديمة والحديثة كلّها، البدائية والمتحضرة، لا فرق بينها في ذلك، وينعكس هذا المستوى في صورة شعور فردي وجماعي بوحدة الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، ويشترك مع باقي أعضائها¹، بخصائص توّحدتهم وسمات تميّزهم، ويتّربّ على ذلك الشعور / الإحساس بالذات (نحن)، شعور مقابل ومعاكس بالاختلاف عن الجماعات الأخرى (هم).

وتأسيساً عليه فإن لمستوى الوجودي الشعوري للارتباط القومي بعدين :

-البعد الأول: يتعلّق بالشعور بالوحدة مع الجماعة التي ينتمي إليها الفرد ويرتبط بها.

-البعد الثاني: يتعلّق بالشعور بالاختلاف عن الجماعة التي لا ينتمي إليها الفرد ويتميّز عنها².

2- المستوى الوجودي الفكري للارتباط القومي

بعد امتلاك الجماعة القومية للشعور بوجودها وإرتباطها وتميّزها عن غيرها من الجماعات، ترتقي بذلك الشعور الى مستوى اعمق يتمثل في الإنتاج الفكري والنظري لتعبر من خلاله عن وحدتها وتميّزها عن الجماعات القومية الأخرى، كما يهدف هذا التنظير الفكري الى ابراز قيمها القومية ومصالحتها وافاقها، ويعبر هذا الوجود الفكري عن اعلان عن رابطةها القومية الشعورية³.

1. قاسم عبده قاسم، الأنا والآخر... أو (نحن) و(هم)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 23 جويلية

2014، ص. 02، انظر أيضاً: علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 68.

2. علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 68-69. انظر الى: Thiesse, op. cit, pp. 23-25

3. زرزور، مرجع سابق، ص. 62. راجع أيضاً:

" عكست ذلك وعبرت عنه نتاجات أسطورية ودينية وتاريخية مبكرة، تدل على نشأة وعي فكري لدى بعض الأمم بذاتها التاريخية وتمييزها، لتؤسس هذه الأفكار لاعتقاد أصحابها بأنهم جماعات اجتماعية مُميّزة (أمم) بدلالة وحدة الإقليم والمعتقد ونظام الحكم والحاكم، وتُحاول الجماعة القومية التعبير عادةً عن اعتقادها بوحدة القومية وهويتها المميّزة، والبحث في ذلك وتأمله نظريًا، باستخدام الأدوات الفكرية ومُنتجاتها وأساليبها المختلفة، أدبيّة كانت أم فنيّة أو بحثية منهجية، بما يوفّر لها فرصة الانتقال من المستوى الأوّل الشعوري للارتباط القومي إلى المستوى الوجودي الفكري للارتباط القومي " ¹.

وتختلف الجماعات الإنسانية عن بعضها من حيث قدرتها على الرقي وتطوير وعيها القومي وابرار عبقريتها وتميزها عن الجماعات الإنسانية الأخرى، يعود ذلك ربما الى عدم القدرة في التحكم بأدوات الفكرية والمنهجية المطلوبة للبحث وتعميق فهم الذات القومية من خلال القصص والأسطورة والشعر، مدافعة عن وجودها وردا على ناكريها.

3- المستوى الوجودي السياسي للارتباط القومي

هو آخر المستويات الوجودية للارتباط القومي، وأكثرها عمقًا وتطورًا وتعقيدًا، أن عناصر ومضامين المستويين الشعوري والفكري للوجود القومي اللازمان لولادة الأمة ونزعتها القومية، واللذان يجري أحيانًا إيجادهما اصطناعيًا، أن لم يكونا موجودين طبيعيًا وتلقائيًا ²، ليتم استكمالها وامتزاجها بعناصر جديدة اجتماعية واقتصادية وسياسية وقانونية، تلخصها مطالبة الجماعات القومية أو الأمم التي سبق وامتلكت المستويين الشعوري والفكري، وبلغت المستوى الوجودي السياسي بالحقوق القومية الأساسية الثلاثة وهي ³ :

Pierre de Senarclens, Nation et Nationalisme, Sciences Humaines Éditions, Paris, 2018, p. 98-101 ،

1. علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 70. للتفاصيل أكثر مراجعة هذه الدراسة مهمة:

Gil Delannoi, Réflexions sur le nationalisme, rev. Esprit, n°. 198 (1) (Janvier 1994), pp. 84-96

2. علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 72 راجع أيضا:

Eric Hobsbawm, Nations et nationalisme depuis 1780: programme, mythe, réalité, éditions Gallimard, 1992, p. 15-18

3. زرزور، المرجع السابق، ص. 30 أيضا: Hobsbawm, op. cit, p. 21

- حق الجماعة القومية (الأمة) في تقرير مصيرها.
- حق الجماعة القومية (الأمة) في إقامة دولتها القومية المستقلة الموحدة.
- حق الجماعة القومية (الأمة) في السيادة الكاملة في دولتها على قوميتها ومواطنيها وإقليمها.

لتكون ولادة المستوى الوجودي السياسي للارتباط القومي، مشروطة ومحكومة ببلوغ الجماعة القومية أولاً وقبل ذلك للمستويين الوجوديين الشعوري والفكري، طبيعياً أو اصطلاحياً، ثم مُطالبتها ببحث تقرير مصيرها، وإقامة دولتها القومية المستقلة ذات السيادة، ولا يعدو ما تقدّم أن يكون مجرد تبسيط نظري للعلاقة بين امتلاك الأمة للشعور بالارتباط القومي بين أعضائها، وبين تعبيرها الفكري عن هذا الشعور، ثمّ سعيها لتجسيد هذا الشعور وتجلياته الفكرية في دولة قومية، يكون تشكّلها التاريخي عبارة عن تطوّر الدولة إلى أمة، أو تطوّر أمة إلى دولة". هذا التشكل يحمل في طياته تعقيدات وارتباطات وعمليات مختلفة لا حصر لها¹.

ختاماً لهذه النقطة نقول بوجود هذه المستويات الثلاثة للارتباط القومي، يستنتج القول أيضاً بأنّها مستويات مرتبطة موضوعياً، ومُتتابة زمنياً، ومتكاملة موضوعياً، بما يجعل كلّ مستوى سابق منها. مقدّمة للمستوى الآخر اللاحق، وتمهيداً وتأسيساً له²، إلا أنه لا بد من الإشارة الضرورية إلى أن ظروفًا اجتماعية تاريخية قد تحول دون بلوغ الأمم والجماعات الإنسانية هذه المستويات الثلاثة في وقت واحد، وتتحكم في المستوى الذي تبلغه هذه الجماعة، من دون أن يعني ذلك التفاوت، أو يترتب عليه، أن تكون بعض الأمم أرقى من بعضها الآخر، أو أكثر قدرةً وتفوّقاً، فالمسألة في النهاية مجرد تفاوت في مستوى الارتباط، ومدى توفّر العوامل الدافعة لنضج الظاهرة القومية ومقدار تأثيرها في حياة هذه الأمة أو تلك³.

1. زرزور، المرجع السابق، ص. 31 انظر أيضاً:

Dimitri Kitsikis, Le nationalisme, Revue Études internationales, vol. 2 no 3, 1971, p. 66

2. علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 74.

3. Brubaker, R. 2004, "In the Name of the Nation: Reflections on Nationalism and

Patriotism," Citizenship Studies, 8(2): 115–127. انظر أيضاً: علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 74.

لعل من المفيد أن نُشير إلى أن الفكرة الشائعة القائلة أن الظاهرة القومية بكلّ مستوياتها، ظاهرة أوروبية حديثة، ارتبط ظهورها وتطورها بالمجتمعات الأوروبية وما طرأ عليها من تحولات في العصر الحديث، وهي ما يعرف بالمركزية الأوروبية في تفسير الظواهر المجتمعية، فإنني أقول أن المجتمعات كلّها وبدون استثناء، عرفت الظاهرة القومية، قبل أن تدخل أوروبا وشعوبها عصور التمدن والحضارة¹.

ولكن ما عرفته المجتمعات غير الأوروبية كلّها وفي مختلف العصور من الظاهرة القومية، كان أحد أو كلا مستوييها الوجوديين الشعوري والفكري، ولكن هذين المستويين لم يستكملا وجودهما فعليًا وكماليًا بظهور المستوى الوجودي لهما إلا في أوروبا العصر الحديث، وهو ما نتج عنه نشوء الدولة القومية في أنموذجها الغربي، ليكون ظهور المستوى السياسي للارتباط القومي في المجتمعات الأخرى تأليًا لظهوره في أوروبا، ولاحق لقيام الدولة القومية هناك².

المبحث الثاني: نشأة وتطور البعد السياسي للظاهرة القومية

ارتبط انفراد الأمم الأوروبية بالجمع بين هذه المستويات الثلاثة للارتباط القومي، ارتباطًا تاريخيًا خاصًا بالتطورات التي حدثت في أوروبا النهضة والحداثة (التنوير) نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل والخصائص الذاتية والموضوعية الخاصة بها، وهو ما يعني خطأ الرأي الذي يربط ظهور الأمة في التاريخ بإنجلترا في القرنين السادس عشر والسابع عشر أو بالولايات المتحدة في القرن الثامن عشر³، لأنّ ما ظهر في هذه البلدان في تلك القرون، لم تكن الأمة، بقدر ما كان المستوى الوجودي السياسي للارتباط القومي للأمة، ويستدعي توضيح ذلك من خلال متابعة دراسة الشروط والظروف الذاتية والموضوعية التي أدت إلى انفراد أمم أوروبا بنشأة وتطور هذا المستوى فيها قبل غيرها من الأمم.

اقترن بلوغ أوروبا المستوى الوجودي السياسي للارتباط القومي بعصر النهضة الأوروبية، واختلفت الآراء حول الحقبة الزمنية التي يغطيها هذا العصر في أوروبا، حيث تتراوح في بعضها بين

1. HOBSON J, The Eastern Origins of Western Civilisation, Cambridge, Cambridge University Press 2004. p. 41-43 74. انظر أيضا علي عباس مراد، المرجع السابق، ص.

. RIST G. , Le Développement. Histoire d'une croyance occidentale, Paris, Presses de 2 Sciences Po, 1996, p. 121-123

3. زرزو، مرجع سابق، ص. 59.

القرن الثالث عشر ونهاية القرن السادس عشر (1200-1500م)، في حين يرى فريق آخر أن فترة عصر النهضة تتراوح بين القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر (1500-1600م) وهي الحقبة التي يسميها المؤرخون (أوائل العصر الحديث) بدلاً من عصر النهضة¹.

واكتسبت هذه الفترة تسمية الميلاد الجديد بالنظر لما شهدته من تحولات عميقة على مستويات عديدة، واستخدم هذا المصطلح كل من "ميكافلي²" في آخر كتابه "رسالة في الحرب" مخاطباً الشباب الإيطالي، طالباً منهم عدم الخضوع لليأس، لأن إيطاليا منشغلة بكليتها بإعادة الحياة من جديد إلى الأشياء الميته، أي منشغلة بالنهضة بوصفها ميلاداً جديداً³.

ظلّ الثابت في أدبيات القرن السابع عشر والثامن عشر استخدام معنى الميلاد الجديد، فقد استخدمه "فولتير⁴" بنفس المعنى، كما استمسك الأديب الفرنسي "ستندال" في كتابه (تاريخ الرّسم) بهذا المفهوم، وعليه أيضاً سار المفكر والسياسي الفرنسي "غيزو" في كتابه "التاريخ العام للحضارة في أوروبا".

1. Mazzeo, Joseph Anthony, **Renaissance and revolution**, London, 1963.

2. ولد وتوفي في فلورنسا (1469 – 1527)، كان مفكراً وفيلسوفاً سياسياً إيطالياً. أصبح ميكافلي الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي، ألف ميكافلي مؤلفات كثيرة يأتي على رأسها مؤلفه الشهير "الأمير" وكتب أخرى مثل "المطارحات" و"المخاطبات" وكتاب "فنون الحرب" وقد شهد ميكافلي وعاش أهم التحولات الكبيرة في عصر النهضة بل كان مساهماً في بعضها حيث فقه ماكافيلي واستوعب الكثير من ذلك الفضاء المتنوع المفعم بالثورة والتغيير الذي ميز عصر النهضة.

3. جيرري بروتون، **عصر النهضة**، ترجمة: إبراهيم البيلي محروس، ط 1، القاهرة، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، 2014، ص. 15-14.

4. هو اسم الشهرة ل: فرانسوا ماري آروويه (1694 – 1778)، وهو كاتب وفيلسوف فرنسي عاش خلال عصر التنوير. عُرف بنقده الساخر، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الطريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة والمساواة والفصل بين السلطات، كان له تأثير فكري وثقافي كبير خاصة في استعجال قيام الثورة الفرنسية سنة 1789، وفي كثير من الشخصيات السياسية.

وكان أول من استخدم " عصر النهضة " المؤرخ والقومي الفرنسي حول " مشليه " 1، وإذ عنون به المجلد السابع من كتابه (تاريخ فرنسا) الصادر عام 1855م، وقال فيه أن عصر النهضة بالنسبة له يعني اكتشاف العالم واكتشاف الإنسان. . . لقد أعاد الإنسان اكتشاف نفسه " 2.

اكتسبت لفظة النهضة مفهوماً أوسع على يد الأكاديمي السويسري البروستنتي "جاكوب بوركهارت" 3 الذي قال في كتابه الموسوم " حضارة عصر النهضة في إيطاليا " الصادر عام 1860، أن عصر النهضة ظاهرة إيطالية حدثت في القرن الخامس عشر، وأن هذا العصر هو الأساس الذي قام عليه العصر الحديث، وحدد معنى النهضة بأنها مثل أعلى ثقافياً، يخص الفرد، لا بصفته جزءاً من جماعة بل بصفته فرداً، يعتمد قدراته وكفاءته الشخصية، وتلك الصفة الفردية هي التي تجعل

1. جول ميشليه Jules Michelet (1798 – 1874) مؤرخ فرنسي، ولد في باريس عمل صغيراً في الطباعة. وعين أستاذاً للتاريخ في إحدى ثانويات باريس الكبرى. عرف عنه عداؤه الشديد للإمبراطورية وللكنهنوت الكنسي، فكان مناصراً متطرفاً للجمهورية ولحرية التفكير، اهتم بالكتابة التاريخية فكان أول نتاجه كتابين تعليميين موجّهين لطلاب المرحلة الثانوية. في 1827 عين أستاذاً مساعداً في دار المعلمين، ثم حظي عام 1830 بمنصب في دائرة المحفوظات الوطنية Les Archives Nationales، كما عين أستاذاً في جامعة السوربون. بدأ بكتابة «مدخل إلى التاريخ العالمي» Introduction à l'histoire universelle الذي تجلّت فيه ملكات الكاتب الأدبية وطريقته في تصوّر التاريخ صراعاً مستمراً تخوضه الحرية ضد القدر المحتوم. وكانت أفكاره تثير حفيظة المؤرخين لابتعاد الكاتب عن التمهيد والتدقيق الواجبين على المؤرخ، وضع عمله الموسوعي «تاريخ فرنسا» L'Histoire de France الذي أمضى ثلاثين سنة في إنجازه. ومن أهم ما كتبه في هذه المرحلة «أصول القانون الفرنسي» Les Origines du droit français عام 1837. وفي عام 1838 سُمّي أستاذاً لكرسي التاريخ في الكوليج دي فرانس Collège de France وخصص محاضراته فيها لنقد اليسوعيين والكنيسة الكاثوليكية عموماً، وقد جُمعت هذه المحاضرات في مجلدات ثلاثة صدرت تباعاً بين 1843 و 1845.

2. جيرمي بروتون، المرجع السابق، ص. 15.

3. بوركهارت (1818-1897) مؤرخ سويسري في مجال الفن والثقافة ورائد التاريخ الثقافي. وصف سيغفريد غيديون إنجاز بوركهارت بالعبارات التالية " أظهر المكتشف العظيم لعصر النهضة، في البداية كيف ينبغي معالجة الفترة بأكملها، ليس فقط من ناحية الرسم والنحت والهندسة المعمارية، بل من أجل المؤسسات الاجتماعية في حياتها اليومية أيضاً "، يُعد كتاب حضارة عصر النهضة في إيطاليا (1860) أحد أكثر أعمال بوركهارت شهرة.

من الفرد ذا شأن، دون اعتماده على طبقة أو طائفة أو مهنية، ليوصف بدلالة فرديته هذه بأنه نهضوي مغامر مجدّد عظيم. ..¹.

ووصف " جيرري بروتون " عصر النهضة بأنه عمل عندما ننظر إليه: " نلاحظ بزوغ شمس الهوية ونزعة الفردية الحديثتين ".

ويتضح مقصده أكثر في قوله في موضع آخر أن اختراع الطباعة في ذلك العصر، جعل منه عصر " انتشار أفكار جديدة في مطبوعات كان من شأنه كذلك أن يثير حالة من عدم الاستقرار والشك والقلق، ممّا يدفع الفنانين والمفكرين إلى مزيد من التساؤل عن هويّتهم² ".

إنّ الدّارس لعصر النهضة سيلحظ دون عناء جملة التحوّلات الحاصلة في البناءات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية لهذا العصر، وسيّضح معنى كلمة النهضة التي أخذت أبعاداً أخرى. إنّ ازدهار الآداب والفنون، وانبعث الثقافات الإغريقية والرومانية وتنامي الاتجاه الشخصي والشعور بالفردية، مسائل ارتبطت كلّها في ظهورها في العصر الحديث، ارتبطاً وثيقاً بظهور نمط جديد من العلاقات الاجتماعية في أوروبا هي العلاقات الرأسمالية التي راحت تحل تدريجياً محلّ العلاقات الإقطاعية³.

إنّ الانتقال من نمط الإنتاج الإقطاعي إلى نمط الإنتاج الرأسمالي حدث بشكل تدريجي حيث ولدت ملامح العلاقات الرأسمالية الجديدة في كنف المجتمع الإقطاعي قبل القرن الخامس عشر. وتمتعت العلاقات الرأسمالية بنوع من التفوذ في المجتمع الأوروبي، لا سيما بعد أن أصبح الاقتصاد التجاري الميركانتلي يحظى بالصّدارة هناك⁴.

1. جيرري بروتون، مرجع سابق، ص ص. 16-18.

2. بروتون، مرجع سابق، ص. 10.

3. Sweezy, Paul. **The theory of capitalism development**, Monthly review press, New York, 1956. p. 375

4. Sweezy, Op. cit. 376

ولا يمكن تعميم هذه الحالة النهضة على جميع أمم أوروبا في وقت واحد¹، إذ تفاوت تاريخ ابتداء عصر النهضة من بلد أوروبي إلى آخر، فإن ظهرت أولاً في إيطاليا وهولندا، فقد تأخرت في بلدان أوروبية أخرى كفرنسا وإنجلترا وألمانيا، بسبب ما شهدته هذه الدول من حالة عدم استقرار عامة بسبب الصراعات الداخلية والحروب البينية.

وقد انعكس ظهور هذا النمط الإنتاجي الرأسمالي ومجموعة أخرى من العوامل الاجتماعية والسياسية وثقافية، قلت انعكس في نشأة المستوى السياسي للظاهرة القومية في أوروبا، لتنتهي جميعاً إلى خدمة بناء الدولة القومية².

وسنحاول خلال الأسطر القادمة، إبراز هذه العوامل، ومدى مساهمتها في تسريع الانتقال إلى حالة الظاهرة القومية في تجلياتها السياسية.

1- العوامل الاقتصادية

لقد كان عصر النهضة الأوروبية، عصر ميلاد نمط الإنتاج الرأسمالي وعلاقاته التي قامت على قاعدة اقتصادية تمثلت بالاقتصاد الرأسمالي التجاري (الميركانتيلي)³ الذي يقوم على الأسس التالية :

1. علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 79.

2. Sweezy, Op. cit. 377

3. التجارية أو مذهب التجاريين أو الميركانتيلية بالإنجليزية: يعرفها المعجم المنجد في اللغة العربية المعاصرة بأنها "نزعة للمتاجرة من غير اهتمام بأي شيء آخر"، وهي مذهب سياسي-اقتصادي ساد في أوروبا فيما بين بداية القرن السادس عشر ومنتصف القرن الثامن عشر يدعو للقومية الاقتصادية وغرضه بناء دولة ثرية وقوية بطرقه الخاصة. كانت التجارية شائعة كشيوع الرأسمالية في هذا العصر، وبحين تفترض النظريات الاقتصادية الحالية بأن الأسواق تنمو باستمرار، ترى التجارية بأن الأسواق ثابتة، مما يعني بأن لزيادة حصتك في السوق، ينبغي أن تأخذ هذه الحصة من حصة شخص آخر. ونشأ النظام الميركانتيلي التجاري في أوروبا خلال تقسيم القطاعات لتعزيز ثروة الدولة وزيادة ملكيتها من المعدنين الذهب والفضة عن طريق التنظيم الحكومي، ساهمت الميركانتيلية في تطور الفكر الاقتصادي في العالم وقدمت مبادئ طورت فيما بعد وقامت عليها قواعد ونظريات اقتصادية بل ان الميركانتيلية هي اللبنة الأولى في بناء التفكير الاقتصادي الرأسمالي الحديث. انظر: عبدالمعزم فوزي، فلسفة الفكر المالي، وكالة الصحافة العربية، 2018، ص ص.

1. الاعتقاد بأولوية الثروة النقدية، أو أولوية الثروة الناجمة عن امتلاك المعادن الثمينة المسكوكة في شكل نقود كالذهب والفضة التي يمثل الحصول عليها الأساس الذي يقوم على ثراء الدولة، وبذلك، فإنّ الدولة لن تكون قادرة وقوية اقتصادياً، إلّا إذا امتلكت أكبر قدر من المعادن الثمينة، ليغدو الهدف الأساس لكل نشاط اقتصادي للدولة، وهو الحصول على هذه المعادن الثمينة وامتلاكها¹.

2. راجت أفكار تدعو الدولة إلى القيام بتحصيل المعادن الثمينة، من خلال إصدار قرارات وأوامر سياسية تتولّى تنظيم وتنسيق وقيادة جهود الأمة لبلوغ هذا الهدف، وربّما على أساس هذا، يمكن القول أن النشاط الاقتصادي في هذه المرحلة كان يميل إلى نوع من أنواع " اشتراكية الملكية " ².

3. إنّ الدولة في ظلّ الاقتصاد الرأسمالي التجاري، تعمل على تحقيق أهدافها بوضع خطط مسبقة، تستهدف الحفاظ على ما يتوافر لهذه الدولة من المعادن الثمينة داخلها، والسعي للحصول عليها من الخارج في حال الافتقار إليها في الدّاخل³.

لذلك مال النشاط الاقتصادي في عصر النهضة، وبتوجيه من الدولة إلى السيطرة على المناجم التي تحتوي على هذه المعادن واستغلالها في أيّ مكان تكون فيه داخل الدولة وخارجها وضمان دخول أكبر كمية من تلك المعادن إلى البلاد، وبالمقابل الحيلولة دون خروجها.

4. رمت سياسة الدولة في ظلّ النظام الرأسمالي التجاري إلى تشجيع سياسة تصدير المنتجات الصناعية لتحقيق التوازن الاقتصادي، وأن تقوم بإسناد التصنّع بكل

1. عليّ عباس مراد، المرجع السابق، ص. 81. Thiesse ,op. cit. pp. 45-55.

2. نفسه، ص. 81. للمراجعة انظر

Jean Sanvoisin ,Rapport entre mode de production et concept de nation dans la théorie marxiste ,L'Homme et la société, Année 1968 ,n° 7 , pp. 151-159

3. موريس دوب، بل سويزي، كرستيوف رهل، الإقطاع والرأسمالية، ترجمة: عصام الخفاجي، بيروت، دار ابن خلدون، 1977.

الأشكال، لتخفيض كلفة الإنتاج بما يضمن بيع البضائع المصنّعة بأرخص الأثمان، وتقليل الاستيراد إلّا ما يتصل بالحصول على المواد الأولية اللازمة للصناعة¹.

5. إنّ الدولة يجب أن تعمل على تحقيق هذه الأهداف بوسائل مختلفة في مقدّماتها امتلاك مستعمرات تحصل منها على المعادن الثمينة، وتوسيع سوق التصدير للمنتجات الصناعية والحصول من تلك المستعمرات على المعادن الأولية اللازمة للصناعة بأرخص الأسعار، فضلاً عن الحصول على الأيدي العاملة الرخيصة وغيرها².

6. إنّ الدولة يجب أن تعمل على تحقيق هذه الأهداف ولو أدّى ذلك إلى تعارض وتصادم مصالحها وسيّاساتها القومية مع المصالح والسيّاسات القومية للدول الأخرى، وهو ما جعل التنافس ثمّ الصراع الاستعماري بين الدول الرأسمالية العلامة الفارقة لهذا العصر. ووصف المفكر الفرنسي " مونتين " (ليس باستطاعة أحد أن يريح إلّا ما يخسره الآخر)³.

إنّ الخصائص التي ترتبت على العوامل الاقتصادية، لعصر النهضة كانت جميعها في خدمة مشروع إقامة دولة ذات اقتصاد قويّ، الأمر الذي سيوفر القاعدة المادّية للدولة الوطنية / القومية القادمة في القريب⁴.

2- العوامل الاجتماعية

أحدثت التحوّلات الاقتصادية خاصّة ما تعلق بتبلور النظام الرأسمالي في ملامحه المركنتيلية، آثاراً واضحة على المستوى الاجتماعي، فقد تغيّر مواقع الطبقات الاجتماعية ورتابتها، وأدوارها في المجتمعات الأوروبيّة، وكان من أبرز من تأثر انحدار أصحاب الدّخول الثابتة إلى الفقر النسبي، وصعود الثّجار والماليين والمنتجين والفلاحين إلى الثراء⁵.

1. موريس دوب، بل سويزي، كرستيوف رهل، مرجع سابق، ص. 103

2. David C. Colander and Harry Landreth, History of economic thought South-Western College Pub. 2001 ;pp. 47-51

3. عليّ عبّاس مراد، المرجع السابق، ص. 82.

4. نفسه، ص 83.

5. جون نيف، الأسس الثقافيّة للحضارة الصناعيّة، ترجمة: محمود زايد، ط. 1، بيروت، دار الثقافة، 1962. ص. 83

كما مَسَى ذلك الانحدار فئة رجال الكنيسة أيضًا، حيث تَمَّت مصادرة الأملاك الهائلة للكنائس ورجال الدين من قبل الملوك أثناء حركة الإصلاح الديني التي كانت هي الأخرى عاملاً من عوامل ظهور وتطور المستوى السياسي للظاهرة القومية في أوروبا.

وهو ما حصل، بشكل خاص في البلدان التي تبنّت حكوماتها وكنائسها المذهب البروتستانتي بأشكاله المختلفة، وانشقت عن سلطة البابا والكنيسة الكاثوليكية في روما، وبخاصة حكومات وكنائس إنجلترا وإسكتلندا والسويد وهولندا والإمارات الألمانية¹.

إنّ الانقلاب الذي حدث في المراكز الاقتصادية الاجتماعية للطبقات الاجتماعية، انتهى إلى تحوّل في مراكزها وأدوارها الاجتماعية، إذ فقد طبّقه النبلاء وفئة رجال الدين مراكزهما الرَّاجحة وأدوارهما المؤثرة التي كانت تتمتعان بها في العصور الوسطى لصالح الطبقة الوسطى التي سمّيت فيما بعد بالطبقة البرجوازية².

أدّت التحوّلات الاقتصادية إلى ارتفاع مفاجئ للأسعار ومستوى المعيشة، فغنت طبقة جديدة على حساب النبلاء، فلم تعد بدلات إيجار أراضيهم كافية لسد احتياجاتهم الكبيرة، فاضطروا بسبب التدهور الاقتصادي إلى بيع أراضيهم لتوفير ما يلزم لتأمين متطلبات حياتهم المترفة والحفاظ على مراكزهم الاجتماعية، وقد أدّى ذلك إلى انخفاض أسعار العقار والأراضي، فتضرّر مالكوها من النبلاء من ذلك ضرراً مضاعفاً³.

وكانت الطبقة البرجوازية التي بدأت تتمتع بالرخاء المادي هي الشاري الأكبر لهذه الأراضي، وبهذا اكتسبت الطبقة البرجوازية مكانةً وقوةً وأدواراً اجتماعية ومن ثمّ سعيها لتحقيق مكانةً وأدواراً سياسية مستقبلاً.

1. جون نيف، المرجع السابق، ص. 91-92.

2. موريس دوب وآخرون، مرجع سابق، ص. 115.

3. نفسه، ص. 116.

لعبت الإدارة الملكية (الدولة) دورًا مهمًا في إضعاف طبقة النبلاء (الإقطاعيين) اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا¹، إذ غالبًا ما كانت رغبة الملوك (الدولة) في توسيع نطاق هيمنتهم، تصطدم بالنزعة المحليّة اللامركزية للنبلاء الإقطاعيين التي لم يكن تجاوزها ممكنًا دونما صعوبات، اتخذت في بعض الأحيان شكل الحروب بين الملوك والنبلاء، وعلى أساس ذلك مثلاً انتهب ملك فرنسا فرصة حرب المائة عام، ليصادر إقطاعيات عدد كبير من النبلاء ممن لم يظهروا ولاءهم له في هذه الحرب².

واستفادت الطبقة البرجوازية من هذا الوضع، فازدادت أهميتها وأدوارها في المجتمع من خلال سدّ الاحتياجات المالية المتزايدة للدولة، كدفع مرتبات أعضاء البيروقراطية الحكومية الملكية، وسدّ نفقات حروب الملك الداخليّة مع النبلاء الإقطاعيين والخارجية مع الدول الأخرى، يمكن الحديث هاهنا عن تحالف بين الدولة الملكية المطلقة والطبقة البرجوازية، فكل عمل على إسناد الآخر ضمن المصلحة القومية³.

انتهت هذه التحوّلات الاجتماعية في نتائجها إلى تركيز السّلطة السيّاسية في إطار دولة وطنية/قومية يقف على رأسها الملك الذي أصبح بحاجة إلى البورجوازية لضمان سير الإدارة، وسدّ نفقات حروبه الداخليّة والخارجية، فضلاً عما ترتّب حتمياً على الحروب الدينيّة-المذهبية والنزاعات بين العائلات الإقطاعية الكبرى ذات الطّبيعة الانقسامية التي تهدّج وحدة إقليم الدولة الملكية، من تقوية السّلطة المركزية للملك للحفاظ على وحدة المملكة بوصفها مقدّمة وأساساً لوحدة الدولة الوطنية / القومية الناشئة⁴.

1. Fernand Braudel, *Civilisation matérielle, Économie et Capitalisme: xve – xvii siècle*, t. 1: *Les Structures du quotidien*, Armand Colin, 1979, pp. 601-605

2. جون نيف، المرجع السابق. ص. 110-111

3. عليّ عبّاس مراد، المرجع السابق، ص. 85.

4. نفسه انظر أيضاً:

Jean Delumeau, *La Civilisation de la Renaissance*, Arthaud, coll. « Grandes civilisations », 1993, pp. 103-105

3- العوامل الثقافية

كان للبُعد الثقافي أيضًا من جُملة التحوّلات التي شهدتها أوروبا وكان أبرز مشاهدته:

1. الاهتمام بالأعمال الفكرية الإغريقية والرومانية، من خلال إعادة بعث الدّراسات القديمة وإحياءها وتطلب ذلك بطبيعة الحال الاهتمام باللّغة الإغريقية بعد أن كانت اللاتينية هي الرائدة، إضافةً إلى جمع المخطوطات القديمة، ومؤلفات الإغريق والرومان¹.
2. الاهتمام بالعلوم الطبيعيّة، والتّطبيقية مثل الفلك، الميكانيكا والهندسة والفيزياء، وهذا ما أدّى إلى اعتماد العقل كأداة وفيصل في معرفة العالم والإنسان، وبالتالي تقوية النّزعة العقلانية في مقابل النّزعات اللاهوتية الميتافيزيقية².
- إنّ البحث في المجال الثقافي الأوروبيّ خلال الفترة الحديثة، يضطرنا إلى التعرّيج على ما أحدثته حركة الإصلاح الدّيني (الانقسام الكنيسي) من تأثيرات واضحة الأثر على بنية المجتمع الأوروبيّ بمستويات مختلفة³.
- لقد ظهرت أوروبا المسيحية في شكلها الجديد، المسير لما شهدته من مستجدات في مجالات أخرى، وقد أيدّت الكنيسة البروتستانتية إلى تأكيد سلطة رأس المال بدلاً من سُلطة الإقطاع التي كانت تُؤكد عليها الصّيغة الكاثوليكية للمسيحية.
- اعتمدت حركة الإصلاح البروستناتي على تبسيط العقيدة المسيحية، واعتبار الدّين أمرًا شخصيًا داخليًا عميقًا، وهذا ما أكّده مترجم الحركة الإصلاحية "مارتن لوثر" الألماني والفرنسي-

1. جون نيف، مرجع سابق، ص. 113. انظر أيضًا:

Peter Burke, La Renaissance Européenne, Seuil, coll. « Points Histoire », 2002, pp. 84-92

2. يوهان هوينجنا، أعلام وأفكار (نظرات في التاريخ الثقافي)، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972. ص. 93

3. هناك دراسة مهمة اهتمت بالتاريخ الثقافي لأوروبا خلال الفترة الحديثة، Werner Sombart, Le bourgeois. Contribution à l'histoire morale et intellectuelle de l'homme économique moderne, Payot 1926

السويسري " جان كالفن " 1 من خلال :

- تأييد الاتجاهات الرأسمالية التجارية ثم الصناعية السائدة في عصرها، فقد أقرّ بأنّ الفائدة والربح في النشاط الحرّ للأفراد حلال، وعلى قُدسيّة العمل اليدوي ².
- تأييد النزعة الفردية كقيمة شهدها العصر عبر التأكيد على الطابع الفردي والشخصي للدين، بما يجعل الدين وممارسة طقوس الدين وقراءة وتفسير وفهم الكتاب المقدّس سائل شخصيّة لا يحتاج المرء فيها إلى وسيط بين الإنسان والرّب ³.
- تأييد سيادة الدّولة الوطنية/القومية بتأكيد الفصل بين الدين والسياسة في الحياة الاجتماعية (العلمانية) ⁴.

لقد استطاعت حركة الإصلاح الديني-المذهبي البروتستانتية من أن تُؤثر في البيئة الحاضنة للظاهرة القومية وذلك من خلال :

- منع المؤسسة الدينية المسيحية، في إطار التنظيم الكنيسي، من التّدخل في الشؤون الحياتية المدنية، السياسية منها والثقافية والاقتصادية، واقتصار أدوار الكنيسة ووظائفها على الجوانب الدينية التّعبدية في الحياة الإنسانية ⁵.
- تقوية سلطة الحُكّام السياسيين الرّمنيين وتدعيم نفوذهم، بتخليصهم من مُنافسة رجال الدين وتدخلاتهم في الشؤون الرّمنية السياسية، وهو ما انتهى تلقائيًا إلى تقوية سلطة الدّولة الوطنية/القومية في مُواجهة السّلطة الكنيسية ⁶.
- تقوية الرّوح الوطنية/القومية والحس الوطني/القومي المشترك لدى الجماعات الوطنية/القومية الأوربيّة، وخصوصًا تلك التي اعتنقت المذهب البروتستانت، بعد أن بدأت الحركة الإصلاحية البروتستانتية نشاطًا واسعًا لترجمة الكتاب المقدّس من اللّغة اللاتينية

1. Jacques Blandenier, Martin Luther et Jean Calvin, Contrastes et ressemblances, Je Sème – Excelsis, 2016

2. عليّ عبّاس مراد، المرجع السابق، ص. 87.

3. نفسه.

4. Alexandre Faivre, Les premiers laïcs. Lorsque l'Église naissait au monde, Du Signe, 1999,

5. جون نيف، مرجع سابق، ص. 123.

6. عليّ عبّاس مراد، مرجع سابق، ص. 88.

إلى اللغات الوطنية/القومية الأوروبية، مما ساعد على نشر هذه اللغات وتعميق إحساس الناطقين بكل لغة منها بوحدهم وتمييزهم، وهو ما كان أساساً أولياً مهماً لخلق ثقافات وطنية/قومية متميزة¹.

وفي نفس السياق استجابت حركة الإصلاح الديني-المذهبي البروتستانتية للشعور الوطني/القومي الناشئ والمتزايد، فلم تصبح الكنيسة البروتستانتية مؤسسة عالمية على غرار الكنيسة الكاثوليكية البابوية في روما، بل تعددت وتنوّعت الكنائس البروتستانتية بما يتطابق مع تعدد وتنوع الكيانات الوطنية / القومية الأوروبية بكل مقوماتها بما فيها اللغة، لتصبح الكنائس البروتستانتية المستقلة، مؤسسات دينية وطنية / قومية تماماً².

4- العوامل السياسية

أحدث عصر النهضة تحولات عميقة في السلطة السياسية الحاكمة، فقد شهدت بروز ملوك كان لهم نصيب كبير في تعزيز وجود الدولة الوطنية / القومية. على غرار ملوك فرنسا وإسبانيا، وإنجلترا. لقد اجتمعت في الملك ثلاث خصائص.

• **الخاصة الدينية:** فالملك مقدس بقدر كونه وكيل الله في أرضه، هذا الحق منحه حق التدخل في شؤون الكنيسة، بل وبلغ الأمر إلى حد إدارتها، كما حدث مع ملك إنجلترا هنري الثامن (1491-1547)، الذي أعلن عام 1535 انفصال بريطانيا عن الكنيسة الكاثوليكية، وتأسيس كنيسة بريطانية وطنية/قومية مستقلة المعروفة باسم (الكنيسة الإنجليكانية) والتي أوكلت رئاستها إلى ملك بريطانيا شخصياً³.

1. عليّ عباس مراد، مرجع سابق، ص. 88. انظر أيضاً: Benedict Anderson, L'imaginaire national: Réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme, tra. Pierre-Emmanuel Dauzat, éditions La Découverte, 1996, pp 51- 61

2. يوهان هوينجا، مرجع سابق، ص. 113.

3. عليّ عباس مراد، مرجع سابق، ص. 90. انظر:

Hervé Picton, Histoire de l'Église d'Angleterre, Ellipses, 2006, p. 56-57

• **الخاصية المطلقة:** فالملك يتمتع بسلطة مطلقة، بما يمنحه الحق في إصدار القوانين والأوامر باسمه وبإرادته دون الحاجة إلى تعليل ولا تسبب¹.

• **الخاصية الإقطاعية:** فالملك هو السيد الأعلى تمامًا كما هو الحال بالنسبة للسيد الإقطاعي بما يضعه على قمة الهرم الاجتماعي².

فرضت التحويلات التي شهدتها أوروبا إعادة تنظيم السلطة السياسية بما يتماشى مع الوضع الجديد، فقد أعطت للمجالس السياسية والمهنية دورًا في تنظيم الحياة السياسية وفق القوانين والأعراف، وشكلت هذه المجموعات جماعات وطنية/قومية³.

لقد تعززت سلطة الملك من خلال مركزية الدولة في شخصية المطلق، فقد زادت قوة الدولة ممثلة في شخص الملك الذي استطاع بفضل ماكنته السلطوية المهيمنة، المتمثلة بالدولة ومؤسساتها البيروقراطية والعسكرية القمعية، أن يزيد في قوته التي دعمتها وزادتها جملة عوامل مساعدة ومكملة شهدها العصر مثل: إقامة الأنظمة البيروقراطية والقانونية والضريبية، وتأسيس الجيش الوطني القومي، وظهور الشركات التجارية والورش الصناعية، وكانت هذه العوامل كلها، نتاجًا للتحديث في المؤسسات البيروقراطية والقانونية والضريبية والعسكرية والتجارية والصناعية⁴.

فضلاً عن دور الاقتصادي الميركنتلي في دفع الدولة إلى إتباع السياسات الحمائية التدخلية على نطاق واسع في الشؤون الاقتصادية، مما ترتب عليه تسهيل الانتقال من السياسة البلدية (المحلية) إلى السياسة الوطنية القومية. لذلك انتشرت عبارة أن الشركات التجارية كانت تمثل جيوشًا للدولة والملك، أما التجارة فهي (حرب الأموال)⁵.

1. Picton ,op.cit ;57

2. علي عباس مراد، مرجع سابق، ص. 90. راجع في هذا السياق:

Molyneux-Child, J. W. (1987) The Evolution of the English Manorial System. Lewes: The Book Guild,pp. 96-97

3. موريس دوب، مرجع سابق، ص. 131.

4. جون نيف، مرجع سابق، ص. 124.

5. علي عباس مراد، مرجع سابق، ص. 92.

إنّ الدور الذي أصبحت تضطلع به الدولة من تصفية الإقطاع، وتنظيم الحياة الاقتصادية، أعطى لها قدرة أكبر، وأوجدت لنفسها مجالس عامة إلى جانب مؤسسة الملك بذاتها ومجالس الملك. وبقدر ما كانت المجالس الملكية تعبّر عن سلطة الملك المطلقة، كانت المجالس العامة ذات سلطة مجتمعية مُعادلة ومُوازاة لهذه السلطة الملكية المطلقة¹.

ومّا سبق يمكن أن نستنتج العوامل التي خلقت الظروف المناسبة لنشأة وتطوّر المستوى السياسي للظاهرة القومية، وهي 2 :

- الثورة الاقتصادية الرأسمالية، التجارية (الميركنتيلية) أولاً ثمّ الصناعية وصعود الطبقة الوسطى (البورجوازية) إلى مركز الصدارة في المجتمع الأوروبي.
- ظهور السلطة الملكية المركزية وتراجع سلطة النبلاء والإقطاع.
- انتصار السلطة السياسية الرّمنية على السلطة الدينية الكنيسية.
- انتصار الفكر العقلاني الذي حملته حركة الإصلاح الديني البروتستانتية وحركة التنوير.

المبحث الثالث: التطور التاريخي للبعد السياسي للظاهرة القومية:

1-مراحل التطور:

حدد الباحثان علي عباس مراد وعامر حسن فياض مراحل التطور التاريخي الأوروبي للمستوى السياسي للقومية الى أربعة مراحل وفق الجملة من معطيات والتحويلات التي شهدتها أوربا سواء سياسيا او اقتصاديا او حتى بعض المواجهات العسكرية الحاسمة، كما يمكن ان تقسم هذه المراحل الكبرى الى مراحل ثانوية وجاء تقسيمهما على النحو التالي:

1.1-المرحلة الأولى:

Wim Blockmans, Les origines des Etats modernes en Europe, XIIIe-XVIIIe siècles: état de la question et perspectives Actes du colloque de Rome (18-31 mars 1990), Publications de l'École Française de Rome, Année 1993, n°171 pp. 1-14

1. عليّ عبّاس مراد، مرجع سابق، ص. 94.

2. نفسه، ص 94.

تمتد من القرن الثالث عشر الميلادي إلى القرن الثامن عشر (1200-1700) حيث شهدت هذه المرحلة تفكك الإمبراطورية القديمة وانحلالها، ثم قيام الإمارات الإقطاعية المتنافسة والمشتتة وانحيارها فيما بعد، لصالح أمراء أقوىاء تمكنوا من السيطرة على سلطة الممالك وتوحيدها، في شكل دولة تحكمها أسرة ملكية لها شخصيتها المستقلة وهويتها في ظل سلطة مركزية مطلقة¹.

2.1- المرحلة الثانية:

وتمتد من القرن الثامن عشر الميلادي وحتى القرن التاسع عشر (1700-1800) حيث شهدت هذه المرحلة الثورات الوطنية/القومية الغربية، التي بدأت خارج القارة الأوروبية وتحديدًا في القارة الأمريكية الشمالية التي ثار سكانها مطالبين بالاستقلال عن السلطة الاستعمارية البريطانية، مُعلنين حقهم في إقامة دولة مستقلة ذات سيادة، يكون للأمة الأمريكية فيها حق تقرير المصير والسيادة، لتتلو ذلك الثورة الفرنسية التي أسقطت نظرية الحق الإلهي للملوك، وأقامت دولة جديدة على أساس الفكرة الوطنية/القومية ومبادئ الحرية والديمقراطية والسيادة الشعبية².

3.1- المرحلة الثالثة:

وتمتد من أواسط القرن التاسع عشر الميلادي وحتى بدايات القرن العشرين (1850-1900)، شهدت هذه المرحلة انتشار الفكرة الوطنية/القومية ونظرية الحقوق السياسية للأمة (حق تقرير المصير، حق إقامة الدولة الوطنية/القومية، حق السيادة للأمة) في المجتمعات الأوروبية كلّها، وهو ما حدث في جانب أساس منه بفعل التأثير المزدوج للثورة الفرنسية ونظامها السياسي الجديد³.

1. نفس المرجع السابق، ص. 94، حول تطور اشكال الدولة الوطنية في اوربا راجع: Blockmans, op. cit. pp. 123-125

2. عليّ عباس مراد، مرجع سابق، ص. 95. للمزيد انظر:

Yves-Marie Bercé Les monarchies, Collection Histoire générale des systèmes politiques, Presses Universitaires de France, Année: 1997, pp. 36-39

3. نفسه، ص. 96.

4.1- المرحلة الرابعة:

وتمتد من بدايات القرن العشرين الميلادي وحتى نهايته (1900-2000) وهي مرحلة انتشار الدعوة الوطنية/القومية السياسية بين الأمم خارج القارة الأوروبية، ونجاحها في ظل ظروف الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الباردة ثم الوفاق الدولي في تأكيد حقها في إقامة دولها الوطنية/القومية الموحدة المستقلة. وهو حق اعترفت به القوى الدولية الكبرى، وهي في الغالب أوروبية الانتماء جغرافياً وحضارياً أو كليهما معاً، لكنّها فعلياً حاولت مقاومتها والوقوف في طريقه، كل منها من منطلقات مختلفة ولأهداف وأسباب متباينة¹.

وارتبط ظهور الدولة القومية من الناحية التاريخية بظهور الدولة في أوروبا العصر الحديث، ثم اكتسبها فيما بعد طابعاً قومياً².

وتجدر الإشارة هنا إلى أن وجود الهيئة الحاكمة وممارستها لسلطاتها ووظائفها في دولتين قوميتين مبكرتي النشأة والظهور هما بريطانيا وفرنسا، كان سابقاً ومتقدماً على تبلور الشعور القومي فيهما بمفرداته المتعارف عليها، وأن مجتمعات امتلكت مقومات الأمة والدولة القومية منذ بواكير العصر الحديث مثل إيطاليا وألمانيا، لم تصبح دولاً قوميتين موحدة إلا في القرن التاسع عشر³، بل أن كثيراً من الدول القومية المعاصرة، نشأ بإرادة استعمارية خالصة، من دون أن تنهيا لها الأسانيد الموضوعية والمعنوية المقبولة في الحالات والأحيان كلها⁴.

1. عليّ عباس مراد، مرجع سابق، ص. 96.

2. هذه دراسة حديثة تتناول جانب من التحول الى الدولة القومية:

Alain Bihr, Le Crépuscule des États-nations, transnationalisation et crispations nationalistes, Ed. Page deux, 2000.

3. نفس المرجع السابق، ص. 50.

4. هشام محمود الاقداحي، معالم الدولة القومية الحديثة: " رؤية معاصرة "، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008، ص. 08.

وهكذا ظهرت أغلب الدول القومية في القارة الأوروبية إبان الحقب التاريخية السابقة، وإذا كانت هذه الدولة قد نشأت كثمرة مباشرة لانتصارات حربية أو ثورات شعبية أو الاعتبارات متعلقة بالتوازن الاستراتيجي الأوروبي فإنّ ثمة حقيقة مؤداها أن استقرار الوعي القومي والإيمان بمبادئ القومية كان بمثابة الدافع القوي والمؤثر في نجاح الحركة القومية 1.

وهكذا ارتبطت صورة الدولة الحديثة منذ القرن التاسع عشر في الغرب بمفهوم -الدول القومية- ولم تعد الدولة القومية تعني في الاصطلاح ما كانت تعنيه الفلسفات الغربية القديمة من ضرورة الجمع بين الأمة الواحدة والوحدة السياسية الواحدة فلا توزع الأمة بين عديد من دول ولا تجمع الدول الواحدة بين عديد من قوميات وإنما الدولة القومية في الاصطلاح الحديث هي الدولة التي يتحقق للعنصر البشري فيها عامل التجانس القومي المهيأ للوحدة القومية سواء باللغة أو الأصل أو حتى بوحدة المصالح وما تهيأ له من وحدة المصير 2.

2- عناصر الدولة:

على أن الدولة القومية في العصر الحديث تمارس سيادتها أو سلطتها العامة من خلال القوة أو من خلال إرادة الأمة أو باستخدامهما معاً. وتشتمل عناصر الدولة على ما يلي:

1.2- الإقليم:

أن فكرة الدولة لا تنفصل عن فكرة وجود إقليم محدّد أو إطار جغرافي هو ركيزة أساسية من ركائز الدولة في العصر الحديث، فالتقيّد بإقليم معيّن هو أساس قيام الدولة كحدث تاريخي شأها في ذلك شأن الصور التاريخية السابقة للمجتمع السياسي فالإقليم بالنسبة للدولة الحديثة بشكل الإطار أو الوعاء الجغرافي لاختصاص السلطة في الدولة كما يشكّل إطاراً لسيادتها 3.

1. الاقداحي، المرجع السابق، ص. 08.

2. الاقداحي، المرجع السابق، ص. 09 انظر :

Pierre de Senarclens, Nations et nationalisme, éd. Sciences Humaines ;2013,pp. 11-13

3. الاقداحي، مرجع سابق، ص. 56.

والإقليم يمثّل فوق ذلك عاملاً من عوامل قوّة الدولة بما يحتويه من مّواد طبيعيّة أو موقع إستراتيجي هام. ويشتمل إقليم الدولة على الرقعة الأرضية بالإضافة إلى الأنهار أو البحيرات أو الجبال أن وجدت، فضلاً عن الفضاء الجوّي ولا تعتبر وحدة الإقليم أيّ الاتصال الطّبيعي البشري شرطاً لقيام الدولة¹.

2.2- التّجمع البشري:

إذا كانت الدولة كيان إنساني فهذا ما يجعل السّكان أو الرّعية هي العنصر الأساسي لهذا الكيان البشري، ووجود التّجمع البشري يخضع لسلطات الدولة ويتمتع بھويّتها الوطنية بمثل واقعة طبيعية وتلقائية ومن ثمّ فهو يفرض بذاته وجود الدولة.

والعناصر البشرية التي تعيش على إقليم الدولة قد تكون خليط من أصحاب الأعراف المختلفة أو الديانات أو اللّغات أو حتّى الأصول المختلفة لكن الرّغبة في الحياة المشتركة ووحدة المصالح والأهداف تمثّل الأساس في فكرة التّجانس القومي الذي يؤدّي إلى دوام واستمرار الدولة².

3.2- الحكومة:

هي الهيئة الحاكمة أو الصّفوة السيّاسية القائمة على أحوال الدولة من خلال تنظيم شؤون السّكان وعلاقاتهم فضلاً عن قيامها بإدارة الإقليم واستغلال موارده الطّبيعيّة والصناعيّة.

فكأنّ الحكومة في الدولة المعاصرة هي الجهاز السيّاسي الذي تعتمد عليه الأخيرة في صياغة سياستها العامّة، وتمثّل الحكومة الجانب التنظيمي للدولة فكانت الدولة هي مجتمع تنظمه الحكومة. والحكومة تُباشر السّلطة لا بوصفها صاحبة السّلطة وإنّما أداة مُباشرة للسّلطة في الدولة الحديثة. لذلك تُعدّ ركناً أساسيّاً من أركان الدولة الحديثة³.

1. Fleury Graff T. , État et territoire en droit international, éd. Pedone. Paris, 2013, pp. 46-47

2. الاقداحي، مرجع سابق، ص. 58

Hélène DESBROUSSES, Bernard PELOILLE, Gérard RAULET (éd.), Le peuple. Figures et concepts, Entre identité et souveraineté, Paris, François-Xavier de Guibert, 2003. pp. 201-202

3. نفسه. ص. 58.

إنّ الدولة القومية تُعدّ بحق الصّورة المثلى والزّاقية للمجتمعات السيّاسية، ففي ظلّها تتشكّل الوحدة القومية في أعلى صورها إنّما المجتمع السيّاسي الحديث بمقوماته الأساسيّة، غير أن صفة قانونية أخرى راحت تُلازم الدّولة منذ منتصف القرن السّادس عشر في الغرب وهي صفة -السيّادة- 1، ولكن تُصبح صفة لصيقة بالدّولة المعاصرة وخاصّة من خصائصها.

وفي القرن التّاسع عشر راحت صفة جديدة للدّولة تتراكم على عُنصر التّجمّع البشري فيها خاصيّة التّجانس القومي 2.

4.2- التّجانس القومي:

إنّ التّجانس القومي يُعدّ إحدى الخصائص الكيفية التي تراكمت على المجتمع السيّاسي في الحصر الحديث فأضحى يُوصف بأنّه الدّولة القومية والتي يتحقّق لعناصرها البشرية التّجانس القومي من خلال وحدة الأصل أو وحدة اللّغة أو وحدة الدّين. .. أو حتّى وحدة المصالح المشتركة وما تهيء له من وحدة المصير وغيرها، فإنّ التّجمّع البشري في الدولة الحديثة متجانس على نحو يهيأ لترسيخ للوحدة الوطنية بين عناصره، الأمر الذي يُؤدي إلى تماسك بُنيان الدّولة تفاديًا لعوامل الضعف والتّفكك والتي كانت سببًا من أسباب فناء الإمبراطوريات العُظمى في الحقبات التاريخيّة السّابقة 3.

والتّجانس القومي هو عامل من عوامل قوّة الدّولة والإطار الحقيقي للوحدة الوطنية والذي جعل من الدّولة القومية التي راحت تسود التنظيم السيّاسي للمجتمعات الإنسانيّة منذ القرن التّاسع عشر في أوربا باعتبارها الصّورة المثلى لذلك التنظيمات 4.

والتي لم تعد تمثّل دولة الأمن التّقليدية القديمة، وإنّما هي دولة الآمال والأهداف القومية، إنّها دولة التراث القومي، والتي بدت للدّاعيين إليها في القرن التّاسع عشر أرقى صور التنظيم السيّاسي

1. علي الدّين هلال وآخرون، مرجع سابق، ص. 106.

2. Susan Fiske, Psychologie sociale, trad. Valérie Provost et Sophie Huyghues Despointes, éd. De Boeck Supérieur, 2008, 86- 87.

3. الاقداحي، المرجع السابق، ص. 69.

4. Susan Fiske, Psychologie sociale, op. cit. , pp. 97-98

في الداخل، وأقدها على تحقيق قوة الوحدة السياسية في الخارج من خلال التجانس القومي 1.

3-العوامل المهيئة للوحدة الوطنية والتجانس القومي:

ولعل من أبرز العوامل المهيئة للوحدة الوطنية والتجانس القومي :

1.3-الأصل العرقي:

تشكل وحدة الأصل العرقي الركيزة الأساسية في بلورة الكيان القومي في رأي كثير من المهتمين بالمسألة القومية. وإنه بدون التجانس العرقي في تركيب الأمة تفقد المقومات الأخرى فاعليتها، ويُميز أنصار الأصل العرقي المشترك في القومية بين الدولة التي تفتقر إلى هذا الأصل الواحد وبين أمة التي تركز إلى السلالة الواحدة 2.

فالفيلسوف الألماني " فيخته Fichte " 3 مثلاً يؤكد على نقاء الجنس الألماني وأصالته. ومع أن الشواهد التاريخية قد تدل على وجود أصل مشترك لبعض القوميات على الأقل في إحدى المراحل التاريخية المبكرة، إلا أن الأحداث المتتالية في العالم توضح بجلاء وجود هجرات متتالية نتيجة للفقر أو التجارة أو لأسباب دينية أو عسكرية أو اجتماعية أخرى ومن النتائج المترتبة على تلك الهجرات اختلاط الدم والسلالات العرقية مما ينفي إلى حد كبير الإدعاء بوجود نقاء كامل لبعض الأجناس البشرية في الوقت الحالي 4.

1. الاقداحي، المرجع السابق، ص. 69.

2. Laurence Kaufmann, Jacques Guilhaumou (dir.), L'invention de la société. Nominalisme politique et science sociale au XVIIIe siècle, coll. « Raisons pratiques », v. 14, Paris, EHESS, 2003. pp. 231-233.

3. وهان غوتليب فيشته (1762-1814) فيلسوف ألماني. واحد من أبرز مؤسسي الحركة الفلسفية المعروفة بالمثالية الألمانية، وقد كانت له اراء في مسائل القومية والامة وقال: إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون حلا موحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن كانت لا ترى». انظر Bernard Bourgeois, L'idéalisme de Fichte, Paris, PUF, 1968

4. الاقداحي، المرجع السابق، ص. 70

2.3- التاريخ المشترك:

يُمثل عنصر التاريخ الواحد عاملاً أساسياً في تكوين الظاهرة القومية كظاهرة اجتماعية سياسية، ذلك بأنّ القومية لم تظهر فجأة بل كان لها مقدّمات ومراحل تاريخية مختلفة وغير مستقرّة من حيث التّوحد والتّفكك والتّقدّم والتّخلف والهيمنة والتّبعية والتّوسع والانحسار ¹.

وعلى ذلك، فإنّ القومية من النّاحية التاريخية هي نتاج تفاعل عوامل وأحداث سياسية واجتماعية واقتصادية بل وفكرية ونفسية تراكمت على مرّ العصور، وأدّت إلى اندماج بعض الجماعات وانصهارها حتّى تشكّلت هويتها وتميّزت عن غيرها من حيث تراثها وثقافتها ².

إنّ الكثير من القوميات الحديثة والمعاصرة هي امتداد تاريخي لحضارات قديمة لعبت دوراً متميّزاً في التاريخ الإنساني، وبالتالي تظهر كثير من الاعتزاز بتاريخها، يتّضح من خلال الاهتمام بالذّكريات التاريخية الخالدة والمناسبات الوطنية التي تلهب المشاعر القومية وتجسّد الفخر بالماضي ³.

ولا يقتصر دور التاريخ المشترك على إظهار أصالة الأمة وتميّزها إذ أن هناك تأثيراً واضحاً له على توجيه الأهداف القومية، فكثير ما يعتمد القوميون على دراسة أجداد وتجارب الأحداث التاريخية حتّى يمكن إفادة منها في تحقيق ما تصبو إليه أمّتهم من الأهداف والآمال القومية ⁴.

ومن شأن التاريخ القومي أن يؤكّد الانتماء والولاء إلى الكيان القومي للأمة.

1. نفسه، ص 72.

2. عباس مناصرة، الأدب والثقافة سياج الأمة حول نفسها، الموقع الإلكتروني السبيل، نشر في 23 افريل 2020، اطلع عليه في 2020/05/10.

3. الاقداحي، نفسه، ص. 72.

4. ستيفن جروزي، القومية: مقدمة قصيرة جدّاً، تر. محمد عبد الرحمن إسماعيل ومحمد إبراهيم الجندي، مؤسسة هنداوي عام 2015، ص 59-60.

وتُعدّ الحروب من أقوى الأحداث في تاريخ الأمم دعماً للشعور القومي، ذلك بأنّ الحروب تمثل نوعاً من الأزمات أو المحن القومية التي من شأنها أن توحّد الشعور القومي على نحو يهيء لصلابة الأمة في مجابهة الأخطار الخارجية 1.

وتحرص الدول المختلفة على تدريس أحداث التاريخ القومي لما له من آثار إيجابية على الترابط القومي فهو بمثابة شعورها وذاكرتها. فكل أمة إنما تشعر بذاتها وتكون شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص. عندما أقول التاريخ، لا أقصد بذلك التاريخ المدون في الكتب – التاريخ المدون بين صحائف المطبوعات والمخطوطات – بل أقصد بذلك التاريخ الحي في النفوس، الشائع في الأذهان، المستولي على التقاليد. إن وحدة هذا التاريخ تولد تقارباً في العواطف والنزعات، إنها تؤدي إلى تماثل في ذكريات المفاخر السالفة وفي ذكريات المصائب الماضية، وإلى تشابه آماني النهوض وآمال المستقبل.

3.3- وحدة الدين والمعتقد:

كان للديانة التي يدين بها أبناء الأمة دوراً بارزاً كعامل مهيمٍ للوحدة القومية وعاملاً مؤثراً في خطط كيان الأمم وفي إلهاب المشاعر القومية 2.

وإذا استطلعنا التجارب التاريخية السابقة فإنّ تأثير العامل القومي بُدأ واضحاً خلال الحروب الدينية في أوروبا خلال القرن السادس عشر، واتضح ذلك في خريطة الأقاليم المسيحية التي جسدت ولأوّل مرّة هيمنة العناصر القومية مثل الإقليم واللغة والأصل العرقي 3.

ولا شك أن دور الدين مهم في المخططات السياسية، مثل العقيدة اليهودية ودورها في إنشاء دولة الكيان الصهيوني، ارتكازاً على وحدة الدين 4.

1. الاقداحي، المرجع السابق، ص. 74.

2. نفسه، ص. 74-75.

3. Georges Pagès, La Guerre de Trente Ans, éditions Payot, 1991, pp. 59-69

4. ستيفن جروزي، القومية: مقدمة قصيرة جداً، مرجع سابق، ص ص 59-62

ورغم ما يُمثّله الدّين من كونه الاسمنت الرّوحي لوحدة الأمّة، إلّا أن عددًا من الباحثين يقلّل من أهمّيته بالمقارنة مع العناصر الأخرى للقوميّة مثل اللّغة الواحدة، والتّاريخ المشترك، ويعود هذا التّقليل إلى الآثار السّلبية التي تتركها الصّراعات والحروب الدّينية على وحدة الدّولة، فالأمّة التي تتعدّد فيها الدّيانات ليست أفضل من الأمم التي تتعدّد فيها أقليّات عرقية مُتنازعة تُؤثر بشكل أو بآخر على درجة الاستقرار أو الوحدة الوطنية 1.

إلّا أنّه لا يمكن الحُكم على أن وراء كلّ الحركات القومية في العالم عوامل دينية، فالحركات القوميّة ضد الاستعمار في كلّ من الصّين والهند مثلاً لم تأخذ طابعًا دينيًا على غرار ما حدث في حالة انفصال باكستان الإسلامية عن الهند 2.

وفي رأي أن الدّين يمكن أن يكون عاملاً أساسيًا في حفظ كيان الأمّة وفي مُساندة الأهداف القوميّة، بل ويكون عاملاً هامًا مُهيئًا للوحدة الوطنية في حالة إذا ما تمّ التّأكيد على القيم والتّعاليم الدّينية التي تحض على التسامح والتعاون ونبذ العُنف.

4.3- الإقليم كعامل مهيب للتجانس القومي:

ذكرنا سابقًا في معرض الحديث عن أركان الدّولة الحديثة، أهميّة الإقليم الجغرافي في قيام الدّولة القومية، فالإقليم هو الإطار القانوني الذي تُمارس فيه الدّولة سيادتها. وعلى الرّغم من أن طبيعة الإقليم الطبوغرافية أو الاستراتيجية أو الاقتصادية قد تختلف من إقليم آخر، إلّا أن الإقليم يظلّ عنصراً مُهيئاً لتجانس وتوحد من يرتبطون به من خلال الرّغبة المشتركة في العيش الآمن عليه، على اعتبار أن أولئك الذين يقطنون نفس الإقليم يُجابهون نفس المشكلات والتّحديات. .. وتتقارب أهدافهم وآمالهم إلى حدّ كبير، الأمر الذي يدفع بهم إلى نوع من الانصهار والتّجانس بينهم.

1. William T. Cavanaugh, The Myth of Religious Violence: Secular Ideology and the Roots of Modern Conflict, Oxford University Press, 2009. pp. 123-125

2. وليد الحضيبي، القومية والدين.. قراءة نقدية في المفهوم الغربي للقومية، الموقع الإلكتروني المقال، نشر بتاريخ 08 يناير 2014، اطلع عليه في 2019/11/12.

ثمّ أن الذين يقطنون نفس الإقليم غالباً من يكون لهم نفس الأنشطة أو على الأقل تتقارب الأنشطة الاقتصادية التي يقومون بها نظراً لاعتمادهم على نفس الموارد ¹.

يلعب الإقليم دوراً هاماً في تشكيل الطابع القومي، فالطّباع والخصائص النفسية تتباين من بيئة جغرافية إلى بيئة جغرافية أخرى ².

إنّ ارتباط الجماعة البشرية بإقليم معيّن يحفظ لها كيائها وذاتيتها، على نحو يهيئ لتماسكها ووحدتها، وعلى العكس من ذلك فإنّ عدم استقرار الجماعة في إقليم معيّن وتفرّقها بين أماكن شتّى يؤدي إلى ضعف قوّة الدولة والتّجانس القومي هو أحد عوامل قوّة الدولة في المجال الاجتماعي.

حيث يؤدي ذلك التّجانس إلى الوحدة الوطنية، التي تجعل من ارتباط الجماعة البشرية بالإقليم على هذا النحو عامل من عوامل إدراك الجماعة لذاتها إزاء ما عداها من الجماعات التي ترتبط بأقاليم أخرى ³، ولعلّ من أبرز الأمثلة على دور العامل الجغرافي كعامل مهياً للوحدة القوميّة تلك الطّبيعة الجبلية لمناطق البلقان الأوروبيّة، والتي كانت ذات تأثير واضح في تشكيل القوميّات القائمة في تلك المنطقة ⁴.

3.5- اللغة المشتركة كعامل مهياً للتّجانس القومي:

تمثّل اللغة الواحدة من أبرز عوامل الوحدة القوميّة على أساس أنّها وسيلة التّفاهم والتّخاطب بين سُكان الإقليم ومن ثمّ يمكن إلى حدّ كبير تميّز مجتمع على آخر عن طريق اللغة واللّغة كوسيلة للتّخاطب قديمة قدم الإنسان نفسه فقد استطاعت الحضارات البشرية القديمة أن تكتيف أداة للتّخاطب عن طريق الرّموز أولاً ثمّ عن طريق الكتابة والتّخاطب فيما بعد، فاللغة هي أداة للاتّصال

1. الاقداحي، مرجع سابق، ص. 76.

2. نفسه.

3. قنان، مرجع سابق، ص. 100.

4. الاقداحي، مرجع سابق، ص. 77. انظر أيضاً :

يمكن عن طريقها تمييز جماعة عن أخرى ويركّز الكثير من الباحثين على أهمية عنصر اللغة كمعيار أساسي للقومية، وهي تجسّد لوجود ماضٍ مشترك وأصل واحد. 1.

وتظل اللغة هي نعمة التجانس بين أفراد التجمّع البشري كما أنّها تُؤدي إلى حفظ التراث القومي المتمثل في الأدب والأخلاقيات والقيم والتقاليد والأفكار، على نحو يهيئ إلى خلق شعور بالتجانس والتجاوب بين عناصر المجتمع الواحد 2.

وتلعب اللغة دور أداة لربط الأجيال المختلفة إذ من ثناياها يتعرّف الأفراد على التراث الفكري للأمة. كما تعمل اللغة المشتركة على خلق نوع من الثقافة القومية المشتركة، والتجانس اللغوي من شأنه أن يخلق تجانساً ثقافياً، بما لذلك من آثار بالغة على الطّابع القومي وكذا التّكوين الاجتماعي والسياسي للأمة 3.

ولهذا نجد بعض الأنظمة السياسية تلجأ إلى إحياء لغات قديمة إذا كان من شأن ذلك ترسيخ التجانس القومي بين سكّان دولها ولعلّ أوضح الأمثلة على ذلك سعي بعض الدول الأوروبية لإحياء بعض اللغات القديمة وتطويرها في مواجهة اللغة اللاتينية 4.

وباستقراء التاريخ يُلاحظ أن الحركات القومية التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر قد اعتمدت على وحدة اللغة كمبرّر قويّ للمطالبة بالانفصال عن غيرها وتكوين دولة تقتصر على المتحدثين بلغة واحدة. .. 5، الأمر الآخر أن جُلّ التسويات الإقليمية التي تمخضت عن مؤتمرات الصّالح بعد الحرب العالمية الأولى، أو الحرب العالمية الثانية قد اعتمدت اللغة كمعيار لتحديد الجماعة التي تمنح حق تقرير المصير.

1. الاقداحي، مرجع سابق، ص. 78.

2. Anne-Marie Thiesse, Une nation, une langue !, rév. Histoire ,N°248,novembre 2000.

3. Pierre Caussat, Langue et Nation, Histoire Épistémologie Langage , Année 1988 / 10-2/ pp. 195-204

4. الاقداحي، مرجع سابق، ص. 80.

5. نفسه، ص. 81.

ولا شك أن افتقاد التّجمع البشري لوحدة اللّغة هو أمر له عواقب سلبية على وحدة التّضامن والاندماج القومي وقد يغذي النزاعات الانفصالية¹. يتبين من ذلك كله: أن اللغة هي روح الأمة وحياتها، إنها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري، وهي من أهم مقوماتها ومشخصاتها.

6.3- وحدة النّسق الاجتماعي " الثقافة المشتركة ":

يُشير النّسق الاجتماعي إلى شبكة العلاقات الاجتماعية وأنماطها، والأدوار والمراكز والتفاعلات بينها في ظلّ التنظيم الاجتماعي فكلّ قومية من القوميات النّسق الاجتماعي والثقافي المميّز لها.

أمّا الثقافة كإحدى مظاهر النّسق الاجتماعي فيعرّفها " تيلور " بأنّه " تلك المركب الذي يتمثل على المعارف والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكلّ القدرات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع " 2.

وبصّفة عامّة فإنّ ثقافة الأُمّة المميّزة لها تعني مجموعة القيم والعادات والتقاليد، والمعارف والخبرات المكتسبة وأساليب الحياة وتمتلك الأمم ثراثاً ثقافياً يميّزها عن بعضها البعض استناداً إلى عوامل التاريخ المشترك والدين واللغة والمعرفة 3.

يقلّل بعض الباحثين من أهميّة الثقافة المشتركة كعامل مهياً للتّجانس القومي على اعتبار أن العالم المعاصر يعيش حالة من التقارب والتّفاهم الثقافي، ولكن مهما تداخلت وتقاربت الثقافات

1. أبو خلدون ساطع الحصري، المرجع السابق، ص. 201

2. نفسه، ص. 179. انظر أيضاً: Christophe Ramaux, **La culture, la nation et la république**, rev.

Mouvements 2001/2 (no14), pages 171 – 174

3. علي عبّاس مراد، مرجع سابق، ص. 51.

العالمية فإنه لا يمكن بأي حال التقليل من وجود الثقافات المتعددة والمتميزة حضارياً والتي تعتبر واجهة لكل أمة من الأمم 1.

كما يمكن القول بأن الأمم التي تفرط في هويتها الثقافية والحضارية وتبني ثقافة مختلفة عن ثقافتها المميزة تضع نفسها حتى ما يطلق عليه -أزمة الهوية الثقافية- 2.

ونلخص مما تقدم إلى أن الأصل اللغوي والاصطلاحي للقومية والمفاهيم المقاربة لها، يؤسس لولادة المعنى الشائع للقومية والدال على وجود ركنين أساسيين في بناء أية جماعة قومية هما :

الركن المادي 3: ويشير إلى الجسد المادي للجماعة الإنسانية الواحدة، أي إلى الأمة

(بذاتها)، الأمة التي تمتلك هويتها المميزة وشخصيتها المستقلة مما يحقق لها الاندماج في ذاتها.

وإدراك تميزها واختلافها عن غيرها أيًا كانت عناصر هذا الاختلاف وأسبابه (عرقية، لغوية، تاريخية، جغرافية أو حضارية) فالمهم هو وجود الجماعة، وإيمانها بوحدتها واستقلالها وشخصيتها المتميزة.

الركن المعنوي: ويشير إلى الروابط الشعورية بين أعضاء الجماعة الإنسانية الواحدة أي الأمة،

وهي الروابط التي تحولها من (أمة بذاتها / أمة بالقوة) إلى (أمة بذاتها / أمة بالفعل) 4.

لأن هذه الروابط تمنح الأمة الاعتقاد والشعور بأنها جماعة موحدة بقدر ما هي مميزة أيضاً عن

غيرها في أن واحد 5. وتعمل هذه الروابط الشعورية على تدعيم البناء المادي للأمة، وفي ذلك يقول " علي عباس مراد " :

1. المرجع السابق، ص. 52. انظر أيضا: Ramaux, op. cit. 173

2. نفسه، ص. 52.

3. الاقداحي، مرجع سابق، ص. 82.

4. علي عباس مراد، المرجع السابق، ص. 53.

5. Desbrousses , Le peuple. Figures et concepts. , op, cit, pp. 211-213

" يتبلور هذان البعدان وتتضح ملامحهما وتكتسب طابعًا سياسيًا، عندما تسعى الأمة إلى التعبير عن وجودها المادي وارتباطها المعنوي في شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي السياسي الذي يمثل المستوى المتقدم من مستويات وجود الأمة ورابطتها القومية، وتعكسه الدولة القومية " 1.

1. عليّ عباس مراد، المرجع السابق، ص. 53.

الفصل الثالث

فرنسا الثورة والمسائل القومية

المبحث الأول: تأثيرات الثورة الفرنسية وسياساتها اتجاه المسائل القومية في أوروبا.

المبحث الثاني: تفاعل الأقاليم الأوروبية مع أفكار الثورة الفرنسية.

المبحث الثالث: آثار الثورة خارج مجال الجوار الفرنسي.

المبحث الرابع: نابليون ومبدأ تصدير الثورة وانعكاساته على الساحة الأوروبية.

شكلت أحداث الثورة الفرنسية وما أعقبها من تطورات حراكا " قويا " ونقطة تحول سياسية واجتماعية كبرى في التاريخ السياسي والثقافي الفرنسي والأوربي بوجه عام، هز بعنف مسيرة النظام الأوروبي، وزعزعة أركانه، وبدا واضحا أن أوروبا ستتجه لا محال إلى حالة من التجدد والتغير.

لقد جاءت الثورة الفرنسية بمفاهيم جديدة للعصر الحديث؛ وحملت معاني الإخاء والعدالة والمساواة وأصبحت لفترات طويلة نموذج ثوري للشعوب ضد الملكية الاستبدادية وأنظمة الحكم وحتى في تطور الفكر الشعبي والفردية. ورفعت شعارات الحرية والمواطنة، كما استندت إلى دستور ينص على حقوق الأفراد وواجباتهم، وأعلنت قيام دولة المؤسسات ممثلة في الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، مؤكدة على حق الأفراد في التنظيم وحريتهم في الاعتقاد، وتركت نتائج واسعة النطاق من حيث التغير والتأثير في مطامع الشعوب في تحقيق آمالها وتطلعاتها القومية الدول والشعوب الأوروبية.

المبحث الأول: تأثيرات الثورة الفرنسية وسياساتها اتجاه المسائل القومية في أوروبا:

حاول أنصار الثورة الفرنسية إصباغ الثورة بصفة القانون والعدالة، محليا في ممارساتها في سبيل تغيير النظام القديم، وقاريا في علاقاتها مع الدول الأوروبية⁽¹⁾.

لقد أرادت الثورة أن لا تستأثر فرنسا وحدها بهذه المبادئ المثالية، وأن تشاركها بلدان أخرى، وهنا ظهرت فلسفة تصدير الثورة الفرنسية، ومحاولة توسيع دائرة تأثيراتها⁽²⁾. وفي هذا يقول "ماليه دي

1- شكري، المرجع السابق، ج 01 ص. 327

2- Georges Castellan, La Révolution française et son impact en Europe du Sud-Est, Revue Historique, T. 282, Fasc. 1 (571) (JUILLET-SEPTEMBRE 1989), pp. 187-195, Published By: Presses Universitaires de France.

بان Mallet du Pan⁽¹⁾ سنة 1792م: "إن الثورة لم تعد ملكا للفرنسيين وحدهم فحسب، سيتأثرون بامتلاكها دون غيرهم من الشعوب، لأن الثورة بفضل الطابع العام الذي صار لها لم تعد حركة يختص بها شعب دون آخر".

إن الدارس لحركة الثورة الفرنسية سيلحظ أن المبادئ التي تم إقرارها من حقوق الأفراد والشعوب والدفاع عن مبدأ الحرية العامة، كل هذه المبادئ أكدت على مسألة غاية في الأهمية هي سيادة الأمة، أي أن تكون الأمة مصدر السلطات والتشريعات⁽²⁾.

ولقد كانت القومية أحد أهم المبادئ الجديدة التي نادى بها الثورة، وعملت على نشرها والترويج لها خارج حدود فرنسا الطبيعية، وهدفت الثورة من خلال الدعوة القومية إلى بعث ذاتية كل أمة، ونفض الغبار عليها، وذلك من خلال تحرر الشعوب من كل سيطرة أجنبية، والعمل على بناء كيانها السياسي

1- كان ماليه دو بان Jacques Mallet du Pan (1749 – 1800) أحد المنظرين الرئيسيين للثورة المضادة. من أصل سويسري، شارك في اضطرابات جنيف، ودعم عام 1766 قضية "السكان الأصليين" والمهاجرين الجدد ضد البرجوازية القديمة، في عام 1792، غادر باريس، وكلفه لويس السادس عشر بمهمة لإخوانه والملوك المتحدين ضد فرنسا. بالعودة إلى سويسرا، كتب ماليه دو بان تعليقاته حول طبيعة الثورة الفرنسية والأسباب التي أطالت مدتها (1793) وهو يدحض الأطروحة القائلة بأن الثورة كانت ابنة عصر التنوير. وفقا له، فإن النظام القديم انهار من تلقاء نفسه (حمل بذور فناءه). يمكن العودة الى اراء ماليه دو بان في هذه الدراسة :

Bernard Mallet, (Jacques) Mallet du Pan and the French Revolution, Londres, Longmans, Green & Co, 1902

2-Daniel Guérin, La lutte des classes sous la première République, 1792-1797, vol.02, Paris, 1946, pp.

والقومي وفق مرجعياتها التاريخية والاجتماعية⁽¹⁾.

عملت الأنظمة القديمة (الإقطاعية) على مواجهة هذه الأفكار الجديدة، وأعلنت عداؤها، وصورتها مهددة لمصالحها ووجودها، في الوقت الذي لاقت فيه هذه المبادئ الجديدة تأييدا وقبولا من الأمم والشعوب الأوروبية بدرجات متفاوتة.

إن محاولة فرنسا السيطرة على الأقاليم الأوروبية هي في الحقيقة ترجمة فعلية لتلك الأفكار النظرية التي روجت لفكرة الحرية⁽²⁾. وأمام هذا المعطى، فقد كان لزاما على الأنظمة الأوروبية الإقطاعية مواجهة هذه "العدوانية"⁽³⁾ تحت أي مسبب أو غرض، في الوقت الذي اعتبرت الشعوب الأوروبية أي مواجهة الأطماع الأجنبية وهو في أصله ومقصده تحقيق لذاتيتها ودفاعا عن وجودها⁽⁴⁾.

1- الظاهر ان الكثير من المهتمين بدراسة الثورة الفرنسية وانعكاساتها على أوروبا مازالوا يؤمنون بهذه الأفكار، رغم ان الاحداث اللاحقة لها كشفت الوجه والهدف الاستعماري لتلك المبادئ.انظر في ذلك : Roger BARNY, Les contradictions de l'idéologie révolutionnaire des Droits de l'Homme, Université de Besançon, Les Belles Lettres, 1993.

2-Jean-Clément Martin, La Révolution française, une histoire sociopolitique [« La France en Révolution »], Paris, 2004 ,pp.

3 -Jeremy BLACK, The Rise of the European Powers, 1679-1793, Londres, E. Arnold, 1990

4 -Jean-Yves GUIOMAR, L'idéologie nationale : Nation, représentation, propriété, Paris, Champ Libre, 1974.

يمكن أيضا العودة الى الدراسة القيمة : Emma V. Mc LEOD, A War of Ideas : British Attitudes to the Wars against Revolutionary France, 1792-1804, Aldershot, Ashgate, 1998.

اتخذ الثوار الفرنسيون من نظرية العقد الاجتماعي لصاحبها روسو⁽¹⁾ مرجعية للتأسيس لجملة الأهداف من الثورة، واستطاع هؤلاء تحقيق الكثير من الأهداف منها استصدار إعلان حقوق الإنسان والمواطن في 26 أوت 1789م، هذا الإعلان الذي جاء ليؤكد حرية الفرد في المعتقد والرأي، والمساواة أمام القانون والمساواة الاجتماعية ومبدأ أساسي مؤثر في تطور القومية هو سيادة الأمة (الشعب)⁽²⁾. والظاهر أن الفرنسيين بشكل عام لم ينظروا إلى تلك المبادئ على أنها محلية التنفيذ، بل إن فكرة تصديرها والوقوف إلى جانب الدول الأوروبية امر واجب وفي صميم روح الثورة وظهر فريق من الكتاب والناشرين مثل "كاميل ديمولان" و"مارا" وغيرهما، ولعل تبني ضرب الجيروندي لمبدأ تأييد فرنسا الحرية في أوروبا والمبادئ القومية⁽³⁾.

1- فيلسوف وكاتب ومحلل سياسي فرنسي ولد في جنيف، يعدّ من أشهر فلاسفة عصر التنوير الأوروبي. أثرت أفكاره السياسية في الثورة الفرنسية، وفي تطوّر الاشتراكية ونمو القومية. له: دين الفطرة؛ إميل؛ خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر؛ محاولة في أصل اللغات. يعتبر كتابه: العقد الاجتماعي حجر الزاوية في الفكر السياسي والاجتماعي الحديث، احظ إدmond بيرك تأثير روسو على الثورة الفرنسية، وانتقدها روسو في كتيبه السياسي بعنوان «تأملات حول الثورة في فرنسا»، وانتشر هذا النقد في جميع أنحاء أوروبا مما دفع كاثرين العظيمة إلى حظر أعماله. استمرت هذه العلاقة بين روسو والثورة الفرنسية (وخاصة الإرهاب) خلال القرن التالي. قال المؤرخ فرانسوا فوريت: «يمكننا أن نرى أن روسو كان في قلب تفسير الثورة لكل من معجبيها ونقادها طوال القرن التاسع عشر» ينظر:

Monique Cottret et Bernard Cottret, Jean-Jacques Rousseau en son temps, Paris, Perrin, 2005

2- عبد القادر بن ترار، جان جاك روسو الباحث عن العدالة في أصل التفاوت، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد 07، العدد 01، (2020)، ص 225-235. انظر أيضا قضايا التمثيل الشعبي في الهيئات المنتخبة عند روسو :

Fralin, R, Rousseau and Representation, Columbia , New York 1978 ,

3 -Marc Bouloiseau, «L'organisation de l'Europe selon Brissot et les girondins à la fin de 1792 », Annales historiques de la Révolution française, no 261, juillet-septembre 1985, p. 290-294.

ولعل ما يثبت توجه الجيرونديين⁽¹⁾ الجديد ما كان من قضية الخلاف الذي حصل بين بعض الأمراء الألمان في إقليم الألزاس والجمعية والوطنية التأسيسية. فقد احتج الأمراء الإقطاعيين على قرار الجمعية الوطنية إلغاء امتيازاتهم، فقد اعتبرت فرنسا أن اندماج الألزاس ضمن ممتلكاتها إنما جاء رداً على قرار إجماعين وقد بررت الجمعية الوطنية ذلك بقولها: "إن كل ما أبرم من معاهدات قديمة، أو اشترطه الملوك السابقون لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون شعب حر طليق ملزماً باتباعه"⁽²⁾.

وفي ذلك كتب "بريسو" Brissot⁽³⁾ باسم "اللجنة السياسية" في الجمعية التشريعية إلى الممثلين الفرنسيين في الخارج بتاريخ 22 نوفمبر 1791م بشأن مسألة التدخل الفرنسي وكتب يقول: "أبلغوا الدول الأجنبية أننا سوف نحافظ بأمانة على اليمين التي حلفناها بعدم القيام بأية فتوحات، وبأننا سوف نحترم قوانين هذه الدول وديساتيرها"، وأضاف يقول: "أبلغوا الدول الأجنبية أنه استمر يمضي الأمراء الألمان في الاستعدادات العدائية ضد فرنسا، فإننا لن نأتي بالحديد والنار إلى بلادهم، ولكننا سوف ننشر الحرية بين ربوعهم، وهم وحدهم الذين يعينهم أن يتدبروا كل ما يترتب على يقظة الأمم (والشعوب) من نتائج"⁽⁴⁾.

كما صرح "إسنارد" Isnard⁽⁵⁾ أحد كبار زعماء الجيرونديين في الجمعية التشريعية: "ولنقلها كلمة

1 - Marc Bouloiseau, op. cit ; p.292

2- شكري، المرجع السابق، ج 01 ص.330

3 - Marc Bouloiseau, op.cit ; p.292

4 - Idem

5- ماكسيمين إيسنارد (1758 - 1825)، وهو تاجر عطور في دراغوينان قبل إنشاء مصنع للحبر والصابون. كان سياسياً فرنسياً على وجه الخصوص نائباً عن فار في الجمعية التشريعية، ثم المؤتمر الوطني. في عام 1793، صوت لإعدام الملك. للمزيد ينظر

صريحة وموجهة لأوروبا بأسرها إذا سعت الوزارات (الحكومات) لتجعل الملوك يخوضون غمار الحرب ضد الشعوب، فسوف نسعى نحن كذلك لنجعل الشعوب تخوض حربا لا تعرف رحمة ولا شفقة ضد الطغاة الذين يحكمونهم، وعندئذ تتعانق الشعوب اغتباطا بما ظفرت به على مرأة ومسمع من أولئك الطغاة الذين استلت عروشهم، فتهدأ الأرض وتسعد، وتبارك السماء ما حدث"(1).

أكد دستور 1791 مبادئهم السلمية، فتضمن "الفصل السادس" من هذا الدستور، استنكارا تاما للحرب التوسعية، وتعهدا صريحا من جانب الأمة الفرنسية بعدم الدخول في أية حروب غرضها الفتح، أو استخدام القوة ضد حريات الشعوب، فقد وجدوا في اعتبارهم أن الحرب لم تكن موجهة ضد الشعوب، بل ضد الملوك فقط، وسيلة ذكية ومسوغا يفرقون بفضله بين المبادئ السلمية التي نادوا بها وبين الحرب التي أعلنوها نهائيا على النمسا في 20 أبريل 1792م(2).

وعلى عهد المؤتمر الوطني، اعتمد الثوار على نفس التوجه الداعي لدعم نشر مبادئ الثورة في كل أرجاء أوروبا. ومما كان أن استصدر المؤتمر الوطني قرارا في 19 نوفمبر 1792م وفيه جاء إعلان مد يد المساعدة لجميع الشعوب التي تريد استرجاع حرياتها المسلوبة، وأعطيت الأوامر لقادة الجيوش لنجدة هذه الشعوب(3).

Jean Tulard, Jean-François Fayard et Alfred Fierro, Histoire et dictionnaire de la Révolution française : 1789-1799, Paris, Robert Laffont, coll. « Bouquins », 1987, p. 892-893

1 -idem

2-Alphonse AULARD, Histoire politique de la Révolution française. Origines et développement de la démocratie et de la République, 1789-1804, Paris, A. Colin, 1901.

3 -Jean-Paul BERTAUD, Initiation à la Révolution française (1789-1799), Paris, Perrin, 1989.

إن المتأمل فيما اتخذته المؤتمر الوطني من قرارات قد رفع من مستوى السياسة العدائية (الفرنسية) ضد ملوك وعروش أوروبا. فقد انتقلت دعوات الثورة من أسلوب الدعاية السلبية لنشر المبادئ التحررية والقومية إلى توجيه الدعوة الصريحة للشعوب حتى تقوم بالثورة لتظفر بنجدة هذه الشعوب وتقديم المساعدة في سعيها للتحرر⁽¹⁾.

ولكن ظلت معضلة سياسة الثورة وتوجهاتها الجديدة في مقارنة أخرى تتناول سيطرة أمة على أمة أخرى واعتبارها تدخلا في شؤونها الداخلية، وعليه واستكمالا لسياسة الثورة الجديدة، أصدر المؤتمر الوطني في 13 أبريل 1793م قرارا أعلن فيه: "أن الجمهورية لن تتدخل بحال من الأحوال في شؤون حكومات الدول الأخرى"⁽²⁾.

كما تم استصدار مجموعة من "كارنو" باسم اللجنة السياسية يوضح فيها موقف فرنسا الثورة من دعوات الشعوب الساعية لتحقيق حريتها وتتنفص لقوميتها استنادا لحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، ومما جاء من تلك القرارات: "لا تنبغي الموافقة على انضمام أية أقاليم إلى فرنسا إلا إذا طلبت الشعوب ذلك، وليس لشعب منها الحق إطلاقا في أن يخضع شعبا آخر لقوانين مشتركة من غير موافقته الصريحة على ذلك"⁽³⁾.

وكان من ذلك أن انضمت سافوي بعد استفتاء شعبها (21 أكتوبر 1792م)، وفي اليوم نفسه حصل استفتاء في مالمدي أدى إلى هذه النتيجة، وقررت "لييج" Liege في استفتاء عام في 16 يناير

1 - Marcel GAUCHET, La Révolution des Droits de l'homme, Paris, Gallimard, 1989. انظر أيضا: Pierre LEVEQUE, Histoire des forces politiques en France, 1789-1880, Paris, A. Colin, 1992.

2 - Daniel BOURMAUD, Marcel MORABITO, Histoire constitutionnelle et politique de la France (1789-1815), Paris, Monchrestien, 1996

3 - Daniel BOURMAUD, op.cit,

1793م اتحادها مع فرنسا، وقررت بلجيكا مصيرها بالاتحاد مع فرنسا بطريق الاستفتاء كذلك في شهر ماي من السنة نفسها⁽¹⁾. كما تم استفتاء بعض المقاطعات الراينية في 21 مارس 1793م للاتحاد مع فرنسا.

لقد تمكنت الثورة من أن تضع مذهبا جديدا، تواجه به أوروبا ففي الوقت الذي سعت فيه فرنسا الثورة تضيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ودعوتها صراحة للانتفاضة على رموز الاستبداد وتحقيق أهدافها القومية، سارت في الجهة المعاكسة لهذا التحول بعض ملوك أوروبا وعروشها، حدث هذا مع بولندا عندما قامت تلك الحكومات على تقسيمها، ودون أن يكون لها صوت في تقرير مصيرها، في سنة 1793م بين بروسيا والنمسا، ثم سنة 1795م بين بروسيا والنمسا وروسيا، وأنخوا وجودها سياسيا⁽²⁾.

أبرزت أحداث الثورة الفرنسية تحولا مهما في مبادئ المذهب القومي، من خلال بروز نظريات رسمت ملامح سياسة فرنسا الخارجية، والعلاقات البينية مع دول وعروش أوروبا.

مثلت نظرية حقوق الشعوب في الحقيقة حركة إحياء وبعث لتلك التقاليد السياسية التي جرى العمل بها في النظام القديم نفسه وهي حملة صليبية جديدة تحت شعار حقوق الشعوب الجديدة⁽³⁾.

1-Robert CHAGNY, Révolution française. Idéaux, singularités, influences, Actes des journées d'études de Vizille (2001), Grenoble, Presses Universitaires de Grenoble, 2002.

2 -Jerzy Michalski ,Monika Senkowska-Gluck ,L'historiographie polonaise de la Révolution française et de l'époque napoléonienne ,Annales historiques de la Révolution française Année 1981 246 pp. 608-615

3-Robert CHAGNY, Révolution française. Idéaux, singularités, influences, Actes des journées d'études de Vizille (2001), Grenoble, Presses Universitaires de Grenoble, 2002.

لم تقتصر نظرة الفرنسيين لواقع الحال الأوروبي على نظرية حقوق الشعوب خاصة بعد أن صادف أصحابها مسائل عملية وحقائق واقعية كان لابد من معالجتها ومواجهتها، مثل الترتيبات الإدارية اللازمة لحكومة الأراضي التي احتلها جنود الثورة وشؤون التموين والامتياز، ولهذا سنشهد سنة 1794م تطور لافت في فلسفة قادة الثورة من خلال تبني نظرية الوصول إلى الحدود الطبيعية لفرنسا⁽¹⁾.

ولا شك أن هذا التحول كان له الأثر الكبير على تطور أفكار ومبادئ الفكر القومي في أوروبا، اعتمدت هذه النظرية على أفكار الفلاسفة والمؤرخين الفرنسيين.

لقد نظر المؤرخون الفرنسيون أن المرجعية التاريخية للدولة الفرنسية هي بلاد غالة القديمة، هذا ما يدفع إلى ضرورة استعادة هذه الأراضي الفرنسية (شرعية تاريخية) إلى الصورة التي كانت عليها خلال العهد الروماني القديم، وحدودها نهر الراين⁽²⁾.

وقد أعلن دانتون Danton⁽³⁾ في 31 يناير 1793م في المؤتمر الوطني ما قوله: "إن الطبيعة قد عينت حدود الجمهورية، وسوف نصل إلى هذه الحدود في جهاتها الأربع ببلوغ المحيط الأطلسي، وشواطئ الراين، وجبال الألب، وجبال البرانس".

1-Lynn HUNT, Politics, Culture, and Class in the French Revolution, Berkeley (USA), University of California Press, 1984,

2 -Matthew. S. ANDERSON, The Rise of Modern Diplomacy, 1450-1919, London/New York, 1993.

3- جورج دانتون: (1759م - 1794م) زعيم ثوري فرنسي، محامي وخطيب بارع من زعماء الثورة الفرنسية أهمله أبواه، أصبح من ألمع محامي باريس، كان زعيم حركة اليقظة المتطرفة في الجمعية الوطنية الفرنسية، لعب دوراً مهماً في سقوط الملكية في فرنسا سنة 1792م . كان حملاته على الزعماء المناهضين للثورة الفرنسية من أسباب فراره إلى إنكلترا، غير إنه ما لبث أن عاد إلى باريس ؛ ليصبح وزيراً للعدل في الحكومة الموقته . وعلى الرغم من إنه لم يكن مسؤولاً مباشراً عن الكثير من الفظائع التي ارتكبت في الثورة الفرنسية، فقد كان مشتركاً مع الذين كانوا مسؤولين عن ذلك . واقتُرع على اعدام الملك لويس السادس عشر . كان دانتون رئيساً

لاقت نظرية الحدود الطبيعية رواجاً وانتشاراً وتداولاً كبيراً في مراسلات الحكام الفرنسيين والسياسيين، حتى أن دانتون ردد ما قوله: "لن تستطيع قوة بشرية أن تمنعنا من الوصول إلى هذه الحدود الطبيعية"⁽¹⁾.

لقد كانت روح نظرية الحدود الطبيعية شيئاً مغايراً لنظرية حقوق الشعوب، ولعل ما يبرز ذلك ما كان من خطابات الساسة الفرنسيين بعد نهاية روبسبير ومنهم: خطاب تاليان⁽²⁾ Tallien في 07 أكتوبر 1794م حول الحدود الطبيعية، وخطاب دوهيم⁽³⁾ Duhem في 03 نوفمبر 1794م بعنوان "آراء في موضوع السلام" وربط فيه قضية الأمن والسلام في القارة باستعادة الحقوق المشروعة (الإقليمية) لفرنسا، وخطاب آخر تقدم به إيشاسيريو⁽⁴⁾ Eschassériaux في 09 نوفمبر 1794م بعنوان "حقوق الشعب".

للجنة الأمن والسلامة العامة لمدة من الزمن، وعمل محاكم الثورة، اختلف مع روبسبير على كثرة الإعدام والعنف المبالغ فيه، واستقال من اللجنة بعد إعادة تنظيمها، فكلفه ذلك حياته

Scott Lytle, « Robespierre, Danton, and the Levée en masse », The Journal of Modern History, vol. 30, no 4, décembre 1958, p. 325

1 -Jean-François Robinet, Danton homme d'État, Paris, 1889.

2- جان لامبرت تالين، (1767 - 1820)، هو صحفي سياسي فرنسي ذو نزعة ثورية

Albert Soboul, Dictionnaire historique de la Révolution française, Paris, PUF, 2005.

3- كان بيير جوزيف دوهيم (1758-1807) طبيباً وسياسياً فرنسياً

Albert Soboul, Dictionnaire historique de la Révolution française, Paris, PUF, 2005

4- إيشاسيريو (1753 - 1824)، هو رجل سياسي فرنسي، في 5 سبتمبر 1792 أعيد انتخابه في المؤتمر الوطني، في (31 يوليو 1794)، تم انتخابه في لجنة الإنقاذ العام ليحل محل الروبسييرين، بدعم ملحوظ من صديقه الارستقراطي Barère .

لم تتوقف فرنسا الثورة عند هذه النظريتين، بل ستشهد ميلاد وتطور آخر بنظرية تأمين البلاد والمحافظة على سلامتها. ولعل الفضل في تحديد هذه النظرية يعود إلى كمباسيرس حين خطب في المؤتمر الوطني يوم 05 مارس 1795م مصرحا بقوله: "إن الواجب يقتضي إعادة بناء أوروبا على قواعد العدالة، وليس اغتصاب حقوق الشعب أو الاعتداء عليها"⁽¹⁾.

ولقد لخص دييوا-جرانسيه Dubois-Crancé⁽²⁾ رؤية فرنسا الثورة لهذه النظريات وجمعها في قاعدة واحدة في خطاب (05 مارس 1795م) للمؤتمر الوطني "الطبيعة ورغبات الشعوب وصالح الجمهورية، تحتم جميعها أن تبقى هذه البلاد، ويقصد الأقاليم الراينية التي انضمت حديثا لفرنسا -دائما وإلى الأبد أقطارا تسود الحرية في ربوعها"⁽³⁾.

وواضح أن وقع انحراف خطير في الفلسفة والأهداف والمبادئ التي اعتمدتها الثورة ونادت بها من خلال تطبيقها للاستفتاءات التي جرت في سافوي، وبلجيكا ولييج بين أكتوبر 1792م ومارس 1793م، وما أصبح متداولاً بين هرلان دي دوويه وزملائه⁽⁴⁾.

Albert Soboul, op. cit, p. 189.

1 -Paul W. SCHROEDER, The Transformation of European Politics, 1763-1848, Oxford, 1994.

2- إدموند لويس ألكسيس دوبوا هو سياسي فرنسي، قائدا لميليشيات الثورة الفرنسية، ولد في شارل فيل في 14 أكتوبر 1747 وتوفي في ريثيل في 28 يونيو 1814. و رغم ما قدمه من خدمات للثورة الا انه دخل في صراع مع روبسبير وكوتون وطرده من نادي اليعاقبة، و تم محاكمته امام الجمعية الوطنية. انظر حول صراعات اليعاقبة وفترة سيطرتهم على احداث الثورة في:

Sergio Luzzatto, Mémoire de la Terreur, Presses Universitaires, Lyon, 1991, p. 59

3 -Sergio Luzzatto, op. cit, p. 61

4 -Albert SOREL, L'Europe et la Révolution française, Paris, 1885-1904, vol. 3, pp. 298-299

يتضح ذلك من خلال ما جرى في مفاوضات الصلح بين بروسيا وفرنسا في "بال" أبريل 1795م، حيث جاء في الرسالة المرسلة إلى المفاوضين الفرنسيين:

"لقد آن الأوان لتحرير ألمانيا وتخليصها من وطأة الاستبداد النمساوي الشديد، وإنهاء عهد هذه الأسرة النمساوية التي بقيت أطماعها قرونا عديدة ميعت الكوارث التي نزلت بأوربا، فلا يعود هذا البيت النمساوي يعكر صفو السلام، وتنعم أوربا حينئذ بالهدوء والراحة"⁽¹⁾.

لقد عملت فرنسا الثورة على حشد مبدأ القوميات وتحرر الشعوب من أجل النفع الذاتي، وتحقيق المصلحة الشخصية للدولة. وكان الهدف من هذه السياسة الواقعية إلى حد ما هو تأمين موارد مالية جديدة للمناطق المنظمة حديثاً، وإلى تأمين فرنسا ذاتها والمحافظة على سلامة أراضيها وذلك بإنشاء حلقة حولها مما كان يعرف سابقاً باسم "الطرق العسكرية Boulevards Militaires" والذي أصبح سلسلة من الجمهوريات الشقيقة Les Républiques sœurs والتي أقامتها فرنسا وراء حدودها، ومن ذلك⁽²⁾: فقد جعلت من أسقفية بال في سويسرة دولة علمانية باسم جمهورية روراشيا⁽³⁾ Rauracien Republic (1792م) وتم ضمها رسمياً عام 1793م، ويتم المصادقة على هذا الانضمام سنة 1798م.

1 – Stuart WOOLF, Napoléon et la conquête de l'Europe, Paris, Flammarion, 1990.pp.132-133

2 – Michel VOVELLE, Les Républiques sœurs sous le regard de la Grande Nation, 1795-1803, Paris, L'Harmattan, 2000.pp.75-76

3- كانت منطقة احتلال فرنسي لم تدم طويلاً وتضمنت أجزاءً من سويسرا الحديثة حول جبال الجورا. تم إنشاؤه من الجزء الشمالي من أسقفية إمارة بازل، والتي كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية المقدسة. تم الإعلان عنها في 17 ديسمبر 1792 وتم السيطرة عليها من فرنسا في 23 مارس 1793. بعد 22 عامًا، في عام 1815، قسمت بازل وبرن أراضي الجمهورية السابقة بينهما. اسم الجمهورية مأخوذ من الاسم اللاتيني لقبيلة سلتيك قديمة، Raurici، الذين استقروا في الجزء الجنوبي من أعالي الراين. كانت عائلة روريسي مرتبطة بهيلفيتي، والتي تم منح اسمها لاحقاً لدولة فرنسية موالية أخرى، جمهورية هيلفيتيك. Peter et Nicholas ONUF, Federal Union, Modern World. The Law of Nations in an Age of Revolution 1776-1814, New York, 1993.

في إيطاليا تأسست جمهورية "شمال نهر البو Trans Padane"⁽¹⁾، وجمهورية "جنوب نهر البو Cisa Rpine"، وفي سنة 1797م تأسست من مدينة جنوة جمهورية ليجوريا Ligurienne، وفي سنة 1795م تأسست الجمهورية البتافية Batave التي قامت على أنقاض مملكة هولندا.

وفي فبراير 1798م تألفت الجمهورية الرومانية Romaine من بقايا الأملاك البابوية، وفي يوليو 1799م حلت جمهورية بارثينوبيا Parthénopéene محل مملكة نابولي في إيطاليا⁽²⁾.

لا ريب أن السياسة التي سارت عليها حكومة الإدارة كانت بعيدة كل البعد عن تلك السياسة المثالية التي استرشدت بالمبادئ التي أعلنتها الجمعية الوطنية التأسيسية أو الجمعية التشريعية أو سار عليها المؤتمر الوطني في أول عهده⁽³⁾.

لقد وضعت معاهدة كمبوفرميو في 17 أكتوبر 1797م التنظيمات المرافقة لسياسة حكومة الإدارة، لتعزيز السيطرة الفرنسية وتأمين حدودها، والمحافظة على سلامتها في كل الأملاك التي استولت عليها في ألمانيا وإيطاليا والجمهوريات الشقيقة، والتي كانت محافظة على طراز الحكومة الفرنسية⁽⁴⁾.

لقد بدا واضحا أن سياسة حكومة الإدارة (فرنسا الثورة) قد تحولت من سياسة تسترشد في أهدافها بمبادئ مثالية صريحة إلى سياسة واقعية نفعية بحتة. لقد أصبح متعذرا أن تبقى الحرية أو القومية

1- جمهورية ترانسبادان (بادوس، بو) هي "جمهورية شقيقة" للجمهورية الفرنسية، أعلنها الجنرال بونابرت في 15 نوفمبر 1796 في ميلانو. يتوافق إقليمها مع دوقية ميلان السابقة (لومبارديا). في 27 يونيو 1797، اتحدت جمهوريتا سيسبادان وترانسبادان في جمهورية سيسالبان. Michel VOVELLE, Les Républiques sœurs , op.cit.pp.81-82.

2 -Michel VOVELLE, Les Républiques sœurs , op.cit.pp.86

3 -Monique CUBELLS (dir.), La Révolution française : la guerre et la frontière, Paris, CTHS, 2000.pp.97-99

4 -idem

فكرة نقدية أو مذهبا خالصا من الشوائب⁽¹⁾.

لقد بات واضحا أن المذهب القومي أصبح ستارا يحجب وراءه طائفة من العواطف القائمة على الغزيرة والرغبات التي لا تمت بأية صلة إلى المبادئ المثالية والحرية، بل قد يصبح المذهب القومي عند يقظة الشعور بالقومية وشعور الأمم بذاتيتها وكيانها الخاص بكل واحدة منها، مجرد رغبة في التوسع والاستئثار بفتوحات جديدة، فتتخذ هذه الرغبة التوسعية من مبدأ القومية ستارا يخفي عن الأنظار حقيقتها⁽²⁾.

لقد وجدت الثورة في المذهب القومي أداة فعالة لإدخال تغيير ظاهر على قواعد القانون العام في أوروبا من جهة، وعلى السياسة الدولية السابقة من جهة أخرى.

والملاحظ أن المذهب القومي لم يكن على نفس درجة التأثير في كل أوروبا، فدول الجوار لفرنسا تأثرت بشكل مباشر بمبادئ الثورة، بل أصبحت أيضا ميدان لحروب الثورة كأقاليم ألمانيا على نهر الراين، وإيطاليا وسويسرا، في الوقت الذي شهدت فيه أقاليم أوروبية أخرى تأثرا متفاوتا، فقبلته بعض الشعوب وحاربتة أخرى، كهنغاريا وإسبانيا، البرتغال، إنجلترا، بولندا، روسيا، وإيرلندا.

المبحث الثاني : تفاعل الأقاليم الأوروبية مع أفكار الثورة الفرنسية:

سأحاول من خلال الأسطر القادمة، رسم صورة بعض الأقاليم وتفاعلها مع مبادئ الثورة، وبالتحديد ما ارتبط بنظرية الحقوق الطبيعية للبشر.

1 - Jean-Paul BERTAUD, La Révolution armée, Paris, Laffond, 1979.

2- شكري، المرجع السابق، ج 01 ص.333

1- الأقاليم الألمانية:

اقتصر الحديث هنا للإشارة إلى أن ألمانيا كتعبير جغرافي أكثر منه تعبير عن وحدة سياسية، كانت بيئة مهياة وحاضنة لأفكار ومبادئ الثورة الفرنسية والمبادئ القومية، يعود ذلك أساسا إلى الحياة الفكرية المتفتحة التي عرفتتها خلال فترات التأثير الاولى، وسمح ذلك بمناقشة هذه الآراء وتبنيها، بالإضافة إلى ما كان من انضمام أقاليم ألمانيا كثيرة على الراين للأراضي الفرنسية، كل ذلك ساهم في التأثير على المعطى القومي في الأقاليم الألمانية⁽¹⁾، كما لا بد من الإشارة ان ألمانيا شهدت فضاءات للنقاشات الفكرية سواء في الجامعات او في بعض الصالونات الخاصة، تناولت المسائل والأفكار التي جاءت بها الثورة الفرنسية، والاخذ منها ما يتناسب مع البيئة الألمانية، وقد كان لهذه الحوارات فضل كبير في تسريع الوعي القومي الألماني، خاصة مع ظهور العديد من المفكرين الالمان والفلاسفة.

02- الولايات الإيطالية والثورة الفرنسية:

عرفت إيطاليا في أواخر القرن الثامن عشر إشعاعا ثقافيا وفنيا كبيرين، وسيطرة على نواحي الحياة فيها روح أرستقراطية، رغم ما كانت تشهده من انقسام إلى عدد من الدويلات الصغيرة، والإمارات ذات التوجهات والملامح السياسية المختلفة، إلا أن طابعا خفيا جمع بينها هو وجود اتساق فكري وذهني، كان لوجود الكنيسة (البابوية) وانتشار المدارس والأكاديمية دورا في العناية به⁽²⁾.

1 -Matthias Middell, **La Révolution française et l'Allemagne : du paradigme comparatiste à la recherche des transferts culturels**, Annales historiques de la Révolution française, 317, juil-sept 1999 ,Numéro spécial : France-Allemagne. Interactions, références, p. 427-454

2 -Francesco Buscemi, **Révolution /révolutions: l'Italie et la mémoire de 1789** ,la révolution française, cahiers de l'institut d'histoire de la révolution française,4 | 2013.pp.66-67

وقد عرفت إيطاليا خلال هذه القرون حالة من الاستقرار والهدوء، ساهم في تثبيتها توفر ثروة مالية هائلة، يعود إلى قوة زراعتها وكثرة محاصيلها وإلى نشاط تجاري كثيف وحيوي، استطاعت أن تشهد تراكم لرؤوس الأموال.

كما شهدت إيطاليا تقدما فكريا هائلا، ومن الأسماء التي سطعت: دي فولتا VOLTA في الطب، موراتوري في التاريخ، الجاروتي⁽¹⁾ Algarotti في تاريخ الأدب والنقد الأدبي، كما لمع نجم بيكاريا Beccaria⁽²⁾ وهو أعظم المهتمين بالقانون والاقتصاد السياسي، ساهم ذلك في إعادة بعث أو ظهور حركة إصلاحية مست المنظومة القانونية لبعض الإمارات الإيطالية على غرار ما قام به ليوبولد غراندوق تسكانيا وإصداره قوانين ليوبولد، واعتبرت آنذاك أهم القوانين تقدما في أوروبا من الناحية التشريعية وروحها الاجتماعية⁽³⁾.

كما عرفت من الناحية الأدبية وجماليات النصوص تقدما كبيرا على يد جولدوني Goldoni من

1- ولد فرانچيسكو ألغاروتي عام 1712 في البندقية 1. درس في جامعة لا سابينزا في روما وفي جامعة بولونيا. في سن العشرين، ذهب إلى باريس حيث أصبح صديقا لفولتير، نشر، في نابولي عام 1737، كتابا يروج لبصريات السير إسحاق نيوتن، Neutoniano per le dame، والذي حقق نجاحا كبيرا في أوروبا. يمثل هذا الكتاب بداية الأدب الشعبي المخصص للمرأة. ثم غادر إلى بروسيا حيث التقى بفريدريك العظيم، وجعله كونت بروسيا في عام 1740 وأمين البلاط في عام 1747. وعاد إلى إيطاليا واستقر لأول مرة في مسقط رأسه، البندقية، ثم إلى بيزا، حيث مات. أقام فريدريك العظيم نصبًا تذكاريًا في ذاكرته في كامبو سانتو في بيزا. Dictionnaire de la Littérature italienne, Encyclopaedia Universalis, 2015،

2- سيزار بيكاريا بونيسانو 1738 - 1794 رجل قانون إيطالي، مجرم، فيلسوف، اقتصادي ورجل أدبي مرتبط بعصر التنوير. انظر :

Julien Damon, 100 penseurs de la société : Cesare Beccaria. La certitude, de la peine, (2016), pp. 31 - 32

3- Julien Damon, op.cit.p.32

خلال "هزلياته" و"مآسي" ألفييري Alfieri⁽¹⁾.

ما ميز هذه الحركة الأدبية والفنية النشيطة أنها تميزت بوحدة روحية وذهنية وثقافة إيطالية، فاعتبر ألفييري نفسه إيطاليا وليس بيدمونتيا، وعبر أغلب هؤلاء المثقفين والمفكرين عن اعتناقهم لفكرة الحرية التي صاغها الفلاسفة الفرنسيون، لقد كانت إيطاليا تحت التأثير المباشر للثورة الفرنسية، فقد تم غزوها على مرحلتين، الأولى بين سنتي 1796م-1797م، والثانية بين 1800م-1801م⁽²⁾.

أسفر الغزو الأول عن تدمير دوقية ميلان، وجمهورية البندقية، وجمهورية جنوة، وتعرضت أملاك البابا إلى الاعتداء، ليتوسع الغزو إلى المناطق الوسطى والجنوبية، فأنشأ الفرنسيون في 15 فبراير 1798م في روما ما يعرف بالجمهورية الرومانية، كما تم احتلال بيدمونت وجعلوا منها نقطة مراقبة وقاعدة لتوسع نفوذهم⁽³⁾.

الغزو الثاني وقع سنة 1800م، واستطاع نابليون أن يحقق مكاسب كبيرة في دحره للنمساويين في إيطاليا خاصة بعد موقعة مارنغو في 14 جوان 1800م، ولعل مما تحقق لفرنسا بعد ذلك احتلال بيدمونت، وتوسعت أراضيها إلى ما وراء الألب حتى بلغت حدود نهر الأديج⁽⁴⁾.

فرضت الحماية على جمهورية "ليجوريا"، وبعد تأسيس مملكة "إتروريا" Etrurie تم تعيين دوق

1 -Dictionnaire de la Littérature italienne, Encyclopaedia Universalis, 2015

2 -Jean-Paul BERTAUD, Guerre et société en France : De Louis XIV à Napoléon Ier, Paris, Armand Colin, 1998.pp.212-213

3 -Antonino de Francesco, La Révolution française hors de France: quelques perspectives de recherche sur l'historiographie italienne entre XIXe et XXe siècle ،Annales historiques de la Révolution française, Année 2003,N°334 ,pp. 105-118

4 -De Francesco ,op.cit.pp.112-113

"بارما" عليها وكان خاضعا لنابليون، كما قبل ملك نابولي حامية فرنسية في تارنتو Tarento⁽¹⁾.

لقد أدى الغزو الفرنسي إلى تحطم التنظيم السياسي والإقليمي لإيطاليا ومعه إنهار البناء الاقتصادي والاجتماعي، هذا الغزو جر معه الحرب بسبب ما رافقه من تصرفات جنوده فنهبوا الثروات، وفرضت الغرامات الحربية على المدن، والمقاطعات الإيطالية، بل واستطاع الغزاة أن يبعثوا من حصيلتها الإمدادات المالية إلى خزينة حكومة الإدارة⁽²⁾.

كما استولى الفرنسيون على الكثير من الأموال المودعة لدى بنوك ومصارف إيطالية وهذا ما يعني تجريد الطبقة الإيطالية الغنية من أموالها وثرواتها، ومنه اختفاء أشكال التقدم والتنظيم السياسي والاقتصادي الذي عرفته إيطاليا دون أن تقدم الثورة الفرنسية البديل أو تعوض هذا النظام المنهار، فكان من تأثيرات الثورة الفرنسية على إيطاليا بداية التفكير في بناء نظام بروح جديدة.

03- المقاطعات السويسرية والثورة الفرنسية:

كانت سويسرا بحكم جوارها الجغرافي لفرنسا أكثر المناطق تأثرا بأفكار وتطورات الثورة الفرنسية، ويتضح هذا التأثير في وجهين:

- انتشار رغبة جامحة للظفر بالحقوق الديمقراطية.
- قيام اللاجئين السويسريين في الخارج، بحملة تدعو فرنسا إلى التدخل في شؤون سويسرا، وعاطفة قوية للعودة إلى الوطن، سواء بتدخل سياسي والضغط على الكونفدرالية السويسرية أو حتى

1 -Jean-Paul BERTAUD, The French Revolutionary Wars, 1787-1802, Londres, 1996.pp.98-99

2 -BERTAUD,op.cit.pp.102-104

بالتدخل العسكري إن استلزم ذلك⁽¹⁾.

وقد وجد السويسريون المهاجرون في شخص "روبل" الفرنسي الدعم والتأييد. وقد رأت فرنسا في تأييد المهاجرين السويسريين، والتدخل في سويسرا، فرصة لكسر شوكة التي تجمعت في سويسرا، وجعلت منها مقرا لنشاطاتهم ضد الثورة، مع علم أن فرنسا ظلت تتهم إنجلترا بالوقوف وراء تمويل هذه النشاطات⁽²⁾.

في عام 1798م قررت الحكومة الفرنسية التدخل نهائيا في شؤون سويسرا، وأقرت العمل على ما هدف إليه اللاجئون السويسريون، وأنجزت دستورا يكفل تحقيق الوحدة القومية.

وبموجب هذا الدستور، أصبحت سويسرا قد تحررت كل الكانتونات عن غيرها، وصار الاتحاد الفدرالي يتألف من كل الولايات جميعها في دولة واحدة، وصار لهذه الدولة الاتحادية حكومة مديرين من نمط حكومة الإدارة في فرنسا، وكان المرجع في ذلك أن تتألف من ممثلي الشعب المنتخبين في السلطات التشريعية والتنفيذية⁽³⁾.

وقد استخدمت حكومة الإدارة الفرنسية قواتها العسكرية لإخضاع بقية الولايات وإرغامها على الانضمام إلى الاتحاد الكونفدرالي، مثل تسيير حملة ضد ولاية "برن Bern" واعترافها بقبول الدستور في

1 -Jean-Jacques Bouquet, Histoire de la Suisse, Paris, PUF, coll. « Que sais-je ? », 2005,p.

2 -Cubells, op .cit, p.56

3 -Hervé Leuwers, « Révolution et guerre de conquête : Les origines d'une nouvelle raison d'État (1789-1795) », Revue du Nord, vol. LXXXV, n° 299, 1993, p. 21-40.

06 مارس 1798م، وتسيير حملة ضد الكنتونات الجبلية، أونترفالدن Unterwalden، أوري Uri، وشويتز Shwyz⁽¹⁾.

وهكذا يمكن القول أن الثورة الفرنسية كان لها الفضل في إنشاء جمهورية سويسرية في دولة واحدة تضم في حدودها كل الولايات (أو الكانتونات)، على أن هذه الوحدة السياسية لا تعني أبدا اكتمال الشعور القومي لدى مختلف الفئات المشكلة للمجتمع، بل بداية لتبلوره تدريجيا وعبر فترة زمنية طويلة.

المبحث الثالث: آثار الثورة خارج مجال الجوار الفرنسي:

إذا كان آثار الثورة واضحة وسهلة التتبع في المناطق الخاضعة مباشرة للتأثير الفرنسي بحكم الجوار الجغرافي والتفاعل الثقافي والفكري، فإن المناطق البعيدة عن الحدود الفرنسية عرفت تأثرا وإن كان غير مباشر، فقد حصل التأثير بطريق احتكاك الآراء والأفكار⁽²⁾.

وقد اختلفت ردود الفعل اتجاه هذا التأثير الفرنسي، ففي الوقت الذي واجهته الحكومات واعتبرته خطرا داهما، على اعتبار أن حكومة الثورة عملت على تشجيع الحركات المناهضة للأنظمة القائمة وحركات المقاومة، وقد كان لذلك تأثير عكسي للثورة وآراءها⁽³⁾، فقد تحججت هذه الحكومات بهذا التأييد بقمع هذه الحركات، وتوطيد الحكم المطلق بها.

1 -LEUWERS, op.cit. pp.

2 -Jean-René AYMES (dir.), Les Révolutions dans le monde ibérique, 1766-1834, Bordeaux, Presses Universitaires, 1989.

3 -Timothy W. BLANNING, P. WENDE, Reform in Great Britain and Germany, 1750-1850, Oxford, University Press, 1999 .

01- الأقاليم الهنغارية (المجرية):

رغم البعد الجغرافي والاختلاف الثقافي والانتماء العرقي فان اثار الثورة وافكارها لاقت رواجاً وانتشاراً كبيراً في هذه الإقليم الاوربية الشرقية، وأمام استشعارها بحالة خوف من انتشار أفكار الثورة الفرنسية خاصة في الدعوة إلى تصورات قومية لهنجاريا، لجأت الحكومة المجرية إلى عمليات ردع وحملات تفتيش، ومن ذلك⁽¹⁾:

- تجريد دعوة مجلس "الديات" إلى الاجتماع وهو الذي يمثل التمثيل الشعبي في النظام السياسي المجري.

- تشديد الرقابة وإجراءات حركة الأفراد والهدف هو الحد من نشاط القوميين والوطنيين⁽²⁾.
وقد زادت هذه الإجراءات وطأة بعدما اكتشف الحكومة خيوط مؤامرة سرية 1795م هدفها إنشاء جمهورية تضم العديد من أقطار الإمبراطورية النمساوية، وقد شنت الحكومة حملة اعتقالات واسعة في صفوف الوطنيين والطلبة والأساتذة، من أمثال: مارتينوفيتش Martinovitch، وقد أدى ذلك إلى نتائج وخيمة على الحركة القومية في هنغاريا، فقد تعطلت تماماً إلى غاية 1815م، وما بعدها⁽³⁾.

02- الأقاليم البولندية بين الحكم الرجعي والتأثير الثوري الفرنسي:

ساهمت أفكار الثورة الفرنسية في بعث حركة قومية داخلية ضد الوجود الروسي في بولندا، وقد

1 -Béla Kopeczi , **La Révolution française et la Hongrie** ,Annales historiques de la Révolution française, Année 1973 , pp. 161-164

2 -Kopeczi,op.cit. ;pp.164-165

3 -Charles Kecskeméti, Sándor Csernus (préface), La Hongrie des Habsbourg, Presses universitaires de Rennes, Rennes, 2010, tome 2, De 1790 à 1914, p.122.

اعتمدت هذه الحركة في تشكيلتها على:

- الطبقة المثقفة من أبناء الأرستقراطيين والذين تلقوا علومهم في المدارس التي أنشأتها لجنة التربية والتعليم الوطنية منذ 1774م.
 - الطبقة البرجوازية خاصة في وارسو.
 - الأساتذة المثقفين والذين عرفوا باسم الأكاديميين خاصة من جامعتي كراكاو وفيلنا⁽¹⁾.
- لقد عمل هؤلاء الأساتذة على نشر بحوثهم يدعمون من خلالها آراء الفلاسفة الفرنسيين، كما نقل البعض كتابات الفرنسيين، بل عمل آخرون على الاتصال بقيادة الثورة الفرنسية للاطلاع على خطط التغيير وكيف يمكن الاستفادة من خبرتهم لإنجاح الثورة في بولندا نفسها⁽²⁾.
- كانت أفكار وأخبار الثورة الفرنسية محل اهتمام البولنديين، خاصة نخبة من الطبقة الوسطى (البرجوازية)، ولعل من أبرز من اهتم بنقل أخبار الثورة، ودعوة البولنديين إلى نبذ أسباب الفرقة (خاصة الفوارق الاجتماعية)، كان عمل الأب ستانيسلاس ستاتزيك⁽³⁾ Staszic والأب هيو كولونتاي⁽⁴⁾

1 -Norman Davies, Denise Meunier, Histoire de la Pologne, Fayard, 1986

2- شكري، المرجع السابق، ج 01 ص.350

3- Stanisław Wawrzyniec Staszic المولود في 6 نوفمبر 1755 وتوفي في 20 يناير 1826 في وارسو، هو رجل دين وعالم وكاتب ورجل دولة بولندي في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، كان متأثراً بأفكار عصر التنوير. وهو مستكشف ومؤلف أول خريطة جيولوجية لبولندا، كان مكتشف الفحم في بولونيا. قدم مساهمة ملحوظة في ديمقراطية التعليم العام وتطوير العلوم والصناعة البولندية. وهو أيضاً مؤسس أول تعاونية زراعية في أوربا. يعتبر أبو الوطنية البولندية.

4-Boguslaw Lesnodorski, **Les Jacobins Polonais (1794)**, Annales historiques de la Révolution française, 36e Année, No. 177, LA POLOGNE de l'époque des Lumières au duché de Varsovie (Juillet-Septembre 1964), Published By: Armand Colin, pp. 329-347

Kollontay، وقد جعل بيته "ندوة" للمفكرين التقدميين، وقد نادى بضرورة إصلاح الوضع العام وإلغاء الرق في المزارع، كان من نتائج هذه الحركة الأدبية والثقافية، أن تحركت مسيرة الإصلاح فقد تبنى مجلس "الديايط"⁽¹⁾ خلال سنوات 1789م-1791م مشروعاً إصلاحياً ونظرة سريعة على مضامين هذا البرنامج الإصلاحي، كفيل بأن يبين أثر الثورة الفرنسية بأفكارها في مضامينه، فقد ركز مشروع الإصلاح على مسألة تقوية الحكومة من خلال شرعيتها الشعبية، وإنهاء سيطرة الأرستقراطيين على حقهم في تعطيل عمل الحكومة من خلال استخدام حق الاعتراض التاريخي *Liberum Veto*⁽²⁾، وفتح الوظائف الإدارية أمام أبناء الطبقة البرجوازية، وتنشيط القضاء بأفراد من مختلف الطبقات الاجتماعية.

وقد نجح الملك بونيااتوسكي Poniatowski (1764م- 1795م) في تمرير مشروع الدستور، والذي أعلن عنه في 03 مايو 1791م، وجاء في مجمله مقاربا للدستور الذي أعلنته الجمعية الوطنية التأسيسية في فرنسا. وقد اعتبر ما حدث في بولندا شيء عجيب وعظيم⁽³⁾، أن يحدث هذا التغيير دون إسالة قطرة دم واحدة.

1- يتكون مجلس الدايت من الملك ومجلس الشيوخ ومجلس النواب، يتم انتخاب النواب من قبل النبلاء ؛ أعضاء مجلس الشيوخ إما من خلال حق مكتسب (حسب الوظيفة)، أو يتم تعيينهم من قبل الملك.

2- صيغة مشتقة من عبارة لاتينية تعني "أنا امنع بحرية"، كان أداة نقض برلمانية مستخدمة في النظام البرلماني لجمهورية الأمتين (مملكة بولندا ودوقية ليتوانيا الكبرى، توحدت بموجب معاهدة لوبلين في 1569)، بين 1651 و3 مايو 1791 (تاريخ أول دستور بولندي)، هذا الاستخدام، على أساس فكرة المساواة بين النبلاء البولنديين فيما بينهم، والتي استمدوا منها مبدأ الإجماع على التصويت. يعتبر المؤرخون أن استخدام حق النقض (فيتو) ليبروم هو السبب الرئيسي لانحلال الجهاز السياسي لجمهورية الدولتين وتفكك أوصاله في نهاية القرن الثامن عشر، خلال التقسيمات الثلاثة لبولندا (1772، 1793، 1795).

3- شكري، المرجع السابق، ج 01 ص.352

انزعجت روسيا لما حدث في بولندا، فتحرّكت بجدية لإيقافه، خاصة وقد أيدها الأرستقراطيين والمحافظون، وأعلنوا تحالفهم مع روسيا ضمن اتحاد عرف بحلف تارجوويتز Targowitz في مارس 1792م بشعار الدفاع عن حرية بولندا، وعدم المغامرة بنظامها واستقرارها والدعوة إلى نبذ هذا الدستور الجديد⁽¹⁾.

أمام هذا التهديد الروسي بالتدخل، حاول الوطنيون الاستنجاد بقوة خارجية، فكانت آمالهم في بروسيا، إلا أن البروسيين رفضوا التدخل إلا إذا قامت إنجلترا بعمل جريء في بحر البلطيق ضد روسيا، لكن إدارة أو حكومة بت Pitt⁽²⁾، رفضت التدخل مما أسفر عن انفراد روسيا ببولندا، وقد حدث أن غزت الجيوش الروسية بولندا في 19 ماي 1792م، وانهمز الوطنيون في وارسو، وفي 22 يوليو 1792م أعاد الروس العمل بالدستور القديم في بولندا⁽³⁾.

لقد كان لانهمز الوطنيون وأفول حركة الإصلاح الوطنية القومية والتي تزعمها البرجوازيون من الأدباء والأكاديميين والأساتذة وأهل الفكر أن تعرضت البلاد إلى عمليات تقسيم بين روسيا وبروسيا، فيما يعرف بالتقسيم الثاني لبولندا في 23 يناير 1793م وانخفض عدد سكان بولندا من 15 مليون

1 -The Cambridge History of Poland (1697-1935), Cambridge University Press, 1940,pp.315-317

2- كان ويليام بيت الأصغر (28 مايو 1759-23 يناير 1806) رجل دولة بريطاني في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. أصبح أصغر رئيس وزراء في بريطانيا عندما انتخب عام 1783 وهو صاحب 24 عامًا. ترك المنصب عام 1801 ولكنه أصبح رئيسًا لوزراء المملكة المتحدة مرة أخرى من عام 1804 حتى وفاته عام 1806. كما شغل منصب وزير الخزانة من عام 1782، يُدعى ويليام بيت الأصغر لتمييزه عن والده ويليام بيت الأكبر، الذي كان أيضًا رئيس وزراء بريطانيا العظمى. انظر Jacques Chastenot, William Pitt, Fayard, Paris, 1941

3 -Frédéric De Raumer, La Chute de la Pologne, 1837,p.108

نسمة إلى حدود 4 ملايين نسمة تقريبا، بعد أن تم اقتطاع مقاطعات وأراضي كثيرة منها لصالح روسيا (روسيا البيضاء والأوكرين)، وبروسيا (دانزج، تورن، بوزن Posen، وكاليش Kalish).

لقد تزايد الاحتقان الجماهيري في الأراضي البولندية، وبدأ الوطنيون يؤسسون الجمعيات السرية، حتى بلغوا من التحضير والاستعداد مبلغا مهما، واستنجدوا بفرنسا لكن انشغالها بأوضاعها الداخلية وحروبها الخارجية حال تلبية ندائهم⁽¹⁾.

وهنا حولوا عقاربهم نحو السويد، لكنها كانت لا تقوى على مواجهة روسيا وبروسيا، لكن الحليف الذي ربما كان يمكن أن يقدم المساعدة هي النمسا التي رفضت مضمون التقسيم الثاني لبولندا، وطالبت بتقسيم جديد تحقق من خلاله أطماعها السياسية والتوسعية⁽²⁾.

قرر الوطنيون إعلان الحرب على روسيا في بداية مارس 1794م، ودخل البروسيون الحرب بعد أن هادنوا الفرنسيين، وقد تمكنوا من إلحاق الهزائم بالوطنيين، مما أسفر على بداية التفاوض بين روسيا والنمسا على تقسيم جديد لبولندا وإنهاء ما عرف أديبات العلاقات الأوروبية بالمسألة البولندية.

إن المتصفح لحركة المقاومة في بولندا سيلحظ أن هذه الحركة اتصفت ببعدها القومي، فقد غرس الوطنيون أفكارهم الداعية لطرد الأجنبي، وتم إنشاء نشيدا وطنيا على نمط نشيد "المارسيليز" الفرنسي

1 -De Raumer,op.cit ;pp.108-109

2-حول المشاريع التوسعية للإمبراطورية الروسية راجع :

John P. LeDonne, The Russian Empire and the world, 1700-1917: the geopolitics of expansion and containment, Oxford University Press, 1997.

"أيها الشباب سلالة الشعب الحر الطليق، الذي دافع دائما عن حقوق الإنسان المقدسة ضد العنف والعسف المنتشر في كل مكان، ضموا صفوفكم وكونوا يدا واحدة وروحا واحدة"(1).

ثم إن الملاحظ أيضا أنه رغم اختفاء بولندا سياسيا إلا أن "الأمة البولندية" هنا حاضرة في كل المؤتمرات والأحداث الكبرى في شرق أوروبا، وقد وجد الوطنيون ملجأهم في فرنسا وأمريكا وغيرها، واتخذوها مراكز وقواعد لنشاطهم الوطني والقومي(2).

03- الأقاليم اليونانية بين التطلعات القومية وعقبات الانفصال:

نجحت الثورة الفرنسية في تغذية فكرة القومية في اليونان، واستثارة الشعور القومي عن طريق البعثات الطلابية والتأثيرات الثقافية، وتشجيع التيار القومي في اليونان(3).

والظاهر أن الحركة القومية في اليونان أولى الحركات في أوروبا، وإن بدا أن شعور الأمة اليونانية بذاتيتها لم يحدث إلا عن طريق عوامل خارجية، فإتلاف العاملين الدافع الخارجي والشعور بالاعتزاز والتوثب الداخلي، قد ساهما في تميز حركة اليونان القومية، وشكلت الثورة الفرنسية الفرصة أو الظروف الذي يجعل ممكنا قيام هذه الحركة(4).

1 -Philippe Bourdin **Révoltes, réformes, révolution française à l'Est de l'Europe (Etats Habsbourg et Pologne)** , in Siècles Cahiers du Centre d'histoire « Espaces et Cultures » ,27 | 2008 , p. 11-36

2 -Boguslaw Lesnodorski,op.cit,pp.333-334

3-Michel Biard et Pascal Dupuy, La Révolution française : Dynamiques, influences, débats, Paris, 2004.pp.112-113

4 -Camille Leynadier, Histoire des Peuples et des Révolutions de l'Europe depuis 1789 jusqu'à nos jours., tome sixième Grèce, Paris, Librairie historique, 1847.

لقد بدأت الأفكار القومية اليونانية الداعية إلى فكرة إنشاء دولة يونانية ذات كيان خاص بها، مع نشاط حركة الفناريون بوصفهم طبقة مثقفة، لم تلقى من السلطة العثمانية الانتباه اللازم، حتى استقوت، وأصبحت قادرة على تدير المؤامرات في الخارج مع الدول المجاورة ضد الدولة العثمانية⁽¹⁾.

اتخذت حركة الفناريين من الولايات الدانوبية قاعدة لنشاطها القومي والعناني اتجاه الدولة العثمانية، فصار الحكام الهسبودار Hospodar ورجالاتهم في ملدافيا (البغدان) في ياسي، وولاشيا (الإفلاق) في بوخارست، هم الذين يشجعون هذه الحركة وخلق بيئة تجمعهم مع طوائف التجار وقادة الرأي والمثقفين في البلاد، والغريب أن السلطة العثمانية عملت على تنصيب حكام ملدافيا وولاشيا من بين الفناريين، وقد ظهر في غير مناسبة أن هؤلاء الفناريون كانوا على علاقة مع روسيا، بل يميلون إليها رغبة وأملا في أن تمدهم بيد العون، كما عملوا على استغلال أية أزمة بين روسيا والدولة العثمانية لتمرير أفكارهم الانفصالية (القومية)⁽²⁾.

على أن هذه الحركة شهدت هي الأخرى مصاعب كثيرة، أولها أنها لم تشمل سواء الشعب اليوناني، ثانيا إن اهتماماتها انصببت على كل منطقة البقان لا على اليونان نفسه، ثالثا اصطدامها بمعارضة مؤيدة للعثمانيين، يتزعمها القائد مافروجيني⁽³⁾ Mavrojeni وينحدر من الفنار أيضا.

1 -Joëlle Dalègre, Grecs et Ottomans 1453-1923 : de la chute de Constantinople à la disparition de l'Empire ottoman, Paris, L'Harmattan, 2002, p.181.

2 -Dalègre,op.cit ;pp.190-191

3- ولد نيكولاوس مافروجينيس في باروس (اليونان) حوالي عام 1735 وتم إعدامه بأمر من السلطان في بيليا في بلغاريا في سبتمبر 1790. دخل في خدمة الحكومة العثمانية، وقد أكسبته فعاليته ضد ثورة أورلوف تفوق والاشيا في مارس 1786. وظل على رأس هذه الإمارة حتى عام 1790، على الرغم من معارضة النبلاء الرومانيين، بسبب تجاوزاته المكلفة.

ومع اندلاع الثورة الفرنسية، فقد شهدت اليونان ميلاد اتجاهات سياسية جديدة وصار لها بعدا قوميا، وكانت الأراضي النمساوية الطريق أو المنفذ الرئيسي لهذه التيارات والآراء الجديدة، بحكم الجوار الجغرافي، وبالإضافة لما وجده هؤلاء اليونانيون من أمام ودعم من السلطات النمساوية، فقد استقرت جالية يونانية كبيرة في فيينا، أعلنت النمسا اعترافها بهذا الكيان رسميا في يناير 1787م، وأصبح لليونانيين طابعا شرعيا وقانونيا في النمسا، كما اعترف الإمبراطور فرنسيس الثاني بوجود الكنيسة اليونانية رسميا في فيينا⁽¹⁾.

لقد بدا واضحا أن فيينا قد أصبحت مركزا لتجمع المعارضين اليونانيين، فأنشأوا المدارس، ودور النشر التي عملت على خلق الصلات بين المثقفين اليونانيين، ضف إلى ذلك حرية التنقل والتحول في أرجاء الإمبراطورية النمساوية بوصفهم حاملين لجوازات سفر نمساوية، كل ذلك ساهم في قيام حركة كبيرة للدعاية للآراء الثورية الفرنسية بدعم نمساوي⁽²⁾.

بدأت حركة اليونانيين بإصدار مجموعة من الجرائد، والتي اهتمت بنشر أفكار الثورة والدعوة إلى إحياء الأمة اليونانية العظيمة ومنها جريدة أفيميريس⁽³⁾ Ephimeris وكان مما نشرته قولها في افتتاحيتها:

1 -Dimitri Skopelitis et Dimitri Zufferey, Construire la Grèce (1770-1843), Lausanne, Antipodes, coll. « Histoire Moderne », 2011, p.211

2 -Skopelitis et Zufferey,op.cit ,pp.211-213

3- في 31 ديسمبر 1790، ظهرت أول صحيفة يونانية، Ephiméris، في فيينا، نشرها الأخوان المطبعيان بوليوس وجورجيوس ماركيديس-بوليو، أصلهما من سياطيسا في مقدونيا وبتمويل من اليونانيين في الشتات المقيمين في العاصمة النمساوية، في السنوات الأولى، امتنعت الصحيفة عن نشر نصوص كانت سياسية للغاية لتجنب أي مشكلة مع الرقابة النمساوية. أثارت الأحداث الرئيسية للثورة الفرنسية: المظاهرات الشعبية، والإعدامات، ومناقشات الجمعية الوطنية، وإعلان حقوق الإنسان وانتصارات بونابرت في إيطاليا المادة الإعلامية للصحيفة للدفاع عن الأفكار الجمهورية والدعوة إليها. انتشرت الصحيفة في فيينا وفي المناطق اليونانية الخاضعة للسيطرة العثمانية وفي مقاطعات الدانوب، مولدايا ولاشيا، تدخل الباب العالي وطلب من الحكومة النمساوية توقيف الصحيفة. لكن بوليوس كان يتمتع بحماية سياسية في فيينا، ولم يكن بإمكان الإمبراطورية العثمانية سوى الحصول على رقابة أكثر صرامة ضد

"إننا نأبى أن تبقى أمتنا العظيمة (اليونانية) والتي نشرت الحضارة في العالم بفضل علومها وأخلاقها، محرومة وحدها فقط من وجود صحافة بها"⁽¹⁾.

ونظرا لتحسس النمساويين من كل الآراء الحرة، والبوليس العثماني الذي يراقب كل نشرات الجريدة، فقد اضطرت الجريدة الاعتماد على تمرير أفكارها من خلال قالب الدراسات التاريخية مثل الحديث عن مجد اليونان وتاريخهم الغابر، في محاولة لإذكاء روح قومية وعاطفة جياشة في نفوس الأبناء بذكر أجداد آبائهم في الماضي⁽²⁾.

فيما يتعلق بأخبار الثورة الفرنسية، فقد حاولت الجريدة عدم الخوض فيها كطرف مؤيد، بل بطريقة ذكية اهتمت بذكر أحداثها وأخبارها، دون أن تظهر أية إشارات لتمجيدها.

رغم الدور الذي لعبته الصحافة في إنكار الروح الثورية في اليونانيين، إلا أنه ظهرت وسيلة أخرى لانتشار الأفكار والآراء الثورة الفرنسية واعتبرت أكثر الوسائل تأثيرا، هي نشاط الملاحين وأصحاب السفن اليونانية في كسر الحصار البحري المفروض من إنجلترا والنمسا وروسيا، وإمداد الموانئ الفرنسية بحاجاتها من العتاد والمؤن⁽³⁾.

الجريدة. في عام 1797، كرر الباب العالي دعوته لحظر الصحيفة. وعندما تم اعتقال ريجاس في ديسمبر 1797، تم حظر الصحيفة بداية من جانفي 1798.

1- Dascalakis, Rhigas Vélestinlis : La Révolution française et les préludes de l'Indépendance hellénique., Paris, 1937, p. 63-66 et 167-168.

2 -Dascalakis ,op.cit,pp.65

3 -Charles Marie Chabaud-Arnault, La marine pendant la guerre de l'indépendance grecque, dans Revue maritime et coloniale, juillet 1881, tome 70 p. 109-158

هؤلاء البحارة والملاحون احتكوا بالآراء الجديدة في الموانئ التي زاروها، وصاروا ناقلين لها بين مواطنيهم فكانوا أن استحقوا لقب "دعاة الثورة". ومع مرور الوقت تحول هؤلاء إلى عملاء سياسيين في خدمة فرنسا، وحدث أنه بعد سنة 1792م عمل الكثيرون منهم على نشر الدعوة الفرنسية في مناطق الأفلاق والبغدان وقاموا بجمع المعلومات وإرسالها للفرنسيين⁽¹⁾.

وكانت المحافل الماسونية هي الأخرى وسيلة لنشر الأفكار الثورية الفرنسية، فقد وجدت العديد من المحافل "اليونانية" في أوديسا وبوخارست وباريس، وبفضل حركة "البنائين الأحرار" تمكن اليونانيون من توحيد صفوفهم، والدعاية لأفكارهم الحرة، مستغلين عامل السرية التي تميز عمل هذه المحافل⁽²⁾.

لقد تعاضم نشاط هذه الحركة إلى درجة أن غالبية الذين شاركوا في حركات جمعية الإخوان الهيترايفيلكي⁽³⁾ Hetairia Philike في سنة 1821م كانوا ينتمون إليها وينشطون تحت مسمياتهم.

اتخذت المعارضة الثورية اليونانية من مدينة فرنكفورت الألمانية مقرا ومركزا لنشاطها خارج فيينا

1 -idem.

2 -Mathieu Grenet, **La loge et l'étranger : les Grecs dans la Franc-maçonnerie marseillaise au début du XIXe siècle**, Cahiers de la Méditerranée, 72 , 2006, 225-243.

3- منظمة قومية سرية من الوطنيين اليونانيين خاضت في الفترة من 1814 إلى 1821 كفاحًا من أجل تحرير اليونان من التبعية العثمانية. تم تأسيس هذا التنظيم السري، أساسا من كاربوناري وماسون، في أوديسا من قبل الوطنيين اليونانيين ن. سكوفاس، إ. زانتوس، تم نقل مقرها الرئيسي إلى اسطنبول في عام 1818. كان هذا التنظيم نشطًا في اليونان، وكذلك في أجزاء من تركيا وفي مجتمع المهاجرين اليونانيين في أوروبا الغربية، ومست انشطتهم الحرفيين والتجار والمثقفين وقاده Klephts و Armateles والعديد من الفاناريون البارزين. في عام 1820، أصبح A. Ypsilantis متزعا للتنظيم، ومهد Philike Hetairia الطريق لحرب الاستقلال اليونانية 1821-1829. بعد وقت قصير من بدء الحروب، تفكك التنظيم.

والدولة العثمانية، وقد دعا قادتها فرنسا من أجل التدخل وتقديم يد العون لليونانيين، مقابل التعهد بالتجارة مع فرنسا وحدها، وإمكانية تنازلهم عن بعض الجزر اليونانية في بحر إيجه لصالحها⁽¹⁾.

لقد عملت حكومة الإدارة في فرنسا على استغلال هذا الشعور القومي لدى اليونانيين، وأصبحت سفارتهم في بوخارست مقرا لتجمع المعارضين للدولة العثمانية، والداعين لإقامة وطن ودولة خاصة باليونانيين.

ولاشك أن مآرب فرنسا من ذلك كبيرة، فقد استخدمت هذه المعارضة كورقة ضغط على السلطة العثمانية من أجل ابتزازها⁽²⁾. وظهر جليا التأثير الكبير لليونانيين بالثورة الفرنسية ومن ملامح ذلك حالة التقديس والتعظيم الذي مس شخصيات فرنسية، على غرار نابليون.

لقد نظر اليونانيون لنابليون على أنه القائد المخلص، فقد سمعوا عن انتصاراته في إيطاليا وكيف طرد النمساويين، ولامح السرور التي أبداها اليونانيون عندما أسقط نابليون جمهورية البندقية، التي فرضت سلطانها على المنطقة وأخضعها لصالحها مدة زمنية طويلة⁽³⁾.

1 -Marc BELISSA, Fraternité universelle et intérêt national (1713-1795). Les Cosmopolitiques du droit des gens, Paris, Kimé, 1998,pp.215-216

2 -Anne Couderc ,**l'Europe et la Grèce, 1821-1830 :Le Concert européen face à l'émergence d'un État-nation**, in Bulletin de l'Institut Pierre Renouvin 2015/2 (N° 42), pp. 47 – 74.

3 -Stuart WOOLF, Napoléon et la conquête de l'Europe, Paris, Flammarion, 1990.pp.110-115.

لقد بدا واضحا تأثر اليونانيون بالثورة الفرنسية، مما أنتج بيئة خصبة لنمو وترعرع حركة فكرية قومية في تصوراتها وأهدافها بلغت ذروتها في سنوات 1796م و1797م، واتضح أن اليونان أصبح متهيأ لإشعال ثورة تستهدف الاستقلال والتحرر نهائيا من سلطان الدولة العثمانية⁽¹⁾.

ولعل ما يبين هذا التهيء ما قام به اليونانيون من ترجمة نشيد "المارسيانز" الفرنسي إلى لغتهم، وقد تضمن هذا المارسيليز النسخة اليونانية، حث اليونانيون أو "الهيلينيين" (الإغريق القدماء) على الثورة والاستعداد لها، لأن الظرف مناسب، ومما جاء فيه من العبارات الحماسية دعوته لأبناء اليونان يحمل السلاح وأن يسيروا إلى الأمام، فدماء الأعداء سوف تجري تحت أقدامهم أنهارا⁽²⁾.

استطاعت حكومة الإدارة أن تجند عددا هائلا من العملاء اليونانيين، ودعتهم كم من مرة إلى فضل أسلافهم على تقدم الحضارة، وتحثهم على إحياء تراثهم المجيد، كما حملت الكثير من الوثائق والرسائل الفرنسية خاصة من جانب بوناپرت (أثناء حملته على إيطاليا) وعود فرنسا لتحرير اليونان⁽³⁾.

ومما جاء في إحدى رسائله "أن فرنسا هي التي حررت إيطاليا، وأن "جنتيلي" إنما يتحدث الآن

1 -Annales Historiques de la Révolution française consacrés à l'histoire des relations internationales : « La Révolution et l'Étranger » (1990).pp.118-119.

2 -Dimitri Nicolaidis, **La France et les Grecs sous la Révolution et l'Empire, étude d'une représentation à l'échelle de peuples** ,Annales historiques de la Révolution française Année 1991 , 286 pp. 515-537

3 -Hervé LEUWERS, « Révolution et guerre de conquête : Les origines d'une nouvelle raison d'État (1789-1795) », Revue du Nord, vol. LXXXV, n° 299, 1993, p. 21-40.

باسمها واسم بونابرت والجمهورية الفرنسية، وهم الحلفاء الطبيعيون لكل الشعوب الحرة"⁽¹⁾.

ومن بين هؤلاء العلماء استخدام تيمو ستفانو بولي Timo Stephano Poli وهو طبيب وعالم نباتات من أصل كورسيكي عايش جالية يونانية في قرية كارجيز Cargèse والذي أدار نشاط الوسيط بينه وبين اليونانيين.

وقد أفلح هذا النشاط في وضع برنامج لثورة وطنية كبيرة على أساس التعاون مع الجيش الفرنسي، قادها كل من "ستفانو بولي" مع "زانيت بك"⁽²⁾، وقد دعيا إلى عقد مؤتمر يوناني يجمع أقطاب وأحرار والوطنيين من كل أرجاء اليونان من كريت، وأبيروس، ومقدونيا، ومن اليونان الوسطى، وأبدى الحاضرون استعدادا وحامسا لإنجاح هذه الثورة، والتي رأوا فيها خلاصا وتحريرا نهائيا لبلادهم، وتحقيق مبدأ القومية منها.

وقد اشترط المؤتمرون أن تقدم فرنسا السلاح والمؤونة اللازمة للثوار، ثم أن يتكفل نابليون بنفسه بالمعركة، ثم اشترطوا أن يلتزم الفرنسيون عند احتلالهم البلاد مبدئين هاميين:

- 1- احترام نساء اليونان وعدم الاعتداء عليهن.
- 2- ترك السلاح في أيدي اليونانيين وعدم تجريدكم منه⁽³⁾.

1 -idem

2 -Georges Contogeorgis, Histoire de la Grèce, Paris, Hatier, coll. « Nations d'Europe », 1992, p.289.

3 -Bouchard, J. Une renaissance: la formation de la conscience nationale chez les Grecs modernes. Études françaises, (1974). 10(4), pp. 397-410.

تزعم ريجاز فاليز تنليس⁽¹⁾ Righas Velestinlis هذا الحراك الثوري القومي (1796م- 1797م) وقد مهد له بوضع دستور تألف من مقدمة و114 بندا.

وقد جاء في ديباجته أن هذه الثورة تستهدف إنشاء دولة هيلينية-بلقانية، تضم البقان (بلغاريا، مقدونيا، جنوب الصرب)، واليونان، على أن الدستور كفّل لكل هذه العناصر المساواة وعدم التمييز لا على أساس ديني ولا الجنس ولا العرق، فالعناصر السلافية والتركية سواء أمام الدستور ومؤسسات الدولة الجديدة⁽²⁾. ولا شك أن دستور "ريجاز" استوحاه من دستور الثورة الفرنسية لسنة 1793م، كما استنبط نظام الحكم المعتمد في فرنسا (دستور 1795) نظام حكومة الإدارة.

كما نظم "ريجاز" أناشودة حرب، تحولت إلى شعار ونشيد القوميين والثوار، بل أصبحت هذه الأناشودة "ثوريوس" وسيلة للدعاية (البروبجاند) للآراء القومية والثورية⁽³⁾.

1- المسمى Rigas Vélestinlis ولد حوالي 1757 وتوفي في بلغراد في يونيو 1798، كان كاتبًا ووشخصية بارزة في الثقافة اليونانية المعاصرة، هو ابن تاجر ثري درس في زاكورة ثم غادر ثيساليا إلى القسطنطينية لأسباب غامضة. هناك واصل تعليمه ودخل في خدمة الفاناريوت. غادر إلى فيينا عام 1796. متأثرًا بأفكار الثورة الفرنسية، ضاعف الكتابات السياسية في خدمة الديمقراطية والحرية والاستقلال لسكان البلقان ضد ما اعتبره اضطهاد العثمانيين، مثل ثوريوس أو دستوره الجديد، السياسة، يعتبر رائدًا لنضال اليونان من أجل الاستقلال. بسبب أنشطته السياسية، ألقي القبض عليه في ديسمبر 1797 في تريستا من قبل السلطات النمساوية ثم سلمته إلى العثمانيين. تم شنقه في بلغراد ليلة 24-25 يونيو 1798. انظر

Richard Clogg, A Concise History of Greece, Cambridge, Cambridge University Press, 1992, pp.159-161

2 -Richard Clogg,op.cit,pp.162-165.

3-Dimitris Karabéropoulos, «Introduction », dans Rhigas Vélestinlis, Œuvres révolutionnaires , Athènes, Société scientifique des Études sur Phères - Velestino

حول دور الأناشيد الوطنية اليونانية في نشر والترويج للمطالب القومية انظر هذه الدراسة :

ومما جاء فيها من أبيات نذكر مقطع يدعو فيها اليونانيين أينما حلوا وارتحلوا للمجيء إلى اليونان والمشاركة في حرب التحرير والثورة الوطنية فيقول: "الموت في سبيل الوطن أفضل وأعظم جمالا من أن يكون للمرء سيف في خدمة الأجنبي مزين بحمائل من ذهب"⁽¹⁾.

بدأت التحضيرات للثورة على قدم وساق، لكن في نهاية المطاف، انهارت آمال اليونانيين في الثورة، بعد أن حدث انقلاب في السياسة الفرنسية، حيث لم يعد بونايرت يرغب في تزعم الحركة الثورية في الشرق، ضف إلى ذلك موقف حكومة الإدارة التي لم تعد ترغب خدمة اليونانيين ومساندتهم في ثورتهم⁽²⁾. على إثر هذا التحول في الموقف الفرنسي، أصبح من الطبيعي بل من المجازفة بإعلان الثورة دون تأييد خارجي، لذلك تم تأجيل مشروع الثورة إلى وقت لاحق.

لقد صدمت الثورة مرتين، مرة بالموقف الفرنسي المتخاذل لاتجاههم، ثم مرة ثانية عندما تم القبض على "ريجاز" من البوليس النمساوي وقد ضبط لديه الكثير من الوثائق السرية، تضمنت أسماء القادة الميدانيين والمؤيدين للثورة⁽³⁾. وقد تم استخدام ورقة "ريجاز" كورقة ضغط أثناء مفاوضات النمسا مع

Claude Fauriel, Chants populaires de la Grèce moderne, recueillis et publiés, des éclaircissements et des notes., Firmin Didot, 1824-1825.

1 -Karabéropoulos,op.cit,pp.

2 -Minchul Kim, « **Démocratie** » et « **représentation** » sous le **Directoire**, **1795-1799** », La Révolution française [En ligne], 15 | 2018, mis en ligne le 13 décembre 2018, consulté le 26 novembre 2019.

3-Émile Legrand, Documents inédits concernant Rhigas Vélestinlis et ses compagnons de martyre, tirés des archives de Vienne., tirage à part de l'annuaire de la Société Historique de Grèce, Paris, 1892.

الدولة العثمانية، فيما يتعلق بالفارين من البولنديين الانفصاليين إلى الأراضي العثمانية.

لقد سارت الأحداث وتطورت في غير صالح اليونانيين، حينما اعتلى الحكم القيصر "بول الأول" خلفا لوالدته "كاثرين الثانية"، وقيام التحالف الدولي الثاني ضد فرنسا، وأمام توالي هزائم الفرنسيين خاصة في إيطاليا فقد اضطروا إلى الانسحاب من نابولي، ثم مغادرة روما⁽¹⁾.

صحيح أن آمال اليونانيين قد خابت في تحقيق آمالهم القومية، إلا أن جذوة هذه الآمال لم تنطفئ، فقد تحول ريجاز إلى رمز للاستقلال وعنوان للقومية والآمال الوطنية اليونانية، وكانت أنشودته "ثوريوس" بمثابة مرجعية لليونانيين ومصدر إلهام لآمالهم القومية⁽²⁾.

04- إيرلندا وتأثيرات الثورة الفرنسية:

ساد شعورا قويا في إيرلندا في السنوات التي سبقت الثورة الفرنسية وازداد آمال الإيرلنديين لتحقيق بعض مطالبهم القومية، خاصة عندما لاحت لديهم بوادر إصلاح مثل حصول البرلمان الإيرلندي على استقلاله في التشريع سنة 1782م⁽³⁾، وما شهدته إيرلندا من إصلاحات اقتصادية تمثلت في السماح لها بتصدير القمح، وتطوير العديد من المزروعات والتي عادت بالفائدة القصوى على عامة الشعب،

1 -Marina CAFFIERO (dir.), Roma repubblicana, 1798-1799, 1849, Rome, Universita tre, 2001,pp.98-99

2 -Karabéropoulos, op. cit, pp.117-118.

3 -Thomas Barlett in Jim Smyth (dir.), Revolution, Counter-Revolution and Union : Ireland in the 1790s, Cambridge University Press, 2000, p.88-89

إلا أن هذه الإصلاحات راوحت مكانها، ولم تبلغ سقف المطالب القومية الإيرلندية⁽¹⁾.

إن الثورة الفرنسية أثرت سلبا وعكسيا على المجتمع الإيرلندي، فقد أدى تباين المواقف للإيرلنديين من سبل الاستفادة من مناهج ومسارات الثورة الفرنسية ومحاولة نقلها إلى إيرلندا، إلى انقسام الصف الإيرلندي، إضافة إلى تزايد الإجراءات القمعية من الحكومة الإنجليزية اتجاه إيرلندا وتزايد مخاوفها من المطالب القومية⁽²⁾.

لقد عملت الحكومة الإنجليزية على قمع كل محاولة من الإيرلنديين لإصلاح الوضع الداخلي، ورفض كل ما من شأنه يضر بالمصلحة الإنجليزية، ومن ذلك رفض مشروع "وليم بيت" إلى مجلس العموم الإنجليزي من أجل إلغاء القيود الاقتصادية وفتح أبواب التجارة وتحريرها في إيرلندا، وطالب مجلس العموم بكثير من التعديلات والتي افقدت هذا المشروع أهميته وطابعه القومي.

لقد ظلت الطبقة الأرستقراطية البروتستانتية والتي تشكل الأغلبية في البرلمان المستفيد الأول من حالة التبعية لإنجلترا حفاظا على مصالحها الاقتصادية ووضعها الاجتماعي⁽³⁾.

بلغت أنباء الثورة الفرنسية وآراءها وإنجازاتها مسمع الإيرلنديين، وأحدثت هبة قومية وبعث بالشعور الوطني الإيرلندي بشكل رهيب، وقد قاد هذه الحركة القومية من بلفاست هو ثيوبالد وولف

1 - Pierre Joannon, Histoire de l'Irlande et des Irlandais, Paris, Éditions Perrin, coll. «Tempus», 2009, p.612

2- محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ج02، ص.366.

3 - Harry T. Dickinson et Pascal Dupuy, Le temps des cannibales : La Révolution française vue des îles britanniques, Paris, Éditions Vendémiaire, 2019, p.122-124

تون⁽¹⁾ Theobald Wolf Tone، وجمع الإيرلنديين في جمعية باسم جمعية الإيرلنديين المتحدين "Society of United Irishmen" وتأسست في سنة 1791م⁽²⁾، وقد ضمت الكاثوليك والبروتستانت، على أنه يجب التذكير أن هذه الخطوة تعد حاسمة وسابقة في تاريخ إيرلندا، وأسلوب عمل جديد، فمشكلة إيرلندا الأكبر عبر الزمان هي الاختلاف الديني، والصراع المذهبي بين الكاثوليك والبروتستانت والذي حال دوما دون تنامي الشعور الوطني والقومي، بل كان عائقا ومصدر للفرقة بينهم، استغلته إنجلترا في إطار سياسة فرق تسد⁽³⁾.

تم تأليف لجنة من خمسة أعضاء لإدارة مشروع الإصلاح، ونادت الجمعية بحقوق الإنسان، وألحت على إصلاح البرلمان الإيرلندي، كما قادت جملة شرسة ضد ملاك الأراضي الكبار من الأرستقراطيين ورجال الكنيسة الإنجليكانية⁽⁴⁾.

1 - Thomas Barlett, op.cit. p. 178-179

2 - Harry T. Dickinson , **L'Irlande à l'époque de la Révolution Française**, Annales historiques de la Révolution française Année 2005 / 342/ pp. 159-183

3- شكري، الصراع بين البورجوازية والإقطاع، مرجع سابق، ج. 01، ص. 419

4- الأنجليكية أو الأنجليكانية ecclesia Anglicana هي كنائس داخل المسيحية، تضم كنيسة إنجلترا والكنائس التي ترتبط بها تاريخياً، أو تحمل معتقدات ذات صلة وثيقة بها، مثل كنيسة كندا الأنجليكانية والكنيسة الأسقفية البروتستانتية في أميركا وكنيسة اسكتلندا الأسقفية. يعود تاريخها إلى بداية العصور الحديثة، وتستخدم لوصف الناس والمؤسسات والكنائس فضلاً عن التقاليد الدينية والطقوسية والمفاهيم المتقدمة التي أنشئت في كنيسة إنجلترا الأنجليكانية والكنائس الانجليكانية المستمرة (أي الجماعات المنتسبة لمجموعة من الكنائس المستقلة التي انفصلت عن الاتحاد الأنجليكاني نتيجة للاختلافات المذهبية والطقسية مع مختلف الدول). في بعض أجزاء العالم، تعرف الأنجليكانية بالأسقفية،

على إثر هذا التحول ظهرت العديد من الجمعيات السرية مثل جمعية صبيان الفجر Peep of Day Boys ثم عرفت باسم آخر هو أورانجمنين⁽¹⁾ Orangemen، وأظهر قادة هذه الجماعة تأثيرهم الكبير بفيلسوف الثورة الفرنسية جان جاك روسو، بل اعتبروا أنفسهم تلامذة له، فتدارسوا فكره وآراءه الثورية ومن هؤلاء نجد: تاندي Tandy، إمييت Emmett، وأوكونل O'connel وفيتزجيرالد Firtzgerald.

في غضون شتاء 1791م - 1792م، عرفت إنجلترا أزمة غذاء حادة، بسبب سوء الأحوال الجوية وقلة الإنتاج، والذي أثر بشكل كبير على الكثير من المواد الاستهلاكية واسعة الطلب، كأسعار الخبز⁽²⁾. وتصادف مع هذه الحالة الاقتصادية الصعبة، انتشار الأفكار الثورية الفرنسية، والتي تبناها حزب راديكالي، كان من نشاطه الدعوة إلى عقد مؤتمر جامع لكل أحرار إنجلترا، وعقد مؤتمرا في شهر أكتوبر 1793م بإسكتلندا، شارك فيه ممثلين عن إيرلندا، وأمام هشاشة الوضع السياسي وتفاقم الحالة الاقتصادية، قدمت الحكومة الإنجليزية تنازلات لصالح الكاثوليك منها⁽³⁾:

Jean-Paul Moreau, L'anglicanisme : ses origines, ses conflits du schisme d'Henri VIII à la bataille de la Boyne, L'Harmattan, Paris, 2006 , pp . 03- 05

1- هي جمعية أخوية بروتستانتية، أنشئت عام 1795، في geLoughgall (أيرلندا)، بهدف النهوض بأهداف البروتستانتية. على الرغم من وجوده بشكل أساسي في أيرلندا الشمالية، إلا أن الطلب له نزل في جمهورية أيرلندا واسكتلندا وكندا والولايات المتحدة ودول الكومنولث المختلفة. أنشطة النظام البرتقالي لها أبعاد متعددة، دينية وسياسية وثقافية واجتماعية. انظر :

Eric P. Kaufmann, The Orange Order : A Contemporary Northern Irish History, Oxford University Press, 2007, p.233-214

2 -Harry T. Dickinson,op.cit.p.216

3- شكري، المرجع السابق، ج 2، ص 421

- حق الكاثوليك الانخراط في سلك المحاماة.
 - السماح للكاثوليك لامتهان مهمة المحلفين في إيرلندا.
 - إعطاء الكاثوليك حق الانتخاب مع شرط دفع قيمة مالية كضرائب⁽¹⁾.
- لكن مخاوف الحكومة البريطانية من حجم ووقع الأحداث التي عرفتھا الساحة الفرنسية خاصة ما تعلق بإعدام الملك في جانفي 1793م، الشيء الذي أدى إلى انحسار حجم التأثير الفرنسي في الرأي العام الإنجليزي مما أدى إلى تراجع شعبية مبادئھا، ضف إلى ذلك تشنج العلاقات الإنجليزية الفرنسية بسبب نھر "إيسكو⁽²⁾ Escaut" وحرية الملاحة فيه، مما أدى إلى إعلان الحرب بينهما في فبراير 1793م.
- لقد أدى هذا الوضع الجديد إلى حالة قمع شديد ضد الإيرلنديين، وتراجع الحكومة الإنجليزية عن جملة الإصلاحات التي أقرتها، مما أثار الكاثوليك، وتقريبا شكلت قوة المعارضة جبهة في غرب إيرلندا، حاولت فرنسا استخدامها في صراعھا مع إنجلترا، فأوفدت الوفود من أجل دعم حركة المعارضة الإيرلندية، وكان ذلك في حملة الجنرال "لازارهوش" عندما حشد قوات فرنسية لمساعدة الثوار الإيرلنديين وتخليص إيرلندا، لكن الظروف المناخية والبحرية حالت دون إرساء القوات البحرية والبرية مما أفشل هذا الإمداد الفرنسي، وأعطى فرصة وحجة لإنجلترا لقرب المعارضة والثورة الإيرلندية⁽³⁾. كما فشلت المحاولة

1 - Harry T. Dickinson et Pascal Dupuy, op.cit. p.217-218

2- نھر شيلدت (من شيلدي باللغة الهولندية) هو نھر أوروبي يبلغ طوله 355 كم، ويمر بثلاث دول (فرنسا وبلجيكا وهولندا)، قبل أن يصب في بحر الشمال. في عام 1815، أكدت قرارات مؤتمر فيينا إلى شيلدت وميوز نظام حرية الملاحة الذي يمكن مقارنته بنظام نھر الراين، ولكن بعد مرور 15 عامًا، ظل الهولنديون يسيطرون بطريقة مستقلة على مداخل النھر الى غاية 1832. للمزيد انظر الدراسة القيمة حول الملاحة في نھر ايسكو : **Suttor Marc, La navigation sur l'Escaut, des origines** : **au xviiie siècle**, Revue du Nord, 2011, tome 93, n° 391-392, p. 851-867

3- حاطوم نور الدين، تاريخ الحركات القومية، ج1، (بيروت، 1967)، ص

الثانية على عهد حكومة الإدارة في فرنسا، حينما حاولت المعارضة الإيرلندية بمساعدة القوات الفرنسية في حوالي صيف 1797م.

وقد استثمرت فرنسا في حالة الخلاف الديني بين البروتستنت والكاثوليك، وهي مشكلة ستسود طوال القرن 19م، تأججت القضية عندما قام "مريدي حركة إقليم ألستر" البروتستنتية إلى طرد الفلاحين الكاثوليك من مقاطعات إيرلندا الشمالية الشرقية، وانقطع بذلك كل أشكال الالتقاء أو التواصل بين الكاثوليك والبروتستنت، زادها عمقا تحالف البروتستنت الإيرلنديين مع الإنجليز، ضد الكاثوليك، مما يعني إجهاض كل محاولة لإمكانية إنشاء دولة إيرلندية متحدة، ضد رغبة السواد الأعظم من الشعب الإيرلندي الكاثوليكي⁽¹⁾.

أختم حديثي هنا من إيرلندا بتلك الثورة العارمة التي عرفتها إيرلندا سنة 1798م، ورغم قوتها وعنفوانها إلا أنها أجهت، لتستغل إنجلترا هذه الحالة والوضعية، وتحدث تغيرات في طابع العلاقة بينها وإيرلندا، من خلال إنهاء ما يعرف بالحكم الذاتي الإيرلندي، وإعلان قانون الاندماج مع إنجلترا 1800م، Act of Union⁽²⁾.

والحقيقة أن الإنجليز استغلوا كل فرصة لفرض مزيدا من الرقابة، وإحياء الأحكام العرفية، ظهر جليا ذلك عندما فرضت فرنسا سياسة الحصار القاري ضد السفن الإنجليزية، فاستغلت الفرصة لمصادرة منتجات إيرلندا من الحبوب والنسيج. ولم يبق من معالم الحياة الوطنية والقومية الإيرلندية إلا تطلعات

1 - Jacques de Cazotte, L'Irlande entre indépendance et révolution, Maisonneuve et Larose, 2005, p.99

2 - Ward, Alan J. The Irish Constitutional Tradition: Responsible Government and Modern Ireland 1782-1992. Irish Academic Press, 1994

مؤسسة الكنيسة الكاثوليكية، على اعتبار أن الروح الإيرلندية تسيطر عليها الروح الكاثوليكية والعاطفة الدينية⁽¹⁾.

إن الإجراءات التعسفية لقادة الثورة الفرنسية اتجاه الكنيسة، ومحاربة كل أشكال التدين، وزج رجال الدين في السجون، وقتل آخرين، قد غير من نظرة الكنيسة الكاثوليكية الإيرلندية اتجاه الثورة الفرنسية، بل بلغ بهم الامر إلى الكفر بالثورة ومبادئها. وسارعت الكنيسة الإيرلندية إلى تبني سياسة أقل اندفاع وأكثر مسالمة وتحقيق المطالب الإيرلندية ضمن هذا الجو من التفاوض مع الإنجليز⁽²⁾.

وفي نفس الاتجاه تأسست العديد من الجمعيات الدينية القائمة على تنشئة وتربية الأطفال تنشئة قوامها تغذية الروح القومية، وحضور قوي للمسائل الوطنية والتاريخ في برامجها التعليمية.

وسيكون لها دور هام وفعال بعد 1815م، وتؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن القضاء على الروح القومية الإيرلندية بات مستحيلا، وأن المستقبل القريب ينذر بحركة ونمو في الشعور القومي والوطني لم تعرفه إيرلندا سابقا، مستقية من العقيدة الدينية روحها وتحلياتها⁽³⁾.

المبحث الرابع: نابليون ومبدأ تصدير الثورة وانعكاساته على الساحة الاوروبية:

بحلول 1799 اعتلى نابليون بوناپرت⁴ سدة الحكم في الجمهورية الفرنسية الفتية وشرع في تجيش جيوش عظيمة العدد والعتاد، ثم انطلق غازيا بلدان أوروبا واحدا تلو الآخر، مستهدفا هدفا قواما بناء

1 - Jacques de Cazotte , op.cit.p.115

2 - Harry T. Dickinson, op.cit.p.219

3- شكري، المرجع السابق، ج2، ص.422.

4 ولد نابليون في جزيرة كورسيكا سنة 1769 م، التحق منذ التاسعة من عمره بالمدرسة العسكرية وتخرج منها 1784، ليدخل الكلية الحربية الملكية، وبرع في سلاح المدفعية لمع نجمه في حصار طولون سنة 1793. عندما استردها من البريطانيين، قاد حملة إلى

إمبراطورية أوروبية تخضع لسيطرته، وتأتمر بأمره، معتبرا نفسه وريث الإمبراطورية الرومانية وخليفة شارلمان¹. ونظرا لطموحاته العريضة فإن نابليون بونابرت لم يأبه كثيرا بالمحالفات التي سعت الأوتوقراطيات الأوروبية إلى عقدها في مواجهته، فبحلول عام 1802 راحت الجيوش النابليونية، باجتياح كل من هولندا وسويسرا ومملكة هانوفر².

وفي ذات العام توج نابليون نفسه إمبراطورا على فرنسا في احتفال إقليمي نوتردام في حضرة البابا الذي جيء به إلى باريس ليجري مراسيم التنصيب، وما إن حل على وجه السلطة عام 1808 حتى دانت لنابليون السيطرة على إمبراطورية تجاوز من حيث اتساعها إمبراطورية شارلمان إذ نصب إخوته

مصر لقطع سبل الاتصالات والمواصلات للتجارة البريطانية، لكنه فشل (معركة أبي قير)، عاد إلى فرنسا واستغل الظروف ليعلى نفسه قنصلا عاما، ثم لقب بالإمبراطور ابتداء من 1805، خاض حروبا شديدة ضد الأورسين، ورفع شعار تصدير مبادئ الثورة الفرنسية، واستطاع تحقيق توسع جغرافي هائل وصل إلى حدود روسيا، واحتل إيطاليا وهولندا وبلجيكا والولاية المائية، وبولونيا، قاد الحلفاء بريطانيا وروسيا تحالفات ضده، انتهت بمعركة واترلو أين تم نفيه إلى جزيرة سانت هيلان، بعدما فر في المرة الأولى وعاد إلى حكم فرنسا (100 يوم)، توفي في منفاه 5 ماي في جزيرة ألبا 1821.

Thierry Lentz, Nouvelle Histoire du Premier Empire : les cents jours, 1815, Fayard, 2002 ; P 160.

1 : مؤسس حكم أسرة الكارولنجين، وملك الفرنجة، عاش (742م - 814 م)، وإمبراطور الرومانية المقدسة (800 - 814) وشهدت في عهده فرنسا وغرب أوروبا وحدة سياسية وتشكل من أشكال الإمبراطوريات الشمولية الكبرى. وقد استطاع أن يرقى بالتعليم وإقامة علاقات تجارية مهمة خاصة مع دول المشرق الإسلامي، مهدت إلى علاقات سياسية مهمة .

George Minois- Charlemagne , éditions Perrin, 2010, p. 220.

Rennée Mussot Goulard : Charlemagne, Paris, Presse Universitaire de France, Coll, « que sais-je », 1984, p. 126.

2 : ممدوح نصار وأحمد وهبان، المرجع السابق، ص 25. أنظر أيضا : هانز كوهين، عصر القومية، ترجمة عبد الرحمن صدقي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1964، ص 17-18 .

ملوكا على إيطاليا، وهولندا وستفاليا، كما نصب صهره ملكا على نابولي، وأزواج شقيقات زوجته على بافاريا وفيرشبرج، بادن، وفي ذات العام 1808 أجلس أخاه جوزيف بونابرت على عرش إسبانيا¹.

وهكذا، وتبعاً لما تقدم فقد انحرف نابليون على سبيل بناء إمبراطوريته المنشودة، عن مبادئ الثورة الفرنسية، وعلى رأسها مبدأ القوميات، إلى حد أنه نصب ملوكا على دول لا تربطهم بها أية رابطة حتى أنهم كانوا يجهلون لغة شعوبها، كما جمع في الدولة الواحدة شعوبا تتنافر لغة وحضارة².

وعلى الرغم مما تقدم فإن مبدأ القوميات لم يمت، إذ من المفارقات في هذا المقام أن الغزو الفرنسي لأراضي أوروبا ألهب شعور أبنائها في التخلص من الاحتلال، وعمق الفكرة القومية في نفوسهم، فاشترأت أعناقهم إلى نيل الحق في تقرير المصير، وما يردي إليه من إقامة الدولة على أساس قومي وهكذا فقد دأبت مبادئ الثورة الفرنسية وانتشرت في أصقاع أوروبا انتشار النار في الهيثم، وكانت من القوة في نفوس الأوروبيين، بحيث لم يحجها أن الفرنسيين الذين نادوا جهادهم أنفسهم الذين اجتاحتها دولاً أخرى وأخضعوا شعوبها لنيرهم³.

و مهما يكن من أمر الغزوات النابليونية، فإن هذه الغزوات مثلت تهديدا عظيم الشأن للأوتوقراطيات الأوروبية الكبرى المتمثلة في كل من إنجلترا، والنمسا وروسيا وبروسيا، إذ قضت على حكم العلاقات الأوروبية لعشرات العقود، وكان بمثابة حجر الزاوية في استقرار أوروبا قاطبة، وقد تمثل هذا في مبدأ " توازن القوى " وهو المبدأ الذي صارت على هذه علاقات البلدان الأوروبية فيما بينها

1 ل. ج شيني، تاريخ العالم الغربي، تر: مجد الدين حفي ناصف، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 303-304. أنظر أيضا

Paul Marmottan , op cit , pp 277- 278

2 : ممدوح نصار، المرجع السابق، ص 26.

3 : صوفي أبو طالب وآخرون، المجتمع العربي والقضية الفلسطينية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص 202-203،

نقلا عن ممدوح نصار، مرجع سابق، ص 26.

منذ معاهدة وستفاليا لعام 1648، والتي قضت على فكرة الطموح في إنشاء إمبراطورية شمولية، كما أقرت معاهدة وستفاليا بصورة ضمنية ومبدأ توازن القوى لكي تؤكد بصورة جلية على نفس المبدأ¹.

و جملة القول في شأن ما تقدم أن نابليون بغزوه لبلدان أوربا واحدا تلو الآخر قد ضرب عرض الحائط لمبدأ توازن القوى، وبالتالي فقد أضحى استقرار القارة الأوروبية قاطبة في مهب الريح، وعلى ذلك، فلم يكن أمام الأوتوقراطيات الكبرى من سبيل إن هي أرادت لنفسها البقاء سوى مواجهة المد النابليوني².

كانت مقاومة إسبانيا لنابليون تمثل حركة وطنية أكثر كونها حرب بين ملوك³. ويستمد هذا المثل بعد ذلك في بروسيا، وأقاليم ألمانيا ضد فرنسا⁴، وبخاصة في ذلك الذي سيزداد فيه ظهور فرنسا وضوحا . وإذا كانت فرنسا قد تحملت الكثير في حرب إسبانيا، فإن تدخله في روسيا، سيقضي على معظم قواتها المسلحة . وكانت هناك عوامل عديدة تدفع روسيا إلى الوقوف في وجه نابليون، فبالإضافة إلى الخطر الذي كان يمثله من حيث السيطرة على مناطق واسعة من العمق الاستراتيجي الروسي ومناطق كانت بالنسبة لروسيا مناطق حيوية، جملة الأفكار التحررية المهددة لانتفاضة القوميات الخاضعة لها، ذلك أن صلح فيينا قد أقام حاجز منيعا من روسيا وبقية دول أوربا الغربية يضم كل المناطق من إقليم

1 : أحمد سويلم المصري، أصول العلاقات السياسية الدولية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، القاهرة، 1959، ص 155-156.

2 : ممدوح ناصر، المرجع السابق، ص 28.

3 : أ.ح جرانث، هارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950)، ترجمة بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، ص 174-175.

4 : نفس المرجع السابق، ص 178.

غاليسيا¹ إلى دوقيه وارسو².

كما أن نابليون لم ينفذ وعده في صلح تيلست Tilsit³ لمساعدة روسيا على التوسع على حساب الإمبراطورية العثمانية، وكان الحصار البري يسبب ضيقا لروسيا، كما أن مصادقة فرنسا للنمسا جعل فرنسا تهمل مصالح روسيا، نقض القيصر معاهدة تيلست في 1810 وفتح الموانئ للسلع الإنجليزية وكان هذا القرار يتعارض مع الأسس التي بنى نابليون سياسته الخاصة بإنشاء الحصار البري⁴، حتى

1 : منطقة تاريخية مقسمة بين بولندا وأوكرانيا، شهدت أكبر توسع لها بين عامي 1772-1918 م .

Jacques le Rider : La Galicie au temps des Hasbourg (1772- 1918) ; Historie , société, cultures contact , éd , P U F, 2010.

2 : وارسو أو فرسوفيا (بالبولندية)، هي عاصمة بولندا، في 1795 تم ضمها من قبل مملكة بروسيا، ثم تحررت من قبل جيش نابليون بونابرت 1806، وأصبحت من ذلك الوقت عاصمة دوقية وارسو، وبعد مؤتمر فيينا 1815 أصبحت وارسو في ظل اتحاد خاص مع الإمبراطورية الروسية .

3 : بعد انتصار نابليون في معركة فريدلند، أبرمت معاهدة في 7 يوليو 1807، بينه وبين قيصر روسيا لألكسندر الأول، أنهت حرب التحالف الرابع، وقد نصت هذه المعاهدة التي ترتقى في بنودها إلى تحالف، حيث : أصبح لروسيا الحق في الاحتفاظ بممتلكاتها وأن تنهي تعاونها مع إنجلترا، وأن تنضم إلى فرنسا للحفاظ على السلم في أوروبا، كما أن الاتفاق السري يسمح لروسيا في ضم فنلندا والاستيلاء على السويد، ومن جانبها أصبح لفرنسا الحق في غزو البرتغال التي كانت قاعدة أمامية لإنجلترا، وإذا فشلت ساعي إقامة سلام مع إنجلترا بوساطة روسيا، فإن روسيا تنظم إلى فرنسا في مواجهة إنجلترا حصارا وبحران واعتبر نابليون هذه المعاهدة انتصارا دبلوماسيا منقطع النظير، وضحي فيها نابليون بالدولة العثمانية : البدرى، مرجع سابق، ص 56 انظر أيضا : Roger DuFraisie et Michel Kerautret : La France Napoléonienne, Aspects Extérieurs 1799- 1815, Paris, éditions du Seuil , 1999.

Benoit Pellistrandi : Les Relations Internationales de 1800- 1871, Paris , Armand Colin, 2000

4 : بعد أن سيطر نابليون على وسط أوروبا وفشله في إخضاع إنجلترا من خلال محاولات غزه وعكا (بلاد الشام) والسيطرة على طرق المواصلات البحرية، اتبع أسلوب جديد هو الحصار، القاري لإخضاع إنجلترا من الناحية الاقتصادية، فأغلق جميع الموانئ الأوروبية أمام السفن التجارية الإنجليزية، وهدف أيضا إلى تعويض البضائع الفرنسية البضائع الإنجليزية في الأسواق الأوروبية، وقد أضرت هذه السياسة المصالح الأوروبية، وانتشرت ظاهرة التهريب، خاصة من ميناء لشبونة، وكانت نتيجة الحصار خروج روسيا وعدم الالتزام به لأنها كانت أولى الدول المتضررة منه .

يصل إلى إخضاع إنجلترا، ويتعارض كذلك مع الحروب التي خاضها نابليون حتى ذلك الوقت من أجل إعادة تنظيم أوروبا، وكذلك فإن نابليون قرر مهاجمة روسيا¹. ولا شك في أن تطبيق سياسة الحصار البري التي كانت قد أدت إلى ازدياد أسعار السلع، كما تم تجنيد القوات من أجل الحروب المستمرة كان قد قلل من الأيدي العاملة والإنتاج، وجعل أوروبا ترزخ تحت أحكام عسكرية، وفي ظروف تعبوية، دون أن تكون أسباب معينة مسيرة لها. وكذلك فإن نابليون قد لعب ببطاقة الهجوم على روسيا لعبة خطيرة، إذ أنه قام بها وهو يشعر بحركة عدم الرضا عليه وعلى نظامه في أوروبا، وكانت إمكانية عدم وصوله إلى نصر حاسم على روسيا تهدده مواجهة حركة مقاومة عنيفة في كل القارة الأوروبية².

لم يتمكن نابليون رغم الجهود التي بذلها مارشالاته من تحقيق النصر المظفر على الإمبراطورية الروسية، وكانت هزيمة ساحقة ذاقها نابليون أو أذاقها الروس له في مواجهة الطبيعة في بلادهم، ولكنها كانت هزيمة واضحة أمام أوروبا وتسبب وصول أنبائها في تحرك البروسيين الذين رغبوا في الانضمام إلى جانب الروس للانتقام والثأر مما حدث لهم في أينا³، وكانت بروسيا قد قامت ببعض الإصلاحات في بلادها، سواء فيما يتعلق بالحكومة أو المالية أو الجيش. الأمر الذي أعطاها القدرة على أن تأمل في

Thieray lentz : Nouvelle Histoire du premier Empire- T1, Napoléon et La conquête de l'Europe 1804- 1810, 2002.

1 : قررت روسيا التخلي عن اتفاق تلسيت في 13 ديسمبر 1810، وهو ما اعتبره نابليون خيانة من الطرف الروسي .

أنظر : Benoit Pellistrandi , op cit , p.181

2 Thierry Lentz, op cit , pp.67-69

3 : في 14 أكتوبر 1806 واجه 90 ألف من الفرنسيين 50 ألفا من البروسيين والساكسونيين، وبعد معركة شرسة دامت 10 ساعات، انتهت بهزيمة البروسيين، وكان لهذه الهزيمة أثارها على مستقبل الحرب الفرنسية البروسية، حيث دخل نابليون بونابرت برلين يوم 27 أكتوبر، وتم احتلال أربع أخماس بروسيا، وكانت هذه المعركة شكلا للحرب الخاطفة التي أبدع فيها نابليون .

Marcel Dupont : Napoléon en Campagne, Hachette, 1952.

أخذ جولة جديدة وحاسمة ضد نابليون وقواته، وكان البروسيون يرغبون في إنهاء ذلك الحصار الذي قيد وصول السلع وحد من خروجها¹. والرغبة في محو آثار الهزيمة، واحتلال الفرنسيون لبلادهم.

تحالفت بروسيا وروسيا في معاهدة كالياس² 28 فيفري 1813 وكون نابليون جيشا جديدا تقدم به صوب بروسيا، فانتصر عليهما في موقعه لوتنز التي لم تكن حاسمة مثل أوسترليتز³ وإييا.

و يظهر جليا أن جبهة المتكتلين ضد فرنسا تزايدت عدديا، واضطر نابليون إلى أن يواجه قوات كل دولة على حدة⁴. و انتصر في أول الأمر على القوات النمساوية قرب درسدن⁵، ولكن قاداته فشلوا في بقية الميادين، واضطر في منتصف شهر أكتوبر ونتيجة لخسائره الفادحة إلى التقهقر إلى ما وراء الراين⁶.

كان لمسار الحرب وسياسة الإمبراطورية الفرنسية في الأقاليم الأوروبية ان أدت الى تهاوي الإمبراطورية، فقد نشبت الثورة ضد نظام نابليون في إيطاليا، وأعادت هولندا أسرة أورانج⁷ إلى الحكم،

1 : Thierry Lentz , Nouvelle Histoire , op cit, p.23

2 : Marcel Dupart , op cit , p.115

3 : تعرف بمعركة الأباطرة الثلاثة، وقعت في 2 ديسمبر 1805، بين الإمبراطورية الروسية بقيادة القيصر ألكسندر الأول، والإمبراطورية الرومانية المقدسة بقيادة الإمبراطور فرانسيس الثاني، مقابل الإمبراطورية الفرنسية بقيادة الإمبراطور نابليون بونابرت، وانتهت بنصر حاسم لفرنسا. أنظر :

Jacques Garnier : Austerlitz : 2 Décembre 1805, Paris, Fayard, 2005, p.134.

4 : Thierry Lentz, Nouvelle Histoire , op cit, p.56

5 : Jacques Logie : Waterloo, l'Évitable Défaite ,op cit ;p.121

6 : Jean Noël Brégeon, La paix et la guerre , op cit, p.206

7 : أسرة من النبلاء الألمانية الأصل انحدر منها ملوك هولندا، نشأت منذ أوائل القرن الثاني عشر .

وعقدت نابولي الصلح مع النمسا وتمكن ويلسلي دون ويلجتون¹ من إنزال الهزائم بالقوات الفرنسية في إسبانيا، فأخذت القوات الفرنسية في الانسحاب من أوروبا إلى فرنسا نفسها². بل وحتى فرنسا نفسها بدأت تشعر بأنها تدفع أكثر من اللازم، وأنها تعمل من أجل مجد نابليون، ومجد أسرته، وأنها ظلت تعيش حالة تعبئة مستمرة وفي حرب بلا نهاية³.

و قد شكلت معركة لايبزيغ⁴ واحدة من أكبر معارك حروب نابليون والتي انتهت بتدمير قواته في ألمانيا وبولندا، واضطر إلى الانسحاب إلى الغرب من نهر الألب، وبالتالي وضعت هذه المعركة علامة النهاية للإمبراطورية الفرنسية في شرق نهر الراين⁵.

على إثر هزيمة ليبزيغ LEIPZIG اجتمع الحلفاء في فرانكفورت الألمانية في شهر نوفمبر 1813، عرضوا فيه على نابليون أن يبقى ملكا لفرنسا بحدودها الطبيعية، ولكنه بطبيعة الحال رفض وصمم على

1 : هو ارتر ويلزيلي Arthur wellesley، وشهر باسم دوق ولنغتون (1769- 1852)، هو قائد عسكري وسياسي بريطاني من أصل إيرلندي، كان وراء النصر على نابليون في معركة واترلو عام 1815 م، تولى رئاسة الوزراء من 1828- 1830 و 17 نوفمبر إلى 9 ديسمبر 1834. أنظر أكثر عن بيلوغرافيا ولنجتون في العمل القيم :

Henri Alexis Brialmont : Histoire du Duc de Wellington, 3 volumes, 1856- 1857.

Arthur Arjuzon: Wellington, Perrin, 2015,

2 : Jean Noël Bregeon: la Paix et la Guerre , op cit, p.198

3 : Marcel Dupont, Napoléon en Campagne, op cit , p.201

4 : تسمى بمعركة الأمم (16-19 أكتوبر 1813) دارت المعركة في لايبزيغ ولاية ساكسونيا الألمانية ما بين ما يقرب من 185 ألف من القوات الفرنسية مقابل 320 ألف من القوات المتحالفة . وتعد هذه المعركة عند الكثير من العسكريين أكبر معركة في أوروبا حتى الحرب العالمية الأولى. أنظر تفاصيل أكثر في :

Alain Pigeard : Leipzig : La Bataille des Nations, Soteca , Napoléon 1^{er} édition , 2009.

Benoist Bihan , « du 14 au 19 Octobre . Leipzig l'Inévitable Dénouement » in guerres et Historie , N° 13 , Juin 2013 , P 50-55

5 : جلال يحيى، التاريخ الأوروبي، الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص : 340- 341 .

الحرب حتى النهاية ¹. وكان نابليون هو الذي طلب الهدنة ووساطة إمبراطور النمسا في عقد الصلح، ولكن الإمبراطور اشترط أن يقوم نابليون بإعادة أملاكه قبل التدخل والوساطة ورفضها نابليون، فانظم إمبراطور النمسا إلى بروسيا وروسيا في 27 جوان 1813 وانضمت بريطانيا إلى هذه التحالف بمقتضى اتفاقية " راينباك " وتبعته السويد وعدد من الدول والدويلات الأخرى ².

سقط نابليون وانهمز واتفقت الأطراف المتحالفة على إعادة فرنسا إلى حدودها عام 1792 وإعلان استقلال كل من هولندا وإسبانيا والبرتغال، وإقامة كونفدرالية ألمانية في " الراين " لتكون بمثابة الحاجز أمام أي تطلعات فرنسية مستقبلية، ووقع نابليون مع رؤساء الحلفاء معاهدة فونتان بلو الشخصية وفيها تنازل عن عرشه وعن جميع الحقوق التي تعود له ولأسرته في فرنسا.

ذهب نابليون ولكن الأفكار والمبادئ التي استقدمته الى اوروبا لم تذهب، بل ستشكل انطلاقة جديدة خاصة مع عودة العروش والملوكيات الرجعية، والغاء الدساتير التي اعتمدها نابليون في إيطاليا واسبانيا، وكان ذلك بالنسبة لعروش اوروبا صداعا اخر لا بد من مواجهته ومعالجة مضاعفات الحروب النابليونية ومشروع تصدير الثورة الفرنسية.

1 : جلالى يحيى، المرجع السابق، ص 341 أنظر أيضا Alain Pigeard , op cit ,p.186

2 : فاضل حسين، كاظم هاشم نعمة، التاريخ الأوروبي، المرجع السابق، ص 09-10.

خاتمة الفصل:

ظلت أوروبا إلى عهد قريب متشبثة بالفكرة المسيحية كشكل من أشكال الوحدة، ولكن مع ظهور النظريات السياسية الحديثة، كنظرية العقد الاجتماعي لصاحبها روسو، والتي وجدت في الثورة الفرنسية تطبيقاتها، وأداة لانتشار هذه الأفكار شكلت وخلقت بحق هذه الحالة وحدة روحية سياسية جديدة في أوروبا.

تأثرت العديد من شعوب أوروبا بالمبادئ التي قامت على أساسها الثورة الفرنسية، وكانت الكثير من الشعوب الأوروبية ترى فيها النموذج بل الشحنة المحركة للعمل الثوري ودافعا قويا لمطالبها الثورية. اختلفت اشكال التأثير حسب بيئة وأوضاع كل منطقة، وقدرتها على استيعاب أفكار الثورة وتحويلها الى برامج ثورية سواء ما تعلق بانخراط النخب السياسية او الفكرية او حتى الجماهير الشعبية، على ان مستويات التأثير تراوحت بين تبني الفكر الثوري الفرنسي او استيراد مخرجات الفعل الثوري الفرنسي من مفاهيم سياسية وتنظيمات سياسية ومؤسسات ثورية.

الفصل الرابع

المسائل القومية في ظل المحفل الأوربي 1815-1830

المبحث الأول: مؤتمر فيينا وبناء معالم السياسة الاورو -أوربية.

المبحث الثاني: المحفل الاوربي وتطور فكرة التنظيم الدولي.

المبحث الثالث: انحلال المحفل الأوربي وأسباب ذلك.

المبحث الأول: مؤتمر فيينا وبناء معالم السياسة الاورو -أوربية :

شكلت حروب الثورة ونابليون، منعطفًا حاسمًا وتحولًا عنيفًا وجذريًا في الساحة الأوربية، حيث تمكنت من هدم معالم الحياة القديمة في أوربا ودعت الحاجة إلى عقد مؤتمر للبحث في انعكاسات الحرب وتسوية المشكلات المترتبة عنها ¹.

استقر أمر عقد المؤتمر على مدينة فيينا²، وذلك لاعتبارات تاريخية، جغرافية وسياسية، تمثلت أولاً في جذورها التاريخية في المواجهات العسكرية، وكونها مدينة أوروبية عظيمة، وعاصمة لدولة من الدول الكبرى التي انتصرت في الحرب وقلب أوربا ومركزها، إضافةً إلى طبيعة حكومتها الرجعي، والتي مثلت روح العصر من معنى المحافظة على التقاليد والقانون والنظام الأوربي الرجعي (الملكي المطلق).

بالنظر إلى ما ورد في معاهدة باريس في 30 مايو 1814م فقد اعتبرت الحرب منتهية فعلاً وقانوناً بين فرنسا وبين الدول المتحالفة، أي أن دواعي عقد المؤتمر لم تكن لإبرام الصلح. لأن شروطه قد نصت عليها معاهدة باريس سلفاً ³، وليس من أجل إعادة ترتيب شؤون أوربا وترميم النظام الأوربي نتيجة ما أوقعته حروب الثورة ونابليون، لكن الظاهر أنه هدف إلى تأسيس نظاماً أوربياً جديداً، يختلف في قواعده وسلوكياته عن نظام أوربا القرن الثامن عشر ⁴.

1. عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 31.

2. عاصمة النمسا، وسميت بهذا تطويراً عن اسمها اللاتيني (فيندوبونا) ومعناه الهواء الجميل أو النسيم العليا. تعرضت للحصار مرتين على يد العثمانيين إلا أنها ظلت صامدة (1529 و 1683). عرفت بعاصمة الثقافة والأدب، والبورصات فقد شهدت سنة 1873 معرض عالمي انتهى بأزمة مالية في ماي 1873، الأكبر في تاريخ البنوك والمصارف.

3. فاصل حسين، المرجع السابق، ص 13.

أنظر أيضاً: De Sédouy: le congrès de vienne , op cit ; p. 166.

4. عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 31.

وربما أنها كانت أيضاً تمثل بعض آمال الشعوب الأوروبية في تحقيق تسويات تأخذ بالتطلعات القومية فيها، لكن الذي حدث أنّ السياسيين الذين اجتمعوا في هذا المؤتمر، اعتقدوا على العكس من ذلك، فقد اعتبروا أن النظام القديم يمثل الأمل للشعوب الأوروبية ليضمن لها حريتها، ويحقق سيادة القانون والمحافظة على التوازن الدولي 1.

إذاً لم يكن الأمر يتطلب أكثر من إدخال تحسينات على النظام الأوروبي، وهم إذ يقرون بالعمل ضمن نطاق النظام القديم وعدم المساس بجوهره، فقط أهملوا وتجاهلوا الثورة الفرنسية والمبادئ الجديدة الذي جاءت بها، وشهدت أوروبا عودة الملكيات السابقة إلى الحكم، وعودة الأنظمة القديمة عموماً، وعودة عهد الرجعية في أوروبا 2.

مثلت المادة الثانية والثلاثين من معاهدة باريس الأول السند القانوني لانعقاد المؤتمر، ولحكم هذه المعاهدة كان مشاركة فرنسا شرعية، ومقابل ذلك أضاف المجتمعون بنداً سرياً نص على أن يكون للحلفاء فيما بينهم هم وحدهم فقط الحق في وضع المبادئ والقواعد التي تجري عليها تسوية الصلح النهائية 3.

صار المؤتمر يتألف من الدول التي وقعت على معاهدة باريس الأولى 4، وكانت سبعة: هي بريطانيا، روسيا، النمسا، بروسيا، السويد، إسبانيا، البرتغال، وفيما تبين أن العدد الكبير، انحصر النشاط بموجب اتفاق بين الدول الكبرى بين دول أربع فقط هي: بريطانيا، روسيا، النمسا وبروسيا،

1. Charles Dupris, op cit ; p. 239 .

2. فاضل حسين، المرجع السابق، ص 13.

3. عمر عبد العزيز، المرجع السابق، الهامش رقم 1 ص 32. وأيضاً :

Carstern Holbraad , The Concert of Europe , A study in German and British international Theory, longmans, 1970, pp. 56-57

• Kissinger , Diplomatie, Paris, Fayard , 1996- p. 10 4

ألفت منهم ما يعرف باسم " لجنة الأربعة "، على أن تاليران الفرنسي استطاع إقناع الأربعة السماح لفرنسا الانضمام إليهم، وتحولت عندئذ إلى " لجنة خماسية " ومثلت بحق المؤتمر فعلاً 1.

واستأثرت وحدها ببحث المشكلات والمسائل الهامة، وباتخاذ القرارات الحاسمة بشأنها، وعندما انتهى مؤتمر فيينا من أعماله انضمت ثلاث دول أخرى هي: السويد، إسبانيا، والبرتغال إلى الدول الخمس الأول في التوقيع على وثيقة أو قرار المؤتمر النهائي Final Act في 09 جوان 1815م 2.

فحين اقتصرت مشاركة ممثلي سائر الدول الإمارات والدوقيات الذين بلغ عددهم في فيينا المائة تقريباً، في أعمال اللجان الفنية، ولم يجتمع إطلاقاً المؤتمر بهيئته الكاملة، ولم يعقد جلسة واحدة رسمية تضم جميع أعضائه، سواء عند البدء في العمل أو عند الانتهاء منه.

حضر المؤتمر عددًا من الشخصيات التي سيكون لها الدور الفاعل في زعيم السياسة وحال أوروبا، ومن هؤلاء :

مترنيخ 3 ووزير النمسا وأعظم السياسيين في أوروبا حنكة وتجربة، مع أنه لا يتجاوز الواحد والأربعين من عمره.

إسكندر الأول 4 قيصر روسيا، الرجل الخيالي والعبقري، والذي يحمل على كتفيه رأسًا

1. Sorel Albert :l'Europe et la Révolution, Paris , plon, 1885-1904 ,8 Vol, tomes VI et VIII.

2. عمر عبد العزيز: المرجع السابق، ص32 أنظر: 250- 252 De Sédouy: op cit ;

1. 1773 - 1859 سياسي ورجل دوله نمساوي ومن أهم شخصيات القرن التاسع عشر. ينسب إليه وضع قواعد العمل السياسي التي سارت عليها القوى الكبرى في أوروبا طوال الأربعين عاما التي أعقبت هزيمة نابليون بونابرت. شكلت مبادئ مترنيخ، والتي تبلورت خلال مفاوضات مؤتمر فيينا، مجرى الأحداث السياسية الأوروبية الأساسية. يعتبر البعض مترنيخ خير من طبق مبادئ الميكيافيلليه السياسية بصورتها الكلاسيكية. لقب بأبي الاستبداد الأوروبي.

4. Sedouy, Le concert Européen , p 30- 36.

مزدحمًا بالآراء والمشروعات 1.

" لورد كاسلريه **Castlereagh** " 2 وزير خارجية بريطانيا وهو كما يوصف رجل عمل وجدي وذو تجربة، ويتصف بالاتزان والأمانة.

" تليران " الذي خدم نابليون وزيرًا لخارجيته حتى عام 1814م نبذه للإمبراطور.

بدأت أعمال المؤتمر باجتماع ممثلي الدول الأربع: بريطانيا، روسيا، النمسا، بروسيا في 13 سبتمبر 1814م، وفي 23 سبتمبر انظم " تاليران " إلى لجنة الأربعة فأصبحت لجنة الخمسة.

وإلى جانب هذه اللجنة الخماسية أنشأ المؤتمر عددًا من اللجان الأخرى لدراسة الموضوعات التفصيلية وإعداد البيانات اللازمة ومنها 3 :

-لجنة الثمانية وهي التي وقعت على القراء النهائي في 09 جوان 1815، وكانت مهمتها تلقي القرارات والبحوث الخاصة بالمسائل الأوربية الهامة، كما درست موضوع تجارة الرقيق ومسألة الاتحاد السويسري 4.

1. عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 18.

2. روبرت ستورات (1769، 1822)، بدأ العمل السياسي مبكرا في سن 21 سنة دخل البرلمان الإيرلندي، ولما تولى الملك جورج III وأباه عمادة لندن تلقب بالكونت، تولى عدة مهام منها كاتب دولة للشؤون الحرب، والمستعمرات وتولى إيرلندا كحاكم عام، وفي 1812 تولى أهم منصب وهو كاتب دولة للشؤون الخارجية، قد ساهم في حمل أوروبا لمواجهة فرنسا، وكان أحمد مهندسي السياسة الدولية آنذاك، انتحر في 12 أوت 1822 واضعا حدا لحياته لأسباب يراها البعض تتعلق بضغوط العمل السياسي، وآخرون جعلوها أسبابا شخصية في 1853 نشرت أوراقه ومذكراته.

عن حياة كاسلريه أنظر: Antoine d'Arjuzon: Castlereagh 1769- 1822 , ou le Défi à l'Europe , de Napoléon , Tallandier, 1995.

3. Allain , et autre: Histoire de la diplomatie française , pp. 226.

4. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ص 18-20.

- "اللجنة الألمانية" لبحث شؤون ألمانيا ووضع دستور لها، لجنة الإحصاءات وقد اختصت بتعداد السكان في الأراضي لجنة الإحصاءات وقد اختصت بتعداد السكان في الأراضي التي يراد استبدالها أو إعطائها كتعويض كجزء من المستويات التي يتفق عليها المؤتمر 1.

1- تسويات المؤتمر:

ناقش المؤتمر العديد من القضايا المرتبطة بمستويات وإعادة ترتيب البيت الأوروبي وإعادة رسم خريطته 2، ولعل أهم القضايا التي درسها المؤتمر وكادت تتحطم بسببها أعمال المؤتمر، المسألة البولندية - السكسونية 3، ويمكن أن ندرج هذه المسألة ضمن المساعي الروسية لبعث بولندا القديمة إلى الوجود، واعتمد في ذلك على ما جاء في معاهدة كالي، والتي تضمنت اتفاقاً بتوسيع بروسيا في ألمانيا الشمالية، بينما نالت روسيا حق التصرف في بولندا، فاعتمدت روسيا على هذه المعاهدة في المطالبة بكل بولندا، وأراد القيصر إسكندر الأول أن يضم غراندوقية وارسو التي أنشأها نابليون، إلى بقية أجزاء بولندا التي كانت روسيا قد استولت عليها من أيام تقسيم بولندا في القرن الثامن عشر في معاهدات التقسيم الثلاث المعروفة من 1772م، 1793م، 1795م 4.

إذا كانت مساعي روسيا هي منح بولندا دستوراً، وإقامة حكومة برلمانية، والجمع بين بولندا وروسيا من اتحاد تحت التاج القيصري، إلا أن ما كان يحول دون ذلك هو أن وارسو كانت تتألف من المقاطعات البولندية التي هي أصلاً من نصيب بروسيا 5 في التفاهات السابقة، أمام ذلك وافقت بروسيا على التنازل للقيصر الروسي مقابل نيلها تعويضاً في سكسونيا، خاصة مدينتي درسدن وليبنج

1. عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 30-32.

2. فاضل حسين، المرجع السابق، ص 20.

3. عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 32.

4. De Sédouy: op cit ; p. 251 ..

5. Leomard Chodiko, Le Congr  de Vienne et les trait s de 1815, pr c d s et suivis des actes diplomatiques s'y rattachent, 1863-1864, Amyot, Paris, vol 1, p. 211 .

1، على اعتبار أن ملك سكسونيا فريدريك أغسطس قد سقط حقه وحق أسرته في الاستفادة من مبدأ الشرعية، أي إرجاع الحقوق إلى أصحابها الشرعيين، لأنه استمر موالياً للإمبراطور نابليون حتى معركة لينز (أكتوبر 1813م)، ولم يعد له أي حق في الاحتفاظ بأملكه، وساندت روسيا وجهة النظر البروسية، ودافعت عن مصلحتهما المشتركة².

وفي الطرف الآخر، عارض "مترنيخ وكاسلريه" هذه التفاهات، ولكل مخاوفه، رأى مترنيخ أن بعث بولندا القديمة على ما دعت إليه روسيا، يعني أن "غاليسيا Galicia" 3. و "كراكاو Krakow" ستؤول إليها بعد أن كانت من نصيبها في تقسيم 1772م و 1795م، ثم إن امتداد روسيا إلى نهر الفستيو لا الذي تقع عليه وارسو، يعني سيطرتها على وسط أوروبا وهذا الخطوط الحمراء في السياسة الخارجية النمساوي كما خشى مترنيخ من ازدياد نفوذ بروسيا في ألمانيا الشمالية والوسطى إذ هي وسعت نفوذها في سكسونيا⁴.

أن "كارسلريه" فقد أبدى عطفًا وميولاً نحو قبول فكرة إحياء بولندا، لكن مخاوفه هو احتمال تهديد هانوفر (مسقط رأس الأسرة الانجليزية المالكة) بالخطر.

وعليه انقسمت الدول الأربع فريقين روسيا وبروسيا في جانب، وإنجلترا والنمسا في جانب آخر، وازداد الخلاف حدة، إلى درجة أن القيصر أخذ يتهدد المؤتمر، حيث قال في حديث له مع تاليران: "إن لدى مائتي ألف جندي الآن يرابطون في دوقية وارسو، فليحاول من يشاء إخراجي ن هذه الدوقية وأما أنا فقد أعطيت سكسونيا إلى بروسيا" 5.

1. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 20.

2. فاضل حسين، المرجع السابق، ص 20.

3. De Sédouy: op cit ; p. 250- 252 .

4. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 19.

5. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 20.

كان لهذا الخلاف الأثر الأكبر في انضمام فرنسا للجنة الأربعة، فما إن انعقدت أولى جلسات المؤتمر الرسمية في 24 ديسمبر 1814م، حتى تقدم " كاسلريه ومترنيخ " باقتراح يطلبان فيه أن تضم فرنسا إلى المؤتمر، وأصر على قبولهما ضمن لجنة الأربعة، فأزعج هذا الاقتراح والإصرار على التمسك به كلا من روسيا وبروسيا، ولكن تعذر عليهما الرفض، خاصة وأن فرنسا هددت باستشارة الدول الصغيرة للوقوف موقف المعارضة 1.

اضطرت روسيا وبروسيا بول انضمامها للجنة الأربعة، عمل تاليران وزير خارجية فرنسا على تعضيد موقف إنجلترا والنمسا، وأسفر ذلك عن عقد محالفة سرية دفاعية بين الدول الثلاث: إنجلترا وفرنسا والنمسا في 03 يناير 1815م، أدركت بروسيا وروسيا أنه لا مناص من قبول حل وسط لفض المشكلة البولندية السكسونية إذا أرادت تجنب الحب 2. وتمثل الحل الوسط في :

- إبقاء سكسونيا مملكة مستقلة، ويدخل في نطاقها كل من درسن وليبنج.
- تناولت سكسونيا عن خمس مساحتها الشمالية إلى بروسيا.
- نالت بروسيا تعويضاً آخر بدلاً من سكسونيا ي وستفاليا وعلى شاطئ الراين 3.
- استولت روسيا على بولندا فيما عدا " بسوزن Pozen " وبروسيا الغربية فقط احتفظت بهما بروسيا، وغاليسيا احتفظت بها النمسا، وأعلنت كراكاو مدينة حرة 4.

1. عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 32.

2. فاضل حسين، المرجع السابق، ص 20.

3. عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 32.

4. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 20.

لقد خدم هذا الحل الوسط مصالح إنجلترا والنمسا في المسألة البولندية السكسونية، فكيف خدم فرنسا.

إن تأييد " تاليران بموقف بريطانيا والنمسا، ساهم في خروج فرنسا من عزلتها، ودخولها في لجنة الأربعة، وانحلال التحالف الأوروبي ضدها.

من المفيد هنا التذكير بالانتقادات التي وجهت لتيلران، إزاء موقفه من المسألة البولندية السكسونية، فقد تسبب موقفه في ضياع أكبر فرصة أتاحت لسياسي فرنسي ليعيد وطنه، فقد تقدم بروسيا وروسيا بعرض مشروع على فرنسا مضمونه: أن ينال ملك سكسونيا في حالة استيلاء بروسيا على مملكته، تعويضاً في أقاليم أخرى تقع على شاطئ الراين الأيسر ليؤسس مملكة جديدة، بحيث تتألف هذه الدولة الناشئة من دوقية لكسمبرغ، ومطانية " تريف **Trevés** " ومدينة " **Boon** 1، وأديرة " **Prüm** روم "، و " ستافيلو **Stavelot** "، و " ماليميدي **Malmedy** "، ويبلغ سكانها 700 ألف نسمة.

لقى هذا المشروع معارضة شديدة من جانب " مترینخ "، لأنه لا يريد استيلاء بروسيا على سكسونيا، كما عارض " كاسلريه " المشروع لما فيه من خطر على بلجيكا ومعارضته لإقامة دولة ذات ميول فرنسية 2.

بدأ المقترح الروسي والبروسي ذا أهمية كبيرة لفرنسا إن فريدريك أغسطس كان صديقاً لفرنسا، وأن الدولة الجديدة من المنتظر أن تكون كاثوليكية، وأن يكون أكثرية سكانها من الغالبين، ولا شك حالة التوتر والعداء ستكون شديدة مع بروسيا، وأن الدولة الجديدة المقترحة سوف تكون بمثابة حاجز بين فرنسا وألمانيا 3.

1. De Sédouy: op cit ; p 252 . .

2. فاضل حسين، كاظم هاشم، المرجع السابق، ص 12. أنظر أيضا جرانيت، تمبلي: المرجع السابق، ص 279.

3. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ص 18.

ويبدو أن " تاليران " كان متخوفاً إذا هو أيد المشروع البروسي الروسي أن تعتمد إنجلترا والنمسا إلى وخوض غمار الحرب لمنعه ووقفه، لقد استطاع " تاليران " تحطيم التحالف الأوروبي ضد فرنسا، ولكنه نجح في إعطاء فرنسا شرف القتال من أجل المحافظة على سلامة النمسا وتأييد النصر الذي أحرزته السياسة الانجليزية 1.

1. 1- تسوية فيينا :

كان حل المشكلة البولندية السكسونية قد سهل الاتفاق على حلول للمسائل الأخرى المطروحة، وقد شرع المؤتمر التوقيع على القرار النهائي في 9 يونيو 1815، خاصة بعد بلوغ أبناء فرار نابليون من جزيرة إلبا في 06 مارس 1815م، وتضمن هذا القرار التسوية للمسائل الست التي حددها المؤتمر كما يلي 2 :

أولاً: حصلت روسيا على فيلندا من السويد، ثم بساراييا من تركيا، وبسطت سلطتها على دوقية وارسو 3.

ثانياً: بالنسبة للنمسا فقد أرادت تأسيس إمبراطورية بعيدة عن كل اتصال مباشر بفرنسا، ولذلك رفضت استرجاع ممتلكاتها في جنوبي ألمانيا وفي بلجيكا، واستولت لذلك على التيرول وسالزبرج.

ثم نالت النمسا تعويضاً في شبه الجزيرة الإيطالية، فاسترجعت إقليم الميلاينز (لمبادريا)، وحصلت على البندقية ودلماشيا، وكافة الجزر التي كانت لجمهورية البندقية، وأصبحت النمسا بفضل

1. فاضل حسين، كاظم هاشم، المرجع السابق، ص 12.

2. عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 32-33.

3. وثيقة مؤتمر فيينا.

استيلائها على البندقية وشاطئ الادرياتيک دولة بحرية 1.

ثالثًا: طبقت الدول في إيطاليا مبدأ "الشرعية" أي إرجاع الحقوق إلى أصحابها الشرعيين، فرجع ملك سردينيا إلى مملكته، وضمت إليه جمهورية جنوة القديمة، وأعيدت أسرة "Este" إلى "مودينا Modene"، وأسرة "لورين هايبرج" تسكانيا، أعيدت نابولي إلى ملكها القديم فردنند الأول من بيت البربون، وأسفرت هذه التسويات عن نفوذ عظيم للنمسا في شبه الجزيرة الإيطالية 2.

رابعًا: أخذت بروسيا تعويضًا في منطقة الراين يتألف من الإمارات الكنيسة القديمة في ماينز، ترير وكولونيا، وتكونت منها مقاطعة الراين السفلى "Nieder Rhein" وحصلت على مقاطعة وستفاليا، ثم أخذت من الدانمارك بوميرانيا السويدية "Pommerania" مقابل أن تتنازل لها عن دوقية لونبرج على نهر الإلب 3.

خامسًا: فصل الترويج عن الدانمارك وإعطاء الترويج إلى السويد في نظير استيلاء روسيا على فنلندا من أملاك السويد، ثم استيلاء بروسيا على بوميرانيا السويدية 4.

تسوية مسألة الاتحاد السويسري بالإبقاء على الكانتونات (المقاطعات) التسع عشر القديمة، مع إضافة ثلاث كانتونات جدد إليها منها جنيف. ذ، ووضع دستور فدرالي لها.

وضع دستور إتحادي لألمانيا فصار الاتحاد الكونفدرالي الألماني يتألف من أربع وثلاثين إمارة (زبدت واحدة فصارت خمسًا وثلاثين في سنة 1816م) وأعطيت رئاسة الاتحاد إلى النمسا 5.

1. عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 33.

2. De Sédouy: op cit ; p. 252- 253 .

3. وثيقة مؤتمر فيينا، المصدر نفسه.

4. Allain , et autre: Histoire de la diplomatie française , pp. 227 ..

5. فاضل حسين، كاظم هاشم، المرجع السابق، ص 12.

سادسًا: لم يتناول المؤتمر مسألة أمريكا الإسبانية، وكان " كاسلريه " يدرك أن إعادة العمل بالأنظمة الحكومية القديمة أمر مستبعد، وأن أمريكا الإسبانية سوف تصبح أسواقًا لبريطانيا، على كل لم يناقش المؤتمر المسائل الأمريكية الإسبانية، ولم تظهر أية دولة تحمسًا لذلك ما عدا بريطانيا **1**.

2- مبادئ وقرارات المؤتمر:

مثل مبدأ مترنيخ الأساس العام الذي وضع لتسويات فيينا ويتضمن إعادة الحدود والأسر المالكة في عدة أقطار أوروبية كما كانت قبل قيام الثورة ومجيء نابليون قدر الإمكان. وهذا المبدأ ينسجم مع توازن القوى أو التوازن الدولي المستعاد في أوربا، وكذلك مع مبدأ الشرعية الذي استغله تاليران لأجل إنقاذ فرنسا وتمكينها من أن تلعب دورا فعالا في مشاورات أوربا **2**. ولعل أبرز المبادئ التي اعتمدها المؤتمر:

1.2- مبدأ التوازن الدولي:

يقصد بمبدأ التوازن الدولي حصول كل دولة عظمى على الأراضي التي كانت في حوزتها عام 1805 أو ما يعادلها. لا شك أن الدول المعادية لفرنسا ونابليون اعتبرت أن حروب هذا الأخير قد أخلت بالتوازن الدولي **3**، وأنه من الضروري أن تعود فرنسا إلى حدودها القديمة أو ما يقرب منها وأن تحاط وتطوق بدول قوية تمنعها من العودة في المستقبل إلى الإخلال بالتوازن الدولي، أعادت تسوية فيينا التوازن الدولي قدر الإمكان **4**.

1. عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 35-37.

2-فاضل حسين، كاظم هاشم، المرجع السابق، ص 17.

3-المرجع نفسه، ص 17.

4-J. A. de Sédouy: op cit, p 240

وحرصت التسوية على عدم إعطاء ميزات لأية دولة أخرى من الدول العظمى تجعلها قوية بالدرجة التي تمكنها من السيطرة بمفردها على شئون أوروبا أو القدرة على المغامرة بالحرب وإحراز النصر على الدول الأخرى¹. وكانت هناك مجموعتين من الدول العظمى:

* المجموعة الأولى: في غرب أوروبا وهي بريطانيا وفرنسا.

* المجموعة الثانية: في شرق أوروبا وهي روسيا وبروسيا والنمسا.

نالت روسيا أكثر مما كان يود حلفاؤها، من ذلك حصولها على جزء كبير من بولندا ويشمل العاصمة وارسو التي استردتها من بروسيا واعدة بإقامة مملكة بولندية وطنية لها دستورها الخاص وكان حصول روسيا على كل هذه السلطة وهؤلاء الرعايا مخلا بالتوازن الدولي في نظر كاسلريه ومترنيخ².

طبق مبدأ التوازن الدولي في ألمانيا ولكن بروسيا شكت من أن الأراضي التي حصلت عليها أقل من تلك التي كانت تملكها عام 1805، فقد تنازلت لروسيا عن رقعة كبيرة من الأراضي البولندية، فنالت عوضا عنها نحو نصف ساكسونيا ومقاطعة الراين³.

وحصلت هانوفر بفضل صلتها ببريطانيا على كسب طيب من الأراضي⁴، أما سائر الدول الألمانية الصغرى فقد رسمت حدودها وفصلت معالمها وفق أهواء النمسا أو بروسيا، ولم يوضع أي اعتبار تقريبا لمصالحها الخاصة وقد هبط العدد الإجمالي للدول الألمانية في الاتحاد الألماني الجديد إلى ثمان

1-J. A. de Sédouy: Le concert European, op cit, p. 49-60

2-فاضل حسين، كاظم هاشم، المرجع السابق، ص 17.

3- المرجع نفسه.

4-Holbraad Carsten, The concert of Europe, A study in German and British international theory, Longmans, 1970, p. 341

وثلاثين أو تسع وثلاثين ولاية، واحتفظت النمسا بزعامة ألمانيا الفعلية وإن لم تتخلف عنها بروسيا كثيراً¹.

في إيطاليا أعيدت الولايات البابوية إلى الوجود وأنشئت مملكة نابولي من جديد تحت حكم ملك من سلالة آل بوربون². أدمجت هولندا وبلجيكا في مملكة واحدة واعترفت جميع الدول بسويسرا كدولة مستقلة وضمنت لها حدودها. واستعادت كل من إسبانيا والبرتغال حدودها القديمة، وفصلت النرويج عن الدنمارك وضمت إلى السويد³.

أحيطت فرنسا من جميع حدودها وطوقت بدول قوية نسبياً لمراقبتها ومنع قيامها بتعكير السلام العالمي والاخلال بالتوازن الدولي، فقد جعلت بروسيا قوية لتكون حارساً على فرنسا، وكان إدماج بلجيكا وهولندا في مملكة واحدة على حدودها الشمالية من أجل تدعيم قدرة الدول الصغيرة على مقاومة فرنسا⁴. ومن الجنوب قرر المجتمع توسيع وتقوية مملكة سردينيا وإعادة الأراضي التي فقدتها إسبانيا والبرتغال إليهما للغرض نفسه أي تطويق فرنسا ومراقبتها⁵.

1- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 18.

2-Leomard Chodiko, Le Congr  de Vienne et les trait s de 1815, pr c d s et suivis des actes diplomatiques s'y rattachent, 1863-1864, Amyot, Paris, vol 1, p. 211

3- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 18.

4 -Castan Holbraad: op cit, p. 121

5-Ibid, p. 122

2. 2- مبدأ الشرعية:

ويقصد بمبدأ الشرعية عودة الأسر المالكة القديمة إلى بلدانها وامتيازاتها وعودة الحكم المطلق قدر الإمكان¹. حيث عادت أسرة بوربون إلى الحكم في فرنسا ولكن ضمن حدود الدستور الذي منحه لويس الثامن عشر للشعب الفرنسي، كما عادت أسرة بوربون إلى نابولي وصقلية (مملكة الصقليين) ودعت ملكها في معاهدة سريعة عقدت بينه وبين مترنيخ (بموافقة كاسلري)، بأن لا يمنح بلاده دستوراً دون الحصول على موافقة النمسا وعادت أسرة بوربون إلى اسبانيا². وعادت أسرة سافوي إلى سردينيا (أوبيمونت) في شمال غربي إيطاليا³. وعادت أسرة أورانج إلى هولندا وضمت إليها بلجيكا، وعاد مختلف الأمراء الألمان الذين أدخلت أراضيهم في اتحاد الراين واستعادت النمسا البترول والأراضي التي جردت منها⁴.

3. 2- مبدأ التعويض:

عوضت الدول الكبرى وحليفاتها الدول الصغرى التي ساهمت في إسقاط نابليون، وعوقبت بعض الدول التي وقفت إلى جانبه مثل ساكسونيا والدنمارك ودوقية وارسو الكبيرة⁵.

1- عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث، من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت، ص 22.

2- وثيقة مؤتمر فيينا، المصدر السابق.

3- وثيقة مؤتمر فيينا، المصدر السابق.

4- المصدر نفسه.

5- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 19.

حيث عوضت النمسا لتنازلها عن حقوقها في الأراضي المنخفضة الجنوبية (بلجيكا) فأعطيت مركزا قياديا في إيطاليا إذ تقرر نقل أراضي جمهورية البندقية التاريخية (وبضمنها مقاطعة ايلريا على الساحل الشرقي من بحر الأدرياتيك)، ودوقية ميلانو (لومبارديا) بصورة مباشرة إلى امبراطورية هابسبرك¹ وأجلس أعضاء من أسرة هابسبرك على عروش دويلات إيطاليا الوسطى الصغيرة² (توكسانيا وبارما ومودينا)، وكانت مكاسب بروسيا مهمة بصفة خاصة إذ استعادت كل الأراضي الألمانية التي جردها منها نابليون، ونالت إضافة إلى ذلك بوميرانيا السويدية وأكثر من خمس أراضي ساكسونية وجميع أراضي ويستفاليا وأكثرية أراضي الراين³.

سلمت "بولندا المؤتمر" وفنلندا إلى روسيا لإسهامها الكبير في إسقاط نابليون، ولأجل تعويض هولندا ضمت إليها بلجيكا، تحت حكم أمير اورانج وأعيد إليها مستعمرة جاوا الهولندية⁴. وعوضت السويد لتنازلها عن فنلندا لفائدة بروسيا بحصولها على النرويج التي أخذت من الدنمارك، وبذلك عوقب ملك الدنمارك لوقوفه إلى جانب نابليون، وقرر المؤتمر توسيع وتقوية سردينيا فأعيدت إليها سافوي وبيدمونت وأضيفت إليها جنوا⁵.

1- المقصود هنا إمبراطورية النمسا نسبة إلى أسرتها الحاكمة آل هابسبورغ.

2- وثيقة مؤتمر فيينا الرسمية، المصدر السابق.

3- نفسه.

4- نفسه.

5- وثيقة مؤتمر فيينا الرسمية، المصدر السابق.

4. 2- قضايا أخرى متنوعة:

أصدر المؤتمر قرارات أخرى بعضها يخص مبادئ القانون الدولي، وقرارات أخرى متنوعة¹ تتعلق بمعالجة مسائل إقليمية كالمسألة البولندية ومسألة تشكيل الاتحاد الألماني وقرارات تتعلق أساسا بمسائل مختلفة منها:

1. النظر في مطالب الأفراد الذين أصيبت ممتلكاتهم في الحرب.
 2. سويت المنازعات الخاصة بقواعد الأسبقية والسلوك الدبلوماسي.
 3. اتفق على مبدأ ينظم شؤون الأنهار الدولية الذي ستكون له أهمية في المستقبل.
 4. أعلنت منافاة تجارة الرق للمبادئ الأساسية، فحرمتها فرنسا واسبانيا وهولندا والسويد، ووعدت البرتغال بتحريمها².
- ويعود الفضل في هذه المكاسب والآراء الإنسانية إلى كاسلري وإلى حماسة الشعب البريطاني من ورائه، هذا بالرغم من أن بريطانيا لم تمنع تجارة الرق فورا بل تلكأت في وقت متأخر³.
- ترتب عن مؤتمر فيينا وقراراته عدة نتائج يمكن أن نجمل بعضها فيما يلي:

- ترتب على عودة الملوك والأمراء السابقين إلى حكوماتهم القديمة ورجوع النظام القديم أن انتشرت الملكيات المطلقة في أوروبا بعد المؤتمر، فلم يزد عدد الدول التي كان لها دساتير تقيد حكومتها على ستة فقط وهي⁴: إنجلترا، فرنسا، الأراضي المنخفضة، الجمهوريات السويسرية الأرستقراطية والنرويج

1- نفسه.

2-De Sédouy,op cit, p. 66-69

3-Ibid, p. 68

4-François Luchaire: Naissance d'une constitution 1848, Fayard, 1998, P 17

ومملكة بولندا الجديدة. وحتى إذا نظرنا إلى محتوى هذه الدساتير ومستوى الحريات الذي تضمنه فإنها أبقى في العموم السلطة الفعلية في يد الملك أو في يد أرستقراطية صغيرة¹.

-ترتب على مبدأ التوازن الدولي والتعويضات قيام دول غابت فيها روابط اللغة والشعور بالمصلحة المشتركة والهدف المشترك أو الاتفاق في المذهب، مثل النمسا التي أصبحت تضم بين حدودها مجموعة من الأمم لا يربط بينها رابط².

-كما ترتب عن هذين المبدئين أيضا تجزئة ألمانيا وإيطاليا وبولندا، الأمر الذي أدى إلى قيام أحزاب وطنية فيها لتحقيق الأهداف القومية التحررية³.

وبهذا يمكن تفسير اهتمام النمسا باتخاذ إجراءات حازمة من أجل القضاء على الحركات الثورية باعتبارها كانت تضم أكبر مجموعة من الأمم ذات الأهداف القومية المتباينة بين حدودها⁴. وقد لخص مترنيخ الموقف في قوله: "إن غرض الجماعات الثورية واحد لا يتغير، وهو قلب كل نظام حكومي قانوني. فالواجب على الملوك أن يقابلوا هذا بمبدأ واحد لا يتغير أيضا، هو المحافظة على كل نظام قانوني

1-عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 23.

2-المرجع نفسه، ص 23.

3-ظهرت حركة نضالية كبيرة اتسمت بكثير من الثورية خاصة في الجامعات الألمانية، والتي مثلت الأرضية وراء حركة الاتحاد الألماني مستقبلا، أنظر: P. S Chroeder: The Transformation of European politics 1763-1848, the Oxford History of Modern Europe, Oxford University Press, 1994.

هناك أيضا كتاب قيم في هذا المجال لصاحبه: Ernest Weibel: Mille ans d'Allemagne, Histoire et géopolitique du monde germanique, Ellipses, 2007.

4-أيد مؤتمر فيينا وأكد ما ذهب إليه مترنيخ من أن إيطاليا وأجزاء من ألمانيا إنما هي "تغيير جغرافي" ليس إلا، أنظر جرانت، مرجع سابق، ص 283.

قائم"1.

-ترتب عن زيادة نفوذ النمسا في شبه الجزيرة الإيطالية في الوقت الذي كانت تتمتع بنفوذ كبير في ألمانيا، نظرا لأن الإمبراطور النمساوي كان رئيس الاتحاد الكونفدرالي بها، أن تأخرت وحدة إيطاليا وتعطل اتحاد ألمانيا لمدة خمسين عاما تقريبا، أي حتى 1870-18712.

- ترتب عن انسحاب النمسا من الحدود الفرنسية بتخليها عن بلجيكا، ثم حصول بروسيا على بعض الأقاليم الواقعة في نهر الراين، أن أصبح منوطا بروسيا حق الدفاع عن ألمانيا عموما، فارتفع شأن بروسيا³ ثم انتقلت إليها تدريجيا الزعامة في ألمانيا حتى صارت قبلة أنظار الدويلات والإمارات الصغيرة التي تطلعت إليها في الدفاع عنها⁴. واضطرت بروسيا إلى انشاء جيش قوي لتأدية هذه المهمة، يضاف إلى ذلك أن منح بروسيا أقاليم متفرقة في أنحاء ألمانيا قد جعلها مرغمة على العمل لربط هذه الأقاليم بعضها ببعض، فكان ذلك البداية السياسية التي أفضت إلى تشييد صرح الاتحاد الألماني⁵.

بالرغم من عيوب تسوية فيينا، فقد نجحت في تحقيق الغرض المباشر منها، الذي كانت الدول التي وقعتها تهدف إليه، وهو إقامة نظام دائم للتوازن الدولي⁶، وهو نظام استطاع على الرغم مما طرأ

1-عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص 24.

2-بالنسبة لألمانيا أنظر: Weibel :op. cit, p 324

بالنسبة لإيطاليا أنظر: César Vimercati: Histoire de l'Italie 1789-1863, Tome 2, Paris, imp. Gaittet, 1863.

3-De Sédouy :Le congrès de Vienne, op cit, p. 257-259

4-عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 25.

5-المرجع نفسه، ص 25.

6-De Sédouy: Le concert Européen, op. cit, p. 37-42

عليه من تبديل بسيط بانفصال بلجيكا عن هولندا سنة 1831، وتمكن إيطاليا من الخطو خطوة كبيرة نحو وحدتها في سنتي (1859-1860) أن يخدم السلام لمدة طويلة، فلم يعكر صفوه في هذه المرحلة سوى قيام حرب القرم 1 (1853-1876)، فيما عدا هذه الحرب التي وقعت في ميادين بعيدة، فلم تنشغل الشعوب والدول بحروب كبيرة².

وفي الحقيقة أن نظام التوازن الدولي الذي أقامته تسوية فيينا لم يتصدع إلا بقيام الحرب السبعينية بين ألمانيا وفرنسا، والتي فقدت فيها فرنسا الألزاس واللورين بعد أن استولت عليها الإمبراطورية الألمانية الجديدة بقيادة المستشار بيسمارك³ 1871.

- كان بفضل السلام الدائم والطويل الذي أوجدته التسوية أن تهيأت الفرصة لقيام وانتشار الثورة

1- هي حرب قامت بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الروسية في 4 أكتوبر 1853، واستمرت 3 سنوات، وقد وقعت بريطانيا وفرنسا في وجه التطلعات الإقليمية في الدولة العثمانية، ودعواتها لاقتسام ممتلكات الرجل المريض، في حين رأت بريطانيا وفرنسا في ذلك إخلال لنظام توازن القوى الأوروبي، وتهديدا لمصالحهما في المشرق العربي، وانتهت بتوقيع معاهدة باريس سنة 1856، من أهم بنودها تدويل مياه المضائق خاصة الدردنيل والبوسفور، واستقلال القرم عن العثمانيين، وتهديم كل أشكال التحصينات العثمانية على سواحل البحر الأسود. أنظر في هذا المجال:

.Candan Badem, The Ottoman Crimean war (1853-1856), Leyde, Boston, 2010

Camille Rousset, Histoire de la guerre de Crimée, Paris, Hachette, 1878

2- عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 26.

3- أتو ادوارد ليوبولدوفون بيسمارك (1815-1898)، هو رجل دولة سياسي بروسي، شغل منصب رئيس وزراء مملكة بروسيا (1862-1890) وأشرف على توحيد الولايات الألمانية، وأصبح أول مستشار لها بعد قيامها 1871، عرف بالمستشار

الحديدي. أنظر: Serge Berstein, Histoire de l'Unification Allemande, Paris, Flammarion, 2003

وكتاب قيم آخر عن دور بيسمارك في نشأة الاتحاد الألماني: Jean Paul Bled: Bismarck: de la Prusse à

l'Allemagne, Alvik éditions, 2005, p 332

الصناعية في أوروبا، وتبعاً لذلك نمو النظام الرأس مالي في إنجلترا ثم فرنسا ومن ثم سائر أوروبا¹.

3- قراءة في قرارات المؤتمر ونتائجه:

اختلفت آراء الباحثين في قراءة مضامين وقرارات مؤتمر فيينا بين من وصفها بصناعة السلام الأوروبي وبين من اعتبرها قرارات رجعية، سرت بأوروبا خطوات إلى الوراء، كما وصف زعماء مؤتمر فيينا بالمحافظين والرجعيين، وبأنهم من رجال العهد القديم الذين لم يتأثروا إلى حد كبير بالآراء الجديدة وبالرغم من أن التسوية التي وضعوها حافظت على السلام مدة طويلة نسبياً أي نحو أربعين عاماً، فقد وجهت إلى تلك التسوية بعض الانتقادات منها:

1. حاولت التسوية إعادة التوازن الدولي الذي أخل به نابليون، ولكن التوازن الدولي الجديد لم يكن تأمله فقد أخلت به روسيا بحصولها على بولندا وفنلندا واقتربت من أوروبا الوسطى وأثارت مخاوف النمسا وبريطانيا بصفة خاصة².

2. في تطبيق مبدأ الشرعية أعيد بعض الحكام المطلقين إلى دولهم بالرغم من إرادة شعوبهم كما حدث في فرنسا ونابولي واسبانيا والبرتغال والدولة البابوية والإمارات الألمانية، وأعيد التيرول إلى النمسا دون أخذ رأي شعبها³.

3. ومن تطبيق مبدأ التعويض ألحقت بولندا وفنلندا بروسيا رغم إرادة البولنديين والفنلنديين، وقسمت ساكسونيا بين بروسيا والاتحاد الألماني وأعطيت البندقية ولومبارديا إلى النمسا⁴، ووضع على عرش توسكانيا وبارما ومودينا أمراء من أسرة هاسبورغ النمساوية رغم إرادة سكان هذه المناطق.

1-عبد العظيم رمضان، المرجع السابع، ص 26.

2-فاضل حسين، المرجع السابق، ص 23.

3-المرجع نفسه، ص 23.

4- وثيقة المؤتمر الرسمية.

وألحقت النرويج بالسويد، وألحقت بلجيكا بهولندا ضد رغبات النرويجيين والبلجيكين، وأقيمت وحدات مصطنعة لم تدم طويلاً¹. ولم يلبث أن نشب ذلك الصراع المستعر الذي استمر طيلة القرن التاسع عشر عندما صارت بلجيكا تطالب بالانفصال عن هولندا، والنرويج عن السويد، وصارت بولندا تنشد استقلالها، وتحاول كل من إيطاليا وألمانيا تحقيق وحدتها². ثم صارت الثورة في الدويلات الأقل أهمية تسعى للتخلص من حكامها الرجعيين وإنشاء الحكومات الوطنية والقومية الدستورية، والتحرر من السيطرة الأجنبية المفروضة عليها.

4. عدم الاهتمام بآراء الدول الصغرى أمام مصالح الدول الكبرى، وهذا النقد هو أخطر نقد وجه إلى صانعي السلام³. ففي الوقت الذي اعترف فيه قادة الدول الكبرى بقوميات دول، ضربت قوميات دول أخرى عرض الحائط وقد جرى تبيان ذلك سابقاً⁴.

5. أعلن مؤتمر فيينا أن تجارة الرقيق منافية للمبادئ الإنسانية واكتفى بهذا الإعلان، وكان المفروض أن يعلن المؤتمر إلغاء تجارة الرقيق في أوروبا وفي العالم⁵، وبالرغم من استجابة فرنسا وإسبانيا وهولندا والسويد، ووعده بريطانيا والبرتغال بإلغائها في المستقبل، فإن تجارة الرقيق استمرت في أكثر أنحاء العالم: في أمريكا وأفريقيا وآسيا⁶.

1- بدأت حركات التمرد على قرارات مؤتمر فيينا منذ التوقيع عليها، في شكل ثورات وحركات ثورية، أخذت أشكال مختلفة، ولكنها استطاعت في 1830 من تحقيق جزء من آمالها القومية مثل الثورة في بلجيكا والانفصال عن هولندا، ثم في 1848 وبداية النهاية للإمبراطورية النمساوية عموماً.

2-Bertein, Histoire de l'unification d'Allemagne, op. cit, p :213

3-فاضل حسين، المرجع السابق، ص 23.

4-المرجع السابق، ص 23.

5-De Sédouy, Le Concert Européen, op. cit, p 66-69.

6-Hugh Thomas, La Traite des noirs, 1440-1870, Robert Laffont. , que sais-je ?

حرص المؤتمرون من ملوك أوروبا وأمراءها ودبلوماسيها في مؤتمر فيينا على وضع خاتمة لتطورات الثورة الفرنسية التي انتشرت في أوروبا، وكان عداؤهم لأفكار الثورة الفرنسية التي انتشرت في أوروبا ونابليون عاملا من بين عاملين أجمع عليه المؤتمرون على الرغم من التناقضات التي اتسمت بها مواقفهم، وكان العامل الثاني هو اتخاذ الخطوات السياسية والدبلوماسية لإعاقه نهوض فرنسا مرة أخرى .

المبحث الثاني: المحفل الاوربي وتطور فكرة التنظيم الدولي:

أسهم نظام التحالف والوفاق بأوروبا في بروز أعظم النظم الدبلوماسية الحديثة شانا، الا وهو نظام التوازن الاوربي، هذا النظام الذي كان يهدف في ظاهره إلى حماية الدول الضعيفة من الدول القوية، فقد كان من مؤداه الا تصير دولة ما على درجة من القوة تظهرها على الدول الاخرى كلها او بعضها مجتمعة، فلا يغريها ذلك على التعدي والاستخفاف سلام غيرها. وقد عمل مؤتمر فيينا على اعادة التوازن الاوربي إلى الصورة التي كان عليها قبل التوسع النابليوني إلى سلام دائم لأوروبا بعد حروب نابليون الطويلة. فقد كان العمل على تحقيق توازن القوى في صدارة موضوعات معظم المعاهدات الدولية والسياسية وغاياتها في القرن التاسع عشر .

وظل مبدأ توازن القوى بعد مؤتمر فيينا يعتبر قاعدة السلوك السياسي الكبير التي ينبغي على الدول التزامها بكل دقة، فما كان لدولة أن تجرؤ على التنكر له، ولا تكاد معاهدة الصلح التي أبرمت خلال القرن التاسع عشر تخلو من الإشارة إلى ذلك المبدأ أساسا على انه من بديهيات السياسة الدولية. بل إن الناظر في المعاهدات الكبرى التي أبرمت في تلك الفترة، يلمس أنها جميعا قد اشتركت في العمل على تحقيق غاية واحدة هي ضمان التوازن. وفي سبيل تحقيق التوازن الأوربي تمسكت أوروبا بمبدأين: مبدأ الشرعية وفكرة التضافر الأوربي، فكيف كان السبيل لتحقيق ذلك ؟ .

1- مؤتمر أكس لاشابيل 25 سبتمبر 1818 و مخرجاته 1 :

ساعد المناخ السياسي الأوربي لعقد مؤتمر عام تلتئم فيه الدول العظمى على هدى روح فلسفة المحفل الأوربي التي شاعت في أوربا بعد اندحار نابليون وعقد الحلف الرباعي والحلف المقدس⁽²⁾، وقد حضر من ممالك شرق أوربا: فرانسيس الأول ومتزنيخ عن النمسا وحضر ألكسندر ومعه الكونت كابودستريا ونيسلرود عن روسيا. ومثل فردريك وليم الثالث وهارنبرغ بروسيا، وكان تليران عن فرنسا كما مثل الدوق ويلنكتن واللورد كاسلريه بريطانيا⁽³⁾.

وكانت القضية الفرنسية محور اجتماع مؤتمر أكس لاشابيل فقد طالبت فرنسا الدول الكبرى بالجلء عن أراضيها بعد أن دفعت ما كان عليها من غرامات فرضت عليها بموجب معاهدة فيينا⁽⁴⁾، وقد شهدت أعمال المؤتمر خلافات عامة ودقيقة حدثت في مواقف الدول الكبرى، فقد ظهر عمل بعض الروس مع الجماعات الليبرالية والثورية في ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا. هذه النشاطات وسياسة ألكسندر المتقلبة، أثارت مخاوف الساسة في لندن وفيينا⁽⁵⁾.

1- هي مدينة ألمانية تقع في أقاليم وستفاليا (التاريخية) أهميتها في أنها تقع على بعد 5 كلم على الحدود الألمانية والهولندية والبلجيكية، تاريخيا كانت عاصمة إقامة الإمبراطور شارلمان.

- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 352.

3. Alain Autrand, et d'autre, Histoire de la Diplomatie française, paris, 2005 p. 345

4- De Sedouy, Le concert européen, op. cit, p: 69-73.

5 -De Sedouy, le congrès de Vienne, op. cit, p: 151.

أنظر أيضا:

H. Troyat, Alexander 1er, paris, Flammarion, 1980 p. 98:

وجد مترنيخ في فرنسا داعما لموقفه انطلاقا من أنها لا تشكل خطرا في مساعيه لكبح جناح التيار الثوري في أوربا. كما أن موقف إنجلترا ظل متعاطفا مع مترنيخ فيما يخص التيار الثوري في أوربا⁽¹⁾. وقد سارت حكومة المحافظين في نفس نسق السياسة الرجعية التي دعا إليها مترنيخ وهذا رغم تاريخها البرلماني المتميز، ودخلت في مواجهة شاملة مع الرديكاليين الليبراليين امثال وليم غوردون وتوماس بين ووليم كوبت وجيرمي بنتام، كما حرص الأوروبيون على إشراك روسيا في النظام الأوربي، رغم ما أبدته من ميولات اتجاه الدعوات الليبرالية بحكم أنها قوة رئيسية للإبقاء على استقرار النظام الأوربي كوسيلة لتجنب الحرب في أوربا⁽²⁾.

إنّ قوة روسيا زادت هي الأخرى من مخاوف النمسا وبروسيا معا، إلا أن مترنيخ كان متأكدا من أن روسيا لن تغامر بعمل عسكري ضد بروسيا أو النمسا رغم التأليب الفيدرالي الألماني ورفض النفوذ الروسي في المنطقة، ربما يعود ذلك إلى أن توجه ألكسندر نحو مواجهة الدولة العثمانية⁽³⁾ أقرب من احتمال توجيهه نحو الدانوب، ولكن في نفس الوقت، سيشكل هذا التوجه خطرا على النظام الأوربي، فمن جهة أن تفكيك الدولة العثمانية على يد روسيا كان سوف يثير أمامها احتمال تحالف نمساوي-بروسي-إنجليزي، فانهيار الباب العالي وإجراء تغييرات اقليمية لصالح روسيا هو في النهاية سيفسد التوازن الأوربي، لذلك فإن القوى الثلاث كانت ستصعد الجهود الروسية وتبطل النتائج التي كان القيصر ألكسندر يتوخاها. وبالتالي فإن من مصلحة روسيا أن تنساق إلى النظام الأوربي⁽⁴⁾.

1- Arjuzon , Castlereagh, paris, Tallandier, 1995 ;p. 73

2- Webster, op. cit, pp. 451-453

3-Metternich, Mémoire, lettres et documents, divers, Paris, Plon, 1880-1884, 8 vol, V 4 p. 115

4-Kissinger, Diplomatie, Op. cit, p. 113

على هذا فإن الظاهر أن القوى الأوروبية المجتمعة في أكس لاشايل كانت تقف على أرضية مشتركة بشأن الإبقاء على التوازن في النظام الأوربي (1). وقد ركز الحاضرون على جملة من القضايا ذات الاهتمام المشترك والمرتبطة بمسألة التوازن الأوربي والحفاظ على الأمن والسلام في القارة (2). أولى المسائل التي طرحت للنقاش مسألة انتماء فرنسا إلى المحفل الأوربي، وهي مسألة لاقت إجماع بين الحاضرين (3) فقد وافق المؤتمر على الجلاء من فرنسا بعد أن أدت ما عليها من تعويضات بموجب اتفاقية مؤتمر فيينا، ولكن الخلافات نجمت بين الأعضاء الكبار بشأن صيغة قبول فرنسا في المحفل الأوربي (4):

الاتجاه الأول: أن يحدد الحلف الرباعي شكل ذلك بعد انضمام فرنسا إليه .

الاتجاه الثاني: مثله رأي قيصر روسيا الذي أراد أن يبعث الحياة في الحلف المقدس الذي كانت كل من إنجلترا والنمسا قد انكششت منه (5) .

غير أن مواقف الدول الأوروبية عاكست توجهات ألكسندر، فالنمسا لم ترغب في إتاحة مناخ أوربي يمكن قيصر روسيا من أن يصبح حامي أوربا، لأن في ذلك مخاطر على دورها في ألمانيا أولا وفي

1- Mémoires et documents de France, Ministère des affaires étrangères, Paris.

2 -J. B. Duroselle, L'Idée d'Europe dans l'Histoire, Paris, De Noël, 1965.

3- De Sedouy, le concert européen, op. cit, p 69-70

4- تراوحت المقترحات بين الخروج النهائي للقوات المتحالفة من باريس، أو المراقبة قريبا من الحدود الفرنسية بقوات مراقبة، فقد توقعت الدول الكبار أن يحدث انزلاق في الداخل الفرنسي قد يكرر تجربتها مع نابليون .

5- حاول قيصر روسيا تمرر مشروعه، لكن الدبلوماسية البريطانية أكدت في برقيات للحكومات الثلاث (روسيا، بروسيا، النمسا) أن الغرض من اجتماع أكس لاشايل هو لدراسة قضية الجلاء في فرنسا وليس إلا وأن جدول الأعمال لن تضمن المساعي الروسية، وقد أبدى في النهاية القصر الروسي تفهما في ذلك. انظر Lettre à capo d'istria du 09 mai 1818

أوروبا ثانياً (1). أما إنجلترا فإن دوافعها كانت ذرائعية وأملتها عليها سياستها الأوربية (2).

فقد بنت إنجلترا سياستها اتجاه روسيا على مبدأ التمييز بين المعاهدات ذات المعنى والبعد الإلزامي كمعاهدة فيينا والحلف الرباعي، وبين الاتفاقات التي تنطوي على الالتزامات. فهذه المعاهدات هدفت إلى إحلال الأمن والسلم ولذلك فإن اختراقها من قبل دولة ما كان يعتبر انتهاكاً وخطراً على الاستقرار في أوروبا (3). في حين فسرت إنجلترا اتفاقيات الحلف المقدس على أنها غير ملزمة وأنها مجرد أسلوب للإعراب عن نوايا عامة تتشاطرها إنجلترا مع بقية الدول الأوربية الكبرى إلا أنها لا تضع ضوابط ملزمة للتعامل الدبلوماسي (4).

إن من أهم وأخطر ما تم مناقشته في مؤتمر أكس لاشايل على العلاقات الأوربية هو مبدأ حق التدخل في الشؤون الداخلية لعضو في الحلف الرباعي أو الحلف المقدس لمواجهة خطر الثورة (5). لم تعط الدول الخمس الكبرى في المؤتمر تعهداً صريحاً بتمسكها بمبدأ حق التدخل، رغم أنها أبدت تمسكها في حفظ الأمن وإقرار الاستقرار والتوازن في أوروبا (6). ولكن فسرت هذه النية على أنها موافقة

1- De Sedouy, op. cit, p. 71

2- Walter Alison Phillips, The Confédération of Europe: A Study of the European Alliance, 1813-1823 as an Experiment in the International Organization of Peace. London: Longmans, 1920, p. 138

3- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 38

4- نفس المرجع السابق .

5- Jean-Baptiste Duroselle, Le Concert Européen: Relations internationales, n° 39 automne 1984.

6- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 39 .

ضمنية على التحالف الأوربي الجماعي لإخماد الثورات المناهضة للنظم السياسية التي أقرها مؤتمر فيينا (1).

لقد أخفقت الدول الأوربية الخمس في تحديد معنى التدخل والحالات التي تستدعي القيام بالتدخل، وقد كانت بريطانيا من أكثر الدول ترددا في إسناد مبدأ حق التدخل، ربما لأنها هي صنيعة ثورة سابقة والنظام حكمها كان أكثر دستورية عن غيره كما ان عدم تحديد المجالات التي يتم التدخل فيها وسبله وأهدافه كلها مسائل أرقّت نظام التوافق الأوربي، على اعتبار أن كل طرف بدا يخدم أجندته ويحاول استخدام صيغة التوافق لأداء ادوار أمنية وسياسية تخدم مصالحه القومية لا الأوربية (2).

وظل مترنيخ أكثر الشخصيات دفاعا عن مبدأ التدخل لأنه يخدم المصلحة الأوربية في الدفاع عن الشرعية والملكيات المطلقة، وأعتقد أن فكرة عقد المؤتمرات للتباحث في قضايا أوربية هي بحد ذاتها معبرة عن نية في تبني موقف متكاثف إزاء الخطر المشترك ألا وهو الأفكار الليبرالية وثورتها تبقى مسألة سبل إخماد الثورات فإن ذلك ستقره الاتجاهات المتوافقة في المؤتمرات (3).

سعت دول المحفل الأوربي في مؤتمر أكس لاشايل أن تروض الدول الأوربية الصغرى على تفضيل مصالح الاستقرار الأوربي على نزعاتها القومية والانفصالية (4)، ولاشك أن حجم التحديات في أوربا قد تزايد بشكل كبير خاصة خلال السنتين التاليتين لمؤتمر أكس لاشايل، بالنظر إلى ما شهدته أوربا

1- Allain et autre, Histoire de la diplomatie française, op. cit, p. 457

2- ثورة قادها البرلمانيون الانجليز ضد الملك جيمس الثاني، سنة 1688، ومثلت بحق ثورة حققت دستورية النظام الانجليز وتم منح حقوق كثيرة للشعب الانجليزي، وتقيد عمل الملك. ومثلت إلهاما لكثير من شعوب أوربا وفلاسفتها لاعتبارها نموذجا للثورات الناجحة التي حققت الكثير بأقل التكاليف، انظر، Bernard cottret, la glorieuse Révolution d'Angleterre, 1688, Paris, Gallimard, Folio, 2013

3- Metternich, Mémoires, op. cit, V 06, p. 321

4- فاضل حسن، المرجع السابق، ص 40 .

من تطورات داخلية تمثلت أساسا في تزايد الخطر الليبرالي وجهود لمواجهة الأفكار الثورية في ألمانيا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا ضف إلى ذلك بداية التحرك والنشاط الثوري الليبرالي في فرنسا وروسيا (1).

لقد مثلت أحداث 1819 مؤتمر كارلسباد (2) الخاص بممثلي حكومات الكونفيدرال الألماني نقطة انعطاف هامة لصالح التيار المترنيخي، فحتى ولو كانت قراراته ذات طابع شمولي وعدم اقتصارها على تطبيق المد الليبرالي في ألمانيا، إلا أنها عززت من قبضة مترنيخ على شؤون ألمانيا والزعامة النمساوية وأتاحت له فرص نشر نظامه المرتكز على محاربة الثورة من أجل إبقاء النظم الشرعية (3).

ولعل أبرز ما في ذلك جنوح القيصر الروسي ألكسندر إلى الجانب المترنيخي بعدما أظهره من مواقف متعاطفة اتجاه الأفكار الليبرالية والقومية خاصة بعدما قامت الجمعيات الليبرالية السرية والطلبة في ألمانيا بإعلان موقفها الإيجابي اتجاه اغتيال كوتزيو (وهو عميل روسي) ومن محاولة لاغتياله فقد رأى في هذه الليبرالية خطر وسبب عدم الاستقرار، وهذا ما قد عزز موقف مترنيخ مشكلا جبهة موحدة لمواجهة الليبرالية من النمسا وبروسيا وروسيا (4) والاستعداد للعمل الجماعي المشترك لمواجهة لها.

ولم يقتصر الأمر على هذه الجبهة فقط فحتى انجليترا ذات التاريخ البرلماني المتميز انضمت إلى صف التيار المحافظ (5) وقد مر بنا كيف أن حكومة المحافظين تخوفت من الاضطرابات الاجتماعية والأفكار التي روجها الرديكاليون الليبراليون أمثال وليم غودون، وتوماس بين ووليم كوبت وجيرمي بنتام. وإذا بحثنا في أوضاع في فرنسا بعد مؤتمر أكس لاشايل فلم تكن أكثر استقرارا مما كانت عليه الحال في

1- فاضل حسن، المرجع السابق، ص 41 .

2-مدينة من المدن التشيكية .

3- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 39 .

4- Pierre Ayçoberry: l'Unité Allemande, 1800-1871, PUF, 1968

5- Webster, op. cit, p. 346

انجليترا وألمانيا وروسيا فقد تمكنت العناصر الليبرالية من تحقيق كسب سياسي في مجلس الشعب وحدثت تحالفات مختلفة بين الجماعات السياسية في مجلس الشعب كان أثرها إرباك الأوضاع الداخلية في فرنسا وإثارة قلق الدول الأوربية الأخرى وعلى الأخص النمسا وروسيا (1).

ولعل أبرز تطور في الساحة السياسية استقالة تاليران (2) الذي كان قد حقق تفاهما مع ألكسندر قيصر روسيا في مؤتمر أكس لاشايل، وبذلك تفارق الملك لويس الثامن عشر مع تاليران ولم يعد في وسعه السيطرة على تحركات مجلس الشعب. وقد تابعت الحكومات ولكنها لم تحسم النزاع بين الليبراليين المتطرفين والمعتدلين وأنصار الرجعية (3).

هذه الأحداث والانفلات الأمنية لفتت نظر دول الحلف الرباعي الذين كانوا قد أكدوا على ضرورة مراقبة فرنسا وحدها من الرجوع إلى مواقف الثورة الفرنسية ونابليون إزاء أوربا (4)

ولم تصن قرارات مؤتمر فيينا الوحدة الإدارية التي بثها نابليون بل ضرب بها عرض الحائط، وأوجدت عشر دول من أحجام متباينة بيدمونت (لومبارديا-فينسيا)، بارما، مودينا، لوكا، توسكاني، الدويلات البابوية، نابولي، موناكو، سان ريمو (5).

1- Talleyrand, mémoires, Paris Calmann-Levy, 1891, 5 Vo, t III,IV, V

2- واسمه الكامل شارل موريس تاليران بريغور، وهو سياسي ودبلوماسي فرنسي، ولد في 2 فبراير 1754 وتوفي 17 ماي 1838، اعتبره البعض أحد الدبلوماسيين الأكثر كفاءة ومهارة، بما حفظه لفرنسا من حقوق في مؤتمر فيينا وأكس لاشايل، والعودة بها إلى مصف الدول الكبرى. أنظر. Georges Lacour-Gayet, Talleyrand, Payot, 1990.

3- Talleyrand, Mémoires, op. cit, p. 5

De Sedouy, le concert européen, op. cit, p: 49-60-74

5-Idem, :

فحين تم وضع جنوة إلى بيدمونت وضمت النمسا البندقية، وبذلك أصبحت النمسا سيطرة على الشمال إيطاليا، كما أن مملكة نابولي عقدت معاهدة دفاعية تعهد بموجبها الملك فيرديناند الأول السير من توجيهات النظام النمساوي (1) .

ضف إلى ذلك تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الدويلات الإيطالية وسعي الملوك الذين أرجعهم مؤتمر فيينا إلى محاولة إخماد النشاطات الليبرالية وما تعلق بها من أفكار (2) .

نتيجة لذلك انفجرت المجامعات في مملكة نابولي والتي انبهرت بما حققته الثورة في إسبانيا وطالبوا الملك فرديناند الأول بإعطاء الشعب دستورا على نمط دستور اسبانيا 1812. وقد اذعن الملك لتلك المطالب (3) .

ولم يكن اتخاذ موقف التدخل في الشأن الإيطالي أو المناطق الأخرى بالشيء السهل، فقد اختلفت المصالح والرؤى لمثل هذه التدخلات. رأت النمسا أن ثورة نابولي خطرا يهدد نظامها في إيطاليا، فإذا استتب الأمر لصالح الثوار وأخذت المملكة بالدستور الليبرالي (4) فإن حمى هذا التيار ستعم ممتلكات النمسا في شمال إيطاليا ومما سيهدد بلا شك النفوذ النمساوي من تلك المناطق، ومن المحتمل أن تطالب القوميات الأخرى الخاضعة للنمسا بدساتير أكثر حرية من السيطرة النمساوية (5) .

كما أن قلق النمسا تزايد من التدخل الأوربي الجماعي، فذلك سيضيع على النمسا فرصة زعامة أوروبا كما أن إشراك روسيا في العمل الجماعي كان يسعى دخول الجيش الروسي إلى الأقطار الأوربية

1- فاضل الحسين، المرجع السابق، ص 46-47.

2- De Sedouy: le concert européen, op. cit, 104

3- De Sedouy: le concert européen, op. cit,p. 106

4-Idem .

5- فاضل الحسين، المرجع السابق، ص 47 .

ومقاطعات الدول الكبرى كما هو الحال شأن إسبانيا ونابولي (1)، كما أن مترنيخ أظهر ترددا في عرض قضية نابولي على بساط المحفل الأوربي، فالمسألة تخص النمسا وفي إمكانيتها أن تقوم بالمهمة ولكن ينبغي أن تنال الوصاية من لدن الدول الكبرى الأخرى (2).

تطلع مترنيخ للانفراد في عملية إخماد الثورة في إيطاليا بوصاية من المحفل الأوربي، وكانت البيئة مساعدة للنمسا لتحقيق ذلك. فبريطانيا كانت غير راغبة في إشراك نفسها بصورة وثيقة في قضايا السير الأوربي. أما بروسيا فقد كانت منشغلة بشؤونها الداخلية واستمرت في سياسة ملكها فريدريك وليم الثالث الذي سائر الموقف النمساوي منذ مؤتمر كارلسباد (3).

فرنسا هي الأخرى كانت حريصة على استتباب الأوضاع في إسبانيا، وفي إيطاليا ولكن مع قلق شديد اتجاه تزايد الدور المناوي في المنطقة. إلا أن مترنيخ اعترضته مواقف ألكسندر، والتي اتخذت من التضامن الأوربي والأخوة المسيحية مبدئين أساسيين لعلاقاتها الخارجية (الحلف المقدس)، لذلك طالب بعقد معقل أوربي للنظر في قضايا الثورة من إيطاليا وإسبانيا والبرتغال (4) أيده فرنسا فتمت الدعوة إلى محفل أوربي في تروباو في أكتوبر 1820م (5).

1- De Sedouy: op. cit, 104

2- Mettenich: op. cit, p323.

3- Matthew Bernard Le Vinger: Enlightened Nationalism: The transformation of Prussian political culture, 1806-1848, Oxford University Press, 2002.

4 -De Sedouy: le concert européen, op. cit, p 99-101

5 -Ibid, p: 107

لم تحضر إنجلترا وفرنسا المؤتمر بمستوى رفيع بل بعثتا مراقبين عنهما. وقد استغل مترنيخ الفرصة للتأثير على ألكسندر بصورة مباشرة وكسب تأييده للمبادئ والحلول التي طرحها مترنيخ لحسم القضايا التي تهدد وجود الملوك (1).

"وينبغي على الملوك أن يقدروا بصورة دقيقة فرص بقائهم في المستقبل القريب (هامش مهم من الكتاب) (2) وكان مترنيخ ينظر في خراب الأنظمة الملكية الرجعية سيكون بسبب الثورة ولكي يضمنوا بقائهم فإن ساستهم لابد أن تكون على مبدأ الاتحاد بين الملوك.. لإنقاذ المجتمع من الخراب الشامل" (3).

تقدم مترنيخ إلى مؤتمر تروباو بمسودة بروتكول، لخصت الأبعاد الرئيسية لسياسة النمسا ونظرتها إلى مستقبل العمل الأوربي حيث تضمنت مجموعة إجراءات نذكر منها:

تبطل العضوية من التحالف الأوربي للدول التي تحدث فيها تغييرات في حكومتها بسبب ثورة تكون نتائجها مهددة للدول الأخرى. ولا تنتمي تلك الدول إلى التحالف حتى تكون الأوضاع فيها ضامنة للنظام الشرعي والاستقرار. وفي حالة تعرض دول أخرى إلى تهديد مباشر من جانب تلك التغييرات، فإن الدول تلزم نفسها باتخاذ السبل السلمية أو المسلحة عند الحاجة لإرجاع الدول المذنبة إلى أحضان الحلف العظيم (4). إن هذا المبدأ يثبت فكرة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأوربية التي تصبح الثورة فيها خطر على التوازن والاستقرار في أوربا (5).

1- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 47 .

2 -Mack Walker, Metternich's Europe, Macmillan, Lonon, 1968, p 112.

3- فاضل حسين، المرجع نفسه، ص 48 .

4- Walker, op. cit, p 107.

5- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 48 .

كانت إيطاليا دون غيرها من الأقاليم التي تعرض فيها النظام القديم إلى خطر فادح في نظر مترنيخ. وعلة ذلك واضحة (1).

فقد أدرك مترنيخ وأيقن أن مصير وزعامة النمسا تبدأ من إيطاليا. وبالتالي لابد أن تتأكد النمسا من أن الثورة لن تهب هناك. فالنمسا في حسابان مترنيخ بوابة الدرب الرئيس إلى آسيا وعلى الأخص الدولة العثمانية ولكي تصون النمسا تلك البوابة عليها أن توجد لنفسها نفوذ بل نظاما في إيطاليا وهكذا فإن النمسا كانت متحمسة إلى التدخل في نابولي (2).

لكي يتجنب مؤتمر تروباو تمزيق وحدة الصف الأوربي، ضغطت روسيا والنمسا على إنجلترا وفرنسا من أجل كسب تأييدها لمبدأ التدخل ولكن كاسلريه اعترض على الدمج بين قضيتين متباينتين (3)، فالثورة في اسبانيا إنما هي حدث داخلي يخص اسبانيا، في حين أن ثورة نابولي ذات مساس مباشر بالنمسا، ورأت إنجلترا أنها لن ترفض اتخاذ إجراءات ما في وجه الثورة للاستقرار في أوروبا إلا أنها لن يرتبط بسياسة يصوغها وينفذها مؤتمر ذو طابع أوربي، ربما وجهة نظر إنجلترا تنطلق أساسا من مخاوفها من أن تصبح هذه المؤتمرات والمحافل الأوربية مدخل لشؤونها الداخلية، خاصة في المستعمرات، وقضايا الملاحة الدولية وهذا ما سيعرض نفوذها في البحار وآسيا وأمريكا من محاولات تدخل أوربية وتصبح تلك المحافل محكمة لمراقبة تصرفاتها (4).

أصدر المجتمعون بروتوكول تروباو في 15 نوفمبر 1820، وراسلوا بلاطات الدول الأوربية جميعا بمذكرة في 8 ديسمبر 1820، شرح فيها ما جرى في المؤتمر (5) وأكدت المذكرة أن مرجعياتها الأساسية

1- De Sedouy: op. cit, p :102

2- Holbraod, op. cit, p. 101

3- Ibid, p. 103

4- Phillips, op. cit, p 211:

5- Schroeder, op. cit, p. 107:

في اتخاذ القرارات هي قرارات مؤتمر فيينا والحلف الرباعي، وأن الهدف من هذا البروتوكول (*) لا ينطوي على رغبة في الغزو أو التداخل من جانب الدول الثلاث الموقعة (1). لقد وجهت إنجلترا للبروتوكول انتقادا لاذعا (2)، أعرب عنه كاسلريه للأمير ليغن سفير روسيا لدى لندن، وحملة الاعتراضات هي عن مبدأ البروتوكول نفسه فقد رأت بريطانيا أنه:

أولا: في أساس البروتوكول: هل هو خريطة طريق، أم حلف جديد أم أنه يرقى إلى ورقة تفاهم .
ثانيا: أن مثل هذا الإجراء يعني نظام جديد يبطل الترتيب القائمة (3) .

ثالثا: من أهم الانتقادات التي وجهتها الحكومة الإنجليزية لبروتوكول تروبان أن هذا البروتوكول يجيز لتلك الدول حق التدخل عن شؤونها في حين أن مؤتمر فيينا وما لحقته من ترتيبات جاءت لتصون لتلك الدول أمنها (4) .

رابعا: إمكانية الدول الأوربية الموقعة على البروتوكول من أن تجد الأعذار المناسبة للتدخل في شؤون الدول الأوربية الأخرى وهذا لتنفيذ أجندتها مما يعني حالة من الفوضى تحت غطاء أوربي (5) .

(*) - أكدت الدول الثلاث الموقعة على البروتوكول على ضرورة تنفيذ ما جاء فيه وأن هذه الإجراءات تصبح أكثر إلحاحا عندما تهدد مخاطر الثورة الدول الأخرى (البحث عن هذه المذكرة للتعميش بها) .

1- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 49.

2- Aruzon, Castlereagh, op. cit ;p. 433 :

3- Ibid. p. 434

4- Maurice Bourquin: Histoire de la Sainte-Alliance, Genève, Georg et Cire, 1954,p. 137.

5- Ibid. p. 138

خامسا: تزايد مخاوف بريطانيا من احتمال طلب ملك إسبانيا المساعدة للتدخل الأوربي لإنهاء الاضطرابات، وهذا ما يعني تأثر مصالحها الكبيرة في إسبانيا ومزاحمة المصالح البريطانية (1).

وقد ظهر واضحا أن تصدي كبيرا أصاب المحفل الأوربي وأن أسلوب نظام المؤتمرات بات على وشك الانهيار (2). وتفاديا لمثل هذه النتائج قرر مترنيخ وألكسندر الدعوة إلى مؤتمر لايباخ في مطلع 1821، وهذا لتدارس المسألة الإيطالية (نابولي) ودعوة فردينان ملك نابولي لحضور التداول (3).

إلا أن الأمر لم يكن من السهل اتمامه، فقد رفضت الحكومة الليبرالية في نابولي السماح للملك بالتفاوض مع مؤتمر لايباخ إلا أنه أعطى ضمانات باحترام دستور 1812، مما سهل موافقة البرلمان له بالسفر (4).

لكنه تنصل لتعهداته وطلب من المؤتمر إرجاعه إلى حكمه، فأجاز المؤتمر للنمسا تنفيذ ذلك وفي 6 فبراير 1821 عبرت القوات النمساوية نهر البو واستطاعت خلال أشهر من دحر نابولي وإرجاع فيردناند إلى عرشه (5).

قامت الثورة في بيدمونت مارس 1821 وطالب الأحرار الثوريين من الملك الموافقة على دستور شبيه بدستور اسبانيا 1812 وإعلان الحرب على النمسا التي نظر إليها كسبب من أسباب انتشار واستمرار الأفكار الرجعية في إيطاليا عموما وبيدمونت خصوصا. إلا أن الملك وقع بين المطرقة والسندان

1 -Dupuis, le Principe d'Équilibre et le Concert Européen de la Paix de Westphalie à l'Acte d'Algésiras, Paris, 1909,p. 211

2- Ibid. p. 213 :

3- De Sedouy :op. cit. p: 114-115

4- Ibid - 116-126

5- Idem.

(1) فمن جهة هناك شبح الحرب الأهلية إن رفض الدستور، وإذا أقره سيدفع بدول برتقول تروباو إلى التدخل، لذلك تنازل عن العرش لصالح شارل ألبرت (2).

وافق الملك ألفريد لبيدمونت على مطالب الأحرار ومنحهم دستورا ولكنه خذلهم بعد ذلك فقامت حربا بين الملكيين والثوريين (3)، ولم تتباطئ النمسا في التدخل عسكريا على غرار تدخلها في نابولي. وانتصرت النمسا واستطاعت في بسط نظامها على إيطاليا ومنه على أوربا (4). والظاهر أن أنجليترا قد واجهت قرارات مؤتمر تروباو ومؤتمر لايباخ إلا أن موقفها في الواقع كان تأييد ضمني لتلك القرارات مادام أنها لا تمس بمصالحها الحيوية (5).

2- مؤتمر: فيرونا (6) مارس 1821م:

استقبل مؤتمر لايباخ أنباء الانتفاضة في مقاطعات الدانوب ضد الحكم العثماني، وكانت هذه القضية (7) من الأمور الشديدة التعقيد والتي أثرت على العلاقات الأوروبية من عدة نواحي .

1- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 50 .

2- De Sedouy :op. cit. p: 125

3- De Sedouy :op. cit. p: 125:

4- Phillips, op. cit. p. 241 :

5- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 51 .

6- عقد بتاريخ 20 أكتوبر 1822 بمدينة فرون وهي مدينة إيطالية في سهول البو، وتزخر بعمارة رسمت المراحل التاريخية التي شهدتها إيطاليا: العصر الروماني، والعصور الوسطى، وعصر النهضة. ومن أهم المصادر التي تناولت هذا المؤتمر وأعماله ولم يتسنى لنا الحصول عليه كتاب: François René de Château Briand, congrès de Vérone والذي صدر في عام 1838 وأعيد إصداره سنة 1923 .

7- المقصود هنا ما طرحه الأديبات الأوربية بالمسألة الشرقية، أو مصير ممتلكات العثمانيين في أوربا، وهل مبدأ الحفاظ على الشرعية التقليدية والدفاع عن الأنظمة الملكية المحافظة يسري على الوضع العثماني .

لم تعد الدولة العثمانية طرفا في مؤتمر فيينا ولم تشترك في مداولات المحفل الأوربي عند أكرس لاشابيل وتروبا ولايباخ⁽¹⁾ إلا أنه وعلى ضوء الأحداث التي عرفتها منطقة الدانوب، والثورة في اليونان أصبحت ذات مساس مباشر بالمبدأ الأساس الذي انطوى عليه البرتوكول⁽²⁾.

كان مبدأ الشرعية في نظر أطراف برتوكول تروباو هو صلب الاستقرار والأمن في أوربا، وأن انتهاكه في دولة ما سوف يحث على شيوعه في بقية الأقاليم وعلى هذا الأساس خولت أطراف برتوكول تروباو نفسها حق التدخل بالقوة إذا دعت الحاجة⁽³⁾.

كانت روسيا من أكثر الدول الأوربية تأثرا بتطورات الثورة في اليونان وأقاليم الدانوب⁽⁴⁾. فقد تضافرت مجموعة من العوامل لذلك:

- 1- تعاطف روسيا دينيا مع الأرثوذكس التابعين للدولة العثمانية .
- 2- اهتمام ألكسندر قيصر روسيا بنقل ثقل روسيا إلى المناطق السلافية وإلى الممرات والمضايق. فقد تزايدت أهمها بالنسبة لروسيا وذلك لأن صادرات روسيا من الحبوب خاصة من ميناء أوديسا على البحر الأسود كانت في ارتفاع مطرد⁽⁵⁾.

1- فاضل حسين، المرجع نفسه، ص 52 .

2- نفسه، ص 52 .

3- De Sedouy :op. cit, p: 127

4 -Ibid. p. 130.

5- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 53 .

3- تضرر تجارة الحبوب الروسية اتجاه اليونان، فعندما شددت الدولة العثمانية على التجارة عبر الممرات تأثرت تجارة الحبوب الروسية مباشرة⁽¹⁾.

لم يكن ألكسندر متلهفا للحرب ضد الدولة العثمانية دفاعا عن الثوار اليونانيين⁽²⁾ - وان كان هدف القضاء على الدولة العثمانية وتوسعت نفوذ الروس في البلقان من أهم الأهداف الإستراتيجية للإمبراطورية الروسية-، وكانت مهمة الإبقاء على الاستقرار والأمن الأوربي وفقا لروح برتوكول تروباو الكابح الرئيسي والسبب الجوهرى الذي منع روسيا من الدخول في حرب مع الدولة العثمانية⁽³⁾ ولكن قيصر روسيا لم يدع المبادرة تفلت من يديه فقد اقترح في بداية 1822 عقد مؤتمر بين روسيا والنمسا وانجلترا للتداول بشأن مسألة اليونان إلا أن الدولتين ترددتا في تلبية دعوة روسيا بطبيعة الحال خشية تعاضم نفوذ روسيا في منطقة البلقان⁽⁴⁾ وبالإضافة إلى ذلك فقد مارست فيينا ولندن ضغوطا على ألكسندر من أجل تجنب اندلاع مجابهة أوربية بسبب المسألة الشرقية. فالنمسا كانت قلقة من الثورة في البلقان إلا أنها اطمأنت إلى أن مصير الثورة من اليونان سيؤول إلى الفشل على يد الأتراك لذا حذت

1- Schroeder, op. cit. p. 131 :

2 -Edouard Driault et Michel Lhéritier: Histoire Diplomatique de la Grèce de 1821 à nos jours, Tome I, Paris, P. U. F , 1925.

3- فرضت التوسعات الإقليمية للمارد الروسي على الدول الأوربية توخي الحذر عند صياغة سياستها الخارجية خوفا من الهيمنة الروسية على النظام بأكمله، فقد كتبت ماري تريز "إمبراطورية الهابسبورج عن إحدى المناسبات". إن تقسيم الدولة العثمانية سيكون من أخطر المشاريع الأوربية ويكون له عواقب وخيمة... فماذا سنكسب من التوسع، حتى ولو إلى حدود القسطنطينية سوى التوابع السلبية... فأنا لن أسمح أبدا بتفتيت الإمبراطورية التركية، وأتمنى ألا يشهد أحفادي من بعدي طردها من أوربا". انظر: البدرى، المواجهة المصرية الأوربية، مرجع سابق، ص 36 .

4- نفسه، ص 36-37 .

ترك الأمور من دون تدخل الأوربي لصالح الثوار ضد مبدأ الشرعية (1) .

أما إنجلترا فكانت هي الأخرى غير راغبة في مجابهة أوربية وبالتالي عزز اللورد كاسلريه موقف مترنيخ طالبا من ألكسندر التوصل إلى السبل السياسية لتسوية العلاقات الروسية -العثمانية التي تدهورت وشارفت على الحرب بسبب المسألة الشرقية وهكذا أرجأت روسيا حربها مع الدولة العثمانية بعد أن لم تلق تأييدا من بقية أعضاء المحفل الأوربي (2) .

وقد استطاعت روسيا من الحصول على تنازلات من الباب العالي، فبفضل دبلوماسية مترنيخ وكاسلريه وافقت الدولة العثمانية على إخلاء أقاليم الدانوب وإرخاء القيود على التجارة الروسية عبر المضائق (3) .

عندما انفض مؤتمر لايباخ كان قد تقرر عقد مؤتمر في فيرونا. وقد وافق قيصر روسيا على حضور المؤتمر مع كاسلريه ومترنيخ للتداول في المسألة الشرقية من جوان 1822 (4) إلا أن حادثة انتحار كاسلريه (5) في أب قد أخلطت الأمور كثيرا خاصة بالنسبة لمترنيخ، فقد فقد في تخص كاسلريه سياسي ميالا لمبدأ التدخل رغم أنه لم يمنع تأييده البائن. ولهذا نجد أن موقف إنجلترا كان متحفظا وليس معاديا (6). ومع تولي كاننك لوزارة الخارجية اسبغ على موقف إنجلترا في المحفل الأوربي هوية تختلف من حيث

1- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 53 .

2- عن سياسة روسا اتجاه الدولة العثمانية انظر البدري، مرجع سابق، ص 37-38 .

3- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 54 .

4- De Sedouy :op. cit, p :133

5- Arjuzon, Castlereagh, op. cit, p. 207:

6- Webster, op. cit, p. 321 :

التأكيد عن سياسية كاسلريه (1) .

وقد كتب كاسلريه قبل وفاته إلى الملك جورج الرابع قائلاً: "سيدي ينبغي توديع أوروبا، فأنت وأنا عرفا أوروبا وأنقذناها وليس هناك من أحد بعدي يفهم شؤون القارة (2) .

في أكتوبر 1822 ابتدأ المؤتمر مداولاته (3) وكانت الشؤون الأوربية منصبة على المسألة الشرقية وعلى أحداث اسبانيا. ولكن بفضل تحركات مترنيخ الدبلوماسية وضعت ملف المسألة الشرقية على الرف (4). وانحصر الاهتمام على اسبانيا، وبصدد هذه المسألة بالذات تعمقت شغوف جدران المحفل الأوربي .

أولت فرنسا اهتماما كبيرا للأحداث في إسبانيا، وكانت أحرص الدول الأوربية على اتخاذ موقف بصدد الثورة في إسبانيا (5). وقد أبدى الجيش موافقته على عمل يعيد إليه سمعته التي صاحبتة عندما احتل اسبانيا والممولون البرجوزيون كانوا أيضا راغبين في حملة ضد إسبانيا ضف إلى ذلك العناصر الرجعية التي أحكمت قبضتها على لويس 18م، إلا أن المشروع الفرنسي واجهته صعوبات سياسية على مستوى المحفل الأوربي خاصة الموقف الانجليزي الرافض لأي تدخل (6) .

1- Holbraad, op. cit, p. 113 :

2- A. Kissinger: A World Restored: Metternich, Castlereagh and the Problems of Peace, 1812-1822 , Cambridge. Mass, 1957. p. 31154
نقلا عن فاضل حسن: مرجع سابق ص

3- De Sedouy :op. cit , p :133

4- Kinsinger, A world Restored,op cit ; p: 313

5- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 55 .

6- كنا قد بينا وبالتفصيل الموقف الانجليزي من مسألة التدخل في إسبانيا، ولقد سقنا المبررات المنطقية والقانونية لموقفها .

ابتدأ المؤتمر أشغاله في 20 أكتوبر⁽¹⁾، وكان ويلنكس ممثلاً لإنجلترا وقد جاء المؤتمر وهو محدود في مساحة المناورة، فقد رفض كانتك (2) مبدأ التدخل الذي مارسه النمسا ضد مملكة نابولي، فقد كان كانتك يؤمن (3) بحق أية أمة في تغيير أو تعديل مؤسساتها الداخلية".

طالبت فرنسا من دول المحفل تأييدها عن حالة لجؤها إلى القوة المسلحة لإرجاع ملك إسبانيا إلى عرشه. ففي الوقت الذي عرض كل من روسيا والنمسا وبروسيا مساندتها لفرنسا امتنعت إنجلترا عن ذلك (4).

وكان للمؤتمر حلان: أحدهما أن يقوم المؤتمر بتدخل جماعي، وثانيهما أن يوكل إلى فرنسا تنفيذ ذلك، كما الحال عن إيطاليا عندما تدخلت النمسا، وقد طالبت روسيا بأن ترسل جنودها عبر ألمانيا وفرنسا إلى إسبانيا (5). إلا أن مترنيخ وفرنسا لم تحبذ إجراء كهذا، وسعى مترنيخ إلى إفشال المشروع بترويجه معارضة إنجلترا، ومنح المؤتمر إلى فكرة تدخل فرنسي (6).

وقد سعت دول برتوكول تروباو إلى ممارسة الضغوط الدبلوماسية على إسبانيا، فتقدمت باحتجاج جماعي وأندرت بسحب سفرائها من مدريد إذا لم تدعن حكومة الثوار إلى الشرعية. وعلى الرغم من

1- De Sedouy :op. cit , p :134

2- هو سياسي بريطاني (1770-1827) تولى رئاسة الوزراء في بريطانيا في 10 أبريل إلى 10 أوت 1827 وقد أصبح وزيراً للخارجية مرتين: من 25 مارس 1807 إلى 11 أكتوبر 1809، ومن 16 سبتمبر 1822 إلى 30 أبريل 1827، عن الموسوعة العربية المسيرة، 1965 .

3- H- Temperley, The Foreign Policy of Canning, 1812 – 1827, Frank Cass and com, London, 1966, p: 540-541

4- Ibid. p. 541

5- Holbraad, the concert of Europe :op. cit , p. 210 :

6- Temperley, op. cit , p :542

أن انجلترا لم تنضم إلى هذه الخطوة فقد نفذت تلك الدول تهديدها وسحب سفرائها (1) . وبعد ذلك أخذت فرنسا تهيم الوضع للتدخل وقد سبقت وأن حشدت ما يقارب 100 ألف جندي، وكانت انجلترا لا ترغب في تدخل فرنسي في اسبانيا من جهة، ولم تكن ترغب أيضا في صده عسكريا من جهة أخرى (2) .

في افريل 1823 عبرت القوات الفرنسية إلى اسبانيا، وتمكنت من إسقاط الكورتس وإعادة الملك إلى عرشه التقليدي. غير أن قضية إسبانيا لم تحسم بإحقاق الشرعة. فمسألة المستعمرات ظلت عالقة وموضع خلاف بين الدول الأوربية ويضاف إليها الولايات المتحدة (3) .

لقد أرادت فرنسا إرجاع سلطان الملك على مستعمرات اسبانيا في العالم الجديد وأمريكا الجنوبية وإقامة مملكات بوضع على عروشها أمراء فرنسيون. كما أن المنافسة التجارية والسياسية بين فرنسا وبريطانيا كانت هي الأخرى سببا آخر لسعي فرنسا لتحقيق تدخل في اسبانيا، كما أن موقف روسيا مال إلى جانب الفرنسي (4) .

فقد كانت روسيا من المطالبين بإرجاع المستعمرات الإسبانية إلى حضيرة الشرعية ومبدأ التنافس مع انجلترا (5) وبتشجيع من فرنسا دعا ملك اسبانيا في كانون الأول 1823 إلى عقد مؤتمر أوروبي للتداول في مسألة إرجاع سيطرة إسبانيا على مستعمراتها. وقد تجاوزت دول المحفل الأوربي باستثناء

1- Phillip :The Confederation Of Europe. op. cit ,p. 221 :

2- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 56 .

3- Bertier de Sauvigny, Metternich et la France après le congrès de vienne, Paris, Hachettes , 1968. 3 vol. v :2 p :

4- J. C. Allain: op. cit, p :

5 -Ibid.

انجلترا. وأظهرت إنجلترا امتعاضها من التدخل الفرنسي، وقد انحت حكومة باريس لذلك. وكان لهذه الخطوة أثر في إخراج مبدأ مونرو⁽¹⁾ إلى حيز الوجود⁽²⁾.

في ديسمبر 1823 بعث الرئيس الأمريكي مونرو مذكرة إلى المحفل الأوربي انطوت على تحديد موقف الولايات المتحدة من تدخل الدول الأوربية حتى الأمريكيتين باعتباره إجراء غير ودي⁽³⁾.

مما لاشك فيه أن دول المحفل الأوربي، باستثناء بريطانيا كانت متقاربة المواقف والدليل على ذلك هو أن تدخل النمسا في إيطاليا وتدخل فرنسا في إسبانيا وموقف القيصر من البلقان كلها كانت تلقى تأييداً أو تفهماً من بقية الأطراف⁽⁴⁾ بعبارة أخرى أن توازن القوى في أوربا كان لا ينطبق ومفهوم بريطانية له، إنها كانت تنشئ توازن قوى يخدم ويعزز مصالحها⁽⁵⁾ وكما قال كانك: "إنني أستنجد بالعالم الجديد لإعادة الاستقامة إلى التوازن في العالم القديم"⁽⁶⁾.

1- نسبة إلى الرئيس الأمريكي جيمس مونرو الذي أعلنت عنه في رسالة إلى الكونغرس الأمريكي في 2 ديسمبر 1823، ورسم من خلاله السياسة الخارجية الأمريكية في تلك الفترة، ويضمن مبدأ مونرو استقلال كل دول العالم الجديد (أمريكا) ضد التدخل الأوربي أو التدخل في تقرير مصيرهم. ويشير إلى أن الأوربيين الأمريكيين لا يمكن اعتبارهم رعايا مستعمرات لأي قوة أوربية.

أنظر: Jean-Michel Lacroix, Histoire des Etats Unis, Paris, P. U. F, 2006,

2- عن ردود الفعل الأوربية خاصة البريطانية منها من مبدأ مونرو: أنظر: Laurson Leonard Axel, The Relation Of British Policy to the déclaration of the Monroe Doctrine, columbia University, pp. 19-22

3 -Sexton Jay: The Monroe Doctrine: Empire and Nation 19 the Century America. p180

4- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 56.

5- H. Temperley, op. cit, p :580

6- Ibid, p :585

وهكذا فقد أجاز الغطاء البحري الذي تعهدت به بريطانيا للولايات المتحدة الأمريكية من مواجهة المحفل الأوربي. وبتضافر معارضة بريطانيا للتدخل في الشؤون الداخلية باسم المحفل، وإعلان مبدأ مونرو وتمكنت بريطانيا من تقليص آثار سياسة المحفل على العلاقات الأوربية (1).

المبحث الثالث: انحلال المحفل الأوربي وأسباب ذلك:

على الرغم من استرخاء حدة التوتر في العلاقات الروسية-التركية بصدد اليونان وأقاليم البلقان: فقد كانت الدول الأوربية الكبرى تشكك في نوايا روسيا إزاء ممتلكات الدولة العثمانية والبحر الأبيض المتوسط (2). فبعد اجتماع عقد مع فرنسيس الثامن امبراطور النمسا عند سيرنويتر وافق ألكسندر في نهاية 1823 على إرسال ممثل روسا إلى اسطنبول بعد أن كان قد سحب من هناك (3).

كما أنه أخذ بفكرة التشاور مع حلفائه الأوربيين قبل أن يشرع بأي عمل بصدد المسألة اليونانية، لكنه ظل يمارس ضغوطا دبلوماسية على الدول الأوربية لاتخاذ مواقف أكثر صرامة إزاء الدولة العثمانية بطبيعة الحال باسم الأخوة المسيحية (الحلف المقدس) (4).

في مطلع 1824 اقترحت الحكومة الروسية إقامة أقاليم يونانية ذات حكم ذات، وحاولت عقد مؤتمر أوربي لمعالجة القضية لكن بريطانيا لم توافق عن تلبية الدعوة خشية من تمكن روسيا من فرض نفوذها على البلقان (5).

1- Lawson, op. cit, p. 31 :

2- De Sedouy, opcit,p :159

3- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 59 .

4- Bourquin, op. cit, p. 314 :

5 -Ernest NYS, **Le concert européen et la Nation du Droit international**, Revue. De Droit international et de législation. Comparée 1899.

واشترطت بأن تعاد العلاقات التركية الروسية إلى حالتها الاعتيادية لحضور المؤتمر من جوان 1824 (1). إلا أن روسيا عجزت وأخفقت في عقد مؤتمر أوربي لدراسة المسألة اليونانية، وذلك:

- تصلب اليونانيين في المطالبة بالاستقلال ورفض الأتراك لفكرة الحكم الذاتي .
- أخفاق المفاوضات الجانبية بين تركيا وروسيا برعاية بريطانية .
- تردد الدول الكبرى وخاصة بريطانيا في تأييد روسيا خوفا من تزايد نفوذه في المنطقة .
- عجز روسيا عن التحرك بمفردها في البلقان (2) .

في هذه الأثناء استطاعت الجيوش العثمانية من أن تحقق انتصارات هامة في موريا فبراير 1825. وقد دعت روسيا لذلك إلى مؤتمر في بطرس برغ حضره ممثلون عن النمسا وبروسيا وفرنسا في حين امتنعت بريطانيا عن الحضور، لم يتوصل المؤتمر إلى اتخاذ إجراءات وقرارات حاسمة، وإنما اكتفى بروتكول يدعو إلى التوسط بين الأتراك واليونانيين (3) .

واتهمت روسيا بريطانيا بإفشال المؤتمر، والحقيقة أن حلفاءه الأوربيون كانوا منقسمين على أنفسهم، وتستروا وراء التردد البريطاني، فمتريخ كان يخشى من استفحال النفوذ الروسي في البلقان ومن تخلخل توازن (4) القوى في المنطقة. وكان من لذلك مضار فادحة على النمسا خاصة ما تعلق بمصالحها في حوض نهر الدانوب. أما فرنسا فكانت قوة لا يعتمد عليها من هذا الجزء من العالم بروسيا كانت ليست بذات شأن كبير في موازين القوى الأوربية .

1- De Sedouy: op. cit, p: 159-168

2- De Sedouy: op. cit, p :165

3- Ibid, p: 170

4- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 59-60

في أوت 1825 بدأ الموقف الروسي يتحول إلى تأييد الإجراءات الفردية والتحرك الفردي للدفاع عن مصالحه القومية (1). فقد وزعت الحكومة الروسية مذكرة إلى العواصم الأوربية الكبرى أشارت فيها إلى أن روسيا مازالت تناشد الدول الأوربية في اتخاذ موقف صارم لكن تلك الدول لم تتجاوب معها. وقد نوهت المذكرة أيضا إلى أن روسيا سوف ترعى من الآن مصالحها القومية من دون التوسل إلى الإجماع الأوربي عبر المؤتمرات (2).

لقد أيقنت روسيا أن الدول الأوربية لا تجتمع معها بشأن لإشراف على العلاقات الأوربية كما فهمها وتصورها بنفسه .

ففي الوقت الذي قدمت فيه المساعدة إلى فيينا وإلى باريس لمعالجة شؤون إيطاليا وإسبانيا علما منها أن ذلك كان يجري طبقا لروح المحفل الأوربي والإخاء الديني الذي كان عصب الحلف المقدس. كانت الدول الأوربية الأخرى ترى أن محاولات ألكسندر لا تعدى بسط نفوذ روسيا على البلقان وبالتالي كان ينبغي أن تمنع روسيا من تحقيق ذلك (3). فهل كان اندفاع روسيا للعمل الفردي في مصلحة الدول الأوربية؟

بطبيعة الحال إذا حللنا مواقف الدول الأوربية سيتضح لنا مدى تخوفها وقلقها من ذلك. رأت بريطانيا أن حربا روسية تركية سترتب عنها آثار سلبية على الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط. وأن مبدأ توازن القوى سيجنح لصالح روسيا. ولهذا اتخذت بريطانيا خطوات اتجاه روسيا تحاول التقرب من روسيا أملا في تحقيق تفاهم ثنائي يسند إلى تعاون مشترك في مسألة اليونان. ومن جملة الخطوات إرسال

1- Kissinger, Diplomatie, op. cit, p. 211 :

2- Bourquin: op. cit, p. 217 :

3- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 61 .

كاننك لابن عمه ستادفورد كاننك، ليقوم بدور الوسيط بين تركيا وروسيا. ومن جهة أخرى بعث اللورد ويلنكتن إلى بطرس برغ للتباحث مع الحكومة الروسية من أجل التوصل إلى تفاهم⁽¹⁾.

وتم عقد بروتوكول اتفاق بين روسيا وانجلترا ينص على أن تقوم بريطانيا في التوسط بين العثمانيين واليونانيين وأن لا يبطل العمل بالبروتوكول في حالة وقوع حرب بين الدولة العثمانية وروسيا⁽²⁾.

تطورت الأوضاع بشكل لافت خاصة بعد تولي نيقولا الأول الحكم خلف ألكسندر في ديسمبر 1825 وتوجهاته الصريحة نحو الحرب مع تركيا⁽³⁾.

وقد رفض مترنيخ الانضمام إلى إجراء لإرغام الدولة العثمانية على سياسة معينة في المسألة اليونانية. في حين حذت بروسيا حذو النمسا. أما فرنسا فإن شارل العاشر حذب فكرة إجراء مشترك حتى وإن كان عسكريا شريطة أن يصبح البروتوكول الروسي الانجليزي اتفاقية ثلاثية⁽⁴⁾. وكان موقف فرنسا متأثر باعتبارين:

أولاً: أن شارل العاشر أخذ بفكرة الحرب المقدسة ضد الدولة العثمانية الإسلامية.

ثانياً: هو أن فرنسا كانت ترغب في تحسين العلاقات الفرنسية الانجليزية. وفي جويلية 1827 عقدت اتفاقية لندن بين روسيا وبريطانيا وفرنسا⁽⁵⁾.

1- Holbraad: op. cit, p. 261 :

2- تضمنت المادة الثالثة من هذا البروتوكول والذي أثار عدم الترحيب الأوري له، وحتى انجليز أدركت الآثار السلبية، فهي لا تجيز تعطيل البروتوكول رغم حالة الحرب بين روسيا والدولة العثمانية. Kissinger, Diplomatie, op cit ; p211

3- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 61 .

4- Temperley: The Foreign policy, op. cit, p: 570

5- Ibid, p :571

حاول مترنيخ حسم النزاع التركي-اليوناني بالطرق الدبلوماسية، وتقدم في أكتوبر 1827 بوساطته إلى الباب العالي .

إلا أن الأحداث تسارعت في بحر ايجه، فكانت موقعة نفارينو (1) أين تم تحطيم اغلب السفن العثمانية. لقد انعكست هزيمة الأسطول العثماني-المصري (2) على العلاقات الأوربية بين الدول الكبرى .

فالنمسا رأت أن حربا روسية على الدولة العثمانية سيجعل أقاليم البلقان تحت النفوذ الروسي، وكذلك فإن الاضطرابات هناك ستنتشر إلى جميع أوروبا، ولذلك فقد كانت النمسا على استعداد لإرسال قواتها لنصرة تركيا (3) .

أما الحكومة البريطانية فقد أملت في التوفيق بين النتائج السلبية لمعركة نفارينو وبين الحفاظ على علاقات ودية مع الباب العالي. غير أن هذه المحاولات آلت إلى مواقف مترددة من جانب بريطانيا .

والواضح أن روسيا لم تكن قادرة على خوض حرب بحرية ضد الدولة العثمانية من دون أن تؤمن لنفسها حاد انجليترا وفرنسا. كما أنها لم تكن قادرة على خوض حرب برية ضد الدولة العثمانية من دون

1- نفارينو، هي معركة بحرية وقعت في 20 أكتوبر 1827 خلال ما عرف بحرب الاستقلال اليونانية (1821-1832) في خليج نفارين وهي تقع في الساحل الغرب لشبه جزيرة البلونيز في البحر الأيوس، بين الأسطول العثماني مدعما بالأسطولين الجزائري والمصري، وأساطيل الحلفاء (بريطانيا - فرنسا- روسيا) وقد تم تدمير الأسطول الجزائري بشكل شبه تام. حول المعركة وأسبابها وانعكاساتها انظر الدراسة القيمة للأستاذ الدكتور سعيدوني ناصر الدين في مجلة الدراسات التاريخية. أنظر أيضا: Driault et

Lhéritier, Histoire diplomatique de la Grèce, op. cit, p. 58

2- C. M. Wood House, The Battle of Navarino, Londre, Hoder et stoughton, 1965

3- Metternich, op. cit, vol V. p. 231 V

أن تؤمن حياد النمسا (1). كما أن روسيا كانت لا ترغب في خوض حرب ضد الدولة العثمانية بمفردها. واضح ايضا ان وجود دولة ضعيفة (ممثلة في الدولة العثمانية) أفضل بكثير من تقسيم الدولة نفسها. فالدولة العثمانية الضعيفة تكون حاجزا أمام النفوذين البريطاني والروسي في البحر الأبيض المتوسط والمضايق .

في 26 افريل 1828م أعلن نيقولا الحرب على الدولة العثمانية (2) بعدما رفضت منحة مطالبة في إقليم الدانوب والملاحة من المضايق وتأجير بعض القلاع في سرقسطا. وقد ساهمت سياسة انجليز الازدواجية في قسط من المسؤولية لما آلت إليه الأوضاع (3) إذ لم تضغط على الباب العالي لقبول شروط تسوية معتدلة، ولم تظهر لروسيا رفضها تفرد روسيا في تمزيق الدولة العثمانية. وقد أثار زحف الروس فيأقليم الدانوب قلق الدولي الكبرى (4) فسارعت إلى اتخاذ خطوات منفردة كانت دلالات واضحة على انهيار المحفل الأوربي .

فبالنسبة للنمسا قلقت من هيجان قوميات البلقان وحتى لا تعزل من التطورات في المنطقة راودتها فكرة الاستيلاء على صربيا، أما روسيا فقد احترست في إشارة شعوب البلقان كان حصيلة احتمال قيام النمسا باحتلال الصرب وبالنسبة لفرنسا وبريطانيا عقدتا برتوكول مشترك في تموز 1828 للقيام بعمل عسكري مشترك ضد ابراهيم باشا عند خليج كورنت (5). وإخراجه من موريا. ووفق لمؤتمر لندن تشرين

1- فاضل حسين، المرجع السابق، ص 63 .

2 -Benoit Pellistrandi: les Relations Internationales de 1800 à 1871, Armand Collin, Paris ; Geages Castellan: Histoire des Balkans XIV-XX siècle, Fayard, Paris, 1991. انظر ايضا: p 2000.

3- Temperley: op. cit. p :578-584

4- Jaques sapir et jacques Piatigorsky, Le Grand Jeu, Autrement, Paris, 2009. p

5- يقع في بحر ايجه.

1828، وضعت مورا والجزر المحادية لها تحت حماية الدول الكبرى، فما موقف الدول من مصير اليونان⁽¹⁾.

- أيقن مترنيخ استحالة عودة النظام القديم إلى اليونان، كما أن إقامة دولة تابعة سيتيح إسبانيا للتدخل في شؤون الدولة العثمانية ويجعل الأوضاع الأوربية مضطربة .

- ويلنكتن فقد أصبح من أنصار استقلال اليونان عن الدولة وفي 22 مارس 1829 وقعت الدول الكبرى بروتكول جاء فيه أن اليونان ستصبح دولة مستقلة يحكمها أمير تختاره الدول الكبرى⁽²⁾.

في 14 سبتمبر 1829 وقعت الدولة العثمانية صلح ادرنه، وقد نالت روسيا عوض على الأراضي في آسيا وأوربا، فقد أخذت جورجيا وشرق أرمينيا. كما أنها حققت لأقاليم الدانوب استقلالاً أتاحه لروسيا نفوذاً لم يكن له مثيل في السابق، وأكد الصلح على حقوق الملاحة لروسيا في الدانوب والمضايق⁽³⁾.

1- De Sedouy :op. cit, p :176

2- IBID, p :177

3- Idem.

خلاصة الفصل :

وتأسيسا على ما تقدم فقد أثبتت التجربة أن خمس دول الكبرى لم تستطع المثابرة على سياسة التضافر بعد أن تخلصت من الخطر المشترك، لقد تمسكت بتحالفها وحرصت عليه عندما كانت لها جميعا مصالح في ذلك، فلما زال الخطر المشترك راحت كل دولة منها تسترد حريتها في العمل في الميدان الدولي وفق ما تقتضيه مصالحها، حتى وإن تعارضت هذه المصالح مع مصالح غيرها من الدول الحليفة. لقد قام التضافر الأوري على أساس تدعيم مبدأ الحقوق الشرعية ومقاومة مبدأ حق الشعوب في تقرير مصائرهم، ثم ما لبث المتحالفون أن تفرقوا شيئا عندما زال الخطر المشترك كل يسعى وراء مصالحه مؤيدا الحق الشرعي أو حق تقرير المصير حسب ما تقتضيه مصلحته .

لقد سارت الدول الأوربية بمختلف أنظمتها في علاقاتها وسياساتها الخارجية وفقا لمنهجين: الإيديولوجي والتحليل، ويفترض النهج الأول أن السياسات التي تصطفها الدول تجاه العالم الخارجي هي تعبيرات عن المعتقدات السياسية والاجتماعية والدينية السائدة. ويفترض النهج الثاني أن للسياسة عدة مقومات منها تقاليد الدولة التاريخية وموقعها الجغرافي والمصلحة الوطنية وأهداف الأمن وحاجاته .

وقد حدث بعد مؤتمر فيينا رد فعل قوي ضد النهج الإيديولوجي لأنه يصور السياسة الخارجية وليدة السياسات الداخلية فيتجاهل عناصر الاستمرار في السياسة الوطنية والقومية، ويتناسى أن المتطلبات الموضوعية للمصلحة القومية تفرض قيودا على رجل الدولة الذي يتصدى لوضع السياسة الخارجية، فمهما كانت إيديولوجية هذا الرجل وقناعاته الدينية وفلسفته الاجتماعية، كل ذلك لا يعميه عن مصالح أمته الإستراتيجية المنبعثة من وضعها الجغرافي ودورها الدولي، ولا يمكن ان تصرفه عن مراعاة هذا الصالح إذا أراد المحافظة على استقلال بلاده .

وهكذا بدا واضحا أن الدول الأوربية بعد مؤتمر فيينا كونت سياستها من نتاج التفاعل بين وضعها الدولي المستمر وبين تقاليدها وأنظمتها الدائمة، وتعلم الأوريون أن في مصالحهم تسلسلية لا بد من

احترامها، فهناك مصالح يجب الدفاع عنها بأي ثمن، ومصالح تكون المحافظة عليها في ظروف معينة، ومصالح لا يهم الدفاع عنها أو المحافظة عليها.

إن في ما تقدم ما يؤكد الحقيقة الخالدة التي قوامها: إن في العلاقات الدولية في جملتها هي علاقات قوى لا يحكمها سوى قانون واحد هو قانون المصلحة القومية.

الفصل الخامس

الأبعاد القومية في الثورات الأوروبية 1830 و 1848

المبحث الأول: الثورات الأوروبية سنة 1830.

المبحث الثاني: ثورات الربيع الأوروبي 1848.

شهدت أوروبا بعد انحلال المحفل الأوربي كإطار سياسي منظم للعلاقات الاوربية - الاوربية، موجة من الاضطرابات ذات طابع ثوري، حملت الكثير من المطالب القومية الهادفة لتحقيق اهداف وطنية، وكان لها وقع كبير في تطور الفكر السياسي الأوربي خاصة في جانبه القومي، ولعل أبرز تلك الثورات، ثورات 1830 وثورات 1848، او ما اصطلح عليه بثورات الربيع الأوربي، فما هي مسببات هذه الثورات وانعكاساتها على المشهد السياسي الأوربي؟

المبحث الأول: الثورات الأوروبية سنة 1830:

شهدت أوروبا العديد من الثورات وان اختلفت في قوتها وعنقوتها، أو حتى في الأسباب المحركة لها، إلا ان ملامحها القومية ظلت ظاهرة، وسعت الكثير من شعوب أوروبا خاصة ممن اجحف المحفل الأوربي تحقيق مطالبهم القومية في موجة من الثورات، ومثلت للكثيرين زيادة في رصيدهم الثوري.

1- أسباب قيام ثورات 1830:

كان لقيام ثورات 180 بأوروبا عدة أسباب سياسية واجتماعية واقتصادية، تمثلت في:

1.1- الأسباب السياسية:

أثر مؤتمر فيينا بقراراته ونتائجه على مستقبل أوروبا لفترة طويلة. فقد نجح أباطرة القوى العظمى وملوكها في تثبيت نظمهم السياسية بعد هزيمة نابليون في واترلو عام 1815، ولم تكتف القوى العظمى بذلك ورحبت برجوع لويس الثامن عشر " ملكا على فرنسا، ويعنى ذلك الرجوع إلى حالة ما قبل 1789¹، ويبدو أن أباطرة النظام القديم الجديد " وملوكه كانوا على ثقة بأن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء في فرنسا، سيديم أنظمة حكمهم في المستقبل، ولم يختلف المشهد الجيوسياسي العام للأنظمة الحكم في

1 -Sylvie Aprile, Jean-Claude Caron, Emmanuel Fureix (dir.), La liberté guidant les peuples. Les révolutions de 1830 en Europe, Seyssel, Champ Vallon, 2013. pp. 25-27

البلدان الأوروبية، فقد كان القاسم المشترك لجميع الأنظمة السياسية باستثناء إنجلترا، بغياب المؤسسات التمثيلية و شيوع الأنظمة الأوتوقراطية الاستبدادية¹.

اصطدمت التسوية بمعارضة مجموعات اجتماعية كانت آمالها ومصالحها مهددة بإعادة النظم التقليدية، وكذلك بمعارضة الشعوب التي لم تعترف عملية رسم الحدود بآمالها².

كان الهدف الأسمى لجميع الدول التي أمضت أكثر من عشرين عاما لإلحاق الهزيمة بالثورة الفرنسية الأولى، دون اندلاع ثورة ثانية على غرارها، أو حدوث ما هو أسوأ من ذلك، أي نشوب ثورة أوروبية.³ وبانتهاء عهد المؤتمرات عادت الدول الكبرى فعلا تدبر أمورها بطريقتها التقليدية التي كانت تتبعها قبل عهد الثورة ونابليون والشعوب نفسها أصرت أن تعاود الكرة بالثورة والتنظيم من اجل الحصول على استقلالها القومي وعلى حكم دستوري شعبي⁴، وكان الشعب الفرنسي خاصة مصمما أي تصميم على نقض تسوية فيينا عام 1815، ومن ثم أصبح الحكم الفردي وجها لوجه أمام مطالب الشعب في الحكم الدستوريا⁵.

1 - جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، الجزء الثاني، المكتب الجامعي الحديث، الإزباكية، الإسكندرية ص 242.

2 -A. -M. Thiesse, La construction des identités nationales. Europe, XVIIIe -XXe siècles, Paris, Seuil, 2000

3 - عبد الرحمان عبد الغني، مدخل في تاريخ الديمقراطية في أوروبا، ط02، ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2013، ص 172.

4 - عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق ص 318.

5 -Renaud Meltz, « Les révolutions de 1830: l'avènement d'une démocratie de la place publique ? », Les Actes du CRESAT, n° 15, 2018, p. 101-124.

أعيد رسم خريطة أوروبا من دون إبداء أي اهتمام بتطلعات شعوبها، وكان مبدأ القومية من أظهر القوى الدافعة التي ظلت تشكل الحوادث خلال القرن التاسع عشر والقومية وثيقة الصلة بمبادئ الحرية التي نادى بها الثورة الفرنسية فهي تدعو إلى ضرورة تحرير الشعب من كل سيطرة أجنبية عليها حتى يتسنى إنشاء الحكومة الوطنية وحتى تتمتع الشعوب بحق تقرير نوع الحكم التي ترتضيه والقومية والديمقراطية مترادفان فتحرر الشعوب ووحدتها تتبعه تحرر الأفراد وتمتعهم بحقوقهم داخل الدولة الموحدة المتحررة¹.

وقد ارتبط نمو الحركات القومية في أوروبا بظهور الملكيات الدستورية (الحركات الدستورية) فالملكيات العائدة لأوروبا بعد مؤتمر فيينا 1815 لم تدرك لفترة أن الملكيات المطلقة لم يعد لها مكان، وأن التغيرات التي طرأت على المجتمع الفرنسي والمجتمعات الأوروبية نتيجة الثورة الفرنسية وأحداثها لم يكن من الممكن أن تزول بمجرد انهيار الإمبراطورية البونابارتية².

لذلك فإن إرجاع الأسر القديمة إلى الحكم لم تنجح في حل جوهر المشكلات الأوروبية، رغم محاولة الساسة إنشاء رقابة للمحافظة على أسس التسوية التي وضعوها ويرجع ذلك قبل كل شيء إلى إغفال رغبات الشعوب فأنشأوا دولا لا تدعمها روابط اللغة والعنصر والمصالح المشتركة، ومثال ذلك ضم هولندا وبلجيكا، وتقسيم إيطاليا وألمانيا وبولندا³.

1 - إريك هوبزباوم، عصر الثورة (أوروبا 1789-1848) ص 207

2 - شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 172 انظر أيضا :

Catherine Brice, Monarchie et identité nationale en Italie, 1861-1900, Paris, EHESS, 2010, pp. 12-13

3 - شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 177.

وأدى هذا إلى صراع عنيف بين الشعوب المحكومة التي اتخذت شعارا لها (القومية، الديمقراطية)، وبين الحكام الرجعيين. إضافة إلى ذلك كان تأثير القضية اليونانية التي كانت لها قيمتها النموذجية في نقل الأفكار القومية البحتة.

كانت المعارضة السياسية في أوروبا تطالب بالتححر سواء كان ذلك كم عقيدة أو لمصلحة، وكان البرنامج العام يتمثل في أن يأمنوا للفرد ضمانات أساسية وهي الحرية الفردية وحرية الصحافة وحرية الاجتماع والاشتراك وأن يحصلوا للمواطنين على حق المشاركة في الإدارة في سن القوانين عن طريق مجالس تمثيلية ويحصلوا على ضمان لهذه الحريات والحقوق في أحد الدساتير الذي يحدد سلطة الحاكم اتجاه الفرد واتجاه التمثيل الوطني، ورغم عدم وجود تطابق داخل هذه الحركة الحرة وبين كل من يعتقدونها بشأن امتداد حقوق الانتخابات أو فيا يتعلق بتنظيم الهيئات التمثيلية، إلا أنه كانت هناك فكرة وعقيدة عن الحرية التي بدت كأنها الشرط الأساسي لتقدم البشرية¹.

أما بالنسبة للقوميات، فلقد كان طبيعة مجموعة الأهالي الذين يحتجون ضد رسم الحدود أن يكون تهديدا أكثر مباشرة وأسرع بالنسبة للوضع القائم، وكانت هذه الاحتجاجات تعتمد في مناطق مختلفة على الفروق بين الشعوب².

1.2- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية:

كان تأثير المصالح الاقتصادية واضحا في حركة القوميات، فالمعارضة البلجيكية للسيطرة الهولندية، ومقاومة "لومبارديا" والبندقية للوجود النمساوي كانت خاضعة لحد كبير للظروف الاقتصادية، فمصالح

1 - Emmanuel de Waresquiel et Benoît Yvert, Histoire de la Restauration (1814-1830), Paris, Perrin, 2002, pp. 26-29.

2 - ميلاد المقرحي، موجز تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، بنغازي، 1998، ص.

رجال الصناعة والتجار البلجيكيين كانت تصطدم بمصالح الهولنديين¹، ورجال الصناعة في ميلانو كانوا يشكون من خضوع منتجاتهم لرسوم جمركية عند دخولها النمسا في الوقت الذي فتح فيه سوق "لومبارديا" على مصراعيه للسلع النمساوية²، كما أن النمو الاقتصادي كان عاملا فعلا يدفع التجار ورجال الصناعة في إقليم الراين إلى رغبة إقامة اتحاد جمركي بين الدول الألمانية³.

كان الاتجاه العام الاقتصادي يسير نحو التصنيع، فقد خطت الصناعة خطوات واسعة خاصة في إنجلترا، ترتب عنها ضخامة في الإنتاج هذا بالإضافة إلى توفر رؤوس الأموال الضخمة، وظهور الطبقات الرأسمالية، وقد أدت هذه التغيرات الجذرية إلى ظهور طبقات جديدة في المجتمعات، أصبحت ترى أن من حقها الاشتراك في توجيه سياسة الحكومات ومن القوانين التي تضمن المحافظة على حقوقها⁴.

كما أدى التطور الصناعي إلى أزمات اقتصادية، فلقت ظلت أساليب الإنتاج الزراعي غير متطورة، وفي نفس الوقت كانت الاقتصاديات الزراعية لا تزال هي المسيطرة على غيرها من الاقتصاديات الصناعية، ومن ثم كانت الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها أوروبا تبدأ من الأزمة الزراعية، وشهد عام 1830 ابتكار أكثر "راديكالية" في مجال النظام السياسي وهو بروز الطبقة العاملة كقوة مستقلة واعية ذاتها في السياسة البريطانية وفرنسا⁵.

1 - Catherine Brice, op. cit, pp. 31-33.

2 - عبد العظيم رمضان، المرجع السابق ص 34

3 - نور الدين حاطوم، مرجع سابق، ص 19

4 - جلال يحيى، مرجع سابق ص 351.

5 - نفس المرجع.

02- نماذج للثورات الأوروبية سنة 1830:

نظرا لان موجة العنف الثوري مست الكثير من الشعوب الأوروبية، ونظرا لتفاوت الاستجابة بينها لتحقيق مطالبها القومية، فإنني اخترت معالجة مسار بعض الثورات كنماذج للدلالة عن حالة الشحن الوطني والقومي التي ميزت هذه الثورات، ثم الى أهميتها على مستوى التأثير في الساحة الأوروبية.

1.2 - فرنسا وثورة جويلية 1830م:

خلف نابليون لمن جاء بعده مشكلة التوفيق بين تحقيق غرضين متناقضين، وهو تكوين نوع من الحكم يرضي الفرنسيين كما يرضي في الوقت نفسه الساسة الأوروبيين وقد ظلت هذه المشكلة المسألة الهامة التي استنفذت جهود ساسة فرنسا منذ نصف قرن¹.

كانت الأوضاع الداخلية في فرنسا معقدة، وهذا ليس بالأمر الغريب، فعودة نابليون إلى الحكم المدة مائة (سنة) يوم بعد فراره من "إلبا" كان له أثره في ازدياد التنافس بين الأحزاب وفي خلق جو من الكراهية والبغضاء في طبقات الشعب الفرنسية. فقد واجه مجلس الشيوخ هزيمة نابليون الأولى بعد رجوعه من روسيا، فقد عنت الهزيمة نهاية الثورة والنظام الإمبراطوري جميعا، ورجوع العائلة الملكية وقواها السياسة التي عاشت خارج فرنسا وتألّفت لجنة لصياغ دستور جديد، ولم يخل الدستور من فوائد اللويس الثامن عشر، فقد كان يمكن يضيفي شرعية معينة ليصبح "ملك الفرنسيين"، لكن لويس رفضه وأعد دستورا بواسطة المقربين إليه، ولم يكن أمام مجلس الشيوخ سوى القبول به، ولم يترك للتيارات الإمبراطورية ومن بقي من فلول الثورة مجالا للمراوغة السياسية نهائيا، واعتبر لويس أن الدستور هو منحة وليس حقا لشعب الفرنسي للتألف من جديد بعد أن أصبح شعبين "بسبب الثورة وما عقبه"².

1 - Guy Antonetti, Louis-Philippe, Paris, Fayard, 1994, pp. 211- 215

2 - زينب عصمت راشد، المرجع السابق ص 239. ينظر أيضا الى هذه الدراسة المميزة :

تألف النظام الجديد من ثلاث مركبات غير متكافئة من حيث الصلاحيات، الملك مجلس النبلاء، الأعيان، مجلس النواب، حافظ لويس الثامن عشر على صولجان الحكم لنفسه، فهو قائد الجيش، وهو رئيس الهيئة التنفيذية رسمياً، ويملك الحق في منح لقب النبالة وتقديم مشاريع القوانين وغير ذلك.¹

لقد بدأت فرنسا في 1815 تجربة الملكية الدستورية، ذلك أن اسكندر قد أصر على أن لا يعود البربون إليها إلا بعد منح الشعب ميثاقاً والدخول في تجربة دستورية، فوافق لويس الثامن عشر على هذا التطور، ولكنه حاول الاحتفاظ بأكبر قدر من السلطة.²

كان لويس الثامن عشر الذي أعاد في ركابه الحلفاء ليحكم فرنسا بعد نكبتها أن يتحمل نظرة الاحتقار من شعب ثار على البربون وطردهم ليعود ملكهم من جديد في ركب الغزاة، فلقد ظلت عظمة نابليون المهزوم تتفوق على عظمة الملوك القياصرة المنتصرين.³

لقد أصبحت فرنسا تعيش دوامة مرعبة، فصاحبة المبادئ السامية أصبحت هي الواقعة تحت نيرتان الاحتلال، وكانت هي المطالبة بالدستور، فإذا بها تحت ملكية بربرونية بغیضة النظام، وصحافة

Sylvie Aprile, Jean-Claude Caron, Emmanuel Fureix (dir.), La liberté guidant les peuples. Les révolutions de 1830 en Europe, Seyssel, Champ Vallon, 2013. pp. 14-16

1 - عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، 1419 هـ - 1999 ص 52.

Guy Antonetti :op. cit. 102- 2

3 - زينب عصمت راشد، المرجع السابق، ص 240. انظر

Renaud Meltz, **Les révolutions de 1830: l'avènement d'une démocratie de la place publique**, Les Actes du CRESAT, n° 15, 2018, p. 101-124

مكمنة الأفواه وإن كان ذلك بقدر محدود، وكنيسة تريد أن تستعيد سلطتها وأملاكها في مواجهة اتجاهات علمانية قوية متفوقة¹.

بذل لويس الثامن عشر جهودا عديدة لمحو الحقبة الثورة وعهد نابليون من ذاكرة الشعب الفرنسي من ناحية، وخلق وهما بالاستمرارية البريونية من ناحية أخرى، فأحيى ذكرى إعدام لويس السادس عشر كيوم حزن، وأقام نصبا تذكاريًا له.

اتبع لويس الثامن عشر سياسة يمكن أن توصف بأنها مسك العصا من الوسط، فلم يدفع إلى المطالبة ببحث الملكية الإلهية، إنما أراد أن يحكم كملك دستوري. ولم يصطدم لويس بصعوبات خاصة تهدد نظام الحكم، فقد ضمن قانون الانتخاب أمثلية موالية من الملكيين الدستوريين واستقطب حاشية أسوة بأجداده تأمر بأمره.

والواقع أن لويس الثامن عشر كان رجلا سيء الحظ، فعلى الرغم من مقاصده الطيبة نحو شعبه ومحاولته التوفيق بين طبقات المجتمع لم يوفق في ذلك كل التوفيق، لأن الحزبيين المتنافسين في أيامه حلا بسلوكهما نحو تحقيق الأغراض المتباينة دون الوصول إلى الاستقرار السياسي².

في 1824، توفي لويس الثامن عشر، وخلفه أخوه شارل العاشر، الذي بدأ عهده بداية حسنة بإعلانه الولاء للنظم البرلمانية وإرضائه حب الفرنسيين للآلهة والمظاهر، ولكنه سرعان ما قد خيب الشعب إذ كان في الحقيقة من غلاة الرجعيين وأنصار الكنيسة قلبا وقالبا، وقد أظهر ميلا قويا لتقوية

1 - عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 322.

2 - عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال، مرجع سابق، ص. 133 راجع أيضا: 105-106 Meltz , op. cit ;

مراكز القوى المحافظة، وبخاصة الدوائر الدينية كدعامة طبيعية للنظام الملكي، لكنه أثار بذلك قوى الوسط الليبرالية¹.

لا شك أن سنوات 1827-1830 كانت سنوات توتر واستقطاب في الحياة السياسية الفرنسية، ولم يسع شارل العاشر، إلى تخفيف حدة الخلافات بين المعسكرات السياسية المتنافسة والمتنازعة، وذلك باختيار حكومة تقوم بإصلاحات تزيل عوامل الخلاف وبالعكس تماما شارك شارل العاشر المحافظين والمتشددين بشكل خاص، لاعتقاده أن إجراء إصلاحات سياسية ستعيد فرنسا الى سنة 1789²، ولم يكن تحالفه مع هذه القوى والتيارات الدينية النشطة مجرد موقف سياسي اقتضته الضرورة السياسية، إنما أكثر نتيجة قناعة عميقة، ورأى بتتابع انتخابات العام 1827 علامة إنذار والعام 1830 خطرا يهدد عرشه وعهد إلى المقربين تأليف الحكومات، ومن ناحية ثانية زادت نتائج انتخابات العام 1827 من ثقة المعارضة على مختلف تياراتها بنفسها، وواصلت حملاتها الإعلامية ضد شارل العاشر، وساعدت ذلك الصحافة الحرة وفي مقدمتها صحيفة "البادية" وصحيفة "الدستور"، ثم الصحيفة الناشئة والتي فاقت سائر الصحف وكان اسمها "الصحيفة الوطنية"، فهي أيقظت الوعي السليم في نفوس طبقات الشعب، وأظهرت للجماهير على أن الحكم القائم يخالف ما تعهد به الميثاق³.

1 - Jean-Louis de Courson, 1830: la Révolution tricolore, 1965, pp. 213

2 - عبد الرحمن عبد الغني، مرجع سابق ص 180. يمكن التفصيل من خلال مراجعة هذا الكتاب:

Pierre de La Gorce, La Restauration. Tome II: Charles X, Paris, Plon, pp. 113-115

3 - عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق ص32. للمزيد ينظر الى :

Benoît Yvert, La Restauration: Les idées et les hommes, CNRS Éditions, 2013, pp. 89-91.

كلف الملك شارل العاشر Charle X⁽¹⁾ الأمير جول دي بولينياك Jules de Polignac⁽²⁾ بإنشاء حكومة جديدة، وكان محل ثقة الملك وأقرب المقربين له، وقد أيده في أشد القوانين المتطرفة التي اقترحها شارل العاشر واستصدرها.

ولقى هذا التعيين استنكار وغضب شعبي غير مسبوق في باريس، لكون شخصية بولينياك معروفة بسوء السمعة، فقد كان من الزعماء المهاجرين في عهد الثورة، واتهم في الضلوع في محاولة اغتيال نابليون أو ما يعرف بمؤامرة "كادودال"، كما رفض الاعتراف بدستور 1815 ذو التوجهات الليبرالية، هذا كله ساهم في هذه الصورة السيئة لشخص بولينياك عند الشعب الفرنسي⁽³⁾.

وما إن اعتلى كرسي الوزارة، حتى أعلن عن عزمه إعادة تنظيم المجتمع من خلال:

1- شارل العاشر: (1757 - 1836) اعتلى عرض فرنسا من 1824 حتى 1830. وبعد استعادة ال البوربون للعرش الفرنسي في عام 1814، أصبح شارل (بكونه الوريث المفترض) قائداً للملكيين المتشددين، وهم فصيل ملكي راديكالي ضمن البلاط الفرنسي، عارض كل اشكال التنازلات تجاه الليبراليين وضمانات الحريات المدنية الممنوحة بموجب ميثاق عام 1814. محاولاً في نفس الوقت احياء ممارسات الحكم الملكي الرجعي، ولم يتمتع بأية شعبية منذ توليه العرش، وزادت في عهده قوة الكنيسة الكاثوليكية، انتهت فترة حكمه من خلال ثورة يوليو 1830، وتوفي في المنفى بإيطاليا. حول شخصية شارل العاشر وأوضاع فرنسا خلال فترة حكمه يمكن العودة الى هذه الدراسة

: Éric Le Nabour, Charles X: le dernier roi, préface d'Alain Decaux, Paris, Jean-Claude Lattès.

2- جول أرمان أوغسط ماري دو بولينياك (1780 - 1847): سياسي ورجل دولة فرنسي، حمل عدة القاب منها أمير في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ثم الدوق الثالث في عائلة بولينياك. ثم كان وزيراً للخارجية، ثم رئيساً لمجلس الوزراء من 8 أوت 1829 إلى 30 يوليو 1830 وأثناءها لعب دوراً جوهرياً في انطلاقة ثورة جويلية 1830. انظر:

Pierre Robin-Harmel, Le Prince Jules de Polignac, ministre de Charles X, Les Livres Nouveaux, 1941, pp. 87-88

3 - Benoît Yvert, La Restauration: Les idées et les hommes, CNRS Éditions, 2013, p. 56

- إعادة ما كان لرجال الدين من نفوذ في أعمال الدولة.
 - إنشاء أرستقراطية قوية وإحاطتها بجميع الامتيازات.
- ومثل مشروع بولينياك بحق مشروعاً رجعياً متطرفاً، وستكون له تداعيات كبيرة على النظام السياسي الفرنسي⁽¹⁾. قامت فلسفة بولينياك أساساً على استمالة شعبه من خلال الانتصارات الخارجية التي حققها احتلال الجزائر في جويلية 1830م، محاولاً تمرير مخططاته الرجعية في غمرة هذا الشعور الوطني المتأجج، لكن نتائج الانتخابات جاءت عكس توقعاته، فقد حصد الأحرار الأغلبية المريحة في البرلمان⁽²⁾. ورغم هذا المعطى الجديد، إلا أن بولينياك استمر في فرض سياسة الأرض الواقع من خلال:
- استماتته وبقائه في الوزارة ورفض الاستقالة والمغادرة وهو مطلب شعبي ومطلب برلماني أيضاً.
 - إصراره على تعديل قانون الانتخابات، بما يخدم مصالح الطبقة الأرستقراطية والمحافظة.
 - تقييد الصحافة وحريتها، بدعوى أن الجرائد أصبحت مصدراً للقلق ونشر الأكاذيب⁽³⁾.
- مضت حكومة بولينياك في هذا المسار، وهي تتمتع بتأييد كلي للملك الفرنسي، الذي اتخذ أمراً واستصدر مرسوم يحل مجلس النواب ذو الأغلبية المعارضة، وتعطيل الضمانات التي كلفت للشعب حرياته، على أساس أنه تم استغلال هذه الحريات وإساءة توظيفها⁽⁴⁾.

1 -Pierre de La Gorce, La Restauration. Op. cit ; p. 121 et Jean-Paul Garnier, Le Sacre de Charles X et l'opinion publique en 1825, Jouve 1927, 147 pp. 103-104

2 -Jean-Claude Caron, Emmanuel Fureix (dir.), La liberté guidant les peuples. Les révolutions de 1830 en Europe, Seyssel, Champ Vallon, 2013. , pp. 17-19

3 -Jean-Paul Garnier,op. cit. pp. 75-76

4 -Pierre de La Gorce ,op. cit. pp. 124

في 25 جويلية 1830م، صدرت في الجريدة الرسمية المونيتور Moniteur مراسيم سان كلو-Saint-Cloud (1) الأربعة الشهيرة، وتعلن(2):

- حل البرلمان الفرنسي.
 - إدخال تغييرات على قانون الانتخاب.
 - دعوة الهيئة التشريعية للاجتماع في 28 سبتمبر.
 - تقييد حرية الصحافة.
- كان من بين أولى تداعيا هذه المراسيم، انهيار أسعار التعاملات النقدية (الأوراق المالية)، ورفضت البنوك منح الاعتمادات المالية لأصحاب المصانع، مما اضطر هؤلاء إلى تسريح العمال وطردهم(3).
- هذه الحالة جعلت العمال يصطدمون مع الجنود، وقتل الكثير، وهنا عاد إلى الظهور ما يعرف بأعضاء "الحرس الأهلي" القديم الذي حل في 1818م، واحتلوا دار البلدية في باريس ودواوين الحكومة(4).

1- من أشهر قصور العائلة الملكية الفرنسية، وأحبها لشارل العاشر.

2 -Le Moniteur universel,26 juillet 1830.

3 -Jean-Louis Bory, La Révolution de Juillet: 29 juillet 1830, Paris, Gallimard, coll. «Trente journées qui ont fait la France» (no 23), 1972, pp. 207-2011

4 -Bernard Sarrans, Lafayette et la Révolution de 1830, histoire des choses et des hommes de Juillet, Paris, Librairie de Thoisnier Desplaces, 1833,pp. 89-90

والمتتبع لمسار أحداث الثورة وبداياتها سيلحظ أن من حرك ونظم الثورة هم الجمهوريون، وانظم إليهم البرجوازيون، وبهذا اتحدت طبقة البرجوازية مع عموم أطياف الشعب، واستمرت أحداث الثورة على مدار 03 أيام (من 27، 28، 29 يوليو 1830م)، وأطلق عليهم اسم الأيام المجيدة⁽¹⁾.

ومن تطورات الوضع الثورة، أن اجتمع 30 عضوا من أعضاء المجلس المنحل في بيوت أحد أغنياء فرنسا وهو كازمير بربيه Casimir Péier، وقرروا تأليف حكومة مؤقتة واقترحوا على لافاييت رئاسة الحرسى الأهلى، كما عرضوا التاج الفرنسى على "لويس فيليب Louis-Philippe Ier " (2) دوق أوليان⁽³⁾.

حاول شارل العاشر عبثا إصلاح الوضع، من خلال سحب المراسيم الأربعة في 29 جويلية، لكن الأمر خرج عن السيطرة واضطر شارل العاشر مغادرة فرنسا من نورمانديا في 04 أوت 1830م، إلى إنجلترا⁽⁴⁾.

رغم أن ثورة يوليو لم تحدث نتائج كبيرة على النظام الفرنسى السياسى، فقد ظلت الملكية هي المسيطرة، صحيح أنه تم إقصاء أسرة آل بوربون من الحكم، لكن الحكم انتقل إلى إحدى فروعها وهي

1 -De La Gorce, La Restauration. Tome II: op. cit ;p. 123-125

2- الملك لويس فيليب (1773 - 1850م)، في شهر يوليو سنة 1830م اندلعت ثورة جمهورية، لكن الهيئة التشريعية فضلت ان يكون الحكم ملكيا دستوريا. وبصفة لويس فيليب دوقا لأورليانز عُرض عليه العرش. واتخذ لقب (ملك الفرنسيين) بدلا من (ملك فرنسا). بقي لويس فيليب في الحكم 18 سنة، من ثورة 1830م إلى ثورة 1848م وقد مثّل هيمنة البرجوازية وتقدمها، لكن المجاعة والبطالة والأزمة المالية أوقدت ثورة 1848م فتنازل لويس فيليب عن الحكم، ومات عام 1850م في منفاه في إنجلترا.

Marguerite Castillon du Perron, Louis Philippe et la révolution Française, Librairie Académique Perrin, édition définitive, Pygmalion, Paris, 1963.

3 -Bernard Sarrans ,op. cit. p. 67

4 -Henry Manayre, Charles X (1757-1836), Paris, chez l'auteur, p. 13-14

أسرة أورليان، ورغم أن من تزعم ونظم الثورة ووجهها هم الجمهوريون، إلا أن الوضع العام في أوروبا لم يسمح بل إنه اعتبر تهديدا حقيقيا على فرنسا لو فكرت في إعلان الجمهورية، في تحد للنظام الأوروبي، مع كل ما يمثله ذلك من اعتداء على مقررات أوروبا منذ 1815م⁽¹⁾.

وعليه فقد وضع هناك توافق داخل المجتمع السياسي الفرنسي من خلال الإبقاء على الملكية وإرضاء العناصر القومية والديمقراطية بضمانات ضد عودة الأرستقراطية وممارساتها الرجعية، وضد تنامي الاشتراكية العمالية والتي أصبحت هاجس لدى الطبقة البرجوازية⁽²⁾.

باشرت السلطة الجديدة عملها، بإحداث تغييرات غير جوهرية في الأساس في دستور 1814م، ولم يظهر بشكل كبير أي تغيير في قانون الانتخابات ماعدا معالجة بعض مسائل التمثيل، والذي ظل محتكرا من الطبقة المتوسطة الغنية، في الوقت الذي اعتبر فيه العمال أنهم حرّموا السلطة السياسية وأنهم خدعوا⁽³⁾.

كان من بين أهم النتائج الظاهرة في ثورة يوليو 1830م أن جماعة الحركيين التقدميين من أمثل لافيت Lafitte، اعتبروا أن الثورة لم تنته بمجرد اعتلاء لويس فيليب العرش، بل هي باقية مستمرة، وطالبوا بإصلاحات ذات صبغة ديمقراطية، وفي الخارج طالبوا بمساعدة الشعوب التي قامت بالثورة ضد سوء الحكم في بلجيكا وبولندا وإيطاليا، وبذلك تستعيد فرنسا بريق مركزها منذ 1789م⁽⁴⁾.

1 -Sylvie Aprile, Jean-Claude Caron, Emmanuel Fureix (dir.), La liberté guidant les peuples. Les révolutions de 1830 en Europe, Seyssel, Champ Vallon, 2013. pp. 45-49

2- شكري، المرجع السابق، ج 02 ص. 410 - 413

3- حاطوم، المرجع السابق، ج 02 ص. 20 - 24

4 -Bernard Sarrans, op. cit. pp. 130-131

كما ظهر توجه آخر مثله زعماء كازمير، وجيزو، ودوق دي بروجلي، والذين اعتقدوا أن الثورة انتهت باعتلاء لويس فيليب العرش، واعتبروا ثورة 1830م نجاحا باهرا للأمة الفرنسية، فقد حل ملك بريداء... على النظام البرلماني، أي أن ثورة 1830م ثورة شعبية قامت لمنع حدوث ثورة ملكية⁽¹⁾.

2.2 - الثورة في بولندا:

علق البولنديون أمالهم على شخص نابليون الأول في تحقيق وحدتهم القومية واستعادة استقلالهم، خاصة وأن تقسيمات 1772م، 1793م، 1795م، قد محت الدولة البولندية من الوجود السياسي على الأقل، خاصة وأنه قد أنشأ دوقية وارسو من الأراضي التي تم استعادتها من روسيا والنمسا⁽²⁾.

إلا أن انهزام نابليون، أعاد المسألة البولندية إلى المفكرة الروسية، والتي تولت إيجاد حل لها، ليس بعيدا عن فكرة استمرار السيطرة والهيمنة الروسية، بحكم أنها كانت تسيطر على ثلاثة أرباع أراضي بولندا بمقتضى التقسيمات الثلاثة السابقة، وإذا أضفنا أراضي غراندوقية وارسو فقد صار في حوزتها الآن (1815) تسعة أعشار الأراضي البولندية، ونصف سكانها⁽³⁾.

كما انتعشت آمال الأمة البولندية في تحقيق وحدتهم القومية في شخص القيصر الروسي، والذي أبدى تأييده للمبادئ والأفكار الحرة، إضافة إلى أنه حاط نفسه بمستشارين كانوا من المعجبين بنظام الحكم الدستوري في إنجلترا⁽⁴⁾.

1 -Jean-Louis Bory, op. cit. pp. 96-97

2 -Robert Ouvrard, 1809, les Français à Vienne. Chronique d'une occupation, Paris, Nouveau Monde Editions, coll. Bibliothèque Napoléon, 2009, pp. 16-18.

3- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 153-154

4- نفسه، ج 03 ص. 155.

وقد جمع بين القيصر الروسي، والزعيم الوطني البولندي تزارتورسيكي "الأمير آدام جورج" صداقة متينة، وقد أبدى القيصر احتراماً للأمة البولندية، وكانت نظرة القيصر هو إعادة بعث الدولة البولندية القديمة، في ثوب منفصل عن روسيا، وأن تبقى السيادة الروسية اسمية على المملكة الجديدة⁽¹⁾.

لم يتم معالجة المسألة في مؤتمر فيينا بكل حيثيات القضية وأبعادها السياسية والتاريخية، وتم تكريس مبدأ التقسيم في الأراضي البولندية، رغم اعتماد دستور للبلاد يؤكد استقلالية بولندا في قراراتها عن روسيا، إلا أنه تم التراجع عن هذا المبدأ بشكل خطير⁽²⁾.

وقد كانت بولندا على غرار أقاليم أوروبية أخرى، على موعد مع الثورة في نوفمبر 1830م، فقد أصدرت "محكمة الدايت" البولندية أحكام ضد بعض الوطنيين والناشطين القوميين الصربيين وأدرجت أنشطتهم السياسية والنضالية تحت مسمى "نوايا إجرامية"، وأصدر القيصر نيقولا إلى تأييد الأحكام وتنفيذها.

ورغم أن الملك نيقولا تم إعلانه ملكاً على بولندا⁽³⁾، واستمالت له للموظفين والعسكريين، وقيامه بالعديد من الأعمال الدالة على احترامه للأمة البولندية كإنشاء معابد وإقامة التماثيل لشخصيات بولندية اعترافاً لدور الجيش البولندي في حرب روسيا ضد تركيا 1828م.

1 -Jan Czyński, La nuit du 15 août 1831 à Varsovie, trad. Jean Casimer Ordyniec, Paulin libraire, 1832, p. 23-25

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 156

3 -Daniel Beauvois (dir.), Pologne L'Insurrection de 1830-1831. Sa réception en Europe, Actes du colloque des 14 et 15 mai 1981 au Centre d'étude de la culture polonaise, Université Lille-III, 1982. pp. 12-13

لكن كشف مخطط الجمعية الوطنية السرية والأحكام التي تم استصدارها في حق أعضائها، دفع بعض ممن وصفوا بالأحرار والثوار، إلى إنشاء جمعية سرية جديدة في وارسو، لتدبير أعمال عسكرية ضد روسيا وحكومة بولندا الموالية لها⁽¹⁾.

وقد حاول الثوار اختيار التاريخ المناسب لإعلان الثورة، فعزموا على ذلك أثناء الحرب الروسية التركية (1828م - 1829م)، ورأى آخرون أن يعلنوها أثناء تتويج القيصر في وارسو (ماي 1829م)، وحاول آخرون إشعال فتيلها في (ماي 1830م) عند انعقاد مجلس الدايت، لكن سوء التحضير وقلة الاستعدادات حال دون ذلك، أضف إلى ذلك غياب قادة ثوريين حقيقيين تكون لهم الكلمة المسموعة في بولندا⁽²⁾.

عاشت بولندا احتقان داخلي رهيب، سببه وضوح الرؤية أن هناك تراجع في الموقف الروسي في تحقيق وعود القيصر ألكسندر فيما يتعلق بالمسائل الإقليمية المتفق عليها، وكان لمسألة الدستور، أحكام محكمة الدايت غير الدستورية الأثر البالغ في حالة التذمر الشعبي، وأصبحت بولندا بذلك مهددة لاحتضان الثورة⁽³⁾.

بلغت أنباء الثورة في باريس مسامع البولنديين، فزاد من تصميمهم وتحمسهم لإعلان ثورتهم، وأخطر ما تهدد في ذلك محاولة القيصر الفرانديك قنستانتين في 08 أوت 1830م، تحريك جيش روسي بالتحالف مع بروسيا لإخماد الثورة في باريس، وبطبيعة الحال إقحام الجيش البولندي في هذه الحرب التي لا ناقة ولا جمل فيها⁽⁴⁾.

1 -Jan Czyński , op. cit. pp. 33-34

2 -Renaud Meltz, op. cit. p. 101-124

3 -Daniel Beauvois,op. cit. p. 16

4 - شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 168 - 171

وفي أثناء هذه التحضيرات، حاول البولنديين الاتصال بالجانب الفرنسي للتعاون على صد العدوان على فرنسا واستغلال الفرصة لإعلان انفصال بولندا عن روسيا، وإن ظهر في وهلة الأمر أن القيصر قد تراجع عن مشروع الحرب، إلا أن إعلان الثورة في بروكسل في أوت 1830م، أعاد مشروع الحرب إلى الواجهة، فأوفد القيصر إلى برلين الجنرال دييتش، وتعيينه لقيادة الجيش المعد (لحملة فرنسا)، وحدد بدايتها يوم 22 ديسمبر⁽¹⁾.

تأكد الثوار من أنباء الحملة الروسية على فرنسا وتاريخها، فقرروا إعلان ثورتهم والتعجيل بها، وكان ذلك في 29 نوفمبر 1830م⁽²⁾. في مساء 29 نوفمبر بدأت الثورة، من خلال مهاجمة قصر قنسطنطين وثكنات الفرسان الروسي، لكن بسبب عدم الاستعداد الكاف وعدم تبني الشعب للثورة وانضمامه لها، فقد فشل الهجوم⁽³⁾.

حاول مجلس الدايت البولندي، تهدئة الأوضاع والدعوة إلى الاستقرار باسم القيصر نيقولا الأول، ولكن الحقيقة أن تقاعس قنسطنطين عن إخماد الثورة في مهبها، وانسحابه خارج وارسو، مكن الثوار من السيطرة عليها وانتقال الثورة إلى العديد من المدن البولندية⁽⁴⁾.

استطاع الثوار محاصرة قنسطنطين وغالبية جنوده المكونين من الروس، ودخل الطرفان في محادثات، وطلب من قنسطنطين مغادرة بولندا، والتوسط لدى قيصر روسيا، بالالتزام بعدم القيام بأي عمل عسكري معاد على بولندا، وإصدار عفو عام على الثوار⁽⁵⁾.

1- حاطوم، المرجع السابق، ج 02 ص. 333-335

2 -Renaud Meltz,op. cit. pp. 118-119

3 -Renaud Meltz,op. cit. pp. 118-119

4 -Jerzy Lukowski, Herbert Zawadzki, Histoire de la Pologne, Paris, Perrin, 2010, p. 215

5 -Jerzy Lukowski, Herbert Zawadzki, op. cit. pp. 219-220

أوفد البولنديون وفداً إلى بطرسبرج الروسية، لمفاوضة القيصر، وقد علقوا على هذه المهمة آمالهم، لكن هذه المهمة الدبلوماسية فشلت، فتقرر مواجهة روسيا في موقف مدافع، بدل الأخذ بالأسبقية في الحرب بمهاجمة ليتوانيا وتحقيق تقدم عسكري وسبق، يمكن تفسير هذا التملل البولندي أن العديد من قادة الثورة لم يؤمنوا بالثورة ونجاحها أمام قوة عظمى مثل روسيا⁽¹⁾.

اشتغل البولنديون في إعادة ترتيب البيت البولندي سياسياً، من إنشاء حكومة وطنية قومية، ومراجعة الدستور، وتحديد طبيعة الحكم المستقبلي لهم، في هذه الأثناء زحف جيش روسيا بقيادة دييتش في 5 و6 فبراير 1831م على بولندا، واستطاع أن يحقق الكثير من الانتصارات، وكبد البولنديين خسائر بشرية فادحة، زادت من معاناة بولندا⁽²⁾.

طلب الثوريون البولنديون تدخل الدول الأوروبية لحل النزاع مع روسيا، على اعتبار أن مؤتمر فيينا ضمن بقاء "المملكة البولندية"، والدعوة للتوسط في النزاع الروسي البولندي، إلا أن مطالب البولنديين قوبلت بكثير من العطف، وقليل من التأييد.

والحقيقة أن المسألة البولندية تعرضت إلى كثير من الخيانة من الدول الأوروبية التي وقفت موقف المتفرج من الأزمة، وإن قامت إنجلترا وفرنسا بإرسال اعتراضات لحكومة روسيا، إلا أن "نلسرود" وزير الخارجية الروسية لم يلبث أن أجاب على رسالة من بلمرستون⁽³⁾ قائلاً: "ليس لإنجلترا أي حق في

1 -Jerzy Lukowski, Herbert Zawadzki, op. cit. pp, 219-220.

2 -Daniel Beauvois, op. cit. pp. 79-80

3- هنري جون تمبل، المعروف باسم Lord Palmerston، 1784-1865، هو رجل دولة بريطاني، غالباً ما كان موجوداً في الحكومة 1809 إلى 1865، مرتين رئيس الوزراء، تطور خلال حياته المهنية من الأفكار المحافظة إلى الأفكار الليبرالية.

التدخل في شؤون روسية-بولندية، وأضاف أن القيصر ينبذ ظهريا كل ما جاء في مؤتمر فيينا متعلقا ببولندا (3 يناير 1832م).

تأسست حكومة روسية مؤقتة في وارسوا منذ سبتمبر 1831م، وألغى الدستور، واستبدل بقانون أساسي في 14 فبراير 1832م، وإن أظهر هذا القانون اعترافه باستقلال الذاتي لبولندا، واحترام اللغة البولندية وحق الملكية وحق التشريع، لكن ظلت وعود لتطبيب خواطر البولنديين ودول أوروبا الغربية⁽¹⁾. فقد تم ما يلي:

- إدماج الجيش البولندي في الجيش الروسي.
 - استولى الروس على الوظائف الحكومية ومراكز التعليم.
 - اجبارية اللغة الروسية في كل فروع الإدارة.
 - إعلان الأحكام العرفية (1833).
 - مصادرة أملاك وممتلكات الثوار أو نفي ذويهم إلى خارج بولندا.
 - إغلاق كافة الجامعات البولندية وفقدت المكتبات البولندية بريقها الذي تمتعت به⁽²⁾.
- لقد عملت روسيا على المضي في القضاء على كل شعور وطني قومي يدعو للاستقلال في بولندا، لكن مع تسجيل استمرار هذه العواطف والانفعالات الثورية في نفوس البولنديين ولو إلى حين⁽³⁾.

1 -Jerzy Lukowski, Herbert Zawadzki,op. cit. pp,227-229

2 -Beauvois,op. cit. pp. 83-85

3- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 176

3.2- الثورة والتطلعات القومية في الأقاليم الإيطالية:

ما من شك أن ثورات إيطاليا خلال سنوات 1830م و1831م كانت تحت تأثير ثورة فرنسا يوليو 1830م، بحكم القرب الجغرافي والعلاقات التاريخية والسياسية بين القطرين، استطاعت النمسا أن تفرض نفسها وسيطرتها ليس فقط على شمال إيطاليا ولكن إلى مناطق واسعة من البلاد الإيطالية⁽¹⁾، ورافق هذه السيطرة حملات مستمرة على الجمعيات الثورية، خاصة في تسكانيا ورومانا.

وكانت أطماع النمسا هي السيطرة الكاملة على البلاد الإيطالية، الشيء الذي أثار أمراء العديد من مناطق إيطاليا، فهذه المخاوف من النمسا، ساهم في توثيق الصلة بين الإمارات الإيطالية، والاشتغال معا لإفشال كل المحاولات السياسية لتحقيق أطماع النمسا التوسعية، سواء كانت في إطار اتحاد فدرالي أو أي شكل من العلاقات بينهما⁽²⁾.

والظاهر أنه بعد فشل ثورات 1820م، و1821م، بدأت تتشكل بؤر ويمكن أن تحتضن الثورة والأفكار الحرة، ومثل ذلك رومانا، وبارما، ومودينا، واستطاعت هذه المدن أن تجمع بين العناصر العسكرية ذات الخبرة، وعناصر الطبقة البرجوازية الطامحة لتحقيق المزيد من الامتيازات، وكانت الظروف مواتية خاصة عندما اعتقد ثوار إيطاليا أن فرنسا (نظام لويس فيليب) سيعمل على مؤازرتكم وهو الذي أعلن عن مبدأ حق الشعوب في الحرية والاستقلال، وقد قدم الجنرال لفاييت وعدا بإمداد الثوار بالمال والسلاح⁽³⁾، وتشكلت في باريس "لجنة لتحرير إيطاليا".

1 -Elena Musiani, Faire une nation. Les Italiens et l'Unité (XIXe -XXIe siècles), Paris, Gallimard, 2018, pp. 23-22

2 -Catherine Brice (dir.), Frères de sang, frères d'armes, frères ennemis. La fraternité en Italie (1820-1848), Rome, École française de Rome, 2017, pp. 45-43

3 -Bernard Sarrans, op. cit, pp. 254-255

عملت هذه اللجنة على استصدار النشرات والكتيبات، والحملات الدعائية واتخذوا من وفاة البابا بيوس الثامن (1830م) الفرصة لإشعال الثورة، وكان السبب المباشر لاشتعال الثورة حادثة الخيانة لدوق فرنسوا الرابع في مودينا، وتنكره للأحرار⁽¹⁾.

لقد تبين لفرنسوا الرابع أن فرنسا لن تقبل بمطامعه التوسعية، وفي نفس الوقت خشي من اكتشاف ضلوعه مع الثوار ضد النمسا، ومن أجل إبراز ولاءه للنمسا وبدأ بتدبير المؤامرة والمكائد ضد زعماء الأحرار، وكان أن باغت هؤلاء في منزل "مينوتي" في 3 فبراير 1830م، واقتداه إلى حصن "مانتوا" وقام بإعدام مينوتي بعد أيام قليلة⁽²⁾.

وهذه الخيانة استثارت جماعات "الكاربوناري" على القيام بالثورة في مودينا وفي بولونا في 04 و 05 فبراير، ولم تلبث أن امتدت الثورة من هذين المكانين، وفي غضون أيام حتى شملت كل وسط إيطاليا، ووصلت الثورة إلى أمبريا Umbria في قلب الولايات البابوية⁽³⁾.

وفي قلب 9 فبراير 1831م تألفت حكومة مؤقتة في بولونا أعلنت سقوط الحكومة البابوية، وعقد مؤتمر وطني جامع سمي بـ: "مجلس نواب المقاطعات أو الأقاليم المتحدة"، والذي شرع لتأسيس دولة أطلق عليها: "المقاطعات أو الأقاليم المتحدة" لكن هذه الدعوة بقيت محلية في توجهاتها⁽⁴⁾.

قامت النمسا بتحضير حملة عسكرية على بارما وعلى مودينا، وأوقعت الهزيمة بالأحرار والحكومة المؤقتة في 25 فبراير، ولجأ جيش الأحرار إلى رومانا ليعيد تنظيم نفسه، إلا أن الحكومة المؤقتة في رومانا

1 -Pécout, Gilles, Naissance de l'Italie contemporaine (1770-1922)، (1997)، Paris, Armand Colin, 2004, p. 211-213

2 -Lucy J. Riall, **Guerre et nation dans l'Italie du Risorgimento**, Revue d'histoire du XIXe siècle, n° 44, 2012, p. 49-64.

3 -Lucy J. Riall, op. cit. p. 56.

4 -Elena Musiani, op. cit. 89-93

جردته من السلاح، بدعوى أن القانون الساري العمل به يعتبر كل القوات أجنبية لاجئة خارج موطنها وبأنه لا يجب لأحد منا التدخل في المنازعات التي تحصل بين جيرانها⁽¹⁾.

إن هذا الموقف في إيطاليا يدل على أن حركات الثورية فيها ظلت بصيغة المحلية فلا هي وطنية ولا هي متحدة، ولا هي إيطالية. وأن عمل كبير ينتظر هذه الحركات لتوحد نفسها لمواجهة الخطر المشترك، وهذا بالرغم من قرب المسافة الجغرافية وكل العوامل المشتركة بينهم⁽²⁾.

وعندما عبر النمساويون الحدود في 21 مارس 1831م، حتى هلع الثوار إلى وقف القتال، بل طالبوا بالعفو العام واقتصرت مطالبهم على بعض الحقوق المدنية لا السياسية، بل إن الأهالي والأحرار أنفسهم، هلّلوا لقدم الجيوش النمساويون واعتبروهم منقذين، ورحبوا بالقوات البابوية التي احتلت في طريقها من روما إلى رومانا على فوري وشيسينا Cesena⁽³⁾.

لم تحدث ثورات (1830م- 1831م) الأثر البالغ في إيطاليا، بل كرسست واقعا مريرا، على أنه يمكن أن نحدد أثرين بارزين:

- أن الثورة الإيطالية أصبحت مسألة سياسية، وتم تدويلها، وطلب من النمسا والحكومة البابوية الموالية، لها إحداث إصلاحات لتفادي نشوب حركات ثورية مستقبلا.

1 -Elena Musiani, op. cit. 89-93

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 214

3- نفسه

- ضمت هذه الثورات فئات جديدة من المجتمع الإيطالي، من رجال القانون والحقوق، والتجار، وهو أمر لافت وفي غاية الأهمية على اعتبار أن ذلك دليل على تغلغل الوعي في المجتمع الإيطالي في المسائل الوطنية والقومية على عكس ما كانت عليه ثورات (1820م-1821م)⁽¹⁾.

إن السبب الرئيسي لفشل ثورات 1830م-1831م، وقبلها ثورات 1821م، هو ببساطة غياب التنسيق والتآزر بين الحركات الثورية في الشمال والجنوب، ثم إن فشل هذه الثورات في تحقيق أهدافها القومية لا يعني القضاء على الأفكار الوطنية والقومية، بل استمر العمل في السرية، وربما هذا ما يتلاءم مع طبيعة الفرد الإيطالي الميال إلى الدسائس والتمرد والمؤامرة⁽²⁾.

4.2- الثورة في المملكة المنخفضة (بلجيكا وهولندا):

كان من أهم القرارات التي اتخذها مؤتمر فيينا لتثبيت مبدأ توازن القوى في أوروبا، إنشاء مملكة الأراضي المنخفضة والتي تضم بلجيكا وأسقفية لبيج تحت الوصاية الهولندية على أن الدور الوظيفي لهذه المملكة هو واجهة أي فائض للقوة عند فرنسا في الجانب الشمالي الشرقي. وإن كان هذا القرار قد ساهم في بعث حالة من السلم والاستقرار في هذا الجانب من أوروبا، إلا أنه لم يلبث أن صار مبعث اضطراب في المنطقة⁽³⁾.

1 -Elena Musiani,op. cit. pp. 112-113

2 -Sylvie Aprile, Jean-Claude Caron,op. cit. pp. 69-70

3- Robert Demoulin, La Révolution de 1830; Bruxelles (La Renaissance du Livre, coll. "Notre passé"), 1950. pp. 23-25

لقد تنامت المسائل القومية والشعور الوطني في بلجيكا بعد رفضهم السيطرة الهولندية والدعوة لاستقلال بلادهم عنها، فكانت ثورة 1830م تدخل ضمن هذا السياق التاريخية. ووضعت مصداقية المحفل الأوروبي على المحك، أصبحت المسألة البلجيكية مبعث قلق لدى الساسة الأوروبيين⁽¹⁾.

لقد اتضح أن هذه التسوية السياسية الإقليمية، قد ضحت وضربت عرض الحائط القومية البلجيكية، فكيف تضم بلاد عدد سكانها 3,4 مليون نسمة إلى بلد عدد سكانه لا يتجاوز 2 مليون نسمة، واعتبر البلجيكيون هذا القرار تعسفا في حقوقهم القومية⁽²⁾.

كانت ادعاءات الساسة الأوروبية أن هولندا وبلجيكا تجمعهما الكثير من الخصائص والروابط المشتركة، كاللغة والدين والتقاليد السياسية والمصالح المشتركة اتجاه المسائل الاقتصادية وعلاقاتهم الدبلوماسية.

على أن هذه الادعاءات يمكن تجاوزها أو دحضها من خلال ما يلي⁽³⁾:

- أن هولندا عرفت وجودا وحضورا منذ أزيد من قرنين من الزمن في حين أن بلجيكا تراوحت السيطرة السياسية عليها من إسبانيا وأحيانا تحت الوصاية النمساوية ثم الفرنسية على عهد نابليون.

1 -Jean Stengers, « La Révolution de 1830 », Les Grands Mythes de l'histoire de Belgique, éditions Vie Ouvrière, Bruxelles, 1995,p. 53

2 -Sébastien Dubois, L'invention de la Belgique - Genèse d'un État-nation (1648-1830); Bruxelles (Éditions Racine), 2005. pp. 101-103

3 -Jean Stengers,op. cit. pp. 72-74

- الاختلاف اللغوي بين البلجيكيين أنفسهم، فهم لا ينتمون إلى أصل واحد، ولا يتكلمون لغة واحدة، فمنهم الفلمنك⁽¹⁾ Flemmish في ولاية برابانت Brabant ويؤلّفون حوالي ثلثي عدد سكان البلجيك، وتختلف لغتهم عن الهولنديين كما أن السكان الآخرون فينتمون إلى الوالون⁽²⁾ Walloon ويستقرون في مدن لياج Liège ونامور Namour، هينولت Hainault، ولغة هؤلاء أقرب إلى الفرنسية⁽³⁾.

بدا واضحاً الصراع الثقافي واللغوي بين الفلمنك والهولنديين، فقد استخدم الفلمنك اللغة الفرنسية تعبيراً عن رفضهم للسيطرة الهولندية، وشكل من أشكال المقاومة الثقافية لها، بل جعلوها مظهراً للسيادة والقومية.

الاختلاف الديني والمذهبي يتضح من خلال أن المناطق الجنوبية (الولايات البلجيكية) كانت كاثوليكية المذهب بالنظر لسياسة الكتلّة التي مارستها إسبانيا أيام فيليب الثاني، في حين أن الولايات الهولندية كانت على المذهب الكالفيني (البروتستنتي)⁽⁴⁾.

1- الفلمنك أو الفلمنج (Vlamingen) هي مجموعة عرقية جرمانية مقيمة في الفلاندرز، في مملكة بلجيكا الحديثة، ويتحدثون الفلمنكية، ولكن (في الغالب) يستخدمون اللغة الهولندية المكتوبة. وهم واحدة من مجموعتين عريقتين رئيسيتين في بلجيكا، والأخرى هي الوالون الناطقة بالفرنسية. يشكل الفلمنك غالبية السكان في بلجيكا (حوالي 60%).

2- الوالون (Wallons) هم مجموعة عرقية رومانسية يعود أصولهم إلى بلجيكا، وبشكل أساسي في منطقتها الجنوبية من والونيا، والتي تتحدث اللغة الفرنسية. تربط المعايير التاريخية والأنثروبولوجية الهامة (النسب، والدين، واللغة، والتقاليد، والفلكلور) الوالون بالشعب الفرنسي.

3 -Béatrice Quintin, Belgique: mais en fait, depuis quand et pourquoi Wallons et Flamands se disputent, journal La Voix du Nord, publier le 05/01/2021

4 -Jean Stengers, op. cit. pp. 91-93

اشتد التذمر البلجيكي من الحكومة المركزية في هولندا خاصة في قضية الضرائب على القمح المطحون والحيوان المذبوح، وكتبت الفرائض وأرسلت إلى الحكومات الإقليمية، على أن مسألة الضرائب اعتبرت مسألة تهم الأمة بكاملها، ولهذا اتهمت الحكومة الهولندية صانعوا العرائض بالتآمر والتجني على مصالح الأمة الموحدة، واتهمتهم بالخيانة العظمى والعمل ضد مصالح الأمة⁽¹⁾.

وصاحب هذه العرائض حملة صحفية شرسة ضد الحكومة ونشاط من النواب البلجيكيين، وأثرت هذه الجهود إلى تعديل قانون الميزانية العامة بعد أن ألغيت العديد من الضرائب⁽²⁾.

أمام هذا المعطى، بدأت سياسة الملك الهولندي وليم الأول تتجه نحو الاستبداد من خلال استصدار مرسوم ملكي في 8 يناير 1830م يحرم به ستة نواب معارضين من مرتباتهم ووظائفهم، زاد الملك غيظا من حملات المعارضة خاصة على الصحف والجرائد، وكان أشدها على الحكومة نشاط ومقالات وانتقادات لويس دي بوتر وقد عمل في جريدة لوبيلج Le Belge⁽³⁾.

تعرض هذا الصحفي إلى حكم تعسفي بعد أن كتب مقالا لوزراء حكومة وليم الأول، يؤنب الشعب البلجيكي على ما يعيشه من تعاسة، ورغم سجنه لمدة ثمانية عشر شهرا، إلا أنه استمر في حملة المعارضة وإصدار المقالات من سجنه ضد الملك وحكومته، والدعوة إلى الانتفاضة ضدها⁽⁴⁾.

ومما جاء في رسائله ما يلي: "كلا يا مولاي! أنت لست سيد البلجيكيين كما يريدك الناس أن تعتقد ذلك، وإنما أنت الأول فقط بينهم، وأنت لست سيد الدولة، وإنما أنت تتخذ مكانك

1 -Sébastien Dubois, op. cit. pp. 181-183

2 -Sébastien Dubois, op. cit. pp. 185-186.

3 -ibid. ; pp. 185-186

4- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 34-44

على رأسها بوصفك أعلى موظفيها درجة ورتبة"، لقد اتضح جليا أن مشروع إدماج الشعبين الهولندي والبلجيكي في مملكة واحدة قد أخفق⁽¹⁾.

ورغم أن البلجيكيين كانوا لا يزالون يكتنون الاحترام للأسرة الحاكمة آل أورنج، خاصة في ظل تحسن معيشي واقتصادي كبير، وازدهار صناعي تحت رعايتهم، فملكوا قلوب الطبقة البرجوازية الصناعية، فإنه لا أحد كان يتوقع حدوث ثورة أو صدمة سياسية على الأقل في الأجل المتوسط⁽²⁾.

إن اندلاع الثورة في باريس يوم 28 جويلية 1830م، والإطاحة بشارل العاشر وأسرة آل بوربون في فرنسا، قد شعل الخواطر وأهاجها في بروكسل. وتم نشر المنشورات التحريضية على الثورة، وجاءت تحمل العبارة التالية: "يوم 23 أوت عرض الألعاب النارية، يوم 24 أوت عيد ميلاد الملك، يوم 25 أوت الثورة"⁽³⁾.

قامت السلطات الملكية بتوقيف عرض الألعاب النارية، ثم بمنع عرض أوبرا بعنوان "خرساء بوتشي La Muette de Portici"⁽⁴⁾، وهي أوبرا تتناول حوادث الثورة في نابولي ضد الحكم الإسباني في سنة 1647م، ثم عاودت الترخيص لعرض الأوبرا، هذه المواقف المتذبذبة، جعلت الشارع البلجيكي يتململ من الحكومة الملكية، وكان من نتائج عرض هذه الأوبرا تزايد حماس الحاضرون، وعند خروجهم

1- حاطوم، المرجع السابق، ج 02 ص. 88 - 91

2- نفسه

3- شكري، المرجع السابق ج 2، ص.

4- هي أوبرا من 5 فصول، تأليف Daniel-François-Esprit Auber، على نص لـ Eugène Scribe و Germain Delavigne، تم عرضها لأول مرة في 29 فبراير 1828، في أوبرا باريس، لاقت نجاحا كبيرا بأكثر من مائة عرض في السنة الأولى. تمجد La Muette de Portici شعور الوطن والحرية من خلال لوحة جدارية لشعب نابولي الذي ثار ضد نير الحكم الإسباني في القرن السابع عشر 1647، و Portici هو اسم ميناء صيد في ضواحي نابولي.

إلى الشارع وجدوه مكتظا بمن حضر للاحتفالات، فحصلت مظاهرات صاحبة واصطدامات دموية، وقد المتظاهرون أعمالا تخريبية فهاجموا مقر صحيفة لونشيونال وأحرقوه وهي جريدة موالية للحكومة، وهاجموا مقر الحاكم الإقليمي، ومدير الشرطة، وكثرة أعمال النهب والتخريب، وظهر جليا عجز الحكومة عن مواجهة هذه التظاهرات⁽¹⁾.

في اليوم الثاني 26 أوت 1830م اتخذت الثورة صبغة وطنية قومية، فرفعت الرايات البلجيكية، ومزق العلم الملكي⁽²⁾.

دخلت الحكومة الهولندية في سلسلة من المفاوضات، لتجاوز هذه الأزمة العاصفة، وأثناء ذلك بلغت الأخبار عن سيطرة الثوريين على بروكسل، فحركت جيشا لإخماد الثورة بقيادة ولد العهد الهولندي الأمير فريدريك انطلاقا من فيلفورد.

وقد لقي مقاومة مسلحة عنيفة عندما دخل بروكسل في 23 سبتمبر 1830م، وقد استمرت المواجهات مدة 03 أيام عصبية، واضطر الأمير فريدريك إلى الانسحاب خارج المدينة في 26 سبتمبر⁽³⁾. هذه الهزيمة دفعت الثوار إلى تأليف حكومة في 27 سبتمبر، من بين أعضائها⁽⁴⁾: إمانويل

1 -Sylvie Aprile (dir.), Jean-Claude Caron (dir.) et Emmanuel Fureix (dir.), La liberté guidant les peuples: les révolutions de 1830 en Europe, Seyssel, Champ Vallon, coll. « Époques », 2013, pp. 201-203

2 -ibid. ;p. 203

3- أمام خطورة الأحداث راسل الملك وليام الأول الدول الموقعة على بروتوكول المواد الثمانية في لندن، طالبا مساعدته بقواتها المسلحة في إعادة النظام في بلجيكا.

4- حاطوم، مرجع سابق، ج 02 ص. 89

دهوجفورست⁽¹⁾ D'Hoogvorst، وفيليكس دي ميروود، وفان دي وير، وروجيه، ولم يأخذ الأمر كثيراً حتى انضم إليهم أطراف مختلفة من المعارضة البلجيكية، وتكون جيشاً هدفه إرغام الجيش الهولندي الانسحاب خارج بلجيكا، وقد أصبحت الآن القضية قضية وطنية وانضمت كل الولايات الأخرى إلى تأييد حكومة بروكسل الثورية، وأعلنت الحكومة المؤقتة في بروكسل عن تأسيس دولة مستقلة مكونة من الولايات البلجيكية، ودعت لعقد مؤتمر وطني، الذي اجتمع في 10 نوفمبر 1830م⁽²⁾.

تألف هذا المؤتمر من 200 ممثلاً تم انتخابهم من البلجيكين ما فوق الخامسة والعشرين، والذي أعلن في ختام أعماله استقلال بلجيكا، وتحديد طبيعة الحكم في بلجيكا الجديدة وإن وقع نقاش حاد حول هذه المسألة، إلا أن الغالبية مالت إلى فكرة النظام الملكي، وفشل لوسي دي بوتر في تمرير وإقناع الغالبية في المؤتمر بأفكاره الجمهورية، فقدم استقالته من الحكومة المؤقتة، وغادر البلاد إلى فرنسا⁽³⁾.

واستمر المؤتمر في أعماله، من خلال وضع دستور جديد للبلاد، استغرق ذلك بعض الأشهر، وظهر في 7 فبراير 1831م، وأهم ما جاء فيه:

- وضع السلطة التنفيذية في يد ملك وراثي.
- يحكم الملك عن طريق وزراء يتم تعيينهم من طرفه.
- يخضع الوزراء لمراقبة هيئة تشريعية (مجلسين).
- استقلال القضاء.

1- Baron d'Hooghvorst, Emmanuel Vanderlinden (1781 - 1866) هو جنرال بلجيكي وسياسي من الاتجاه الكاثوليكي، لعب دوراً رئيسياً خلال الثورة البلجيكية. كان أيضاً رئيساً لبلدية Meise من 1807 إلى 1866.

2- Sébastien Dubois, op. cit. pp. 141-143

3- idem

- ضمان حرية الصحافة والعبادة والتعلم والاجتماع.

- ضمان حق تقديم العرائض والشكاوي⁽¹⁾.

في خضم هذه الترتيبات الداخلية البلجيكية، تحولت المسألة البلجيكية مسألة دولية، على اعتبار أنها من اهتمامات المحفل الأوروبي، وقد طالبت الحكومة الهولندية تدخل المحفل الأوروبي (الدول الموقعة على بروتوكول المواد الثمانية في لندن) لفض الثورة واستعادة الهدوء، إلا أن هذه الدول لم تلب الدعوة على اعتبار أن أوروبا 1830م ليست هي أوروبا سنة 1815م⁽²⁾.

فقد أبدت فرنسا على عهد لويس فيليب ميلا وعطفا على البلجيكيين وطموحاتهم القومية، كما مثل هذا الموقف نفسه عند إنجلترا لكن مع هاجس التوسع الفرنسي على حساب بلجيكا، في الوقت الذي كانت روسيا والنمسا تدعمان العمل المسلح، لكن مع مخاوف من حرب أوروبية شاملة قد تؤثر بشكل سلبي على الحالة العامة⁽³⁾.

وفي هذا السياق تم عقد مؤتمر في لندن يوم 4 نوفمبر 1830م، لدراسة المسألة البلجيكية-الهولندية، واتفق الجميع باستبعاد التدخل العسكري في بلجيكا، وإقرار هدنة بين الطرفين، وخروج الجيش الهولندي إلى حدود بلجيكا حتى الفصل في المسألة بشكل نهائي⁽⁴⁾.

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 38-40

2- نفس المرجع السابق، ج 03 ص. 46

3 -Dubois,op. cit. pp. 145-147

4 -B. Anderson, L'imaginaire national. Réflexions sur l'origine et l'essor des nationalismes, Paris, La Découverte, 2003,pp. 61-62

وأمام حكمة الثوار الذين توافقوا على نظام الحكم الملكي، قد اثر في قرار المؤتمرون في لندن، وإمضاء بروتوكول بتاريخ 20 ديسمبر 1830م، يؤيد مبدأ استقلال بلجيكا وانحلال مملكة الأراضي المنخفضة، ووضعت الدول الأوروبية بروتوكولين في 20 و27 جانفي 1831م⁽¹⁾.

حدد البروتوكول الأول الجانب الجغرافي والحدود الفاصلة بين بلجيكا وهولندا.

وحدد البروتوكول الثاني المسائل المالية والديون، وما تعلق بمسائل الانتقال بين البلدين.

والحقيقة أن البلجيكيين لم يرضوا بهذان البروتوكولين، من عدة أوجه:

- اشتراط الدول الأوروبية أنها لن تعترف بملك لبلجيكا دون موافقته على ما جاء في نص البروتوكولات.

- اقتطاع غراندوقية لكسمبورغ وإقليم مايستريخت Maestricht لصالح هولندا.

- وضع شرط قبول الملك الذي تريده الدول الأوروبية، في حين أراد البلجيكيون اختيار ملكهم دون مشاورة أحد⁽²⁾.

على أنه ترشح لمنصب الملك ثلاثة مترشحين، كل بما يحمله من صفات وانتماءات للعائلات الملكية الأوروبية على النحو التالي:

- أغسطس دوق ليختنبرج Augustus de Leuchtenberg ويوصف أنه ينتمي الى اصول بونابرتية.

- لويسي دي نيمور من بيت أورليان، والذي يمثل أسرة "ملكية جوبلية" في فرنسا، الابن الثاني لملك فرنسا.

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 40-41

2 -Jean-Claude Caron,op. cit,pp. 88-89

- الأرشيديوق شارل النمساوي.

اجتمع المؤتمر الوطني في 4 فبراير 1831م لانتخاب أحدهم ملكا على البلاد، فكانت النتيجة على النحو التالي⁽¹⁾:

- دوق دي نيمور 97 صوتا.

- دوق ليختنبرج 74 صوتا.

- الأرشيديوق شارل 21 صوتا.

إلا أن الملك الفرنسي عارض اعتلاء ابنه العرش البلجيكي⁽²⁾، حتى يتفادى مواجهة أوربا، ودخل البلجيكيون فترة البحث عن ملك لبلادهم.. ولم ينته الأمر إلا يوم 4 يونيو 1831م أين قرر المؤتمر الوطني تعيين ليوبولد أمير ساكس كوبرج Saxe Cobeurg⁽³⁾.

وهللت الجماهير البلجيكية بتعيين الملك الجديد والذي لقي قبول وتأييد الأوروبيين (إنجلترا وفرنسا)، غير أن الملك وليم الأول الهولندي رفض الاعتراف باستقلال بلجيكا وضمها لمناطق لكسمبرغ وماسيترخت، وأعلن الحرب على بلجيكا الجديدة، وزحف عليها بقوة بلغت 36 ألف مقاتل، وحقق انتصارات رهيبة لم يستطع ليوبولد مواجهتها، فاضطر إلى طلب المساعدة من فرنسا⁽⁴⁾.

1 -Sébastien Dubois, op. cit. ,pp. 155-156

2 -Sébastien Dubois, op. cit. ,pp. 157

3 -Etienne-Constantin de Gerlache, Histoire du royaume des Pays-Bas depuis 1814 jusqu'en 1830, tome 2, Bruxelles, 1859,pp. 213-217

4 -Frans Van Kalken, Histoire du royaume des Pays-Bas et de la révolution belge de 1830, Bruxelles, 1910,pp. 71-73

وبعد موافقة الدول الأوروبية على ذلك، تحرك الجيش الفرنسي ودخل بروكسل، وانسحب الهولنديون، والحقيقة أن الهولنديين لم يكونوا يريدون الحرب ضد فرنسا ولكن اذلال البلجيكيين.

اجتمع الأوروبيون مرة أخرى في لندن لدراسة المسألة البلجيكية، وتم إصدار بروتوكول انفصال جديد في 15 أكتوبر 1831م يقضي بمنح ماسيتخت هولندا، وتحصلت بلجيكا على الجزء الغربي الأكبر من لكسمبورغ، والظاهر أن الشروط الواردة في البروتوكول أغضب البلجيكيين واعتبروها مجحفة في حقهم، لكن ليوبولد اعتبرها ضرورية لتفادي معاداة القوى الأوروبية⁽¹⁾، بل إنه هدد أعضاء المؤتمر الوطني البلجيكي بالاستقالة إن لم يوافقوا على البروتوكول لحماية الدول الجديدة.

وكانت المصادقة من مجلسي النواب والشيوخ البلجيكي وتم توقيع المعاهدة في لندن يوم 15 نوفمبر 1831م، وبذلك اعترفت الدول نهائيا ببلجيكا مستقلة ذات سيادة، وضمنت لها شروط الحياة الوجود⁽²⁾.

مع الإشارة أن هولندا لم تصادق على المعاهدة، بل تطورت الأوضاع من أخذ وشد، في محاولة منها لاسترداد بعض الأقاليم البلجيكية المتنازع عليها، ولم يتم اعترافها بحالة الدولة البلجيكية الجديدة المستقلة، إلا بعد مراجعة معاهدة لندن المبرمة في 15 نوفمبر 1831م، بمعاهدة جديدة وقعت في 19 أبريل 1839م. وأبرمت الدولتان معاهدة في 5 نوفمبر 1842م لتأكيد أواصر الود والصداقة بينهما⁽³⁾.

1 -Frans Van Kalken, op. cit. pp,75-78

2 -Van Kalken, op. cit. ,p. 78

3 -Van Kalken, op. cit. ,pp. 82-83

لم تكن مسألة التنازل عن أقاليم جديدة لهولندا في معاهدة 1839م، بالأمر السهل على شعور البلجيكيين فقد اعتبروا ذلك انتقاضاً من شعورهم ووحدهم القومية والوطنية، لكن بالمقابل تمتع البلجيكيون باستقلالهم، وراحوا يدعمون جبهتهم الداخلية، وتسوية خلافاتهم واختلافاتهم، على أساس أن نجاح ثورتهم إنما يعود إلى تلك الوحدة التي ميزت العمل الثوري بين جماعتي الكاثوليك والأحرار، وسعى الملك ليوبولد لتعزيز هذا الشعور القومي والوطني، رغم الكثير من المصاعب، فقد اتخذوا منهج الحكومات الائتلافية، لا حكومة الطيف الواحد، ثم تجاوز الكثير من العقبات في سبيل الوحدة القومية، مثل مسألة التعليم الكاثوليكي (الديني) في المدارس، فتم استصدار قرار منظم لها في 23 سبتمبر 1842م، على أن مبدأ الموافقة هو أصل اتخاذ القرارات، وهنا أشير إلى الدور الذي لعبه الملك ليوبولد في تكريس الوحدة القومية البلجيكية بما عرف عنه من حكمة في توجيه البلاد⁽¹⁾.

المبحث الثاني: ثورات الربيع الأوربي 1848:

تجددت بأوروبا عام 1848 عدة ثورات، امتد لحيبها إلى مختلف أنحاء أوروبا، إذ تعتبر سنة 1848 سنة الثورات في أوروبا فقد وقعت في فرنسا، ثم وقعت في معظم بلدان أوروبا، وكانت لها أسباب عديدة ومتنوعة من سياسية وقومية واقتصادية واجتماعية، مست نظم الحكم في كل من إنجلترا وبلجيكا وهولندا بشكل قليل، أما فرنسا وأوروبا الوسطى فقد غمرتها الثورة، وقامت شعوبها بحملة عنيفة على الوضع السياسي القائم آنذاك، ورغم معارضة قرارات فيينا 1815 لمبدأ القوميات وتأييده للملوك المستبدين في أوروبا، فإن الروح القومية انتشرت بشكل واسع بأوروبا في ذلك الوقت، وصممت شعوبها على نيل حريتها

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 44

2 - Breunig, Charles, The Age of Revolution and Reaction, 1789-1850, Norton, 1977, p. 3

ووحدتها، فقامت ثورات أخرى بعد ثورات 1830 عام 1848 في عدة بلدان أوروبية استمرارا لتلك الانتفاضات والثورات¹.

وعلى العموم يمكن القول أن أوروبا غداة 1848، عاشت ربيع نهضة سياسية قل نظيره في تاريخها، تجسد في تنوع وعنى حركات الإصلاح السياسي، وما أشاعته في إحداث تحول دستوري ديمقراطي.

1- أسباب ثورات الربيع الاوربي 1848:

تفاعلت العديد من الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية نتج عنها حالة من الاستقطاب والشحن الاجتماعي، فبالإضافة الى التطلعات القومية ومطالب الإصلاح الدستورية، زادت الأوضاع الاقتصادية الصعبة من خطورة الوضع، وكان واضحا ان الوضع سيؤول الى الانفجار.

1.1- السبب السياسي:

ان فساد النظم السياسية والتصلب السياسي في أنظمة الحكم الأوروبية المطلقة المتأهبة لمقاومة أي تغيير ليبرالي أو وطني، لم يترك لقوى المعارضة خيارا غير القبول بالأمر الواقع أو الثورة، ولم تكن هذه القوى مستعدة للثورة بنفسها إلا إذا اندلعت ثورة اجتماعية لا رجعة فيها².

وقد ظهرت عدة اتجاهات منها الاتجاه القومي والاتجاه الليبرالي والاتجاه الاجتماعي لمواجهة هذا الوضع المتأزم والمطالبة بالإصلاح السياسي.

1 -Duveau, Georges: The Making of a Revolution,pp. 123-145

2-Parker, David , Revolutions and the Revolutionary Tradition. New York: Routledge, Breuilly, John ed 2000, pp. 48-50

1.1.1 - الاتجاه القومي:

أدت ثورات العام 1830 إلى انتشار الحركات القومية والدستورية، حيث سعت شعوبها إلى تكوين قومية موحدة، إضافة إلى مطالبتها بالحريات العامة والحصول على استقلالها الذاتي. فلقد شغلت المسألة القومية محورا مركزيا لدى الألمان والإيطاليين وكذلك شعوب الإمبراطورية النمساوية. وبرز ذلك في منظور "أوربا الشابة" وفي ميثاق الأخوة في العام 1834، الذي أكد على أن كل شعب يحمل رسالة خاصة وهي تسعى إلى تحقيق رسالة عامة للإنسانية¹.

إن أبرز ما يمثل هذا التطور الحركات المسماة "الفتاة"، التي أسسها أو أثر فيها "جيوسيبي مازيني" بعد ثورة 1830، ومنها إيطاليا الفتاة "وبولندا الفتاة" و"فرنسا الفتاة"، وهي بمثابة السلف للمنظمة الثورية الوحيدة الناجحة التي قمت على غرار الشائعة في مطاع القرن التاسع عشر للأخويات التضامنية، كانت هذه الحركات تمثل أهمية بالغة من الوجهة الرمزية، ودليلا على تفكك الحركات الثورية الأوروبية إلى مسارات قومية منفصلة².

2.1.1 - الاتجاه الليبرالي:

ارتسمت ملامح كتلة الليبرالية خاصة في أوربا الغربية، وقد سعى البرجوازيون لوضع نهاية للحكم المطلق وفرض مراقبة على الأمراء والملوك، وذلك بانتخاب مجالس تأسيسية نقيد سلطتهم ونفوذهم، وذلك لبلوغ أهدافهم السياسية والاقتصادية. وقد شكل الليبراليون العمود الفقري للمعارضة³، لكنهم

1 - المقرحي ميلاد، أ.، موجز تاريخ اوربا الحديث والمعاصر، بنغازي، 1998

2 - برون جيفري، المدنية الأوربية في القرن التاسع عشر 1815-1914، ترجمة محمد احمد علي القاهرة، 1966.

3 - أ. ح جرانت، تمبرلي هارولد، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950)، ترجمة بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، ص، 191

اعتقدوا أنه يمكن التوفيق بين أنظمة الحكم السائدة وبين حاجات التطور، ودعا الليبراليون إلى سن دستور مكتوب يحدد الحريات السياسية والمدنية كحرية التنظيم والتعبير والنشر وإقامة مؤسسات تمثيلية وغير ذلك مما ورد في سياقات أخرى، كالصيغة الفردانية البارزة لفكرهم، واعتبار الملكية معيارا لحق الانتخاب¹.

وتذهب الأغلبية من الدارسين إلى أن الليبراليين رأوا في 1789 ودستور العام 1791 نموذجا يمكن الاقتداء به، واستوحوا منظورهم السياسي منها، وهذا ينطبق على الليبراليين الفرنسيين بالتأكيد، أما البلدان الأخرى فليس دائما².

وقد سعت المعارضة لأنظمة الحكم المطلق إلى إقامة حركات وتنظيمات إحداث الإصلاح الذي دعت إليه، واختلف حيز الحرية النشاط من بلد إلى آخر، فقد حظيت بحرية عمل واسع نسبيا في أنظمة الحكم الدستوري في بريطانيا وفرنسا، وعانت من القمع والطرده والملاحقة في أنظمة الحكم السلطانية وبخاصة في النمسا وروسيا، ولن تتردد الأنظمة الدستورية في تضيق حرية العمل السياسي كما حدث في فرنسا في بداية العشرينات ومنتصف الأربعينات ونتيجة لذلك اضطر الليبراليون إلى إقامة تنظيمات وحركات سرية³.

كانت قد نوقشت في مؤتمر فيينا عام 1815 وذلك باتفاق الدول الأربعة الكبرى على عدم شرعية تجارة الرقيق، وصارت الشعوب تكافح ضد العنصرية والتمسك بحقوقهم الذاتية، ذلك أن النظام

1 - حاطوم نور الدين، تاريخ الحركات القومية، ج3،، بيروت، 1967، ص. 147

2 - حسين فاضل ونعمة كاظم هاشم، التاريخ الأوربي الحديث، 1815-1939، (الموصل، 1982).

3 - Namier, Lewis. 1848: The Revolution of the Intellectuals (Doubleday Anchor Books, 1964), pp. 54-55,

الإقطاعي عانت منه هذه الشعوب لأنه نظام استبدادي جعلهم يعانون من الظلم، وذلك بالضرائب وسلب أراضيهم وحرمانهم من أبسط حقوقهم.

2.1- السبب الاجتماعي والاقتصادي:

كانت أوروبا أزمة حادة في المواد الغذائية، فقل الإنتاج الزراعي وأصبح رديئا بسبب إهمال المزارعين لأراضيهم، وأدى ذلك إلى انخفاض مستوى المعيشة، خاصة العامين 1846-1847، وهذه الحالة السيئة أدت بدورها إلى قيام أزمة خطيرة في الميدان الصناعي والتجاري، وانتشر الإفلاس وعمت البطالة في المجتمع الأوروبي¹.

وقد بلغ القحط ذروته في صيف 1845-1846 تماما كما حدث قبيل العام 1789 في فرنسا وعم مناطق واسعة في أوروبا²، وازدادت حدة الأزمة الاقتصادية والمالية في أواسط الأربعينات بسبب حمى بناء السكك الحديدية بشكل خاص، وانتشر الجوع في معظم أنحاء أوروبا، وانتشرت أعمال السطو على المخازن والقوافل التجارية، ووصل عدد الانتفاضات في فرنسا حوالي 400 خلال العامين 1846 و1847 و160 في أنحاء ألمانيا وحدها سنة 1847، وعلى الرغم من أن حدة القحط خفت في أواخر العام 1847 فإن الاستياء والتذمر من حدة الفاقة الاجتماعية مهد بصورة مباشرة لإشعال فتيل الثورات.

1 -Parker,cit. pp. 123- 124

2 -Weyland, Kurt. ,**The Diffusion of Revolution: '1848' in Europe and Latin America**, International Organization Vol. 63, No. 3 (Summer, 2009) pp. 391-423

02- نماذج لثورات 1848:

1.2- الثورة في فرنسا فبراير 1848:

يمكن القول أنها تنمة لثورة يوليو 1830، حينما كانت باريس وفرنسا كلها مغمورة بالنشاط الفكري والسياسي قبل عام 1848¹، وتزعم الحركة الاجتماعية "سان سيمون"، وقد تجمعت أسباب هذه الثورة خلال حكم لويس فيليب (1830-1848). وقامت على أساس النظم المختلفة التي أفادتها البلاد من كلا العهدين الجمهوري والإمبراطوري، ولم يكن لويس فيليب ميالا إلى الإصلاح، ولا في إدارة شؤون فرنسا، ويمكن القول أن وجوده كان شكليا، وقد تولى رئاسة الوزارة في عهده تيير عام 1837، الذي كان زعيما لحزب الأحرار "جيزو" عام 1840، الذي كان زعيم حزب المحافظين، فقد استقبلا كلاهما حكم الملكية البرجوازية برضى، وسعيا معا إلى إصلاح الأوضاع وعلاجها نهائيا، لكنها من الناحية الخارجية، أي مع الدول الأوروبية، فقد تناقضا في سياستهما، فكان لويس فيليب أيضا يمتلك سياسة خارجية تزامن معها يقظة الديمقراطية التي نمت في نفوس الشعوب أو الشعب الفرنسي، فكانت ثورة مفاجئة عام 1848.

ويمكن تفسير السهولة التي كانت بها الحكومة والمعارضة في وجه النزاع بينهما، وقد كان مبعثها مسلك لويس فيليب في سياسته الخارجية، فهو اتبع سياسة تلاؤم ميول الشعب الفرنسي.

ويمكن القول أن هذه الثورة لم تكن من صنع باريس وحدها، بل كانت من صنع جانب صغير فقط من سكانها، وقد كان هناك هيجان في الأقاليم ضد تقييد حق الانتخاب، وكان لويس فيليب

1-Merriman, John M. The Agony of the Republic: The Repression of the Left in Revolutionary France, 1848-1851 (Yale UP, 1978), pp. 11-15.

2 -Clark, Timothy J. Image of the people: Gustave Courbet and the 1848 revolution (Univ of California Press, 1999), pp. 121-123.

يأمل في إبقاء الحكم في أسرته في شخص حفيده تحت وصاية دوقية "أورليان"، ولم توافق الجمعية على هذا الحل،

واقترحت جموع باريس فناءها، وفض ذلك النزاع لكل من بقي منهم نادوا بقيام حكومة مؤقتة كان أعضاؤها يدينون بسلطانهم للثورة، ولم يكن لها سند دستوري¹.

ثار الشعب ضد هذه السياسة، كما أن زعيم الأحرار في باريس "أودليون بارو" فشل فيما كان ينادي به من إصلاحات أخذ ينادي كافة أنحاء فرنسا بوجوب إصلاح البرلمان، كما دعا إلى ضرورة عزل "جيزو" رئيس الوزارة²، وخشيت الحكومة خطر هذه الوفود، فرفضت تحقيق تلك المطالب، ووجهت الحكومة بموقفها هذا باندلاع الثورة في اليوم التالي، ولم يكدمر على اندلاعها يوم واحد حتى اشتدت ثورة العمال الذين تحصنوا في شوارع المدينة بالمطارس، واندس بينهم فريق الجمهوريين لينادوا بحياة الجمهورية بدلا من المناداة بتحقيق الإصلاح³، وانتهت الثورة بعزل الملك "لويس فيليب" استجابة لمطالب الثائرين وطرد النواب الملكيين من المجلس النيابي، وألف الثوار حكومة مؤقتة اشتراكية أعلنت الجمهورية وانتخبت لويس بونابرت رئيسا لها في استفتاء في ال 10 ديسمبر 1848 وقد ساهمت مختلف الطبقات في إنجاح هذه الثورة، وقد ساهم الاشتراكي "لويس بلان" في تأليف الحكومة، وكانت دعوته إلى أن تقوم الحكومة بإنشاء مصانع تعاونية لخدمة الشعب الفرنسي، ونادي بعدة مبادئ منها حق العمل، وهو السبب بالنسبة إليه لتغيير حالة المجتمع ولقضاء على البؤس والفقر، كما دعا إلى

1 - عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815-1919)، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص ص. 301-

2 - Merriman, John M, Op, cit. pp. 22-26

3 - عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص. 311

ضرورة تأسيس حكومة منظمة وفق عدت أساس أهمها: حق الانتخاب للذكور، إعلان حرية الصحافة، انتخاب مجلس نيابي، وإسناد السلطة التنفيذية الرئيس الحكومة¹.

2.2- الثورة في إيطاليا:

عانت إيطاليا أشكالا من الانقسام²، حكم نمساوي أجنبي في الشمال، ودولة البابا في الوسط، وبيت البربون يحكم نابولي في الجنوب، وملكيات أخرى في سردينيا وصقليا وبيدموت في الشمال الغربي. كان القسم الأكبر يخضع للنمسا بعد مؤتمر فيينا عام 1815، فعمل مترنيخ على قمع الحركات الوطنية الثورية، لكن التسلط الرجعي لم يستطع القضاء على مظاهر اليقظة في إيطاليا وفي مطلع عام 1848، انتشرت عدوى الثورة الفرنسية إليها. وقد نشبت الثورة في المبارديا والبندقية ضد الحكم النمساوي³، وحصلت على تأييد مسلح من شارل ألبير ملك سردينيا، الذي أذاع في 25 مارس نداء من أجل الوطن الإيطالي واتحاد الإيطاليين، ومن أن يتقدم بأي برنامج محدد، ولكن الحكومة البابوية وحكومة نابولي بعد أن كانت قد قامت بتقديم معونة، مترددة، تراجعت وبقي شارل البير وحده في مواجهة النمسا، وانهمز أمامها في 25 يوليو في "كوستازا"⁴.

1 -Clark, Timothy J. ,op,cit. 125-126

2 -Ginsborg, Paul. "**Peasants and Revolutionaries in Venice and the Veneto, 1848**," Historical Journal, Sep 1974, Vol. 17 Issue 3, pp. 504

3 -Ginsborg,op. cit. pp. 506

4 - Robertson, Priscilla , Revolutions of 1848: A Social History (1952) ,pp. 309 – 401

وقد بدأ أن الحركة الوحدوية قد قويت بسبب عودة التهديد النمساوي ويظهر مشروع سارديني لإنشاء رابطة بين الملوك الإيطاليين، وبعض المشروعات الأخرى، وقد أثارت ضجة كبيرة، أما الملوك والأمرء فلم يرغبوا في إرضاء الشعور القومي، وفي روما وأمام الثورة، ترك بيوم التاسع دولته وأنشأ "ماتزيني" جمهورية روما، وفي فلورنسيا اضطر "الغراندوق" إلى الفرار¹.

ثم إن الثورة اتخذت شكلا عنيفا في ميلانو، ثم انتشرت في كامل جهات إيطاليا وسرعان ما أعلنت البندقية الحرب على النمسا في 17 مارس 1848، ثم تبعتها "بيدمونت" لكن الثوار فشلوا بسبب انقسام الاتجاهات بين الإيطاليين وضعهم أمام النمسا، وهكذا توقف الأمر في نجاح الثورة على موقف شارل ألبرت ملك بيدمونت فأصدر في 23 مارس 1848 بيانا الشعبي لومبارديا والبندقية يعلن فيه وقوفه إلى جانبهما، ثم أعلنت الحرب على النمسا، وعبر الجيش السارديني التعقب النمساويين ولمساندة الثائرين في لمبارديا².

واضطرت حكومات توسكانيا ورورما ونابولي إلى إصدار الأوامر لجيوشها بالزحف للاشتراك في حركة تحرير إيطاليا، واعتقد الناس أن الوحدة الإيطالية آتية على أن هذا الأمر لم يتحقق تحت عاملين:

• العامل الأول:

أن الولايات الإيطالية كانت تفتقر إلى الوحدة الحقيقية، فقد سارع فرديناند ملك نابولي إلى سحب جيوشه، وفي الوقت نفسه رفض "البابا بيوس" الاشتراك في الحرب ضد النمسا، وسرعان ما

1 - Robertson, Priscilla, op. cit. pp401.

2 - برون جيفري، مرجع سابق، ص. 326

أقيمت جمهورية ثورية أسندت فيها إلى ثلاثة مازيني وسافي، وأرميليين، وإن كان ماتزيني هو الموجه الفعلي لسياسة الجمهورية¹.

• العامل الثاني:

موقف الملك شارل ألبرت، الذي أصبح وحده في الميدان بعد تخلي الولايات الإيطالية عنه، وكان النمساويين بعد طردهم من ميلانو قد تقهقروا إلى الشرق، بعد أن حققت القوات الإيطالية بعض الانتصارات، على أن النمساويين ظلوا يسيطرون في الرباعي الشهير: فريونا، بشبير، لينياجو، ومانتورا، على مواقع حصينة أتاحت للجيش النمساوي طريقاً مأموناً للاتصال بالنمسا وتلقي الامدادات، ومن هنا لم يكن ثمة ما ينقذ الإيطاليين من الهزيمة الكاملة سوى انهيار السلطة النمساوية، وسرعان ما اقتربت النهاية عندما اكتمل استعداد "راديتسكي" لشن هجوم مضاد².

التحم الإيطاليون في 25 يوليو 1848 في ساحة القتال "بكستوزا"، فأنول النمساويون هزيمة بالإيطاليين مما اضطر "شارل ألبرت" إلى الانسحاب إلى ميلانو، ودخل النمساويون ميلانو من جديد، واضطر شارل إلى عقد هدنة من شروطها الموافقة على إعادة لومبارديا إلى النمسا، وهنا أعلن مانريني "أن الحرب الملكية قد انتهت، وأنه قد ضحى بكل شيء في سبيل إيطاليا، فقرر التنازل عن العرش لابنه "إيمانويل"، فأقرت هذه المطالب كذلك في النهاية واقترن ذلك بالاعتراف بالاستقلال الذاتي للمجر، والواقع أن ما حدث في بودابست كان مخالفاً تماماً عن الذي وقع في فيينا، ففي العاصمة بودابست أمسكت زمام الأمور حكومة مجرية قومية شديدة العداء للألمان وللهايسبرج، كان المجريون قد قطعوا

1 - برون جيفري، مرجع سابق ص. 326

2 - فشر، ه. أ. ل تاريخ اوربا في العصر الحديث 1789-1950، ترجمة احمد نجيب هاشم، (القاهرة، د. ت)

بزعامه "كوشوط" شوطا بعيدا في طريق الانفصال وراحوا يقضون على الإقطاع، ويعطون الأراضي للفلاحين¹.

أما "جىلاكيتش" الذي عين حاكما لكرواتيللي، فراح يستخدم سلطته لدفع الحركة القومية الكرواتية وإثارة الصربيين ضد المجر، وقد استعان بالكروات فيما بعد ليغزو المجر على رأس الجيش الذي الأعداه في 17 سبتمبر 1848، بيد أنه بقي أمل واحد ألا وهو أن يرغم زعماء الثورة في فيينا الحكومة النمساوية على وقف تدخلها في المجر، وقد وعد "كوشوط" بإرسال قوات مجرية لمعاونة إخوانه الثوار في فيينا، وسارت في فيينا المظاهرات مع المجر في سبتمبر، وبلغت ذروتها بقيام إضرابات، وموت وزير الحربية النمساوي، لكن الحكومة النمساوية سيكتب لها الخلاص هذه المرة على يد جنرالاتها في 13 أكتوبر حيث اقترب جىلاكيتش من فيينا²، وفي 17 أكتوبر ظهر "وايند شيجراتز" على رأس قوات أضخم، وقد قرر هذا الأخير على أن يعرض على الثوار أي شروط وأي تفاوض، وطالبهم بنزع سلاحهم، وبقي ثمة أمل في أن يتمكن المجرمون من تحرير إخوانهم في الثورة لأنهم كانوا قد شارفوا أبواب فيينا، إلا أنهم قد هزموا على يد جىلاكيتش في 13 أكتوبر 1848، فتبددت بذلك كل الآمال، وإنتهت مقاومة المدينة، فدخلها توايند شيجراتز "دخول الفاتحين".

وكان على اثر هذه الهزيمة أن عادت الرجعية الى الولايات الإيطالية، أما توكسانيا فكانت قد تمكنت من اقامت جمهورية، لكن النمسا تدخلت في أمرها وأعادت النظام القديم لها، والندقية وأخضعتها النمسا كذلك، وروما تنازعت النمسا وفرنسا على إخضاعها وإعادة لها إلى "البابا"، ولم يبق في إيطاليا

1 - جرانت أ. ج وتمبرلي هارولد، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950، ترجمة بماء فهمي واحمد عزت عبد الكريم، (القاهرة، 1967)، ص ص 200-201.

2 - Robertson, op. cit. pp. 122-123

كلها في نهاية 849 مملكة دستورية غير "بيدمونت" التي كانت الآمال معقودة عليها لتحقيق الوحدة الإيطالية¹.

3.2- الثورة في النمسا 13 مارس 1848:

صرح ميتزينخ في أكتوبر 1847 أن النمسا تعاني من داء مميت، وكان هذا صحيحا، فقد عجلت سياسته هو نفيه استشفاء الداء، فإن انتهاج سياسة قوامها القمع الخالص ومناوأة الاتجاهات القومية والتحررية، فقد انتهت كما كان من المحتوم أن تنتهي إلى الإفلاس في النمسا ودول أخرى، منها إيطاليا. وقد بقي مترنيخ عدو الديمقراطية والحكم الدستوري يكافح بكل قواه حركات التحرر القومي والديمقراطي، حتى إذا ما انقضت السنوات بين 1815-1848 التي سيطرت خلالها شبخ "ميتزينخ" على أوروبا تداعى نضله وأسرع بالانهيار، ولما سمع بالثورة في فرنسا سنة 1848 قال: إن أوروبا تجد نفسها في عام 1793 مرة ثانية". ولكنه كان مخطئا في رأيه لأن فرنسا لم تعد في حاجة إلى نشر الآراء الحرة وبقوة الحرب كما كانت عام 1793، ولما هوى لويس فيليب عن عرشه².

تشجع أعداء مترنيخ في ألمانيا والنمسا وإيطاليا، وقاموا يحاولون القضاء على نظامه الرجعي، قضاء قيامه بعده لأن النمسا كانت منذ سقوط نابليون الأول زعيمه الحركة الرجعية في أوروبا الوسطى، واستيلائها على البندقية ولمبارديا وضع في يدها مقاليد الأمور في إيطاليا³.

1 - جرانت أ. ج وتمبرلي هارولد، مرجع سابق، ص ص. 202-204

2 - May, Arthur J. The Age of Metternich 1814-1848, New York: Holt, Rinehart and Winston (1963). pp. 344-355

3 -Anderson M. S. , the Ascendancy of Europe 1815-1914, Aspects of European history, (London, 1972) , pp. 302-303

4.2- الثورة في المجر 15 مارس 1848:

قامت ثورة ضد الحكم المطلق النمساوي، فقد أراد المجريون تأسيس حكومة مستقلة وانتخاب مجلس تأسيس، ويمكن القول أنها كانت بها نزعة قومية، وقد أخذت تتحرك عنك مجموعة من القوى متباينة تماما، وراح المجريون الفخوريون بدستورهم القديم وبرلمانهم في الكفاح بنفس القوة، الخضعوا لسيطرتهم العنصرية جموع السلافيين والرومانيين، ولذلك راحت جموع الكروات والصرب والرومانيين يحاربون في النهاية لصالح النمسا ضد المجر بغية تحقيق وتأمين حقوقهم القومية، وطالبت الثورة في بودابست في 15 مارس بإطلاق حرية الصحافة وإنشاء حزب وطني¹.

ويمكن في الأخير ان نقول ان المهم في ثورات 1848-1849 مكانتها في نشوء الديمقراطية، كما ورد سابقا انتشار الحكم الدستوري في بلدان غرب أوروبا وأوساطها، أما البلدان التي لم تعرف أي شكل من أشكال المؤسسات التمثيلية الجماعية، فقد انفجر الصراع لها في عامي 1848-1849 من أجل إقامتها على الأقل.

وقد تصدرت فرنسا العديد من الدراسات التي تناولت ثورة 1848-1849 لأسباب عديدة، وقد أسفرت قبلها ثورة يوليو 1830 عن إقامة نظام حكم دستوري اتسم بالليبرالية واعتبر "غيزو" رمزا الليبرالية الفرنسية قبل عام 1848 وقد قام عمال الحرف في ليون بهبات مصحوبة بأعمال عنف قمعت بالقوة في الأعوام الأخيرة من 1832-1839.

وقد كانت ثورة فيفري ثورة شوارع، ولم يجد تنازل لويس فيليب عن العرش لصالح حفدة العائلة المالكة نفعا، وسارع قادة المعارضة الجمهورية إلى إقامة جمعية تأسيسية وتأليف حكومة مؤقتة باشتراك

1 - Sperber, Jonathan , The European Revolutions, 1848-1851. Cambridge: Cambridge University Press, 2005, pp. 289-290

الاشتراكيين، وأصدرت الحكومة المؤقتة قرارات مؤقتة لتنظيم الحياة السياسية، وتم الاتفاق على إجراء انتخابات للجمعية الوطنية في 23 افريل نھايا، وقد كان إلغاء عقوبة الإعدام لإطلاق حرية التعبير والنشر وبذلك وضعت الحكومة المؤقتة الأسس الإقامة نظام حكم ديمقراطي في فرنسا.

يميل البعض على الأقل إلى الاعتقاد أن اسقاطات ثورة شباط في فرنسا تجاوزت الحدود الفرنسية، وعمت معظم بلدان اوزروبا، فقد كانت باريس العاصمة السياسية لأورروبا وإذا أصاب فرنسا البرد فإن أوربا ترتعد، وقد انطبق ذلك على الدول والدويلات الألمانية على الأرجح وعلى أوربا عامة، وقد تألفت ألمانيا آنذاك من واحد وأربعون دويلة ومدينة، وادی صعود بروسيا إلى منافسة شديدة بين النمسا المتعددة القوميات وبين برسيا، عرفت بازواجية القوى.

وعلى الصعيد الاجتماعي فقد استمرت بعض القيود الإقطاعية ذات جذور عميقة في وسط ألمانيا وشرقها، وبدأت النهضة الصناعية تضرب جذورا في الغرب، وليس هذا المكان للتفاصيل، المهم في هذا السياق الإشارة إلى أن ثورات مارس من العام 1848 في الدويلات الألمانية لم تكن سلعة فرنسية مستوردة تماما، على الرغم من الشرارة الكهربائية الفرنسية.

وقد دعا دعاة الإصلاح إلى عقد مؤتمر في فرانكفورت، على ضفاف نهر "الأودر" بعد أن انتشرت الثورة في المدن الألمانية، وعرف الاجتماع بالبرلمان التمهيدي". وقد واجعت الحركة الإصلاحية معضلتين متداخلتين أساسيتين هما: المسألة القومية التي تمثلت في إقامة اتحاد سياسي لجمع دول ألمانيا، وإصلاح دستوري يتم على أرضيته توحيد دول ألمانيا ككيان سياسي واحد، ودعا البرلمان التمهيدي إلى ضم أعضاء وممثلي الدول والدويلات الألمانية أيضا، وفي الواقع مثلوا أنظمتها القائمة، وسرعان ما أبدت معارضة شديدة لإقامة نظام حكم دستوري كما ارتاه المجتمعون في فرانكفورت.

لم تعرف النمسا كباقي دول جنوب وشرق أوربا أية تجربة دستورية، وكل مؤسسة برلمانية هي تحديد الإسباقه له، أما بروسيا فقد كان مجلس الطبقات الذي أقدم في عام 1848 فقد أقرب إلى هيئة

استشارية، فقد كانت برلين وفيينا رمز الرجعية والثورة المضادة لأسباب تختلف بها الواحدة عن الأخرى، وأخرى مشتركة، ولم تقتصر المصاعب التي واجهت نظام الحكم النمساوي على مكانة النمسا في المجال الألماني، وقد لعبت فيينا دورا بارزا عندما نشبت المظاهرات بها، إذ لحقت المدن الأخرى في الأقاليم في أعقاب فيينا، فقد تعددت مطالب الإصلاح السياسي كما في فرنسا وبلجيكا وغيرها، وما زالت المعلقات الإقطاعية في العديد من مناطق حكم بيتنهاسبورغ.

ولم تختلف المسألة الألمانية بحيث انقسامها إلى ممالك ودويلات، وغلب الشعور القومي الإقليمي المحلي على الوعي الجماعي العام والغريب في الحالة الإيطالية أن ثورات 1848-1849 لم تنفجر بمبادرة من حركات الإصلاح الثوري، وتوجهت أنظار قادة حركة الإصلاح الثوري إلى ملك "بيمونت"، وقد أظهرت هذه الحركات قدرة على التكيف مع الواقع السياسي وباستثناء بعض الشخصيات مثل "ماشيني زكاتانبو" فقد رأى الأغلبية أن مملكة بيمونت هي البيت السياسي لهم وهموما يمكن القول أنه اختلفت الأنظمة الدستورية لدعوات الإصلاح التي عمت أوروبا 1848-1849 وكانت لها ردود فعل مختلفة.

ألغيت البرلمانات والجمعيات الوطنية بقايا التزامات الفقراء الفلاحين الإقطاعية نوعا ما، ولم تستفد القوى الإصلاحية وحدها فقط من تجربة الثورة الفرنسية خلال سنواتها الأولى، بل أنظمة الردة السياسية مثلت المعارضة على اختلاف تصوراتها لإصلاح قوى الفوضى والدمار.

وفي نهاية هذه الثورات أيضا انتهى عصر الأرستقراطية الوراثية، باستثناء إنجلترا التي كانت رمزا للنظام القديم، وعموما لم يكن هناك أي شكل من أشكال التنظيم والتنسيق في كل من باريس ومن شمال إيطاليا الجمهورية وحتى فيينا وبرلين، على الرغم من اللغة المشتركة، ورغم ذلك يبقى السؤال المطروح لماذا لم تحقق الرغبة والأمر الذي يستدعي الانتباه أن حركات الإصلاح الثوري لم تتحول إلى قوة مساحة منظمة لأسباب، ولم تجد قوة خارجية تدعمها، ومثل برلمان فرانكفورت شرائح الشعوب الألمانية، لكنه بقي هيئة بلا قوة تحمي، مقابل ذاك تمكنت الشعوب التي تتحكم بها المنظمة السلطانية وأخذت زمام

المبادرة لإصلاحات فوقية كما حدث في بروسيا والعديد من الممالك الألمانية، ما عكس تداعيات ثورات 1848-1849 غير المباشرة.

الفصل السادس

تطور المسائل القومية الألمانية 1815-1848

المبحث الأول: ألمانيا بعد 1815م.

المبحث الثاني: السياسة البروسية وتأسيس الزولفرين.

المبحث الثالث: ثورة 1830م.

المبحث الرابع: الحياة الفكرية واتجاهاتها القومية في ألمانيا بعد 1830.

المبحث الخامس: ثورة 1848.

لاشك ان التجربة الألمانية ومسار تحقيق وحدتها الوطنية وأهدافها القومية جديرة بأن نخصص لها جانباً مستقلاً من هذه الدراسة، ومن خلال هذا الفصل سنحاول تتبع المسار العام الذي سلكته بداية من سنة 1815 ومعالجة مسار ألمانيا الباحثة عن وحدتها القومية وتطلعاتها الوطنية خلال ثورات 1830 وتحولات 1848.

المبحث الأول: ألمانيا بعد 1815م:

01- الشعور القومي الألماني بعد مؤتمر فيينا 1815:

نشأت الجماعة الوطنية في ألمانيا سنة 1813م وهي جماعة حملت على عاتقها مقاومة السيطرة الفرنسية "الناپليونية"⁽¹⁾ لكنها ما فتئت أن تم تصفيتها بعد 1815م، ولعل من أهم أسباب هذه التصفية شعور هذه الجماعة بخيبة الأمل بسبب تصفيات معاهدة الصلح التي منحت فرنسا حقوقاً أكثر مما يجب. كما نددوا بأنانية الدول العظمى خاصة روسيا التي أحكمت سيطرتها على ألمانيا وكذا إنجلترا التي

1- هو مصطلح يستخدم في تعريف سلسلة الحروب التي وقعت في أوروبا خلال فترة حكم نابليون بونابرت لفرنسا. كانت هذه الحروب امتداداً جزئياً للحروب الثورية التي أشعلتها الثورة الفرنسية، والتي استمرت خلال فترة الإمبراطورية الفرنسية الأولى. لا يوجد إجماع حول تحديد متى انتهت الحروب الفرنسية ومتى بدأت حروب نابليون بونابرت. إن التاريخ المحتمل لبداية هذه الأخيرة هو 9 نوفمبر عام 1799، هذا اليوم الذي يوافق تولي بونابرت مقاليد الحكم في فرنسا من خلال انقلاب 18 برومير. ولكن التاريخ الأكثر شيوعاً هو 18 مايو عام 1803 مع تجدد إعلان الحرب بين بريطانيا وفرنسا، بعد الاتهامات المتبادلة لانتهاك الاتفاقيات المنصوص عليها في معاهدة أميان. انتهت الحروب النابليونية يوم 18 يوليو 1815 بعد هزيمة نابليون النهائية في معركة واترلو وتوقيع معاهدة باريس الثانية. للمزيد طالع: David A. Bell, La première guerre totale: l'Europe de Napoléon et la naissance de la guerre moderne, trad. Christophe Jaquet, Seyssel, Champ Vallon, coll. « La chose publique », 2010, pp. 310-322

ألحقت الأذى بألمانيا بسبب تفوقها الاقتصادي وأوعز الوطنيون هذا الفشل وتحكم هذه الدول بألمانيا إلى عدم توحيدها⁽¹⁾.

وقد أصيب الوطنيون بخيبة أمل كبيرة بعد أن عجزوا عن تحقيق حلمهم في وحدة ألمانيا مرة ثانية على غرار الوحدة التي جسدت في القرن العاشر ميلادي خاصة بعد حروب نابليون، حيث كتب "أرندت"⁽²⁾ الوحدة في أقوى صورها وأعظم درجات نشاطها. ذلك ما تريده ألمانيا وذلك ما هو ضروري لأنها الخارجي ولرخائها الداخلي "وهو الأمر الذي تجاهلته تسويات مؤتمر فيينا.

وربطوا ذلك بحصول الألمان على إمبراطور، وما يتأتى به فهو زيادة وفضل. واتفق الجميع على ضرورة إنهاء الوضع السائد بألمانيا وحتى وإن تعذر ذلك بالطرق السلمية فلا منأى من إعادة تنظيم ألمانيا بطرق الحرب والقوة وأسندوا في ذلك لقول القدماء أن الغلبة والزعامة من نصيب القوة⁽³⁾.

ثم إن التسويات التي أفضى إليها مؤتمر فيينا، لم يكن في مستوى تطلعات الوطنيين الألمان حيث رفضت النمسا أن يكون تاج الإمبراطورية الألماني من نصيبها، حيث عمل المؤتمر على إخراج اتحاد ألماني "كونفدرالي" لم يرق حتى إلى دولة اتحادية فدرالية بل حرص على إنشاء نوعا من "الدولة المتوازنة" بصورة تحفظ التوازن بين هذه القوى المجزأة، بشكل تضمن أن لا يكون خطرا على دول الجوار في أوروبا، وحقيقة

1- شكري، المرجع السابق، ج 03، ص. 297-298

2- شكري، المرجع السابق، ج 03، ص. 298

3- حاطوم، المرجع السابق، ج 02، ص ص 142-143

ساد السلم ألمانيا حتى منتصف القرن 19م⁽¹⁾، ويعزى ذلك إلى الجمود الذي أصاب ألمانيا عقب مؤتمر فيينا.

وأمام هذا الفشل في إعادة الوحدة، شهد الشعب الألماني ركودا كبيرا بسبب السيادة المحلية والإقليمية على أفكار الناس وارتباطهم بحكامهم⁽²⁾، وليس أدل على هذا الارتباط أفضل من رواية أحد المؤرخين عن حاكم "هس كاسل" الذي فر بأمواله خلال حروب نابليون والذي عاد بعد أن هدأت الأوضاع، فقال أحد الفلاحين "حقا إنه حمار كبير، ولكنه الرجل الذي نريده بالرغم من كل ذلك"⁽³⁾.

إضافة إلى انشغال الألمان بالجانب المادي بعد الحروب التي أضرت باقتصادها والفيضانات التي أغرقت المحاصيل، إلى جانب تدفق المصنوعات الإنجليزية والضرائب الجمركية التي أقرتها كل من فرنسا وروسيا مما خال دون تصدير الصناعات الألمانية، فأضحت مطالب الحياة الضرورية هي كل ما يشغل الألمان، البرجوازيون منهم والألمان على حد سواء⁽⁴⁾.

ولقد ساور الألمان شك كبير إزاء الوعود التي قطعها المسؤولون الألمان مثل "ستين" و"فريدريك وليم" خوفا من أن هذه الوعود ليس للتحرر من السيطرة الأجنبية وإنما حتى يجعل من الناس عبيدا له

1-Pierre Ayçoberry, L'Unité allemande, 1800-1871, Presses universitaires de France, 1968, pp. 51-53

2- Pierre Ayçoberry, op. cit. pp. 54

3- شكري، المرجع السابق، ج 02، ص. 301

4- نفسه.

وما تلك الوعود إلا وسيلة يلجأ إليها هؤلاء عندما يفشلون في مساعي الإخضاع على حد قول "فيشته"⁽¹⁾.

ومن بين القضايا التي نوقشت في مؤتمر فيينا فيما يتعلق بالمشكلة الألمانية مشروع تأسيس مجالس دستورية لها حق إبداء الرأي فيما يتعلق بالتشريعات والقوانين والموافقة على الضرائب، ولكن ما فتئت أن أسفرت المناقشة عن تضيق هذا المعنى حتى انتهى بوضع المادة الثالثة عشرة من قانون الاتحاد الألماني الكنفدرالي بالصيغة المبهمة التالية "سوغ تكون هناك مجالس حكومية في كل بلاد الاتحاد الكنفدرالي"، فالمجالس الحكومية لا تعني مجالس دستورية، ثم إن عبارة التسويف "سوف" لا تفيد الإلزام والوجوب⁽²⁾.

فقد تذكرت الحكومات لعودها بمجرد أن صادفتها عراقيل، ومع ذلك فقد عمد الحكام في ألمانيا الجنوبية إلى إقرار دساتير ليس لسبب إلا لكونها لم تكن مطمئنة لقوتها، على غرار مكسمليان الأول⁽³⁾ ملك بفاريا، غراندوق بادن، وغليوم الأول ملك ورتمبرج.

على أن هذه الدول والإمارات التي استصدرت الدساتير لشعوبها، كان للمجالس الحكومية صوت استشاري لا غير، وفي ضيق الحدود، ولم يكن لها مناقشة القوانين أو اقتراحها، بل ووصل الأمر بالحكام

1 -Pierre Ayçoberry, op. cit. ,p. 61

2-Paul Colonge, A. Allain (dir.), M. Dupont (dir.) et M. Hearn (dir.), Fédéralisme et unité allemande, 1996, 273 p p. 83-92

3 -Serge Berstein, Pierre Milza, Les grandes étapes de l'Unité allemande, Dans L'Allemagne de 1870 à nos jours , Armand Colin ,(2014), pp. 3 - 14

إلى الشكوى لمتريخ ممثل الرجعية آنذاك في حالة إذا ما حاولت المجالس الحكومية بحث أعمال الحكومة، أما باقي الدويلات والحكومات فقد أقيمت بها مجالس لم تحض بأي سلطة أو نفوذ⁽¹⁾.

وقد ميز بروسيا رد فعل بصورة أسرع مما حصل في غيرها من الإمارات الحكومية وهي التي بذل ملكها وعودا بالحريات لشعبها، ذلك لأن الملك فريديريك وليم أحاط نفسه بمستشارين رجعيين أمثال شمالتز ويتجنستين(*) الذين قلدوهم الملك مناصب هامة وحساسة في بروسيا، وخلال هذه الفترة تعاون ويتجنستين تعاوناً وثيقاً مع متريخ.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه تم تضيق الخناق على الوطنيين الذين عمدوا إلى إحياء بروسيا، حيث منعت الحكومة طبع محاضرات فيخته وعطلت صحيفة "جويوز"⁽²⁾ المعروفة بعطاي الراين سنة 1816م، فمنهم من لجأ إلى الفرار ومنهم من اضطر إلى الانزواء والصمت. وهكذا اختفت في ألمانيا وفي شهور معدودة الجماعة الوطنية وتمت تصفية حركة 1813م بعد ثلاث سنوات فقط⁽³⁾.

02- اتحاد البورشنشافت والمسائل القومية:

في وسط الغليان الذي عاشه الألمان بعد خيبة آمالهم من مخرجات مؤتمر فيينا، أدل أتباع جاهن والذين ظلوا متأثرين بروح النضال الذي ظهر في 1813م على وجودهم بلباس خاص تسمى بالزي

1 - Heinrich August Winkler, Histoire de l'Allemagne XIXe-XXe siècle: Le long chemin vers l'Occident, (trad. de l'allemand par Odile Demange), Paris, Fayard, 2005, pp. 625-627

* - هو من بين الحكام الذين حذو مكسيميليان الأول إمبراطور الدانمارك. شغل شمالتز مركزاً قضائياً كبيراً في برلين، وكان أستاذاً للقانون بجامعة ثام مديراً، أما ويتجنستين فقد عين كبيراً للأمناء كما شغل منصب وزيراً للبوليس.

2- شكري، المرجع السابق، ج 03، ص ص 302-303

3 - Jonathan Sperber, Revolutionary Europe, 1780-1850, Harlow & New York, Longman, 2000, pp. 114-115

الألماني(*)). واتسم هؤلاء الأتباع بتربية سيئة ولم تكن لديهم سياسة معينة وكل همهم كان تمجيد ألمانيا وتحريرها من كل نفوذ أجنبي.

كما نشأت نوعا من عمليات التطهير على يد المؤرخ "هاينريش لودن" Heinrich Luden⁽¹⁾ أحد أساتذة جامعة "تينا" التي كانت أكبر الجامعات انتصارا للمبادئ الحرة وقد تأسست في هذه الجامعة وبفضل لودن جمعية من الطلاب لاستمالة زملائهم من نقاباتهم القديمة المسماة بالفرق وجمعهم في اتحاد فدرالي يسمى "بورشنشافت" أي اتحاد الرفقاء متخذين راية لهم أعلام المتطوعين في حملة 1813م، وكانت من ثلاثة ألوان أحمر، أسود وذهبي، وكان أعضاء البورشنشافت من أكثر الطلاب ميلا للعنف⁽²⁾.

وقد أقام هؤلاء احتفالا 18 أكتوبر 1817م في قصر "ووتبرج" لإحياء ذكرى مرور مائة عام على احتجاج مارتن لوثر على صكوك الغفران الذي علقه على باب كنيسة وتبرج وذكر موقعة "ليبنج" أو معركة الأمم الذي انهزم فيها نابليون⁽³⁾.

* - وتمثل هذا الزي الألماني في سترة طويلة عند الوسط، ويتعلون أحذية الفرسان الطويلة وشعورهم طويلة مسترسلة وراء ظهورهم، ويغطون رؤوسهم بقلنسوة مزينة بريش من مختلف الألوان.

1- هاينريش لودن (1778 - 1847) في لوكتيدت، وهو مؤرخ الماني وشغل عضوية أكاديميه العلوم المفيدة،

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 308

3- حاطوم، المرجع السابق، ج 02 ص. 156

وكان اختتام هذا الاحتفال بإضرام النار في كومات من الكتب من مؤلفات الكتاب الرجعيين أمثال "آلبرخت فون هالر" (*) و "فريدريك أنسيلون" (**) و "فون كامبتز" مدير البوليس في بروسيا وأشد أعداء الأحرار والقوميين، و "شمالز" (1).

ومنذ شهر ماي 1818م اجتمع مندوبو أربع عشرة جامعة ألمانية لإنشاء اتحاد فدرالي "البورشنشافت" لكل ألمانيا، وفي أكتوبر انعقد اجتماع عام في فيينا لما صار يعرف باسم الاتحاد العام الألماني للبورشنشافت (2).

وتجدر الإشارة إلى ان جامعة "جيسين" والتي على الرغم من صغر حجمها إلا أنها اتسمت بروح العنف والتي كان مبعثه تأثر الطلاب بنشاط كارل فولن أحد الإخوة الثلاثة الذين بذلوا جهدا كبيرا في تحويل جمعيات الطلاب الألمانية إلى منظمات قومية، وجمع فولن حوله الطلاب الذين يطلق عليهم المتصلبين الذين تميزوا بالتطرف والتعصب لمبادئهم ومن بين الأعمال التي تنسب لهذه الجماعة الإقدام على قتل الشاعر والروائي "كوتز بيو" صديق القصر الذي كان يبعث بتقارير دورية عن التيارات الذهنية والأحداث في ألمانيا وإيبيل "IBEL" (3) أحد وزراء "سناو" الذي كان يعتقد أنه من الرجعيين.

* - كان كتابه نقض لنظرية جاك روسو عن العقد الاجتماعي فرفض هالر الحقوق الطبيعية وسيادة الشعب.

** - كان أحد أساتذة التاريخ في برلين وصار مدرسا لأفراد الأسرة المالكة و1810م صار مدرسا لولي عهد بروسيا، ثم ضم إلى الحكومة 1814م.

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 309

2-Michel Kerautret, op. cit. pp, 201-202

3 -Robert A Kann, History of the Habsburg Empire: 1526-1918, Los Angeles, University of California Press, 1974, p. 236

وعلى إثر هذه الحوادث وللحد من نشاط هذه الجمعيات قابل ملك بروسيا مترنيخ في توبلنز ثم اجتمع في كارليسباد ممثلو تسع حكومات برئاسة مترنيخ والذي أسفر عن مجموعة القرارات أطلق عليها "مرسومات كارليسباد"⁽¹⁾ والتي اختص قسم منها بتفسير المادة 13 من دستور الاتحاد الكونفدرالي وفسرت هذه المادة لصالح الملوك والأمراء، وتضييق احتمال استصدار الدساتير في الدويلات المختلفة، وضرورة استخدام القوة لتنفيذ قرارات المجالس في الحكومات الألمانية، إلى جانب قرارات أكثر تجديدا تقضي بإخماد حركات المعارضة والمقاومة في الجامعات، وكان من نتائج ذلك حل جمعيات البورشنشافت، وإنشاء لجان في كل جامعة مهمتها مراقبة نشاط الأساتذة، بل وتعدت ذلك إلى إبطال محاضراتهم وإبعادهم إن اقتضت الضرورة، وخضع الطلاب لنفس المضايقات، كما تم إنشاء لجنة تحقيق في ماينز للبحث عن أصول الحركات الثورية، وفعلا قامت هذه الأخيرة بمهمتها على أكمل وجه⁽²⁾.

وفي ظل هذه الظروف ساد الخمود والخمول داخل الحركة الوطنية القومية في الجامعات وأذعن الباقون لسلطة الرجعية. وأصبح جليا بعد هذه الحوادث التي وقعت في ألمانيا بعد سنة 1815م أنه قبل إعادة تشكيل ألمانيا على أساس قومي لا بد من أن تتقرر الحريات السياسية.

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 311

2- حاطوم، المرجع السابق، ج 02 ص. 159

03- نظام مترنيخ في مواجهة الوطنيين والأحرار:

إن الدارس للآراء الحرة والقومية في ألمانيا يدرك أنها أكثر تعقيدا من تلك الموجودة في إيطاليا، ولو أنه يبدو للوهلة الأولى أن ألمانيا تتمتع بمركز أفضل مما كان لإيطاليا من حيث أن الدولة كانت قائمة فعلا في شكل "اتحاد كونفدرالي" على إثر قرارات فيينا 1815م⁽¹⁾.

والسبب في هذا التعقيد يرجع إلى أن النظريات التي تفسر المطالب القومية في ألمانيا كانت أقل سهولة من شبيهتها في إيطاليا، وعلى الرغم من أن الألمان والاطاليين قد عرفوا النظريات القومية الفرنسية وتأثروا بها وبالحوادث التي وقعت في فرنسا على حد سواء، إلا أن الفارق في ألمانيا وقبل هذه الحوادث كانت هناك اتجاهات مثالية معينة بشأن القومية، تظهر جليا في تفكير قادة الرأي الألمان أمثال "هردر" "فيشته" وهما اللذان أسسا نظريتهما القومية على فكرة الجنس أو العنصرية والتي تقوم في نظر أصحابها على تفوق الجنس الجرمانى وأكثرهم نقاوة لتتحول إلى فكرة أخرى مفادها أن ألمانيا تحمل رسالة إرشاد البشر وتوجيههم إلى حياة أفضل⁽²⁾.

وإلى جانب هذه النظرية نشأت نظرية أخرى عن الحقوق التاريخية وهي النظرية التي نادى بها مدرسة المثقفين الذين تأثروا بكتابات هردر وآرائه، وكان من أعلام هذه المدرسة المؤرخ "هنريك فون

1 - Thomas Nipperdey, Germany from Napoleon to Bismarck, 1800-1866, Princeton, Princeton University Press, 1996, pp,55-59.

2 - Henri Guillemin, Regards sur Nietzsche, Seuil, 1991, pp. 23-25

سيبل "Sybel" (1) والمؤرخ والسياسي "هنريك ترايتشكه" (2) إلى جانب فلسفة "وليم هيجل". وقد ساعدت هذه النظريات على أن تجعل من الفرد مجرد "أداة" تتلشى في كيان المجتمع وأداة في يد الدولة التي هي في حد ذاتها كائن عضوي وقوة منظمة تتولى تنظيم المجتمع (3).

ويضاف إلى تلك الأسباب الآنف الذكر، تأثير التطورات التاريخية والأحوال السياسية السائدة في ألمانيا، حيث أن العظمة والسلطان اللذين كانت ألمانيا تتمتع بهما أصلهما فكرة الإمبراطورية ولا تستندان على أسس إقليمية محددة، مثل ما هو الأمر في فرنسا وإيطاليا (4).

1- هاينريش فون سيبل هو مؤرخ وسياسي ألماني ولد يوم 2 ديسمبر 1817 في دوسلدورف وتوفي في 1 أوت 1895 في ماربورغ، في عام 1845 تم تعيينه أستاذا للتاريخ في جامعة ماربورغ، وفي عام 1856، تم تعيينه أستاذاً للتاريخ في جامعة Louis-et-Maximilien في ميونيخ. هناك أسس مجلة Historische Zeitschrift (المجلة التاريخية) التي اشرف عليها حتى وفاته. وأسس رفقة ليوبولد فون رانك، "اللجنة التاريخية في أكاديمية العلوم البافارية"، دخل سيبل السياسة ودعم الحركة الليبرالية (مذهب الاحرار). كان عضواً في برلمان فرانكفورت التأسيسي بين 31 مارس و3 أبريل 1848. وعضواً في جمعية ولايات هيس-كاسيل في عام 1850، ثم شارك في برلمان الاتحاد في إرفورت بعد فشل مجلس النواب في فرانكفورت. من عام 1862 إلى عام 1864، ثم من عام 1874 إلى عام 1880، عضواً في جمعية اتحاد شمال ألمانيا.

2- Heinrich Gothard von Treitschke (15 سبتمبر 1834 في دريسدن - 28 أبريل 1896)، هو مؤرخ ومنظر سياسي ألماني، وعضو في الحزب الوطني الليبرالي. شغل منصب نائب في البرلمان الألماني من 1871 إلى 1884، وأستاذ في جامعة برلين من 1874، أيد سياسة أوتو فون بسمارك بعد أن نشر في أوت 1870 عملاً بعنوان: ماذا نطلب من فرنسا؟ الألزاس. لاقت أطروحاته نجاحاً كبيراً في ألمانيا عندما هاجم اليهود على اعتبار أنهم لا يمثلون القومية الألمانية، حيث استخدم النازيون فيما بعد صيغته الشهيرة: "اليهود هم محتنا" التي نُشرت عام 1879 في حوليات بروسية Annales Prussiennes. تركزت فلسفته السياسية حول صيغة: "الدولة الأقوى" أي أن الكل يخضع للدولة ولا شيء يعلو عليها.

3- شكري، المرجع السابق، ج 03، ص ص. 312-313

4 - Heinrich von Sybel, Histoire de l'Europe pendant la Révolution française, édition Felix Alcan, Paris, 1888 ,pp.

وعلى أن المتتبع للتطور السياسي في ألمانيا، يلحظ أن هناك فصل بين الحياة السياسية والحركة الذهنية أو الفكرية بها، وعلى وجه الخصوص في القرن 18م و19م إلى جانب توفر عامل آخر لم يكن له مثيل في إيطاليا والممثل في دولة بروسيا إضافة إلى أن حركة التحرير في ألمانيا كانت حركة وطنية موجهة ضد فرنسا، تعذر معها إيجاد اتحاد بين الفكرة الحرة "الحريات السياسية" والفكرة القومية (إنهاء السيطرة الأجنبية)، وهو الاتحاد الذي وجد في إيطاليا. مما زاد من احتمالية ظهور آراء عن الوحدة في ألمانيا مرتبطة بأفكار محافظة في السياسة وليس فقط بالمثل العليا "الثورية"⁽¹⁾.

ومما سبق ذكره نصل إلى أن الفكرة القومية في ألمانيا صارت يتنازعها تيارات عديدة مختلفة بل ومتناقضة في الكثير من الأحيان بصورة أكبر مما شهدناه في إيطاليا.

وقد ظهر في ألمانيا نضال كبير بين السلطات المستبدة والمجتمع الألماني، إلا أن هذا النضال كان عقيماً بسبب تباين القوى بين الطرفين حيث كانت الحكومات الألمانية أكثر استعداداً من نظيرتها الإيطالية، لأن هذه الأخيرة كانت تتلقى الدعم من الخارج "النمسا وروسيا"⁽²⁾.

إلى جانب أن الألمان كانوا أقل ميلاً للكفاح للظفر بمطالبهم من الطاليان بل كانوا رجال فكر ورأي، لذلك قل الاندفاع نحو العمل الثوري في ألمانيا على عكس ما شهدناه في إيطاليا، إضافة إلى المصالح المتضاربة في المجتمع الألماني والانقسام العقائدي بين البروتستانت والكاثوليك.

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 314 انظر أيضاً: Pierre Ayçoberry, op. cit. pp. 65

2-A. Guillaume, J-C. Lescure et S. Michonneau, L'Europe des nationalismes aux nations, Paris, Sedes, 1996, pp. 66-67

وكان أن حصلت الحكومات الألمانية على سلطات استثنائية خولتها إياها مرسومات كارلسباد 1819م⁽¹⁾، والقرار النهائي للمؤتمر الذي انعقد في فيينا في 8 يونيو 1830م، بموجبها أحكمت هذه الأخيرة رقابتها على نشاط الأحرار وهي نفسها القرارات التي اعتمد عليها مترنيخ في فرض نظامه على ألمانيا وتم التأكيد على سريان مرسومات كارلسباد مدة أطول ومطالبة الحكومات بمراقبة المجالس بطريقة تمنعها من اتخاذ أي إجراء يضعف مبدأ الملكية وكذا اجتماع (الديات) مجلس الاتحاد كل أربعة أشهر⁽²⁾.

وكان أن علت وفاة القيصر "إسكندر الأول" على تعطيل فكرة إنشاء سياسية مشتركة وتنسيق نشاط الحكومات المختلفة بشكل يفضي إلى إقامة حكومة مركزية في ألمانيا، مما أضعف من مركز مترنيخ، تقليل قدرته على العمل في الميدان الأوروبي، الأمر الذي جعل الحكومات الألمانية تتمسك بمحليتها خصوصا في الجنوب، بصورة تعذر على مترنيخ مقاومتها. واتجهت أنظار الرجعيين في ألمانيا إلى قيصر روسيا الجديد نيقولا الأول عوضا عن مترنيخ⁽³⁾.

ومع ذلك لاحظنا تهيئ الحكومات عند عودة الخطر الثوري لقبول اعتداءات "السلطة المركزية" المتمثلة في الديات أو مجلس الاتحاد، وذلك لقمع الحركات الثورية التي قامت في ألمانيا في سنتي 1832م - 1833م. وهكذا مرت ألمانيا وإن كان في نطاق ضيق بنفس التجربة في مرت بها أوروبا في 1815م، حين تولت فكرة العمل الأوروبي المشترك ضد الخطر النابليوني⁽⁴⁾، فقد تكتلت الحكومات الألمانية ضد

1 - James J. Sheehan, German history 1770-1866, Oxford, Oxford University Press, coll. «Oxford History of Modern Europe », 1989, 969 p. 322-324

2 - Alan Sked, Decline and Fall of the Habsburg Empire 1815-1918, Londres, Longman, 2001, 354 p, 99-101

3- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 314

4 - Thomas Nipperdey, Germany from Napoleon to Bismarck, 1800-1866, Princeton, Princeton University Press, 1996, pp. 31-32

أي تحرك تحرري، ومنه فإن أصل تنسيق الجهود في ألمانيا وكذا في أوروبا هو محاربة المبادئ الحرة وليس لارتباطها بالنظرية أو المبادئ الحرة. وبهذا ساهمت سياسة الأمراء الألمان في جعل الشعور المحلي يزداد قوة ووسعت من عزلة الحكومات عن بعضها، إلى جانب استبعاد السكان بما فيهم النخبة المثقفة من الحياة السياسية بكافة مظاهرها.

04- الحركة الفكرية الألمانية والإيديولوجية الرجعية:

شهدت الساحة الأدبية والفكرية الألمانية ظهور وتطور العديد من التيارات والمدارس الفكرية، والتي بدأت تنظر لواقع ألمانيا ومستقبلها في ظل التحولات السريعة والعميقة التي شهدتها أوروبا خاصة بعد الثورة الفرنسية وما أحدثته من تأثير على آراء الفلاسفة والمفكرين السابقين⁽¹⁾.

بل انها اعادت في كثير من الأحيان الجدل في كثير من القضايا التي اعتقد البعض انها حسمت او ان البحث فيها عبث ومضيعة للوقت والجهد، مثل القضايا المرتبطة بمسائل حقوق الافراد وعلاقة الدولة بالمجتمع ومفاهيم الإصلاح والحقوق والدساتير المحددة لأشكال الحكم والنظم⁽²⁾.

وعلى غيرها من دول اوريا شهدت الساحة الألمانية بروز عدد من الفلاسفة والمفكرين بمرجعيات فكرية وتاريخية مختلفة، ذهب البعض الى انكار حالة التجدد والتغيير في مسار الأفكار القومية والوطنية، في الوقت الذي دافع البعض منهم على تلك النظريات الرجعية التي ربما رفضت المنطق الذي تبنته أقلام الاحرار والليبراليين، وهنا كان ضروري ان نعالج بعض آراء هؤلاء الفلاسفة من مختلف التيارات والتي

1 -Nipperdey,op. cit. ;pp. 31-32

2- Hagen Schluz, The course of German nationalism: from Frederick the Great to Bismarck, 1763-1867, Cambridge & New York, Cambridge University Press, 1991, p. 83.

القت بضلالها على المشروع القومي الألماني، ومحاولة التأسيس لتطورات هذا الفكر القومي الألماني بين الواقع والمأمول.

1.4- مدرسة التقاليد:

من الأمور التي جعلت الحكومات الرجعية في ألمانيا تزداد ضراوة في قمع الحركات الدستورية والقومية هي استنادها إلى نوع من الإيديولوجية التي كانت من نتاج المدرسة الرومانسية "الرومانتيكية"⁽¹⁾ الذي ما فتأ يقوم في اتجاهين كفلت أحدهما المدرسة التقليدية، في حين كفلت الآخر الفلسفة الهيكلية من ناحية أخرى، وقد تأثرت مدرسة التقاليد في ألمانيا في آرائها بالمدرسة الفرنسية، ومن أعلام هذه المدرسة:

1.1.4- سافيني Friedrich Carl von Savigny (1779م-1861م):

يعتبر سافيني أحد اقطاب القانون الدولي وشغل إلى جانب ذلك وظيفة أستاذ تاريخ القانون بجامعة برلين، وقد جاء بنظريات أساسها أن القانون يعتمد على التاريخ، ولا يستمد أحكامه من ظواهر

1- يمكن القول إنَّ المدرسة الرومانتيكية ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع، وكانت بداية نشأتها في فرنسا، ثمَّ توسَّعت وانتشرت في أرجاء أوروبا، تحديداً في ألمانيا وإسبانيا وإنجلترا، وهي حركة فنيَّة أدبيَّة ظهرت ردًّا على الأفكار الأرستقراطية المنتشرة في عصر التنوير، وقد بلغت ذروتها في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وتؤكد أنَّ المشاعر والأحاسيس والعواطف هي أساسُ الفنِّ والأدبِ والجمال في الحياة، قامت الرومانتيكية على فكرة الثورة على القديم وتحدي هيمنة الكلاسيكية وكسرها، فنجد أن تركيز عدد من رواد هذه المدرسة انصبَّ على القومية والتحرر من كل اشكال السيطرة. وحول المدرسة الرومانتيكية الألمانية انظر الدراسة الجادة:

وقوانين الطبيعة، وفي هذا الاطار أسس بالإشتراك مع قانوني آخر إيشهورن مجلة لعلم تاريخ القانون والتي كانت عنوان للمجالات التي اهتم بها (1).

ومن الآراء التي نادى بها سافيني أن "روح الشعب" هي العنصر المبدع في القانون وهي العنصر المبدع الذي أوجد اللغة والعادات والتقاليد، وتتجسد روح "الشعب" هذه في شكل الدولة أي أن الدولة هي الشكل الخارجي والظاهري الذي تتخذه روح الشعب، وبتكوين الدولة يكون الشعب قد بلغ شخصيته الصحيحة (2).

كما وضع سافيني مؤلفا 1814م بعنوان "نداء أو دعوة العصر" الذي يعيش فيه للتقنين والتشريع كرد على العقلانيين وعلى وجه أخص القانوني "ثيو" من "هيدلبرج" الذي دعا لجمع القوانين الألمانية وإصدار مجموعة للقوانين المدنية تقوم على مبادئ القانون الطبيعي (3).

وقد اتفق سافيني في أفكاره مع "مونتسكيو" صاحب "روح التشريع" (4) فيما يتعلق بأنه لا يمكن

الحكم على أية أنظمة من غير البحث قبلا في أصولها، كما يتفق مع الفيلسوف الايرلندي "إدموند

1 -Friedrich Carl Von Savigny، Traité de la possession en droit romain, trad. Henri J. P. A. Staedtler, Bruxelles, Bruylant-Christophe & Compagnie, 1866

2- شكري، المرجع السابق، ج 03، ص. 315

3- تمكنا الاطلاع على نسخة مترجمة من هذا العمل المهم: La vocation de notre temps pour la legislation et la science du droit, trad. par Alfred Dufour, Paris, PUF, 2006

4- شارل لوي دي سيكوندا المعروف بمونتسكيو Montesquieu، (1689 - 1755) هو قاض ورجل أدب وفيلسوف سياسي فرنسي، هو صاحب نظرية فصل السلطات، نشر مونتيسكيو أهم كتبه "روح القوانين" في جنيف عام 1748 م في 31 جزءا وأضحى من أبرز المراجع في العلوم السياسية، رى مونتيسكيو أن نظام الحكم الأمثل هو النظام الجمهوري. وقد ادعى أن على كل نظام حكم أن يصبو إلى ضمان حرية الإنسان ومن أجل ذلك يجب الفصل بين السلطات والحفاظ على توازن بينها، انظر: Denis de Casabianca, Montesquieu, L'Esprit des lois, Paris, Ellipses, 2003

بيرك" (1) في أن طبيعة أي شعب من الشعوب ترفض التغيرات المناخية العتيقة.

ويقول سافيني أن العادات والتقاليد هي أصل القانون، هذه الأخيرة التي تنشأ من الغرائز الأساسية للأمة لاشعوريا وبدون مجهود، ومنه فإن سافيني يقر أن القانون علم تاريخي وليس من علوم الفلسفة، وقد ترتب عن نشر آراء سافيني تأجيل مشروع توحيد القوانين. وبالرغم من أن سافيني كان عدوا للحرية السياسية، فقد كان للآراء التي نادى بها أثر بالغ في دفع دراسة التاريخ خطوات كبيرة (2).

2.1.4- هالر Haller:

"كارل لدويج فون هالر" (3) أحد أعلام "المدرسة التقليدية" بل يمكن القول أن هذه المدرسة كانت تعتمد عليه أكثر من اعتمادها على سافيني في التعبير عن آرائها ومعتقداتها، شغل منصب أستاذ القانون العام في جامعة "برن BERNE"، وحمل على عاتقه التفكير في المشكلات السياسية السائدة

1- إدموند بورك، ولد في دبلن في 12 يناير 1729 في أيرلندا وتوفي في بيكونزفيلد في 9 يوليو 1797 في إنجلترا، هو سياسي وفيلسوف أيرلندي، وعضو بارز في مجلس العموم البريطاني، كعضو في حزب whig. وظل مشهوراً بدعته للمستعمرين الأمريكيين خلال تمردهم ضد الإمبراطورية البريطانية، رغم أنه عارض استقلالهم. وهو معروف أيضاً بمعارضته القوية للثورة الفرنسية، والتي عبر عنها في تأملات في ثورة فرنسا، مما جعله أحد قادة التيار المحافظ داخل الحزب اليميني. بيرك هو أيضاً مؤلف كتب الفلسفة الجمالية، ومؤسس المجلة السياسية السجل السنوي. وهو بأفكاره أبو التيار المحافظ الحديث ومفكر ليبرالي متميز. يمكن فهم شروحات أكثر حول فكر بورك وموقفه من الثورة الفرنسية وموجة الأفكار القومية الجديدة من خلال هذه الدراسة: Yves Chiron, Edmund

Burke et la Révolution française, Éditions Téqui, Paris 1987

2 -O. JOUANJAN, École historique du droit, pandectisme et codification en Allemagne (XIXe siècle), in: D. ALLAND, S. RIALS, Dictionnaire de la culture juridique, Paris, PUF, 2003, pp. 571-578.

3 -Herbert R. Liedke: The German Romanticists and Carl Ludwig von Hallers Doctrines of European Restoration, in The Journal of English and Germanic Philology (1958)

في وقته وهو في المنفى⁽¹⁾، وقد توصل إلى أن أسباب الاضطرابات السائدة في مردها إذعان الشعوب المتحضرة للفكرة الشائعة بأن مصدر السلطة التي يمارسها فرد على فرد آخر إنما هو قبول الفرد الخاضع بمنع هذه السلطة لشخص الذي يمارسها عليه، وتلك فكرة خاطئة وبل خطيرة، وتتجلى بكل أشكالها في نظرية "العقد الاجتماعي"، والذي رأى هالر أن من واجبه هدمها حتى يؤخذ بها. وفي هذا الصدد جاء كتابه و"مؤلفه الضخم" رد العلوم السياسية إلى أصولها أو نظرية الدولة الاجتماعية الطبيعية في معارضة أوهام الدولة المدنية الاصطناعية، وهو من ستة أجزاء.

وحسب هالر فإن القوة هي منبع القانون، وأن القانون ما هو إلا الحماية التي ينشدها الضعفاء من الأقوياء. ويرى هالر أن السلطة تشبه التملك، وأن بمقدور الدولة الاستغناء عن الرعية الذين ليسوا سوى مستأجرين لا حول وقوة لهم يمكن للدولة استبدالهم ولا يحق لهم التدخل في شؤون الدولة⁽²⁾.

ومما سبق ذكره نصل إلى أن أصحاب "المدرسة التقليدية" قد أضفوا الشرعية القانونية على موقف الأمراء والحكام الرجعيين للمحافظة على سلطاتهم والحد من حريات وحقوق طبقة النبلاء في حين حرمت هذه النظريات الفرد العادي من أدنى الحقوق والحريات.

3.1.4-إيديولوجية الرجعية في "فلسفة هيجل":

يعتبر هيجل⁽³⁾ فيلسوفا رائدا في مجال فلسفة التاريخ وأفكاره عن العلوم الاجتماعية ونظريته اتجاه الدولة ووظائفها، لقد استطاع هيجل ان يؤسس لمذهب فلسفي جديد، محاولا طرح العديد من القضايا

1- كان هالر قد اضطر إلى مغادرة موطنه برن بعد ثورة قامت بها لكنه عاد في 1806م. انظر شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 317

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 318-319

3- هو جورج فلهم فدريشي هيجل ولد في مدينة تشوتجارت في 27 أوت 1770م، درس اللاهوت بجامعة توبنجن (Tubingen)، تابع دراسته في سويسرا "برن"، ثم ألمانيا "فرانكفورت" بعد تخرجه من الجامعة من 1793م، درس فلسفة شيلنج، ليؤسس بعدها

للتناقش، خاصة امام تزايد الدعوات للمسألة الحقوق التاريخية، وماهية الحرية والبعد الإنساني في المسائل المرتبطة بأنظمة الحكم.

بداية لابد ان اشير الى بعض مواقف هيجل من قضايا الراهن الألماني والأوربي، لعل ذلك سيسمح بفهم أعمق لفلسفته. لقد كان هيجل مولعا بالإمبراطور نابليون ومحاولاته تصدير أفكار ومبادئ الثورة الفرنسية، محاولا في نفس السياق تحقيق الهيمنة الفرنسية على الساحة الاوربية، وفي ذلك فقد ظل هيجل متعاوناً معه طوال خضوع ألمانيا لسيطرته، حتى أنه وقف موقف العداء من حرب التحرير 1813م، وكان يدعو للحكم المطلق وقاوم كل النظريات الحرة، كما تصدى للدفاع عن "مرسومات كارلسباد" ونتيجة لذلك عين في مكان فيشته. (1)

يرى هيجل ان مهمة الفلسفة وفيما يتعلق بفلسفة التاريخ، فإن هيجل لم يخض نضالا ضد الأحداث الواقعة بل الفلسفة في نظره مهمتها تفسير "الواقع" فعلا تفسيرا يقبله العقل لأن أي حادثة جرت قابلة لأن تفسر بالعقل المفكر، أي أن له سببا وغاية ولا مجال للمصادفة في وقوعه، وليس التاريخ

لفلسفته الخاصة "الهيكلية"، كان مولعا بدراسة التاريخ والسياسة، شغل عدة مناصب هامة منها مساعد أستاذ بجامعة بينا 1801م، مديرا لثانوية نورمبرج 1808م، أستاذا بجامعة هيلبرج 1816م، شغل بعدها كرسي فيتشه بجامعة برلين 1818م إلى حين وفاته 14 نوفمبر 1831م- 1832م بتزكية من الحكومة الروسية ووزيرها "ألتنشتاين" وبالموازاة مع التدريس عمل هيجل كرئيس تحرير بجريدة بامبرج. وأصدر هيجل مؤلفات عدة لتوطيد أركان فلسفته منها "ظواهرية الروح" 1807م، "علم المنطق" 1812م، "موسوعة العلوم الفلسفية" 1818م، "مبادئ فلسفة القانون" 1818م.

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص 320.

"إلا الضمير العالمي والحكم". ومنه فالملاحظ هو أن هذه النظرية مضادة للنظرية العلمانية للتاريخ التي ظهرت في القرن 18م والنظرية المسيحية (1).

بناء على ذلك فإن هيجل لم يقسم التاريخ إلى "دنيوي" و"مسيحي"، بل كان يرى في التاريخ السياسي تأريخاً لمراحل تقدم الروح وهي تجاهد للارتقاء (2). وأما العناصر التي يتألف منها التاريخ فهي الدولة المظهر الأرضي أو الدنيوي للفكرة الاجتماعية الخلقية بمعنى أن الدولة تقوم على مبدأ روحي يعبر عن الرقي الذي بلغه هذا الروح المقدس في كل أوقات التاريخ، وإذا عجزت الدولة عن التعبير عن هذا الروح فإن مآلها الزوال أو السقوط، ومهمة التاريخ عندها تمييز المبدأ الروحي المحرك لحياة الدول (3).

في مقدمة كتابه «فلسفة التاريخ»، يوضح هيجل صراحة وجهة نظره حول مسار التاريخ البشري كله ووجهته، فيقول: "تاريخ العالم ليس إلا تقدم الوعي بالحرية" وفي رأي هيجل أن تاريخ العالم يمر على أدوار عظيمة ثلاثة تمثل درجات ثلاثة من "الحرية" والتي يقصد بها هنا قدرة الروح على تقرير الإدارة الداخلية لفعل شيء.

أما الدور الأول فهو الذي تميز بوجود الدولة أو الحكومة الاستبدادية في العالم الشرقي القديم الذي اتسم بجزية واحدة وهي حرية الطغاة الذاتية والمبنية على خضوع الكل له، أما الدور الثاني، فهو

1- فالنظرية الأولى يرى أصحابها أن التاريخ من شؤون الدنيا وأن الإنسان ذو القدرة على بلوغ الكمال هو القوة المحركة للتاريخ، أما الثانية، فهي ترى أن مرد الحوادث هو الإرادة الإلهية، وأن نشاط الإنسان هو المعول الذي يفسد البشرين ويهدمها.

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص 322.

3- نفسه

العهد اليوناني الروماني الذي تميز بالحرية الخارجية أو الظاهرية للمواطن المستندة على القانون والتي كان يعوزها الكمال⁽¹⁾.

في حين أن الدور الثالث والذي أطلق عليه هيجل دور "الحضارة الجرمانية المسيحية" التي تنبت الحرية الداخلية للأفراد المسيحيين والذي تعمل الجرمانية على نقل هذه الحرية إلى عالم الحقيقة السياسية، والتي ترى أن الجنس الجرمني لا بد من اعتباره شعب الله المختار بسبب تقاربه من الروح المسيحية، أما باقي الأجناس اللاتينية والديانة الكاثوليكية قد ارتبكت خطأ عندما أوجدت جماعتين إحداهما تتألف من العناصر الدينية والآخر دعاة القانون أو المصالح الدنيوية "العلمانية"، وتمكن هيجل لإيمانه بنقاوة الطبيعة الجرمانية أن يوحد بين الموضوع الشخصي والروح المطلق، الدين والقانون، أي الجماعة السياسية والجماعة الدينية⁽²⁾.

ففي نظر هيجل الجنس الجرمني هي الذي يملك كل الصفات الطبيعية التي تمكنه من تلقي كل الهامات الروح في أعلى مراتبها.

ومنه فلسفة هيجل للتاريخ أضفت صفة الشرعية على السياسات الرجعية السائدة والناجحة وقتئذ في ألمانيا وفي غيرها من البلدان، على أن الذي يجب ذكره أن هذه الفلسفة قد أعطت أملا لأولئك الذين سخطوا عن الأوضاع القائمة وناشدوا التغيير السياسي لكل الطرق.

وفي ميدان العلوم الاجتماعية، اختلفت آراء هيجل تماما عن الآراء التي كانت سائدة في أوروبا، ومن المعروف أن العصر الذي عاش فيه هيجل شهد رواج العلوم الدينية، وتاريخ القانون، وتاريخ الفن

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص 322.

2 -Rudolf Haym, Hegel et son temps, 1857, traduction française de Pierre Osmo, Paris, Gallimard, 2008,pp. 113-115.

وكانت كلها تعنى بدراسة الوقائع، إلى جانب دراسة علم النفس التي أضحت علما قائما بذاته وعاملا هاما في دراسة الفلسفة⁽¹⁾، وكل هذه العلوم كانت منفصلة عن الأخلاق والدين والفلسفة، باعتبارها علوم قياسية، في حين أن هيجل لم يفرق بين علوم قياسية وأخرى اجتماعية، وكان يرى في كل هذه العلوم أشكالا ضرورية تبرز فيها حياة الروح، ولذلك وقف موقف العداء من دعاة النظرية القائلة أن القانون الطبيعي ترجمة لميول الإنسان الفطرية والغريزية، وأن الدولة نتاج اتحاد النزاعات الأنانية المختلفة، فعمد هيجل إلى رد أسس القانون إلى حقائق روحية⁽²⁾. والقانون الذي يصوره هيجل في ذهنه إنما هو قانون خاص، فقد فصل هيجل بين السياسة والتشريع فصلا جذريا⁽³⁾.

والجدير بالذكر أن المفهوم الروحي للقانون يهدم الفردية هو الأساس الذي تقوم عليه نظرية هيجل الأخلاقية، والتي تقوم على عجز الإنسان عن بلوغ العمومية التي ينشدها، فلا يجد المرء حريته الأخلاقية إلا في هيراركية الجماعات وهي الأسرة والمجتمع المدني، والتي تقوم فيه العلاقات على تلبية المطالب الاقتصادية وحماية التملك بتطبيق العدالة، ورعاية الصالح العام بالبوليس والنقابات ثم الدولة⁽⁴⁾.

أما مفهوم الدولة في فلسفة هيجل فقد أسفر عن نتائج سياسية عميقة سواء في حدوثها أو الآثار المترتبة عنها⁽⁵⁾. فيعرف هيجل الدولة بوصفها كائن "متعقل" في ذاته، فهو يرفض التسليم بالاعتقاد

1 -Philippe Raynaud ,De Hegel aux sciences sociales, Dans Max Weber et les dilemmes de la raison moderne (1987), pp. 11 – 38

2 -Horst Althaus, Hegel, naissance d'une philosophie, Paris, Le Seuil, 1999,p. 201.

3- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص 322.

4- نفسه

5 -Louis Carré ,**Hegel penseur de l'État contre la démocratie**, Dans

Tumultes 2015/1 (n° 44), pp. 37 – 51

القائل أن الدولة قامت من أجل المحافظة على الحقوق الفردية حيث يتسنى للأفراد أن لا يكونوا أعضاء في الدولة، في حين يرى هيجل أن الفرد ليس له وجود واقعي وكيان خلقي إلا في نطاق الدولة أي عضوا بها، فالدولة إرادة ميتافيزيقية لا يمكن تمييزها من العقل المطلق، وبعبارة أخرى لا يمكن تمييزها من الله، فهو القائل "إن الدولة هي الروح مادام هذا الروح يتحقق في العام تحققا واعيا، ومنه فإن هيجل يرى أن الدولة تختلف في مفهومها عن الهيئة الاجتماعية أي المجتمع المدني⁽¹⁾.

فالمفهوم الذهني الذي كونه هيجل عن الدولة لم يكن هناك موضع للفصل بين السلطات أو لفكرة الدستور، وعلى أساس نظريته فهناك ثلاث أشكال للدولة، الشكل الاستبدادي، الشكل الديمقراطي، إما في صورة ديمقراطية تامة أو جمهورية أرستقراطية وفي كلاهما يتمتع بالحرية إلا مجموعة محدودة، الشكل الملكي وهو أعلى أشكال الدولة في نظر هيجل، وفي هذا الشكل تتكون الدولة من ثلاثة عناصر:

العنصر الأول وجود الملك أو الأمير، فمن غير الملك لا يعد والشعب أن يكون سوى كتلة غير عضوية لا قدرة لها على النمو والتطور، فالملكية نوع من الطابع القدسي لكن هذه القدسية ليست مستمدة من الحق الإلهي وإنما سبب القدسية أن الملك يتجسد الدولة وأن الدولة تتجسد الفكرة المطلقة والفكرة هي الله⁽²⁾. وكان "ريشيو" و"نابليون" قد حظيا بإعجاب هيجل، ومع ذلك فيجب أن يستند الملك في حكمه على العنصر الشعبي⁽³⁾.

1 -Louis Carré,op. cit. ,p. 48.

2-ibid. ;p. 49.

3- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص 323.

أما العنصر الثاني فهو عنصر الأرستقراطية، الممثل في المجالس "مستشاري الملك وفي كبار موظفي الدولة، والذين يثبتون الانتماء لطبقة النبلاء عن طريق رابطة الدم (التوريث)، ويغفل النظر عن طبقة البرجوازية التي تمثل الجانب المتحرر والليبرالي في المجتمع.

العنصر الثالث الديمقراطي وهو البرلمان الذي يكفل وجود الصالح العام والحريات العامة لأنه أداة للنشر والدعاية وبدون البرلمان في نظر هيجل، ليست هيئة لتمثيل الأفراد بل هو مجلس للسادة يمثل مصالح ممتلكي العقار والأرض ومجلس النواب يمثل مصالح المجتمع الكبيرة، ولم يكن لهذا البرلمان السلطة التشريعية، بل هذه من حق الملك وحده، يعاونه في ممارستها العنصران الآخران اللذان تتألف منهما الدولة وهو جهاز لمساعدة الملك.

وفي هذا المفهوم الذهني للدولة يرى هيجل أنه ليس مطلوباً الاسترشاد بمبادئ الأخلاق في نشاط الدولة، وأن الحرب ضرورة ومقبولة وهي مقدسة وضرورة لتقويم عافية الشعوب فهو بذلك يناقض دعاة السلام من مفكري القرن 18م⁽¹⁾.

ومما سبق ذكره فإن فلسفة هيجل السياسية أحدثت آثاراً بالغة في عالمه المعاصر فقد كانت تعاليمه تصدر عن نظام يختلف اختلافاً كلياً عن إيديولوجية القرن 18م، أي المثل العليا التي نادى بها فلاسفة ومفكرو هذا القرن، وكذلك إيديولوجية الثورة الفرنسية حيث تنكرت للمذهب الحر ومنه فإن فلسفة

1 -B. Groethuysen, La conception de l'État chez Hegel et la philosophie politique en Allemagne ,Revue Philosophique de la France et de l'Étranger,T. 97 (Jan-Juin 1924), Presses Universitaires de France, pp. 180-207

هيجل بفضل المبادئ أو العقيدة السياسية التي جاءت بها قد أمدت سياسة الحكومات الألمانية بالقوة العظيمة القائمة على الاستبداد بالسلطة⁽¹⁾.

وما يجدر الإشارة إليه أننا نجد في الفلسفة الهيجيلية التفسير الذي يسوغ به تطور تاريخ بروسيا والسياسة التي استرشدت بها بروسيا حتى تصل إلى مكان الصدارة كدولة حديثة النشأة سوف تتزعم الاتحاد الألماني، وقد اتخذت السياسة البروسية من هذه الفلسفة الهيجيلية إنجيلا لها ومصدرا لحججها التي تؤيد بها هذه السياسة وهي أن هيجل نوه بضرورة تنظيم الدولة، وهي الفكرة التي غفل عنها الألمان عندما انحصر تفكيرهم في موضوع الأمة، فالأفكار التي نادى بها هيجل كان لها الفضل في إدراك الألمان، أن وحدة ألمانيا وتكوين الألمان للأمة مرهون بتشكل ألمانيا كدولة وفي نظر هيجل بروسيا هي التي عرفت كيف تبلغ وقتئذ في تكوينها المعني المقصود عن فكرة الدولة⁽²⁾.

ومنه يمكن القول أن فلسفة هيجل خلفت أثرا عميقا وتركت هذه الفلسفة طابعها الذي لا يمحي على الفكر الألماني، ويمكن اعتبارها أحد العوامل الفاصلة في التاريخ ليس في تاريخ ألمانيا فحسب بل تاريخ العالم كله.

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص 325.

2- نفسه.

المبحث الثاني: السياسة البروسية وتأسيس الزولفرين:

1- السياسة البروسية والمسائل القومية:

تمتعت بروسيا بمكانة خاصة، وقد نهلت بروسيا أيديولوجيتها وفلسفتها من فلسفة هيجل، تلك الإيديولوجية التي أفضت بها إلى قيادة ألمانيا نحو الوحدة⁽¹⁾.

وكان لتزعم بروسيا حركة إنقاذ ألمانيا من السيطرة الفرنسية في السنوات 1813م-1815م أثر كبير لدى الشعب الألماني، هذا الأخير الذي أصيب بخيبة أمل عندما انحازت إلى تأييد سياسة مترنيخ الرجعية وعملت على تصفية الوطنيين من الأحرار وقدماء المحاربين⁽²⁾.

وهنا لابد من ذكر حقيقتان ميزتا تاريخ بروسيا وهما استعادة بروسيا نشاطها وانتعاشها بعد إنهاء السيطرة الفرنسية⁽³⁾ و تبنيها التقاليد القديمة ذات السلطة المستبدة إلا أنها اتسمت بالخير إلى جانب انفعالية حيث أحاط بالملك وزراء رجعيين تجنبوا فكرة التمثيل القومي مثل "ألتنشتاين" وزير التربية والتعليم، شمالمز، كامبتز واستعادت الملكية البروسية سيرتها القديمة قبل سيطرة نابليون القائمة على فرض الرقابة البوليسية وتطبيق أساليب السلطة المطلقة والتعسفية، منها إلغاء الصحف السياسية ومصادرة

1- شكري، المرجع السابق، ج 03، ص 331.

2 - Michel Kerautret, op. cit. pp. 211-213

3- حول هذه المواجهة يمكن العودة الى هذا المصدر توجد نسخة الكترونية على موقع المكتبة الوطنية الفرنسية :

Ernst Otto Innocenz von Odeleben ,Relation circonstanciée de la campagne de 1813 en Saxe, trad. Aubert de Vitry, 1817

المطبوعات السياسية، ومنع نشر وطبع المطبوعات المثيرة للخواطر مثل محاضرات فيشته كما منعت تمثيل بعض المسرحيات مثل "أجمونت Egmont" لـ "جيتة" و "وليم تيل" لـ "شيلر" (1).

والثانية انتهاجها سياسة دينية هدفت إلى إخضاع الروح وترويضها على طاعة الحكومة، ففرضت بالقوة سن الكنيسة اللوثرية والكنيسة المصلحة على شعبه من البروتستانت كانت نتيجتها أن نشأ نوع من الأرثوذكسية المتعصبة، أما الكاثوليك فانصاعوا إلى توجيهات الحكومة لكن ما لبث أن ظهر صدام بينها وبين الحكومة حيث أثارت مسألة الزواج المختلط بين الكاثوليك وأصحاب العقائد الأخرى (2). وكانت نتيجة هذه السياسة أن انقطعت أواصر التأييد لبروسيا من طرف أصحاب الآراء الحرة والناقمين على النمسا.

وأضحت الإدارة والحكومة تسيطر بالكامل على الدولة بشكل أعاق وعرقل تحقيق الوعود التي قطعها المسؤولين في بروسيا إبان المحنة الوطنية (3).

ففي سنة 1823م أصدر قرار بإدخال إصلاحات على المجالس الإقليمية "الديات" والتي كان عددها ثمانية ومنحت الحكومة النبلاء نفوذ كبير في إدارة شؤون الحكم وسيطرة كاملة في المجالس الإقليمية في حين احتفظت الحكومة لنفسها بالهيمنة على المرافق العامة (4).

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 303.

2- حاطوم، المرجع السابق، ج 02 ص. 155-156.

3- Heinrich August Winkler, op. cit. pp. 204-206

4- ففي سنة 1823م أصدر قرار بإدخال إصلاحات على المجالس الإقليمية "الديات" والتي كان عددها ثمانية والتي يعود تاريخها إلى العصور الوسطى والمتألفة من ثلاث هيئات أو طبقات وهي طبقة النبلاء التي تملك حق الانتخاب، وهيئة البرجوازية وهيئة أهل الريف اللتان لا تملكان هذا الحق، والتي كانت تحظى بسلطات محدودة ولا قيمة لها ولم يكن لها طابع تمثيلي أو سلطة سياسية

وكان نتاج هذا النظام البروسي خلق طبقتين جنب إلى جنب طبقة إقطاعية وطبقة وظيفية، ومنه فقد اقتسم الدولة نوعان من الأرستقراطية، أرستقراطية النبلاء وأرستقراطية البيروقراطية، والدولة بهذه الصورة تتفق مع النظرية الهيجيلية.

ومع ذلك كانت هذه الإدارة أو البيروقراطية من النوع الجيد ويرجع ذلك إلى عملية الاختيار الطويلة التي يتم بها ترشيح الموظفين للمناصب، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الأخيرة لم تكن محبوبة من طرف سواد الشعب، ومع ذلك استطاعت أن تسدي خدمات جليلة لبروسيا منها تنظيم شؤون المالية، وحل مشكلة الأراضي وإن كان لصالح النبلاء وإعادة إنشاء الجيش وتنظيمه، وأعطى هذا الترتيب مقاطعات جديدة لبروسيا وهي بروسيا الراينية وشفاليا، وبقي هذا العمل للإدارة النشيطة حتى 1840م بل وحتى 1848م لأن الثورات التي قامت هذا العام هي التي قوضت أركانه(1).

وعلى الرغم من أن بروسيا لم تكن تؤمن بالمبادئ الحرة آنذاك إلا أنها تشكلت نموذجا لما يجب أن تكون عليه الحكومة والإدارة يحتذى به في سائر أنحاء ألمانيا.

والجدير بالذكر أن هذه "الإدارة البروسية" كان لها الفضل في صنع الاتحاد الجمركي الذي امتد يشمل القسم الأكبر من ألمانيا، وهنا نحن بصدد الحديث في "الزولفرين" وهو الحادث الذي كان له أكبر الأثر في صناعة الاتحاد إلى جانب إعادة تنظيم بروسيا.

02- الزولفرين Zollverein:

إن الاعتقاد بأن إنشاء الاتحاد الجمركي "الزولفرين" كان نتيجة حركة تلقائية ولدتها الأوضاع الاقتصادية في ألمانيا، استهدف منها وحدة ألمانيا، بمنحى أجبر الحكومة على الإذعان وأن أصل الزولفرين

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 334

قيام حركة قومية اعتقاد خاطئ، على حد قول المؤرخين لعل أبرزهم اثنان من أهل ألمانيا الجنوبية هما فريدريك ليست Friedrich List⁽¹⁾، وكارل فريدريك نيبنيوس (Nebnius)⁽²⁾.

كان ليست صاحب فكرة إنشاء اتحاد كونفدرالي لإزالة الحواجز الجمركية بين الولايات الألمانية ووضع تعريف موحد، وإنشاء الوحدة الاقتصادية، وفعلاً ترأس جمعية من التجار ورجال الصناعة لحمل الحكومة على قبول هذا الاتحاد إلا أن مساعيه باءت بالفشل فتعرض للسجن مرات بسبب انتقاده لنظام البيروقراطية في ألمانيا. ليهاجر إلى أمريكا ليعود إلى ألمانيا سنة 1832م، وهو صاحب ثروة وأصدقاء كثير، ليجد أن الحركة التي قادها من أجل إيجاد اتحاد جمركي قد بلغت ذروتها التي ليست بالصورة التي أرادها هو الإصلاح الجمركي العام، وأن تكون النمسا هي المتزعمة لها بل بروسيا هي التي شكلت محور حركة الاتحاد الجمركي⁽³⁾.

ربما يمكن القول أن الفضل الأكبر لظهور نظام الزولفرين يعود إلى كارل نيبنيوس حيث نجح في تنظيم مالية بادن كوزير، ولعب دوراً هاماً في المؤتمرات الوزارية التي عقدت في فيينا 1819م- 1820م،

1- جورج فريدريش ليست (Daniel Friedrich List) (1789-1846): عالم اقتصاد ألماني أسس «النظام الوطني للاقتصاد السياسي». وكان أباً للمدرسة التاريخية للاقتصاد، وجادل لصالح الاتحاد الجمركي الألماني من وجهة نظر قومية. دافع عن فرض التعريفات على البضائع المستوردة مع دعم التجارة الحرة للبضائع المحلية، قال إن تكلفة التعريف يجب أن تُرى على أنها استثمار في إنتاجية البلد المستقبلية. كان ليست ليبرالياً سياسياً دافع عن الليبرالية الدستورية، كانت الأفكار الليبرالية والقومية مرتبطة بشكل غير قابل للفصل تقريباً، ولاست بمثابة عالم نظري «الرأسمالية المعتدلة أو المنظمة». للمزيد انظر Monique Anson-Meyer, Un économiste du développement au xix^e siècle, Presses Universitaires de Grenoble, 1982

2- كان كارل فريدريش نيبنيوس (1784 - 1857) وزيراً في بادن ومؤلفاً لدستورهم لعام 1818. تم فصل نيبنيوس من الخدمة الحكومية نتيجة ثورة بادن 49/1848، بعد ذلك كرس نفسه للكتابة الأدبية واهتم بالرواية.

3 - Richard H. Tilly, Vom Zollverein zum Industriestaat. Die wirtschaftlich-soziale Entwicklung Deutschlands 1834 bis 1914. , Munich, DTV, 1990,

من خلال استماعه لآراء جمعية التجار ورجال الألمان، ومطالبته بإنشاء وحدة تجارية من خلال مذكرة قوية حملت في ثناياها مقترحات تشبه الخطوات التي اتبعت لإنشاء "الزولفرين" فيما بعد⁽¹⁾.

وقد أنكر الكثيرون أن الزولفرين لم يكن من خلق "ليست" و"نبنوس" لأن كلامهما يدين بوجهة نظر "ألمانية" وليست "بروسية" وأن ترتيباتهما المعارضة ضد بروسيا.

وتظاهر عاملان على إخراج الزولفرين إلى الوجود أحدهما تلك الشكايات للتجار والصناع في البلاد الراينية الذين تضرروا من المزاومة الإنجليزية والآخر ذلك الارتباك الضريبي الذي ساد بروسيا عندما كانت تتشكل من أربعة أجزاء حيث كانت توجد بها سبع وستون تعريفية جمركية ولو أنها كانت مرتبطة بضريبة "غير مباشرة" تدفعها المدن على السلع المستهلكة داخليا وهي "ضريبة الإنتاج"، وللحد من هذا الارتباك، صدر أول قانون في 11 جوان 1816م ألغى الضرائب النهرية والضرائب الجمركية الداخلية وثاني قانون في 26 ماي 1818م الذي أوجد تعريفية موحدة بكل بروسيا.

كان الغرض من هذين القانونين تبسيط النظام الضريبي وتوحيد الضرائب الجمركية في الأراضي البروسية، لكن تواجد جيوب بمعنى أراضي لدول ألمانية داخل بروسيا والذي بلغ عددها اثنا عشرة والتي كانت تملك سبعة وعشرون جيبا محاطة⁽²⁾ بالجمارك البروسية والذي فرض ضرائب عدة منها ضريبة الإنتاج، الضريبة الجمركية نفسها، ضريبة المرور والتي شكلت مصدر ربح لبروسيا وأداة ضغط على اقتصاد هذه الدول على نحو آثار تدمير وامتصاص هذه الدول التي وصفت بروسيا وسياستها باللصوصية الحقيقية، واحتجت هذه الحكومات على بروسيا في كارلسباد وفيينا (1818م-1820م)، وقد ألحقت

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 336

2 -Dieter Langewiesche, Europa zwischen Revolution und Restauration 1815-1849, Munich, Oldenbourg Verlag, 1994,pp. 111-112

هذه الجيوب متاعب كثيرة لحكومة بروسيا بتشجيعها للتهريب، كما كانت هي تعاني مضايقات بسبب الجمركية التي فرضتها بروسيا (1).

ونجم عن هذه المتاعب أن سارعت بعض الجيوب "الدول" إلى طلب إدماجها في نظام التعريف البروسية، والذي حظي بالموافقة في أكتوبر 1819م وهي (شوارز بورج - سوند هاوسن) لتحذو حذوها ثلاثة جيوب أخرى سنة 1832م فألغيت الضرائب في هذه الدول الصغيرة، وحظيت بنصيب من حصيلة الجمارك العامة كانت تدفعها بروسيا لها (2).

وعلى أن هذا الترتيب لم يكن شيئاً مذكوراً إذ لم يتعد هذا الدور الأول من تاريخ الزولفرين مجرد إنشاء تعريف موحدة في بروسيا وعلى عدد من الجيوب ليفتح "فون موتز" وزير مالية بروسيا عام 1825م الدور الثاني في تاريخ الزولفرين باتباعه سياسة جمركية هجومية ضد الحكومات الألمانية الأخرى حيث أجرى إصلاحات من حيث إنشاء إدارة مبسطة وتعريف موحدة والاقتصاد في نفقات الإدارة، وصارت مثالا يحتذى به (3).

وبدأت عروض الاتحاد الجمركي تتوالى على حكومة بروسيا لعل أولها "هس درمستاد" 1827م لتنشئ بعدها اتحادات جمركية بين دول أخرى منها اتحاد بفاريا ورتمبرج 1828م، لتظهر كتلة جمركية ثلاثة

1 -François G. Dreyfus, **Économie et politique dans les Allemagnes pendant la première moitié du XIXe siècle**, Annales. Economies, sociétés, civilisations. 18^e année, N. 2, 1963.

pp. 363-379

2 -G. Dreyfus, op. cit. pp. 365

3- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 338

وسطى تتألف من 17 دولة أهمها "هانوفر"، "سكسونيا"، "هس كاسل"، هذه الاتحادات التي أثارت حفيظة "فون مونتز"⁽¹⁾.

تبدأ المرحلة الثالثة في تاريخ الزولفرين وهي المرحلة التي انتهت بإنشاء هذا الاتحاد الجمركي في صورته الكبرى. والجدير بالذكر أن الزولفرين لم يشمل كل ألمانيا، بل بقيت ثلاث عشرة دولة شكلت مجموعتين، أنشأت أحدهما نوعاً من الاتحاد الجمركي عرف باسم "ستورفرين" أي الاتحاد الضريبي ويتكون من الأقاليم البحرية المطلة على بحر الشمال، والتي ربطتها علاقات تجارية وثيقة مع إنجلترا وهي هانوفر، برنسويك، أولد نبرج، برمن، همبورج، أما الدول الثمانية الباقية فظلت مستقلة عن الاتحادين⁽²⁾.

على أن الذي يعيننا في تاريخ الزولفرين هو الصلة بينه وفكرة القومية أو الحركة القومية في ألمانيا، فتجلت حقيقة أن هذا الأخير لم يلق تأييداً من أي حركة بل على العكس قوبل بالعداء الشديد في كل الدول الألمانية، فبقيت الإقليمية والمحلية هي الشعور الذي سيطر على ألمانيا، ولكن عندما أفضى هذا الاتحاد إلى نتائج اقتصادية مرضية بدأ الرأي يتحول عن العداء ضده إلى الرضاية وتأييده أخيراً⁽³⁾.

ومن النقاط التي يترتب علينا الوقوف عندها ما هو الأثر الذي كان للزولفرين في إنشاء وحدة ألمانيا السياسية، وحسب تسليين المؤرخين أن الزولفرين قد مهد للوحدة الألمانية حيث عقد الألمان آمالاً كبيرة على هذا الاتحاد كوسيلة تفضي للاتحاد السياسي، وفي هذا الشأن كتب صاحب مشروع الاتحاد

1 -Félix Ponteil, Le Zollverein et les débuts de la grande industrie allemande, Revue d'Histoire Moderne & Contemporaine Année 1934 9-11 pp. 48-54

2 -Félix Ponteil,op. cit. ;pp. 48-54

3-Pierre Ayçoberry, L'Unité allemande, 1800-1871,op. cit. pp. 76-77

الجمركي "فون موتز" "إن من الواضح كحقيقة فعلية، أن وجود الجمارك إنما هو نتيجة لذلك الانفصال القائم سياسيا بين الدول المختلفة(1).

ويجب أن يكون صحيحا كذلك اتحاد هذه الدول أو الحكومات في مجموعة جمركية واحدة ينبغي أن يفضي إلى اتحادها في نظام سياسي واحد فقط"، ثم أضاف "ويقتضي الواجب من بروسيا اتفاقا وثيقا مع الإمارات التي تتمثل فيما المصالح الألمانية فعلا، فإذا حدث أن انحل الاتحاد الكونفدرالي الألماني، ليعاد تأليفه ثابتة بعد استبعاد العناصر الخليفة"(2).

ومنه نستنتج أن موتز قد توسم أن يسفر الاتحاد الجمركي عن نتائج سياسية، وبالمقابل نستشف تحفظان وهما استبعاد العناصر الخليفة شرط أساسي لإقامة الاتحاد ويراد بذلك أن لا يكون تحت المظلة النمساوية، وأن هذا الاتحاد سيضيفي إلى نتائج سياسية وإن كان يؤمن بأن ذلك سيتحقق بعد زمن طويل(3).

وقد استغرق الزولفرين وقتا طويلا، حتى يؤتي بنتائج سياسية، تفوق الثلاثين سنة وهي فترة لم يستطيع الزولفرين أن يخمد شعور الإقليمية، ولم يكن له أي تأثير في ثورة 1848م ولم يقف حاجزا مانعا أمام انخياز الألمان إلى النمسا في حربها من بروسيا سنة 1866م، وهذا ما استند إليه كثيرون للاستدلال

1 -Félix Ponteil,op. cit. p. 52

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 347

3 -Volker Berghahn, Modern Germany: Society, Economy and Politics in the Twentieth Century. , Cambridge, Cambridge University Press, 1982, p, 81

على الآثار السياسية للزولفرين، ويفكر أنه منشئ الحركة القومية الألمانية⁽¹⁾.

03- الأحرار و"رد الفعل" ضد بروسيا:

عجز أحرار ألمانيا عن فعل شيء بذكر اتجاه أمرين، الأول وهو الحكومات الألمانية ذات السلطة المطلقة والقائمة على تمجيد الدولة، والثاني الحكومة البروسية التي تعزز مركزها السياسي والاقتصادي بفصل الزولفرين، إذ أنه وبغض النظر عما سيسفر عنه الزولفرين مستقبلاً إلا أنه في الوقت الراهن، لم يتعدى أثره تدعيم الشعور بالإقليمية والمحلية في بروسيا، وباقي الحكومات الألمانية، وكان نتيجة أن أخذ الألمان في الانفصال عن بروسيا التي اعتبروا أنفسهم مخدوعين فيها بعدما تذكرت للوعود التي قطعتها على نفسها أثناء الحرب التحريرية (1813م-1815م)⁽²⁾.

ومن مظاهر تخلي الرأي العام الألماني هو تراجع دور جامعة برلين وانطفاء نار الحماسة في نفوس أساتذتها التي كانت مشتتة في حرب التحرير، وفيما عدا فردريك هيجل الذي كان صاحب نشاط إيجابي، فقد أساتذة جامعة برلين النفوذ الذي تمتعوا به سابقاً في ألمانيا⁽³⁾، وأمام هذا الوضع الموسوم بالركود، وأمام الحواجز السياسية التي حالت دون قيام حياة مشتركة في ألمانيا، وجد الأحرار ملجأً آخر وهو الرومانتيكية وهو اتجاه قومي وحر كان قائماً في 1813م⁽⁴⁾، والذي أصبح يمثله "وولفجانج متزل" وهو أحد مؤسسي اتحاد الرفقاء أو "البروشنشافت" والذي طرد من ألمانيا، فلجأ إلى سويسرا، ليعود إل

1 -François-Georges Dreyfus. L'unité allemande, revue Politique étrangère , Année 1993 , 58-2 , p. 499

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 249

3 -Richard J. Evans, Death in Hamburg: Society and Politics in the Cholera Years, 1830-1910, New York, Oxford University Press, 2005, pp. 28-29

4- Richard J. Evans, op. cit. ;pp. 29

"شتو تجارت" بعد أن صدر عنه العفو، هذه الأخيرة التي أضحت مركز الفكر والثقافة الرئيسي في ألمانيا⁽¹⁾، ولعل من أهم الأسماء البارزة آنذاك بها هو البارون "كوتا" Johann Friedrich Cotta⁽²⁾.

وكما يقول المثل رب ضارة نافعة حيث أن الرقابة الصارمة والقيود الشديدة التي مورست على الحياة الأدبية في ألمانيا أدت إلى اتجاه الأفكار نحو المبادئ الحرة، وهذا ما تجسد في الناشر اليون الذي أبعد عن كل المناصب في ألمانيا بسبب أصله اليهودي، ليجعل من هذا الاستبعاد دافعا قويا للنضال لحرية الصحافة ونشر عدة مؤلفات منها كراسة ضد نظام الرقابة 1819م وأسس جرائد..⁽³⁾.

وعلى نشاط هؤلاء المفكرين الألمان، فإنهم كانوا يشكلون قلة، ومشتتون في أرجاء ألمانيا، وألمانيا لا تزال بلاد زراعية تن تحت وطأة الفقر، وحتى الطبقة الوسطى كانت محدودة، الشيء الذي قلل من تأثير المفكرين والمثقفين.

ولقد لعب الأحرار في ألمانيا دورا بارزا في دفع عجلة الحركة الفكرية بها أشواطا كبيرة على الرغم من تأثرهم بالآراء الفرنسية، حيث أنشأوا مدرسة دستورية لمواجهة المدرسة التقليدية ومدرسة الحقوق

1-Thomas Nipperdey, Germany from Napoleon to Bismarck, 1800-1866, Princeton, Princeton University Press, 1996, p215

2- "جوهان فريديريك كوتا" (1764 - 1832) وهو ناشر كبير أشرف على نشر أعمال "فخيتة" و"شيلر"، وجمع "كوتا" من حوله كتاب من ميولات مختلفة، بما في ذلك الكتاب المتقدمين، وتولى تأسيس وإدارة مجموعة من المجلات منها "الفازية العامة"، "الحوليات السياسية"، وهما ذات طابع سياسي، و"صحيفة الصباح"، الأدبية، مجلة "Hesperus" وهي مجلة اقتصادية سياسية، وقد عهد كوتا لإدارة ملحق أدبي لصحيفة الصباح إلى "متزل" تحت عنوان "صحيفة الأدب" والذي نشر بها مؤلفا بعنوان "الأدب الألماني" تناول دراسة شاملة للأدب الألماني المعاصر، وأثار هذا الأخير ضحية كبيرة ولقى نجاحا باهرا لكنه تجاوز مع الروح الجديدة.

3- شكري، المرجع السابق، ج03 ص. 348

التاريخية، ويعتبر "روتيك" الذي كان أستاذا بجامعة "فريجورج" و"ويلكر" الذي كان مؤرخا وأستاذ بجامعة "بورن" من أهم ممثلي هذه المدرسة ونشرا معا معجما سياسيا⁽¹⁾.

ولعل أكبر أثر لهذه الجماعة هو المحافظة على الحرية والحيلولة دون اضطهاد المبادئ الحرة وأصحابها. على أن الذي يجب الوقوف عنده هو أن الفكرة القومية لم تكن من أولوياتهم ولم يرق إليها تفكيرهم لأنهم كانوا يؤمنون بالحرية ويقدمونها على الفكرة القومية والوطنية.

المبحث الثالث: ثورة 1830م:

كان للثورة التي قامت في باريس في جويلية 1830م صدى في ألمانيا من حيث تأييد حركة التفكير السياسية وانتشار الآراء السياسية، خاصة بعد انشغال كل من النمسا وروسيا زعيمتا الرجعية في أوروبا بإخماد الثورة، ومنع انتشارها مما سمح لأحرار ألمانيا العمل مباشرة.

وقد أسفرت أحداث هذه الثورة عن حقائق أهمها أن الشعب الألماني كانت تعوزه التربية السياسية، ومحدودية الروح القومية، فلم تغدوا هذه الثورة مجرد القيام بمظاهرات صاحبة لم ترق حتى إلى مرتبة محاولة ثورية على عكس ما حدث في إيطاليا⁽²⁾. وعلى أن أقصى ما افتكه الأحرار من هذه الثورة هو الحصول على دستور مثلما حدث في هاوفر وسكسونيا، أو تغيير الوزارة بوزارات أقل رجعية من سابقتها.

لكن ما لبث أن استرجعت الحكومات تلك الحقوق التي تنازلت عنها أثناء محتتها، فاستعادت سياسة الضغط والتضييق، إلا أن هذه السياسة لم تشمل إلغاء بعض الحقوق، ولم تمحو بعض النتائج

1-Jacques Droz, L'Allemagne, vol. 1: La Formation de l'unité allemande, Paris, Hatier, coll. «Collection d'histoire contemporaine - Hatier université», 1970, p. 33-35

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص ص. 335 - 336.

التي تمخضت عن الثورة، فتزايد بذلك نشاط الحياة الذهنية، أخذت الحكومات بأساليب اقتصادية جديدة، هذه الإصلاحات كان من شأنها تقليص الفوارق بين الدول الشمالية التي شهدت قيام الثورة وبين دول ألمانيا الجنوبية.

ومن مظاهر اليقظة في الحياة السياسية في ألمانيا الجنوبية دخول الكثير من الأحرار المتشبعين بالمبادئ الحرة وحتى الراديكالية منها مجلس البرلمان، وتجاوب الصحف مع الحماس الثوري واستصدار البرجوازيون لقرارات تأييد للثورة في بولندا 1831م وإنشاء اتحاد للصحف، بالرغم من اشتداد الرقابة ومنع العرائض والمطالب الجماعية، فعاشت البرجوازية حالة من "الانبهار" وصفها أحد الكتاب بأنها تشبه "حلم اليقظة"⁽¹⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه بقاء الأقاليم البروسية ساكنة أمام هذه التطورات والاضطرابات الحاصلة في أنحاء ألمانيا، إلى جانب أنه لم يكن لفكرة القومية وسط كل هذا إلا أهمية ضئيلة بل تكاد تكون معدومة. ومنه فإنه يمكن القول أن الفكرة الحرة في ثورات 1830م فاقت الفكرة القومية بكثير وطغت عليها⁽²⁾. إلى جانب ذلك لا بد من التنويه بتنكر حركة الأحرار لبروسيا الرجعية والتي أضحت تتبع سياسة متسمة بالأنانية، واستمرار الامتزاج بين الفكرة الحرة والفكرة القومية⁽³⁾.

وكانت نتيجة ثورة 1830م وحركة الأحرار، أنها لم تعدو إلا انتصارا للرجعية ودم أركان الحكم التعسفي، إذ اتخذ الديات إجراءات في 28 جوان 1832م أطلق عليها اسم "المواد الست" وكان مترنيخ

1- حاطوم، مرجع سابق، ج 02 ص 210

2- يمكن إدراج خطاب لزعيم الأحرار في جنوب ألمانيا "فون روتيك" للدلالة على هذه الفكرة، انظر شكري، مرجع سابق، ج 03 هامش ص 485.

3 -Dieter Langewiesche, op. cit. ,pp. 118-119

هو المسؤول عن استصدارها، مضمونها حرمان المجالس التمثيلية أو "البرلمان المحلية" من أي حق في الاعتداء على المبادئ التي يقوم عليها "الديتات" وهو نفسه الذي حرمه مترنيخ حق الحد من سلطة الأمراء⁽¹⁾.

وكان لهذه المواد أن ضيقت الخناق على حركة الأحرار بشكل استثار حفيظتهم فصمموا القيام بانقلاب ومهاجمة فرانكفورت وحل مجلس "الديتات" وتأليف حكومة مؤقتة من "روتيك" و"ديلكر" إلا أنها كللت بالفشل مما أكد نجاح سياسة مترنيخ الرجعية رغم أن التخطيط لهذا الانقلاب كفكرة أثبت فشل لجنة التحقيق التي أنشأت في ماينز بعد صدور مرسومات كارلسباد 1819م وعجزها في كشف أصول المؤامرة، وكان على الأساس إنشاء نظام بوليسي على أوسع نطاق ممكن لمواجهة هذه المؤامرة العامة⁽²⁾.

وهكذا ساد الركود ألمانيا عقب ثورة 1830م والذي ظل قائما ومستمرا إلى سنة 1848م، ولم نشهد خلاله أي حادث ذو أهمية من وجهة النظر السياسية. صحيح أن ألمانيا خلال كل هذه الفترة لم تعيش في عالم السياسة إلا أنها كانت تعيش في عالم الفكر والثقافة، هذه الحياة الذهنية التي كان لها الفضل الكبير في تطور الكيان الألماني من ناحية الشعور بالقومية، لذلك بات ضروريا تسليط الضوء على هذه الأخيرة.

1 -Dieter Langewiesche, op. cit. ,pp. 118-119

2 -Michel Kerautret, Histoire de la Prusse, Paris, l'Univers historique, Éd. du Seuil, 2005. p.

المبحث الرابع: الحياة الفكرية واتجاهاتها القومية في ألمانيا بعد 1830:

تميزت الحياة الفكرية في ألمانيا بجملة من الخصائص لعل أهمها⁽¹⁾:

- اتسمت بالقوة والصرامة.
 - شكلت مزيجاً من الاتجاهات والآراء، حيث سادت بها الاتجاهات المناقضة لبعضها بعض.
 - اتصال بعض الاتجاهات بالأفكار والأنظمة الرجعية.
 - انفصالها عن الحركات السياسية⁽²⁾.
- والملاحظ أنه على الرغم من بعد الحياة الذهنية على الحياة السياسية، إلا أنها اصطبغت بالسياسة، وتمخض عنها نتائج سياسية، هذا وأن الضغط السياسي الذي مارسته الأنظمة القائمة على هذه الحياة الذهنية قد أجبر رجال الفكر على البحث عن سبل وحلول جديدة لرفع الضغط السياسي الحكومي، مما ترتب عنه خلق روح قومية في ألمانيا.

1-الجامعات:

لعبت الجامعات في ألمانيا دوراً بارزاً في إيقاظ الحركة القومية في المجتمع الألماني بفضل أساتذتها الذين فاق نفوذهم ما كان لرجال الصحافة والسياسة من نفوذ⁽³⁾.

وعرفت ألمانيا بوجود جامعات كثيرة بها، منها ما كان تحت "النظام القديم" أو ما كان في عصر "الثورة" والسيطرة النابليونية"، وعلى الرغم من أن بعضها اختفى في عهد هذه الأخيرة إلا أن بعضها

1- الشكري، مرجع سابق، ج 03 ص 361

2- حاطوم، المرجع السابق، ج 02 ص. 192

3 - Michel Kerautret , op. cit. pp. 98-99.

تأسس بعد الثورة منها جامعة "بون" في 1818م لتطبع المقاطعات التي ضمت إلى بروسيا بموجب قرارات مؤتمر فيينا بالصبغية البروسية، جامعة ميونيخ، وجامعتان في سويسرا واحدة في "زيورخ" 1833م وأخرى في "برن"⁽¹⁾، إلى جانب جامعة "بال" القديمة.

وعلى الرغم من أن هذه الجامعات لم تكن ألمانيا إلا أن لغة التدريس كانت بالألمانية، فكانت ملاذ الألمان من الأحرار الذين يتعرضون بلا قضاء، وكان لهذه الجامعات السويسرية نفوذ عظيم في ألمانيا الجنوبية.

ولقد حظيت الحياة الجامعية باهتمام الألمان، فقد كانت تتناول كل الأحداث التي تقع في الجامعة في شكل مناقشات ومجادلات بين هذه الجامعات⁽²⁾، وكانت هذه المشاحنات ذات صيغة جامعية بحتة، وعلى مستوى روحي مست مشاعر الألمانين وذاعت أصداؤها في كل أنحاء ألمانيا.

عملت حركة القمع الحكومية الحياة السياسية في الجامعات سواء بسبب إقصاء الأساتذة أو بسبب فرض الرقابة على الطلاب الذين منعوا من تقلد المناصب الحكومية أو الكنيسة أو التعليم، الطب أو المحاماة، ولم يكن لهذه الإجراءات تأثير، لأن الحياة السياسية لم يكن لها قيمة أصلا في الجامعات، إلا أن الحركة العلمية كانت مبعث نشاط هام في الجامعات الألمانية وفي مجالات عدة، حيث اشتهر في الرياضيات "هس"، وفي الكيمياء "ليبيج Liebig"، "فوهرلر" مكتشف الألمنيوم، وفي التاريخ مؤرخ

1 -François Roth، L'Allemagne de 1815 à 1918,2e éd,2002,Armand Colin, pp. 130-131

2 -François Roth,op. cit. ,pp. 130-131

عظيم "ليوبولد فون رنكة"⁽¹⁾ صاحب مدرسة البحث التاريخي. وعلى الرغم من أنه لم يعن بالسياسة إلا أنه نشر مجلة تاريخية سياسية هدفت إلى إيقاظ الروح الوطنية في بروسيا⁽²⁾.

وتم ربط الصلة بين العلماء عن طريق المؤتمرات التي صار يعقدها هؤلاء، وأصبحت هذه المؤتمرات أداة أساسية أذيعت بفضلها الفكرة القومية حيث أضحى "الجرمانيون" يجتمعون في مؤتمرات خاصة بهم سنة 1846م⁽³⁾. واكتست هذه المؤتمرات بالخطورة بالرغم من أن منشطيتها لم يكونوا سياسيين إلا أنها ساعدت على بعث ونمو روح البحث وزاد الحقائق والمناقشة الناقدة مما جعلها نصطدم بنظام المراقبة السياسية مما زاد من الشعور بالغضب والتذمر من هذا النظام⁽⁴⁾.

وعلى عكس الحياة السياسية التي تميزت بالحمول فإن النشاط الذي ميز الحياة الفكرية، كان مبعث فكرة للمقاومة والدفاع عن كيانها ضد الإجراءات القمعية الممارسة ضدها. وعلى الرغم من أن هؤلاء العلماء والمفكرين كانوا يعملون على انفراد كل في مجال تخصصه إلا أنهم نجحوا في خلق روح

1- ليوبولد فون رانكه (1795 - 1886) مؤرخًا ألمانيًا يتبع الفلسفة الوضعية الحديثة، يعتبر مؤسسًا لمدرسة الوثائق التاريخية. فوضع رانكه معايير للعديد من الكتابات التاريخية اللاحقة، حيث طرح أفكارًا تعتمد على المصادر الأساسية (التجريبية)، والتأكيد على التاريخ الروائي وخاصة السياسات الدولية (السياسة الخارجية). انظر Gooch, G. P. History and Historians in the Nineteenth Century. New York: Longman's, (1935), p. 321-356

2 -Paquet Jacques, Leopold von Ranke and the Shaping of Historical Discipline, Revue Belge de Philologie et d'Histoire Année 1992, 70-2 pp. 558-560

3 -Marion W. Gray, Prussia in Transition. Society and politics under the Stein Reform Ministry, Philadelphia, 1986, 87-98.

4- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 364

ارتباط قومي. وخلاصة القول أن هذه الحياة الفكرية كانت ترعى الفكرة القومية على أن نتائجها لم تتجسد إلا بعد زمن طويل.

2- الحركة "السانسيمونية" وتطلعاتها القومية:

صحيح أن الحركة الأدبية نشطت كثيرا إذا ما قارناها بالحركة العلمية في ألمانيا إلا أنه لم يكن لها قيمة تذكر، ولقد لفتت انتباه الناس أكثر مما فعلته الحركة العلمية، وقد نبغت أعلام وأسماء في مجالات عدة، ففي ميدان الشعر نجد "بلاتن" و"أوهلاند"، وفي الميدان الروائي والقصصي "إيمومان" و"أورباخ"، و"جrab" و"هيل" في مجال المسرحيات التاريخية⁽¹⁾.

وقد عانا جماعة من هؤلاء الأدباء والكتاب بالسياسة وأطلقت على نفسها اسم "ألمانيا الفتاة" والتي تأسس على إثر حوادث 1830م وقامت على المبادئ الحرة والقومية، واصطبغت بصبغة الأمية⁽²⁾. فقد عانت هذه الجماعة المثقفة من ضغط وقمع كبيرين بين سنتي (1832م-1835م)، وقد وصلت ألمانيا إلى درجة من الخضوع لسلطان الحكومات القائمة قضت على كل نزعات الحرية، واشترط إحداث تغييرات سياسية في ألمانيا حدوث تغييرات أخلاقية واجتماعية على ألمانيا.

ولتحقيق هذه الثورة الخلقية والاجتماعية استعان هؤلاء المثقفون بالأفكار الأجنبية منها المذهب الحر الفرنسي والذي عرف بـ "المذهب السانسيموني" نسبة لمؤسسه "هنري كونت دي سان سيمون" وهو اشتراكي فرنسي كان يهدف إلى بناء عالم مثالي من خلال إنشاء دولة صناعية، والذي نشر عدة

1 -François Roth، op. cit. ; p. 133.

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 368

مؤلفات استهدفت أصحاب الأملاك وضرورة الثورة ضدهم وطبقة النبلاء وضرورة إلغائها وتقويضها، وأن العصر عصر "الصناعيين" وهم الذين يحملون على عاتقهم توجيه المجتمع⁽¹⁾.

وقد تأسست مدرسة السانسيمونيين بعد وفاة سانسمون من طرف تلاميذه الذين ألقوا سلسلة من الدروس تم توضيح الأفكار والمبادئ الأساسية لمذهب السانسيمونية، من بينها: العدول عن العداء بين أصحاب الأملاك وغير الممتلكين ليحل مكانه مبدأ المشاركة، وأن يقوم مجتمع شيوعي يلغي المجتمع القائم على الملكية الفردية والشيوعية التي نادى بها السانسميون وضعت الناس في مراتب متفاوتة بشكل ينال كل واحد فيه الجزاء الذي يستحقه⁽²⁾.

وقامت "مدرسة السانسيمونيين" لدعاية كبيرة في ألمانيا مستندة في ذلك على النشرات التي كانت تأتي من فرنسا وقد عنت جريدة "الوجلوب" بشؤون ألمانيا عناية فائقة، وقد ظهر "أدب سانسيموني" في ألمانيا، إما لتأييد مبادئ السانسمونية أو دحضها ونشرت الصحف مقالات للدعاية لهذه المبادئ ومدحها، وكان للأثر الذي ترتب عن هذه الكتابات أن وقفت الكنيسة ضدها بإصدار منشورات تنبيهية وتحذيرية من هذه المبادئ⁽³⁾.

وكان من نتاج الأفكار التي نادى بها السانسمونية أن نشأت حركة ديمقراطية جديدة في ألمانيا مثلها كاتب شاب يدعى جورج بوشنير⁽⁴⁾ Georg Büchner، الذي شكل جمعية سرية في "هس

1 -Pierre Musso, Saint Simon et le Saint-Simonisme, Presses Universitaires de France – PUF, coll. « Que sais-je ? », 1999, pp. 56-57

2 -Dieter Langewiesche, op. cit. p. 99

3 -Pierre Musso,op. cit. p. 123.

4- جورج بوشنير (1813 - 1871) جمع العديد من التخصصات فهو كاتب وكاتب مسرحي وطبيب وعالم ألماني حمل الأفكار الثورية. على الرغم من الحجم المتواضع لعمله - بشكل أساسي ثلاث مسرحيات، وقصة قصيرة ومسلك - أصبح واحداً من

كاسل"، نادى بالثورة الاجتماعية كما أنشأ جمعة لحقوق الإنسان على غرار التي أنشأت في فرنسا، وقد شاع آنذاك أن الحياة الاجتماعية تفوق أهمية الحياة السياسية، كما ساد الاعتقاد بقوة الحركة الصناعية والفكرة الأممية، وقد استخلص الألمان من هذه الآراء أفكار لتحرير المرأة، فنشأت لهذا العرض حركة تنادي بتحرير المرأة.

وخلاصة القول أن السانسمونية ساعدت في صنع إيديولوجية جديدة في ألمانيا إلى جانب تحقيق نتائج مادية من الحركة الصناعية، ساعدت في بناء مجتمع ألماني أفضل.

3- حركة ألمانيا الفتاة:

قبل البدء بالحديث عن ألمانيا الفتاة موضوع دراستنا يجدر التنويه إلى عدم الخلط والتمييز بين وبين ألمانيا الفتاة التي أنشأها مازيني في سويسرا، والتي شكلت جزءاً من "أوربا الفتاة" وهو الأمر الذي لم يستسغه الكتاب الشبان الألمان الذين لم يكن لهم أي علاقة بـ "ألمانيا الفتاة المازينية"، وأن هؤلاء.. .. للعمل السياسي والسياسة عقب المظاهرات التي نشبت في هامباك، مما يضفي الصفة الفكرية والأدبية لحركة ألمانيا الفتاة، وقد ظهر إثر هذه المدرسة في حركتين، الأولى نشاطها شمل أنحاء ألمانيا وتعرف "ألمانيا الفتاة"، وأخرى اقتصر نشاطها في الغرب من الأقاليم الراينية وهي التي عرفت باسم "المذهب الرايني الحر"⁽¹⁾.

وفي مجال الأدب تنكرت هذه الحركة لكل ما له علاقة بالرومانتيكية ونادت بالعودة إلى الواقع والعقل. أما من الجانب السياسي فعلمت على تحرير الفكر والفرد.

الشخصيات البارزة في الأدب الألماني في القرن التاسع عشر، خاصة بفضل مسرحياته موت دانتون وويك. انظر Armel Guerne, Les Romantiques allemands, Phébus, coll. « Libretto », 2004

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 373

ومن أهم الأعلام والكتاب الذين انتموا لهذه الحركة هم جماعة الوطنيين الأحرار الذين التفوا حول "منزل" وجريدة الصباح منهم الروائي وال كاتب المسرحي "جوتزكوف".

إلى جانب جماعة من الكتاب لم تجمعهم رابطة معينة أمثال "معلما لوب" والذي كان متأثرا بالسانسمونية و"ماندت" الذي كان ناقدا أدبيا وكلاهما من بروسيا، إضافة إلى جماعة أخرى من المنشغلين من الجامعات نذكر منهم "وينبارج"، دون أن ننسى "بورن" و"هايني" اللذان كانا من أصول يهودية. وكانا ينشطان خارج ألمانيا، ومن داخل ألمانيا جمع جوتزكوف أنصار "ألمانيا الفتاة" حول مجلة تحت اسم "المجلة الألمانية"⁽¹⁾.

وقد خضعت هذه الحركة في الميدان السياسي لنفوذ "بورن" لتنفصل عن السياسة على إثر حادث "هامباك" ثم لنفوذ "هايني"، على أن برنامجها لم يكن متقدما وإنما اتسم بالطابع النقدي الذي كان أبعد ما يكون عن السياسة.

والسؤال الجدير بالطرح ما قيمة هذه المدرسة من الناحية القومية، وفي هذا المجال تجرد الإشارة أولا إلى أن هذه الحركة قد اعتنقت مبدأ "الأممية"، فتخلوا بذلك عن كراهيتهم لفرنسا، وتجسد ذلك الشعور في منشورات وكتابات المدح لفرنسا عند كل من "بورن" و"هايني"⁽²⁾.

الشيء الذي قلب ضدهم أولئك الذين مازالوا محتفظين بالروح التي سادت الكفاح الوطني 1813م لعل أبرزهم "منزل"⁽³⁾، وتراشق الطرفان بالمنشورات كل طرف ضد الآخر نصرة لأفكاره

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 375

2- نفسه، ص. 373

3-Philippe Dewitte, 1830-1848. Les bannis de l'Allemagne, Hommes & Migrations , Année 2005, 1257 , pp. 29-33

لدرجة أن "منزل" أثار السلطات الحاكمة ضد ناشطي "ألمانيا الفتاة"⁽¹⁾، هذه الأخيرة التي راحت تخلط عمدا بين الأفكار القومية والمبادئ الحرة من جهة واعتبرتهما مبادئ ثورية، وبين "ألمانيا الفتاة" جماعة الأدب و"ألمانيا الفتاة" السياسية في سويسرا من جهة أخرى لتستصدر قرارا في 16 ديسمبر 1835م منع بموجبه صدور "المجلة الألمانية" وكل كتابات الآباء والمفكرين، وأثمرت هذه الإجراءات سريعا، حيث تخلّى الجامعيون والصحفيون عن هذه الحركة بعد تعرضهم للمضايقات والسجن، ليبقى نشاط الأدباء الذين كانوا ينشطون خارج ألمانيا⁽²⁾.

ولابد من الإشارة والتنويه إلى أن هذه الإجراءات كان لها تأثيرين أولهما أنها أظهرت أعلام ألمانيا الفتاة في صورة الشهداء لدرجة لم يعد هناك معنى لتلك الإجراءات من وجهة النظر الثقافية والمذهبية، وثانيا أنها أوقفت ذلك الحماس والاندفاع الذي صاحب هذه الحركة من الناحية المادية.

وإجمالا يمكن استخلاص النقاط التالية:

أن نشاط الحركة الفكرية في ألمانيا كان محدودا، إن لم نقل ضئيلا وأنها لم تكن في مستوى يسمح لها بالصمود أمام السلطات، واتسمت بالسطحية ولم يكن يوسع هؤلاء الكتاب تأسيس ما يصح تسميته بالمدرسة، وكان أن عملت الحركة الوطنية سنة 1840م على نحو ألمانيا الفتاة.

1- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 376

2 - Alexandre Dumas, Allemagne. Hongrie. Italie, Le Mois, n° 21, 1er septembre 1849, p. 2-11.

المبحث الخامس: ثورة 1848:

1- تطور عناصر الشعور القومي (1840م-1848م):

تطافرت جملة من العوامل والأسباب ساهمت في إعادة بعث الشعور القومي الألماني بعد تجربة مريعة وفاشلة في تحقيق مبتغى الألمان لإقامة وطن قومي جامع لهم، وإذا بحثنا في جملة هذه العوامل نجد:

1.1-العامل الخارجي:

وتمثل في الأزمة الشرقية 1840م التي نشبت بين محمد علي باشا مصر والسلطان العثماني وهي الأزمة التي شكلت منعرجا حاسما في العلاقة الفرنسية الراينية، وقطعت ذلك الخيط الرفيع الذي ربطهما طيلة الفترة التي سبقت الأزمة وكان ذلك على إثر مطالبة فرنسا يضم القسم الأيسر لإقليم الراين، وأدت هذه المطالبة بتأجيج روح الكفاح القديمة 1813م، وتزايد القلق مع خلو القسم الغربي للراين من السلاح وأي استعدادات عسكرية تذكر⁽¹⁾.

وتولد عن هذا القلق حركة فكر قوية ولأبعد حد، وسرعان ما ظهر أدب وطني أعاد إلى الأذهان أناشيد الحرب سنة 1813م ونذكر على سبيل المثال قصيدة "الراين الألماني" والتي اجتمع لتلحينها مائتان من الملحنين، وأنشودة "ألمانيا فوق الجميع" والتي صارت أنشودة الحرب التي تغنى بها الألمان في الحرب العالمية الأولى⁽²⁾.

1- شكري، المرجع السابق، ج 03، ص ص 386 - 388

2 -Robert A Kann, History of the Habsburg Empire: 1526-1918, Los Angeles, University of California Press, 1974, p. 421

وقد تجسدت اليقظة القومية والروح الوطنية في اتجاهات ذهنية وعاطفية في الأقاليم الراينية، وهي نفسها الأقاليم التي كانت تكن مشاريع المحبة لفرنسا، وتأكد الشعور القومي في إقليم الراين برفض الانضمام إلى فرنسا، وأكدت الصحف الراينية أن أطماع الفرنسيين وهمية لأن المقاطعات الراينية بلاد ألمانية⁽¹⁾.

وشكلت الأزمة الشرقية عاملاً هاماً في اتجاه إقليم الراين نحو بروسيا وهو نفس التحول الذي شهدته حركة الأحرار الراينية، كما أنها كانت قدر كبير من الأهمية بحيث أسهمت في إيقاظ الروح الوطنية التي كان يعتقد أنها قد خبت وانطفأت، وأثبتت أن كراهية الألمان للفرنسيين كان متغلغلاً في قلوب الألمان وهذه الأزمة طفت به إلى السطح⁽²⁾.

2.1- العامل القومي الاقتصادي:

أسفرت النهضة الاقتصادية التي شهدتها ألمانيا والأقاليم الراينية عن ظهور عامل آخر اصطلاح على تسميته "القومية الاقتصادية" والتي كان لها أثر كبير على الفكر والذهنيات الألمانية خاصة بعد 1840م فنشأت مدن صناعية على أنقاض القرى مثل "كولون سكسونيا"، "ليزج"، "برلين" وتزايد عدد السكان بشكل ملحوظ ومدت السكك الحديدية⁽³⁾.

1 -Thomas Nipperdey, Germany from Napoleon to Bismarck, 1800-1866, Princeton, Princeton University Press, 1996, p. 315

2 -Thomas Nipperdey, op. cit ;pp. 134-135

3 -Alan Sked, Decline and Fall of the Habsburg Empire 1815-1918, Londres, Longman, 2001, p. 222

وافتخر الألمان بهذا التطور الصناعي والنمو الاقتصادي، وسرعان نتج عن هذا الافتخار رغبة جامحة في التوسع الخارجي.

وكان "ليست فريديريك" هو منظر القومية في شكلها التوسعي الجديد وهو الذي ارتبط اسمه بتاريخ "الزولفرين" والذي كان قد هاجر إلى أمريكا بعد استبعاده بسبب تأييده للأفكار الحرة ليعود إلى ألمانيا 1832م بعدما تجسد نظام الزولفرين لكن ليس بالشكل الذي كان يراه ليست بأن يشمل هذا الأخير كامل ألمانيا بما في ذلك النمسا وهو عكس ما هدفت إليه بروسيا كخطوة موجه ضد النمسا، وجسد ليست أفكاره في مؤلفه المشهور عن "النظام القومي للاقتصاد السياسي" بحث فيه الشروط التي يجب توفرها من الناحية الاقتصادية في دولة حديثة النشأة، تسعى لأن تكون دولة كبرى في المستقبل ونوه إلى ضرورة الاستفادة من التجارب الأمريكية والفرنسية لتنمية صناعيتها وتقويتها⁽¹⁾.

كما سخط ليست على الاقتصاديين الأحرار الذين يؤسسون عالم الاقتصاد على ركيزتين: الفرد والمصلحة الفردية، ومن ثم المصلحة الاقتصادية المشتركة للجماعة البشرية في العالم، متجاهلين في ذلك وسيط اقتصادي مهم بين الفرد والجماعة البشرية وهو في وجه نظر ليست "الأمة" المشكلة من أفراد وكل فرد جزء منها ورخاء هذا الأخير مرهون بالقوة السياسية والاقتصادية للأمة⁽²⁾.

وكان ليست يرى أن الأمة ليست مجرد ارتباط روحي وسياسي وخلقي وأدبي يوحد التاريخ بل يتعداه إلى ارتباط اقتصادي، وهذا الأخير هو الذي يحدد مدى قوة الدول ونوع السياسة المنتهجة من طرف الدولة، وأكد ليست على أن الصناعة هي القوة الأساسية من بين كل القوى الإنتاجية لأن الإنتاج الصناعي يهدف تحفيز الأفراد على بلوغ أهدافهم وتدعوهم إلى التثبيت بالحرية ولا يقف أثرها

1 - Woodruff D. Smith, Politics and the sciences of culture in Germany, 1840-1920, New York, Oxford University Press, 1991, 298 p

2- شكري، المرجع السابق، ج 03، ص ص. 392-393

على خلق الثروة والغني، في الوقت الذي تسبب الزراعة الركود والخمول الذهني، وأن مهمة الدولة هي تنمية الصناعة ويتأتى ذلك بفرض نظام الحماية التجارية أو الجمركية، والحماية التي طالب بها ليست ليست مطلقة وأنها الوسيلة التي تقف بها ألمانيا ضد إنجلترا وأنه يتوجب على هذه الحماية التوقف وعندما تصل الأمة إلى الدرجة المنشودة⁽¹⁾.

فحمل ليست الدولة مسؤولية الاضطلاع بدور هام في الحركة الصناعية، ففي الوقت الذي هي مسؤولة عن الوحدة السياسية، لابد أن تكون مسؤولة أيضا عن تحقيق الوحدة الاقتصادية وحمايتها من خلال مد السكك الحديدية، تداول العملة، إنشاء المصارف، وعلى عكس الاقتصاديين الأحرار أعطى ليست سلطة تدخل كبيرة للدولة في الحياة الاقتصادية، وكان يعتقد أن ألمانيا امتلكت كل عناصر القوة الاقتصادية ولم يكن ينقصها إلى الاتحاد للتمكن من الدفاع عن نفسها ضد الأجانب، وقرن ذلك بزيادة سلطتها الاقتصادي غربا على حساب هولندا وبلجيكا والدنمارك⁽²⁾، وشرقا على حساب المجر "هنغاريا"، وأن ألمانيا حباها الله برسالة مفادها إدارة شؤون العالم وتمدين البلاد المتوحشة وهذا ما يدعو للعجب، فكيف تسيطر على أذهان الألمان أحلام الوحدة الكاملة والسيطرة السياسية والاقتصادية على العالم كله في الوقت الذي لم يكن فيه وجود لألمانيا سياسيا واقتصاديا.

1 -François G. Dreyfus, Économie et politique dans les Allemagnes pendant la première moitié du XIXe siècle , Annales. Economies, sociétés, civilisations. 18^e année, n°. 2, 1963.

2 -Christof Dipper, Die Bauernbefreiung in Deutschland 1790-1850, Stuttgart, 1980,p. 123

3.1- نشاط الجامعيين:

لم تكن جماعة "ألمانيا الفتاة" هي التي أدخلت الفكر القومي في برنامج الأحرار كما ساد الاعتقاد بل الفضل يعود للجامعيين الذين تزعموا الحركة الألمانية وعلى رأسهم المؤرخون بالقانونيون، ولعل أبرز هؤلاء "داهلمان" و"جرفينوس"⁽¹⁾.

وأما "فردريك كريستوف داهلمان" ف قضى شبابه في الدانمارك اشتغل أستاذا بجامعة كيسل في ألمانيا ليعود إلى الدانمارك في 1812م، ليصبح سكرتيرا لوفد شنرويج هولشتين لدى دياط فراكنفورت وهي الدوقيتان اللتان رغبتا في استمرار اتحادهما في الوقت الذي كانت الدانمارك تطالب بضم شنرويج باعتبارها جزء من أراضيها.

وكان داهلمان يؤيد عدم انفصالها ولعب دورا هاما في تأجيج الخواطر ضد الدانمارك في الوقت الذي كانت فيه في فراكنفورت وكان نتيجة هذا التأجيج أن ظهرت "وطنية ألمانية" متخذا في ذلك صحيفة لاقت صيتا كبيرا وإن لم تدم طويل وهي صحيفة "كيسيل"⁽²⁾.

ومما ساهم في ذيع شهرته العلمية نشره لبحوثه في تاريخ ألمانيا والذي تناول فيه التوسع الإقليمي لألمانيا على مر العصور، في (1822م- 1823م) ليؤكد نوع هذا التوسع في بحث واسع سنة 1830م لينال شهرة واسعة⁽³⁾.

وقد كان داهلمان "واقعيًا" يستند على الوثائق في بحوثه، وفي الوقت نفسه مذهبيا متعصبا لآرائه ولا يحيد عن مبادئه وظهر ذلك جليا في الشؤون السياسية ليصدر منشورا آخر نال شهرة واسعة أيضا

1 -Otto Rühle, op. cit, pp. 155

2 -idem

3- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 398

في 1835م عن السياسة وأوضح فيها أن الواجب يقتضي على الدول الألمانية التجمع حول بروسيا عندما تتحول إلى دولة تعتنق المبادئ الحرة.

واتسم إنتاج دهلمان بالطابع السياسي إلى جانب كونه تاريخي ابتداء من سنة 1840م وظهرت ذلك في ثلاثة مجلدات في تاريخ الدانمارك مشبع بالروح القومية الألمانية وكذا مؤلف عن تاريخ الثورة في إنجلترا في 1844م، وفي عام 1845م تاريخاً للثورة الفرنسية⁽¹⁾.

في حين كان الزعيم الثاني لهذه الحركة القومية الجديدة ألا وهو جورج جرفينوس، والذي لم يكن برجوازيًا على فرار "دهلمان" وإنما كان ينتمي إلى الطبقات الشعبية، بدأ حياته بالتجارة لتخلي عنها للالتحاق بالجامعة ليتخرج منها بدرجة دكتوراه في 1830م ليتقلد منصب أستاذ بجامعة "هايدلبرج" ثم بجامعة "جوتنجن" ليقصى منها مع زميله دهلمان عام 1837م.

وفي سنة 1835م كتب "جرفينوس" عن تاريخ الشعر الألماني، في خمسة أجزاء وجه إلى الشباب الألماني ليوجهه نحو الواقعية والاهتمام بالشؤون السياسية، وأن الأدب إن ولى وقته، والهدف الثاني هو إثباته أنه من الواجب على ألمانيا أن تحتل مكانا مرموقا في السياسة كما احتلته في عالم الفكر.

وتوجه جرفينوس بعد 1845م بشكل واضح للكتابة في الشأن السياسي ورغم أنه لم يكن موهوبا مثل "دهلمان" إلا أنه كان يوحى بالثقة في تفكيره التي تعصبا لآرائه مقارنة بـ "دهلمان"⁽²⁾، وأكثر

1-Dahlmann, Friedrich Christoph". Encyclopedia Britannica. 7 (11th ed.). Cambridge University Press. pp. 732-733.

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 399-401

تأييدا للحرية منه وقبل أن تصنع بروسيا ألمانيا شريطة أن تدين بالمبادئ الحرة، دون أن ننسى بالذكر المؤرخ "دريزن Johann Gustav Droysen" (1).

وقد كان لهذه الدعاية آثارا فاقت بكثير من قيمها تلك التي أسفرت عنها الدعاية في الدول الأخرى، والملاحظ أن هؤلاء الدعاة عنوا عناية كبيرة بالقومية الألمانية أكبر من عنايتهم بالحرية.

والتف حول هؤلاء الأساتذة جماعة من الكتاب من كل الفرق والأحزاب في ألمانيا لخدمة هذا العرض المشترك أمثال "فراز ديتجلشتد" الشاعر الحمسي، والشاعر الهانوفري "فون فالرسيلبين" صاحب أنشودة ألمانيا فوق الجميع والذي سيلعب دورا بارزا في ثورة 1848م (2).

وأهم ما جمع هؤلاء شعور الكراهية للاستبداد والعاطفة المتقدمة للقومية ترجمت في عدة منشورات وقصائد رغم الرقابة المتشددة، واستصدر "جرفينوس" في 1848م "الفاريتة" أو الصحيفة الألمانية للترويج لآراء جماعته وتجلي واضحا من إنشاء هذه الجريدة امتزاج الحرية والقومية.

1- هو مؤرخ وسياسي ألماني (1808 م - 1884 م) لعب دورًا مهمًا في حركة الوحدة الألمانية، وعرف بمؤلفه (تاريخ بروسيا السياسي) (14 مجلدًا)، كان لإيمان دريزن بمصير بروسيا لقيادة ألمانيا أثر واضح على حركة الوحدة الألمانية، والتي عاش ليرها. ومن المفارقات، أن وطنيته البروسية المتحمسة لم تنقذه من الوقوع في الكراهية بعد الأحداث الثورية لعام 1848، لأن وجهات نظره الأخرى كانت ليبرالية وفردية بشكل عام. انظر الدراسة النقدية لمؤلفات دريزن: Benedetto Bravo, Philologie, histoire, philosophie de l'histoire. Etude sur J. G. Droysen historien de l'Antiquité, Varsovie, 1968

2- يمكن العودة الى هذا النشاط من خلال هذه الدراسة

Wolfgang von Hippel, Revolution im deutschen Südwesten. Das Großherzogtum Baden 1848/49, Stuttgart, Kohlhammer, 1998

ولقد تشكلت إلى جانب هذه الحركة وبالأصح يسارها حركة راديكالية انتهت بها المطاف إلى الاشتراكية وخرجت هذه الحركة من جناح الهيكلية اليسارية، وكان لسان حالها "حوليات هال للعلوم والفنون الألمانية" تحت إشراف الهيجلي اليساري "أرنولد روج" هذا في الشرق، أما في الغرب فتأسست "الفازيتة الراينية" للسياسة والتجارة والصناعة⁽¹⁾. في كولون لتؤدي في الغرب نفس المهمة التي أدتها حوليات هال في الشرق لتكون تحت إشراف "أرنست يونجتر".

وكان لهؤلاء الراديكاليون نادي تحت اسم "الرجال الأحرار"، وتميزوا بعدائهم للمسيحية واستمدت قوتها من الخارج بفضل اللاجئين الذين كانوا يغذونها وخاصة من فرنسا وكان في مظاهر هذه التغذية إصدار صحيفة بعنوان "إلى الأمام" وإنشاء نادي أطلق عليه "نادي العدول" وعنوا عشية ثورة 1848م بتأسيس حلف الشيوعيين وتتابع على قيادة هذه الحركة على التوالي "ولهلم وايتلنج" ثم "فريدريك إنجلز" وأخيرا "كارل ماركس"، واستندوا في أفكارهم إلى المبادئ الحرة القومية التي انتشرت في فرنسا⁽²⁾، بالرغم من العداء الذي كانوا يكنونه للفرنسيين.

والملاحظ أن هذه الأفكار الراديكالية وجدت طريقها للتغلغل في الأوساط الألمانية بل وصلت إلى الطبقات الدنيا في المجتمع الألماني وتزايد أثر هذه الحركة الراديكالية والاشتراكية بسبب الأزمة الاقتصادية التي ظهرت في 1846م.

1 - Pierre Ayçoberry, op. cit ;p. 361

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 402

وتعدت الآراء المطالبة بالتجديد أهل الفكر والمثقفين لتشمل رجال السياسة على الرغم من أنهم كانت تعوزهم الشجاعة فاقترصت مطالبهم على إصلاح الاتحاد الكنفدرالي القائم منذ 1815م وتحويله إلى اتحاد فدرالي وكان زعيم هذه الجماعة "فون جاجرن" الذي سيكون من بين زعماء حركة 1848م⁽¹⁾. وبالموازاة نجد نشاط المدرسة التقليدية التي كان من بين أهم زعمائها "فون هالر" التي اعتمدت على دروس "فون رانكة" التاريخية، وعرف هؤلاء بالمحافظين القوميين الذين يؤمنون بأن وحدة ألمانيا ممكنة خارج الإيديولوجية الثورية، ولكن بالاعتماد على النبلاء والحكومة مازجين في ذلك بين فكرة القومية الألمانية والقومية البروسية⁽²⁾.

4.1- قيام حكومة فريدريك وليم الرابع Friedrich Wilhelm IV وتوجهاتها القومية:

وتزامن اعتقاله عرش بروسيا مع انفجار أزمة 1840م حيث أفصح الفرنسيون عن أطماعهم في إقليم الراين وألمانيا الغربية حيث أبدى تعاطفا مع الآراء الألمانية، وانضم إلى الحركة المؤيدة للحرب. وكان لإقامة فريدريك وليم⁽³⁾ في الأقاليم الراينية عندما كان وليا للعهد فرصة لاحتكاكه بالمجتمع الجديد⁽⁴⁾.

1- نفسه، ص. 407

2 - Michel Kerautret, Histoire de la Prusse, Seuil, 2005, p. 174

3- فريدريش فيلهلم الرابع (1795 - 1861) الابن الأكبر وخليفة فريدريش فيلهلم الثالث ملك بروسيا، حكم ملكاً لبروسيا بين عامي 1840-1861. وكان في اتحاد شخصي كأمر السيد لإمارة نوشاتيل (1840-1857). ولقب بـ "الرومانسي على العرش"، اشتهر بالعديد من المباني التي شيدها في برلين وبوتسدام، وكذلك لرعايته للانتهاء من كاتدرائية كولونيا القوطية. في اراءه السياسية كان محافظا ورفض بشكل قاطع تسميته بلقب الإمبراطور الألماني عرض تقدم به برلمان فرانكفورت في 1849، انظر:

Michel Kerautret, Histoire de la Prusse, Paris, Editions du Seuil, 2010, 509 p

4 - Michel Kerautret, op. cit. p. 151-152

كما دفعت الإجراءات التي اتبعتها على الاعتقاد على أن حكما قائما على المبادئ الحرة سوف يسود في بروسيا منها إصدار العفو عن الأحرار الذين تعرضوا للسجن، تخفيف صرامة الرقابة في سبتمبر 1841م، علنية جلسات الديايط، اجتماع مجلس الديايط مرة كل سنتين، على أن تبث بمندوبين إلى برلين لعرض رغباتهم على الملك وترتب عن هذا أن تشكلت حركة جديدة على المبادئ الحرة في إقليم الراين⁽¹⁾. مفادها أن بروسيا ستدين بالمبدأ الحر إلى جانب اختفاء فكرة المحلية أو الإقليمية، حيث عدل الراينيون عن تمسكهم بالأنظمة والقوانين الفرنسية ومعارضتهم الاندماج في دولة بروسيا، وأضحوا يريدون تقدم إقليمهم في نطاق الدولة البروسية، بل وراحوا يربطون علاقات مع باقي الأقاليم البروسية، ويتبعون كل مناقشات المجالس الإقليمية، وإصدارات الأحرار فيها منها كراسة الطبيب اليهودي "جاكوبي" بعنوان "أسئلة أربعة" يجيب عنها بروسي من الشرق⁽²⁾، وكراسة "فون شون" بعنوان "من أين وإلى أين؟"⁽³⁾ مضمونها يدور حول تأسيس برلمان بروسي والتنبؤ بالمجد الذي ينتظر بروسيا عند أخذها بالمبادئ الحرة.

وقد ظهرت في ألمانيا ثلاثة أفكار، تزعم الأولى "هانسيما" ⁽⁴⁾ رئيس الغرفة التجارية في اكس لاشايل وكأحد رجال الأعمال والإدارة في إقليم الراين سعى إلى ربط البرجوازية الرأسمالية بالدولة شارحا برنامجه في جريدة "اكس لاشايل"، وكانت الثانية بزعامة "مفيدسين" والتي اهتمت بالمشكلات

1 - Alfred Georg Frei et Kurt Hochstuhl, Wegbereiter der Demokratie. Die badische Revolution 1848/49. Der Traum von der Freiheit, Karlsruhe, G. Braun, 1997,p.

2- شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 410-409

3- نفسه، ص. 410

4 - Christian Jansen et Thomas Mergel (dir.), Die Revolutionen von 1848/49. Erfahrung - Verarbeitung - Deutung, Göttingen, Vandenhoeck & Ruprecht, 1998,pp. 118-119

الاجتماعية فأنشأ هذا الأخير علاقات مع كارل ماركس⁽¹⁾، ودعا لإنشاء نقابات عمالية، وعلى النقيض، مما كان عليه الأحرار من قبل فقد صاروا الآن يطالبون تدخل الدولة في الشئون العامة، فكان "مفدسين" هو مبتكر ما صار يعرف اليوم باسم "الاقتصاد الموجه"، وكانت "صحيفة الراين" لسان حالها والتي كان كارل ماركس أحد محرريها⁽²⁾.

أما التفكير الثالث فظهر في الأوساط التجارية والملاحية في إقليم الراين، واستند على المبادئ الحرة في الشئون السياسية وعلى التبادل التجاري الحر في الاقتصاد، وكان زعيم هذه الحركة الاقتصادية "لودولف كامبهاوسن" والذي كان رئيس الغرفة التجارية في كولون، والذي ظل يدعو لفتح طريق الراين للتجارة وحرية التبادل مرتكزين في ذلك على قيمة الأثر الذي يحدثه الاقتصاد من الناحية القومية، وضرورة قيام وحدتها على أساس اقتصادي متفق في ذلك مع "ليست"⁽³⁾.

والجدير بالذكر أن فكرة القومية لدى هؤلاء الأحرار ارتبطت ارتباطا وثيقا بفكرة التوسع أو الإمبريالية وأن القومية الألمانية هي العظمة الألمانية الخارجية وهذه الفكرة هي التي أوحى إلى الألمان بفكرة الوحدة الوطنية السياسية⁽⁴⁾. ومنه اختلفت الروح الإقليمية لدى الألمان وصار الراينيون يسرون جنبا إلى جنب مع بروسيا كي يصنعوا ألمانيا⁽⁵⁾.

1 -Heinrich August Winkler, Histoire de l'Allemagne XIXe-XXe siècle: Le long chemin vers l'Occident, trad. Odile Demange, Paris, Fayard, 2005, pp. 648-653

2 -Thomas Nipperdey, op. cit;pp. 210-211

3 -Thomas Nipperdey, op. cit;vpp. 209

4-شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 412

5-نفسه، ص. 413

ثم حدث أن أفاق الألمان على أن الملك فريدريك وليم والذي عقدوا عليه آمالا كبيرة لتحقيق الوحدة لم يكن الرجل الذي تخيله الألمان وذلك لأنه كان غامضا في آرائه وعواطفه الجياشة كان مبعثها كونه "رومانتيكيا" والعبارات المحفزة والرنانة التي كان يتلفظ بها كان من باب البلاغة والبيان ليس إلا، ثم إنه كان يرد كل شيء إلى أصله التاريخي وعلى الرغم من أنه كان يدين بالمذهب القومي إلا أنه رسم صورة لألمانيا الموحدة مخالفة لتلك التي أرادها الألمان الأحرار، لأن الرايخ أو الإمبراطورية التي أرادها تقوم على قاعدة تاريخية مفادها الاحتفاظ بالنمسا على رأس الرايخ الألماني بدعوى أنه استندت على حق تاريخي في تزعمها وقيادتها لألمانيا⁽¹⁾.

وهكذا وبعد مرور زمن تبين أن الأحرار كانوا مخدوعين في ملك بروسيا وبالتالي تبددت الآمال التي عقدوها عليه وظهر ذلك جليا في حوادث 1848م، وانتهى الأمر بوليم فردريك إلى إنشاء دياك موحد لألمانيا يضم كل الديانات في ألمانيا "لاندتاج" Landtag⁽²⁾، والذي كانت صلاحياته محدودة وطبقة، ومنه اتضح أن هذا الإصلاح كان من دون قيمة تذكر، خاصة عندما أكد الملك في خطاب افتتاح "الاندتاج" على حقوقه الملكية، وقد دل على الديايط الموحد مع وجود الملك أن بروسيا القديمة قد اختفت.

5.1-مسألة شلزويج هولشتين:

أثيرت مسألة شلزويج هولشتين بتزكية من أساتذة جامعة "كييل" الذين استنهضوا أهالي الدوقيتين للمطالبة بالانضمام إلى الاتحاد الألماني والاستقلال عن الدانمارك، وقويت هذه الحركة ضد الدانمارك منذ

1 -Hagen Schluz, The course of German nationalism: from Frederick the Great to Bismarck, 1763-1867, Cambridge & New York, Cambridge University Press, 1991, p. 93

2 -Hagen Schluz,op. cit;p. 94

1840م، بفضل أساتذة آخرين ومن نفس الجامعة نذكر منها: درويزن، ونيقولا فالك الذي خلف "درويزن" في تزعم الوطنيين في الدوقيتين بعد رحيله سنة 1829م الى جامعة جوتنجن⁽¹⁾

وكانت مسألة حقوق وراثه الحكم في الدوقيتين مسألة أثارت الألمان من حيث أن ملك الدانمارك اقترح وفي غياب وريث شرعي للعرش حلا لموضوع الوراثة يقضي إلى اقتسام الدوقيتين بشكل يدمج شلزويج في الدانمارك، مما أثار استياء الألمان في كل أنحاء الاتحاد الكونفدرالي الألماني⁽²⁾ وتعالى الأصوات بعدم التخلي عن دوقية هولشتاين لأن ذلك سيفقدتهم بحر البلطيق، كما أفقدوا بحر الشمال من طرف الإنجليز والبلجيكيين والهولنديين، وفي هذا الصدد عقد مؤتمر في "كويك"⁽³⁾ بمشاركة كل من جاكوب وويلهلم جريم والمؤرخ داهلمان⁽⁴⁾ مطالبين بضم الشلزويج وهولشتاين إلى ألمانيا.

02- ثورة 1848:

لم تكن ألمانيا افضل حالا عن غيرها من الدول الاوربية سواء من حيث التفكك واستماتة النظام الرجعي فيها، لكن إمارتها وبخاصة في الجنوب الغربي أصبحت ذات نظم دستورية، لكن أنظمة الحكم الرجعية السلطانية كانت قطب القوة في المجال وتأثرت بالآراء الحرة حتى منذ حروب نابليون، فأصبحت تعمل على تنمية الوعي القومي بها للوحدة، فقامت الحركة في ألمانيا على الرغبة القوية لتحقيق الوحدة

1-Hagen Schluz, op. cit; p. 95-96

2-James J. Sheehan, German history 1770-1866, Oxford, Oxford University Press, coll. « Oxford History of Modern Europe », 1989, p. 781.

3 -James J. Sheehan, op. cit; pp. 783-784

4-شكري، المرجع السابق، ج 03 ص. 413.

القوية المقترنة بالإيمان الراسخ بأن الاتجاهات التحررية سوف تحقق هذه الغاية¹. ووجدت هذه النزاعات بين الأساتذة والطلاب الذين باتوا يحلمون بالوحدة وبين العمال الراغبين في التمتع بحق الاقتراع والفلاحين التواقين إلى القضاء على الحقوق الإقطاعية ولقد آمن الأحرار والثوريون طويلا بأن ألمانيا بحاجة إلى أشياء ثلاثة: حرية الرأي والصحافة، حكومة برلمانية، ودستور قومي اتحادي، بدلا من بنيان الاتحاد الألماني².

وقد وضعت قضية الاتحاد الألماني على بساط البحث في فيينا، اقترحت بروسيا أن يكون هذا الاتحاد على النمط الذي سارت عليه الولايات المتحدة الأمريكية، فاعترضت النمسا لأنها عرفت انه يستحيل إدخال جميع ممتلكاتها في اتحاد ألماني، رغم أنه في البداية اختلف النواب في قضية انضمام النمسا إلى هذا الاتحاد، جرى هذا في مؤتمر فرانكفورت، وتكون اتحاد قمع الأمراء لا الشعوب، ودخله كل من له في أرض ألمانيا حصة أو نصيب، وقد تأكد الأحرار أن هذا الاتحاد فاشل من أوله بسبب تنافس الأمراء عليه، وانشغال كل واحد منهم لنفسه، لا للبلاد الألمانية، وقامت آمالهم في الحصول على الوحدة، وضاعت أمانيتهم القومية التي بعثتها في نفوسهم حروب نابليون وقتلتها مؤتمر فيينا³.

انضم الطلاب إلى الحركات العنيفة التي كان يقوم بها الأحرار ضد الحكم الرجعي، وشكلوا الجمعيات التأسيسية التي تدعوا إلى توحيد البلاد وعدم التقييم والتبعية لأحد، وقد ساعدت عدة أمور

1 -Hamerow, Theodore S. **History and the German Revolution of 1848**. American Historical Review 60. 1 (1954): 27-44

2 -Hamerow, op, cit. p. 35

3 -Ibid, p 35.

في توحيد البلاد منها "الزلفرين" والاتحاد الجمركي¹.

كما أن وجودها في رئاسة الاتحاد الألماني شل ذلك الاتحاد، وقذف ببروسيا إلى جانب الطريق، وفي عام 1848 ثار الشعب في فيينا على الحكومة الرجعية، فلاذ مترنيخ بالفرار وأخذت التي وضعها المقاومة الإصلاح تنهار الواحدة تلو الأخرى، ولم ينته الشهر حتى سمح الإمبراطور الضعيف لبوهيميا والمجر سن دساتير لنفسها، ضمنتا بأكمل آمال الأحرار، وإيجاد برلمان لكل واحدة، أما المقاطعات النمساوية فوعدت بمثل تلك الامتيازات على أنه لم تبد أي واحدة منها ميلا للانفصال عن الحكم النمساوي².

وقد توالى النكبات على النمسا بعد سقوط مترنيخ فخذلت مرة أخرى، أما إيطاليا فأثناء قيامها بتكوين وحدتها القومية خذلت أمام ألمانيا في الحرب التي أثارها بسمارك عليها لتشييد الوحدة الألمانية³.

كان الضغط على الحريات العامة للشعوب النمساوية يزداد شيئا فشيئا مما أدى إلى الانفجار الثوري، وحصلت ثورة حرة تطالب بالقضاء على الحكم المطلق في فيينا نفسها وذلك في 13 مارس 1848 حيث تظاهر الطلاب والعمال واحتلوا الثكنات وقصر الإمبراطورية، واجتمع المجلس الاستشاري، وقرر رفع طلب عام إلى الإمبراطور "فرديناند" لإقالة مترنيخ على أساس أن الثورة كانت ضده كما اتخذوا قرارا بانتخاب مجلس تأسيسي يضع الدستور للبلاد، ولكن عندما قوي ساعد الإمبراطور هاجم

1 - Pierre Ayçoberry, L'Unité Allemande, 1800-1871, Presses universitaires de France, 1968, , p. 104

2 - Ayçoberry, op, cit, pp. 107-109

3 - François-Georges Dreyfus, L'unité allemande, Presses universitaires de France, 1993, p. 98

معقل الثائرين بمدينة فيينا في أواخر سبتمبر من نفس السنة، وانتقم من الأحرار، ثم تنازل عن العرش لابن أخيه "فرنسوا جوزيف"، الذي تدخل في أعمال المجلس التأسيسي وهكذا رجعت النمسا إلى أوضاعها السالفة من الحكم الاستبدادي، وقد اضطرت أيضا بعد الضربات التي عانت منها النمسا إلى تغيير سياستها في أوروبا¹.

كانت الحواجز الجمركية فيما سبق تقطع وتمنع مرور التجارة، لكن بروسيا شرعت بهدم الحواجز وبقيت النمسا سنة 1848 وسقوط ميترنيخ وقيام إيطاليا ضدها، فأعلنوا الثورة وصمموا أكثر على تكوين الاتحاد المنشود، وفي نهاية عام 1848 كانت الحالة تبشر بحبس النتائج، فالجر وبوهيميا نالت دستورا، والمقاطعات النمساوية كانت تنتظر الدستور الذي وعدت به².

فهمت نار الثورة في برلين في 18 مارس 1848، واحتدم القتال في شوارع المدينة بين شعبها الثائر والجند، على أن المعركة لم تدم في الوضع الذي بدأت فيه، إذ أن الملك قد سحب جنده، وأجاب الأحرار الثائرين إلى مطالبهم الرئيسية، ومنها تشكيل برلمان دستوري يقوم على الانتخابات الحرة، وعم الفرح طبقات الأحرار في بروسيا، إذ رأوا فيما حققه الثائرون انتصارا لقضيتهم، وتأييدا للخطوة الأولى في سبيل بناء الدستور.

أدى صعود بروسيا إلى منافسة شديدة بينها وبين النمسا المتعددة القوميات، عرفت المرحلة خضوع المنطقة الى ازدواجية القوى، وقد خلفت ثورة 1848 انعكاسات كبيرة، فعلى الصعيد الاجتماعي فقد استمرت بعض القيود الإقطاعية ذات جذور عميقة في وسط ألمانيا وشرقها، وبدأت النهضة الصناعية تضرب جذورا في الغرب، وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن ثورات مارس من

1 - جرانت أ. ج وتمبرلي هارولد، مرجع سابق، ص ص. 145.

2 - Bartlett C. J. : Peace , War and the European Powers, 1814- 1914, Brief over view, pp. 200-201

العام 1848 في الدويلات الألمانية لم تكن سلعة فرنسية مستوردة تماما، على الرغم من الشرارة الكهربائية كانت من فرنسا.

وقد دعا دعاة الإصلاح إلى عقد مؤتمر في فرانكفورت، على ضفاف نهر "الأودر" بعد أن انتشرت الثورة في المدن الألمانية، وعرف الاجتماع بالبرلمان التمهيدي". وقد واجهت الحركة الإصلاحية معضلتين متداخلتين أساسيتين هما: المسألة القومية التي تمثلت في إقامة اتحاد سياسي لجمع دول ألمانيا، وإصلاح دستوري يتم على أرضيته توحيد دول ألمانيا ككيان سياسي واحد، ودعا البرلمان التمهيدي إلى ضم أعضاء وممثلي الدول والدويلات الألمانية أيضا، وفي الواقع مثلوا أنظمتها القائمة، وسرعان ما أبدت معارضة شديدة لإقامة نظام حكم دستوري كما ارتاه المجتمعون في فرانكفورت. ومثل برلمان فرانكفورت شرائح الشعوب الألمانية، لكنه بقي هيئة بلا قوة تحميه، مقابل ذلك تمكنت الشعوب التي تتحكم بها المنظمة السلطانية وأخذت زمام المبادرة لإصلاحات فوقية كما حدث في بروسيا والعديد من الممالك الألمانية، ما عكس تداعيات ثورات 1848-1849 غير المباشرة.

الفصل السابع

تطور المبادئ القومية الألمانية 1859 – 1870 وتحقيق الوحدة

المبحث الأول: الوضع الألماني والمسائل القومية الى حدود 1859.

المبحث الثاني: الحركة القومية الألمانية من 1863م-1865م.

المبحث الثالث: حروب بسمارك في طريق الوحدة الألمانية.

المبحث الرابع: انعكاسات الوحدة الألمانية على مواقف الدول الأوربية الكبرى.

المبحث الخامس: خطط بسمارك لتثبيت الوحدة القومية.

بعد ان تطرقت الى الوضع العام لألمانيا من مؤتمر فيينا 1815 وصولا لفشل ثورتها سنة 1848، سأخصص هذا الفصل لتناول المسائل القومية الألمانية ما بين 1850 و1870، ولا شك ان الزخم الثوري ظل يدفع بالألمان نحو تحقيق أهدافهم القومية والوحدوية، خاصة بظهور شخصيات قومية من طينة بسمارك.

المبحث الأول: الوضع الألماني والمسائل القومية الى حدود 1859:

تطرقنا في السابق إلى الدول الألمانية التي تشكلت بموجب معاهدات 1815م والتي بلغ عددها 38 دولة في شكل اتحاد كونفدرالي، وألفت هذه الدول لدراسة قضاياها هيئات مركزية أو مجالس عرفت بـ "الدييات" ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل كان بالإمكان لهذا الاتحاد أن يعمل أو أن تحل محله دولة ألمانية واحدة، مع التنويه إلى أن المصالح الجماعية لها لم تكن محمية لأنه لم يكن بمقدوره إعداد جيش واقتصر النظام الدفاعي فيها على إنشاء بعض الحصون الاتحادية، ومنه ساد عند الرأي العام في ألمانيا عجز النظام القائم على تأمين وضع كافٍ على الصعيد الدولي⁽¹⁾.

فظهرت محاولة لتغيير هذا النظام في 1848م وذلك بأن تشكل إمبراطورية اتحادية من الدول الألمانية بعيدا عن النمسا بمعنى محافظة كل دولة على سيادتها في بعض القضايا على أن ترجع لحكومة الإمبراطورية الألمانية في قضايا الدفاع القومي والسياسة الخارجية والعلاقات الاقتصادية⁽²⁾.

لكن الأمر فشل بسبب رفض ملك بروسيا واشترائه أن يكون الاتحاد تحت إرادته مما أدى إلى التراجع عن خطة الوحدة الألمانية وهو ما اصطلح على تسميته بـ "تراجع أولمتر"، وبالتالي طرحت مسألة

1 -Paul Colonge, A. Allain (dir.), M. Dupont (dir.) et M. Hearn (dir.), Les fédéralismes, Villeneuve d'Ascq, Septentrion, 1996, p. 110

2 -Jean Berenger et C. Simpson, A History of the Habsburg Empire 1700-1918. , New York, Longman, 1997, pp. 76-77

غداة تراجع أولمتر وهي هل بالإمكان تتناول محاولة الوحدة التي تمت في 1848م و1849م في نفس الشكل أو ستأخذ شكلا آخر، لكن قبل ذلك لابد من تسليط الضوء على أوضاع ألمانيا بعد. .. . وعلى اليقظة القومية التي ظهرت بوادرها في 1859م.

1-إنشاء الاتحاد الكونفدرالي الجرمانى في 1850:

شكلت الدعوة الى انشاء اتحاد كونفدرالى جرمانى صدى واسع بين الامارات والدويلات الألمانية، ولقد نظر الكثير من ساسة ألمانيا وحتى الاحرار الوطنيون إلى هذه القضية من جانبين، جانب سياسي وجانب اقتصادي:

- أولا تناول وجهة النظر السياسية، وفحواها هل يعاد إنشاء اتحاد كونفدرالى بالشكل الذي كان عليه قبل ثورة 1848م أو لا.

- ومن وجهة النظر الاقتصادية ففحواها هل سيوسع اتحاد الزولفرين الذي أنشأ في بروسيا في 1834م ليشمل النمسا ثانيا.

وما هي الشروط التي توضع فيها هذه القضايا إذا ما سلمنا بعودة النظام الرجعي عقب فشل حركة 1848م-1849م، وعدم احتكام الرأي العام لأية وسيلة عمل على الرغم من أنه كان يشكل قوة كبيرة، وفي الجانب النمساوي فإن النظام الوحيد الذي كان سائدا افتقر لهيئة تمثيلية مع انعدام حرية الصحافة، مع نظام رقابة صارم⁽¹⁾.

1 -Jonathan Sperber, The European Revolutions, 1848-1851, Cambridge, Cambridge University Press, coll. « New Approaches to European History », 1994, p. 103.

أما في بروسيا فالبرغم من التصويت على دستور للبلاد في 1848م وعدل في 1850م ومع ذلك ساد النظام الاستبدادي، وتضييق الحريات العامة⁽¹⁾، وشددت الرقابة البوليسية حتى على الحياة والمراسلات الخاصة، كما ألغيت الإصلاحات التي طرأت أثناء ثورة 1848م في باقي الدول الألمانية إذا ما استثنينا بافاريا، على انه في فرانكفورت قرر الديات إنشاء لجنة لمراقبة السياسة الداخلية في الدول الألمانية سميت "اللجنة الرجعية" خولت لها صلاحيات التدخل لإعادة الأمن وتوطيد النظام في حالة أي اضطرابات، ومما سبق فقد ارتبطت قضايا التعمير والإنشاء بالحكومات دون تدخل حركة الرأي العام⁽²⁾.

1.1- البناء السياسي:

عقد مؤتمر في "درسدن" (1850م- 1851م) لدراسة إنشاء الاتحاد الكونفدرالي وطرح فيه مشروع إدخال النمسا في هذا الاتحاد وأرادت النمسا وضع حكومة إدارة على رأس هذا الاتحاد يكون رئيسه مندوب النمسا. لكن المشروع عورض من طرف الدول الألمانية الوسطى وبروسيا، مما أفضى بعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الثورة والتجديد الوحيد هو توقيع معاهدة تحالف بين بروسيا والنمسا في 16 ماي 1851م لتبقى سارية المفعول لمدة 3 سنوات فقط⁽³⁾. ومنه فإن هذا المؤتمر لم يفض إلى نتائج تذكر في الوقت الذي تأمل منه الألمان شيئا آخر.

وظلت المنافسة قائمة بين النمسا وبروسيا إلى 1859م واتخذت هذه الأخيرة طابعا شخصيا بين ممثل النمسا رئيس الديات "الكونت تون" وممثل بروسيا "بسمارك" الذي تمتع بنفوذ قوي في الديات

1 -ibid. p. 104

2- حاطوم، المرجع السابق، ج 03، ص. 15

3 -Geoffrey Wawro, The Austro-Prussian War: Austria's War with Prussia and Italy in 1866, Cambridge, Cambridge University Press, 1996, p. 123

والحكومة البروسية، وكانت نتيجة هذا التنافس شل البرلمان تماما وظهر ذلك جليا في قضية الأسطول الحربي، حيث فكرت الحكومة الألمانية في إنشاءه أثناء ثورة 1848م في الحرب ضد الدانمارك فاختلف حول شكل دفع التكاليف خاصة بعد عزوف الدول الألمانية الجنوبية بحجة أن ليس لها سواحل وينتهي الأمر ببيع الأسطول في المزاد العلني عندما لم تتوصل الأطراف إلى حل وهو دليل على عجز الاتحاد والدييات معا⁽¹⁾.

2.1- البناء الاقتصادي:

والمشكلة المطروحة في هذا الجانب هي بقاء التنظيم الاقتصادي الألماني بالشكل الذي كان عليه قبل 1848م، والمتمثل في الاتحاد الجمركي "الزولفرين" والذي كان تحت إدارة بروسيا، وبعيدا عن النمسا والذي تقوى بدخول هانوفر إحدى أهم الدول في ألمانيا الشمالية والتي كانت قد أعرضت عنه من قبل. وأصرت النمسا على دخول الزولفرين لإدراكها بأنه يشكل خطر عليها من الناحية الاقتصادية بل وحتى السياسية، لأنه إذا كانت بروسيا تحل القضايا الاقتصادية مع الدول الألمانية فهي ليست بمنأى عن حل القضايا السياسية لاحقا، لذلك سارعت إلى دعوة الدول الألمانية⁽²⁾ إلى مؤتمر في فيينا في عام 1851م لإجراء إصلاحا كاملا للنظام الجمركي الألماني، لكن بروسيا رفضت ودعت هي الأخرى إلى مؤتمر آخر وهددت الدول التي تقبل المؤتمر النمساوي ونقصد هنا بالذكر بعض دول الجنوب وبعض دول ألمانيا الوسطى بالطرد من الزولفرين وهو الأمر الذي رآته نكبة اقتصادية لها، وبهذا الشكل تكون بروسيا قد أمنت لنفسها الريادة في تحقيق الوحدة الألمانية.

1 - Wawro ,op. cit. pp. 127-128

2- حاطوم، مرجع سابق، ج 03، ص 16

وبالمقابل أسفرت قضية إعادة تشكيل الاتحاد الكونفدرالي في 1851م- 1852م أن السياسة النمساوية قد أخفقت رغم نجاحها في إقرار "تراجع أولمتر" فهي لم تستطع دخول الاتحاد الكونفدرالي ولا الزولفرين، وعلى الرغم من أن بروسيا أظهرت تفوقا في إبعادها إلا أن هذه المنافسة وقفت حائلا أمام كل جهود إصلاح الاتحاد الكونفدرالي.

وفي هذه الأوضاع ظهر الأحرار الألمان الذين كانوا ينشدون الوحدة الألمانية في حالة يأس كبيرة مردها هجرة معظم زعماء الحركة الثورية لعام 1848م إلى إنجلترا وأمريكا حيث تذكر بعض الاحضائيات وجود ما يقارب 300000 مهاجر في 1852م⁽¹⁾، وأمام هذا لم يجد القوميون ملاذا لهم غير بلاط الأمير "أرنست ساكس" في غوطا ليجمع في هذه العاصمة عدد من الكتاب الأحرار المجندين للوحدة الألمانية ورغم نشاطها الحثيث إلا أنه لم يكن على قدر من الأهمية والأثر، لعدم وجود الجمعيات السياسية في كامل ألمانيا⁽²⁾.

2-اليقظة القومية عام 1859م:

عرفت سنة 1859م ظهور حركة رأي عام، يمكن القول انها أعطت انطبعا عن وحدة في الرؤى على الأقل لدى الغالبية العظمى من ساكنة ألمانيا، وتعزى هذه اليقظة لأسباب عدة، نحددها في:

1.2-النمو الاقتصادي:

وعلى الرغم من أنه أقل ظهورا من غيره إلا أن أقره كان نافذا، حيث عرفت الصناعات الكبرى نموا كبيرا بين سنتي 1850م و1860م، وخاصة في إنتاج الفحم الذي احتلت فيه ألمانيا المرتبة الثانية بعد

1 -Woodruff D. Smith, Politics and the sciences of culture in Germany, 1840-1920, New York, Oxford University Press, 1991, p. 56

2- حاطوم، مرجع سابق، ج 03، ص 16

إنجلترا الذي كان أساس الصناعات في القرن التاسع عشر، ونفس الشيء عرفته وسائل النقل التي نمت وتكثفت لترتبط أجزاء ألمانيا نذكر فيها خط ميونيخ-ليزيغ-برلين وخط ألمانيا الجنوبية في كولونيا مارا على طول الراين، الأمر الذي سمح بانتشار الصحف وفتح آفاق الفكر، وترتب عن نمو الإنتاج، نمو الطبقة الرأسمالية سعت لإنشاء دولة ألمانية قوية قادرة على حماية مصالحهم الاقتصادية⁽¹⁾.

2.2- الأزمة الدولية 1859م:

وتمثلت في حرب فرنسا ببيدمونت-سردينا ضد الإمبراطورية النمساوية⁽²⁾، للتخلص من سيطرة هذه الأخيرة، والمشكل المطروح إزاء هذه الحرب، ما هي السياسة التي يترتب على الدول الألمانية انتهاجها، خاصة مع إلحاح النمسا في طلب المساعدة من بروسيا التي رفضت التدخل ورهنت القبول بتقديم النمسا لتنازلات في القضية الألمانية وأمام إخفاقات النمسا تدخلت بروسيا لكن فضلت العمل من جهتها، وذلك بحشد ست قطع من الجيش البروسي على الراين، وعلى الرغم من أنه لا ينفع النمسا مباشرة إلا أنه شكل خطرا على فرنسا مما دفع بنابليون الثالث⁽³⁾ في إبرام الصلح⁽⁴⁾.

1 - Alan J. P. Taylor, The Course of German history: a Survey of the Development of Germany since 1815, Routledge, 1945, p. 97

2 - Pécout, Gilles, Naissance de l'Italie contemporaine (1770-1922), Paris, Armand Colin, 2004, p. 309

3- شارل لويس نابليون بونابارت (1808م - 1873م)، كان رئيسا للجمهورية الفرنسية من 1848م إلى 1852م ثم بصفته إمبراطورا تحت اسم نابليون الثالث من 1852م إلى 1870م. تبني سياسة إصلاحية في الولايات الإيطالية الخاضعة لنفوذه، تم اسره في الحرب البروسية الفرنسية سنة 1870م. للمزيد يمكن العودة الى هذه الدراسة المميزة عن شخصية نابليون الثالث:

Adrien Dansette, Louis-Napoléon à la conquête du pouvoir, Hachette, 1961

4- حاطوم، مرجع سابق، ج 03، ص 26

وقد أوضحت هذه الأزمة أن ألمانيا بحاجة وأكثر من أي وقت مضى لأن تكون دولة قوية، وأن الاتحاد الكونفدرالي عاجزاً في السياسة الدولية. وعقب حرب 1859م ظهرت في ألمانيا يقظة حركة رأي لصالح الوحدة، وعلى علاقة بروسيا والنمسا في ظل هذه الوحدة، وظهرت في حركة الأفكار هذه اتجاهات ثلاثة:

- الاتجاه الأول: وحدة ألمانية تحت إدارة بروسيا مع إبعاد النمسا "اتجاه ألمانيا الصغرى".
- الاتجاه الثاني: وحدة ألمانية تامة تشمل جميع الألمان بما فيهم ألمان النمسا.
- الاتجاه الثالث: إدخال الإمبراطورية النمساوية كلها في اتحاد الدول الألمانية اتجاه ألمانيا الكبرى⁽¹⁾.

3.2- الجمعية القومية:

وفي خضم الظروف السابقة أنشأت جمعية سياسية من طرف جماعة من أحرار دول ألمانيا الشمالية بمساعدة الدوق أرنست ساكس⁽²⁾ "غوتا" في 16 سبتمبر 1859م في فرانكفورت على طراز الجمعية القومية الإيطالية وسعت لتحقيق الوحدة تحت شعار ألمانيا الصغرى أي بزعامة بروسيا⁽³⁾.

وقد هيأت هذه الجمعية الرأي العام للحل الاتحادي الفدرالي تحت إدارة بروسيا، وكان أعضاؤها مفكرون، قانونيون وتجاراً وصناعيون أي شكلت تكتلاً برجوازيًا نظر إليه بعين الريبة من طرف الكاثوليك والديمقراطيين وبعض المحافظين خاصة بعد تغلغل اليهود في هذه الجمعية القومية.

1 - Wawro, op. cit. p. 130

2- أرنست الثاني، دوق ساكس-كوبورغ وغوتا 1818 - 1893 هو ابن الأكبر لأرنست الأول ولويس من ساكس والشقيق البكر للأمير البرت زوج الملكة فيكتوريا البريطانية، اقترح لتولي عرش اليونان ثم تاج بلجيكا إلا أن المشروع لم يتم لتدخل قوى أوروبية خوفاً على مصالحها.

3 - Wawro , op. cit. p132

المبحث الثاني: الحركة القومية الألمانية من 1863م-1865م:

تأسست الحركة القومية الألمانية في 1859م على هدفين الأول تحويل الاتحاد الكونفدرالي الذي تأسس سنة 1815م إلى دولة اتحادية، والثاني تأكيد قوة ألمانيا في الخارج.

واتصفت الحركة القومية الألمانية في الفترة 1863م-1865م بصفتين: الأولى عجز الحكومات الألمانية عن تحويل الاتحاد الكونفدرالي، والثانية تأكيد القوة الألمانية في قضية الدوقيات الدنماركية. وفيما يلي سنسلط الضوء على التنافس النمساوي الألماني من الوجهة القومية⁽¹⁾.

تعالت المطالب في 1859م بإعادة صهر الاتحاد الكونفدرالي ودرس هذا الصهر في 1862م-1863م من طرف حكومات 38 دولة ألمانية بشكل يعطيه قوة ونفوذا لم يملكهما من قبل وفشلت المحاولة الأولى بسبب تمسك كل من النمسا وبروسيا بشروطهما⁽²⁾.

وكاد الاختلاف بينهما يؤدي إلى نزاع لكن الظروف الداخلية لكل واحدة منهما حالت دون ذلك ففي النمسا ظهرت مشكلة بين النمسا وهنغاريا بسبب الأزمة الدستورية وفي بروسيا نزاع دستوري بين الوزارة ومجلس النواب في موضوع التصويت على الاعتمادات العسكرية وإصلاح الجيش، وتعد تاريخ سبتمبر 1862م تاريخ حاسم في تاريخ الوحدة الألمانية إذ تقلد بسمارك منصب رئيس مجلس وزراء بروسيا، والذي اتخذ موقفا حادا من جهة مجلس النواب البروسي خاصة في قضية إصلاح الجيش، وتمتع بسمارك بشخصية الرجل القوي واعتمد الملك غليوم الأول على هذه القوة لضرب مجلس النواب البروسي⁽³⁾.

1 -Wawro , op. cit. p. 135

2 -Berenger, op. cit. p. 98-99

3- حاطوم، مرجع سابق، المجلد 03، ص. 32 انظر الدراسة المميزة حول الموضوع:

أما المحاولة الثانية للإصلاح فكانت سنة 1863م لكن هذه المرة باجتماع أمراء الدول الألمانية وليس مجلس الديات وانعقد في فرانكفورت وحضر معظم الأمراء الألمان باستثناء ملك بروسيا تحت ضغط من بسمارك وتهديده بالاستقالة، وفي هذا الشأن اقترحت النمسا الفكرة الأولى أي حكومة إدارة "ديراكتور" للاتحاد الكونفدرالي برئاسة النمسا وإحلال برلمان ألماني مكان الديات ويشكل البرلمان من مندوبي المجالس التشريعية "لاندتاغ" وإنشاء محكمة اتحادية⁽¹⁾.

وعلى الرغم من تصويت الأمراء بالإجماع على المشروع المساوي إلا أنهم اشتروا إبلاغ بروسيا بالمشروع ومحاولة التفاهم معها، وكان نتيجة هذا أن قامت مظاهرات منوئة للخطة النمساوية⁽²⁾، تزعمتها الجمعية القومية ضمنتها في خطاب وجه إلى الشعب واخفقت الخطة النمساوية لأن الأمراء لم يتصوروا اتحاد ألمانيا دون بروسيا، والقضية ليست قضية مبدأ وإنما قضية منفعة بحتة وإنهم يستفيدون إذا ما كان الاتحاد الكونفدرالي برأسين متنافسين على الدوام.

وعلى الرغم من هذا الإخفاق فإن النمسا حاولت الإفادة من المعاهدة التجارية التي أبرمت بين فرنسا وبروسيا في 1863م فدعت النمسا دول جنوب ألمانيا لإنشاء اتحاد جمركي معها والخروج من الزولفرين لكن بروسيا هددت بإلغاء الزولفرين وإنشاء واحدا جديدا مع الدول التي تقبل معاهدة فرنسا وبروسيا، وهذا التهديد كفيلا برد دول ألمانيا الجنوبية عن قبول اقتراح النمسا.

Jasper Heinzen, Making Prussians, Raising Germans. A Cultural History of Prussian State-Building after Civil War, 1866-1935, Cambridge University Press, 2017.

1- حاطوم، مرجع سابق، ج. 03، ص 37، انظر :

F. B. M Hollyday, Bismarck, New Jersey, Prentice Hall, 1970, pp. 122-123

2- حاطوم، مرجع سابق، ج. 03، ص 37.

ومما يجدر الإشارة إليه أن هذا الاتحاد الجمركي "الزولفرين" هياً بقوة الوحدة السياسية تحت إدارة بروسيا⁽¹⁾.

المبحث الثالث: حروب بسمارك في طريق الوحدة الألمانية:

أدرك بسمارك بشكل لا يقبل الشك، أهمية القوة في بناء الدولة، وأن أي مشروع وحدوي أو قومي لا بد وأن يركز على القوة وأن المواجهة العسكرية حتمية لإتمام بناء الوحدة الألمانية المنشودة، بل ان الدبلوماسية ما هي الا استثمار للإنجاز العسكري، وعليه سيخوض سلسلة حروب ضد بعض القوى الأوروبية التي ربما تمنع تحقيق اية وحدة ألمانية في المنطقة، ويمكن اختصارا تحديد ثلاثة مواجهات عسكرية كبرى قبل اعلان الوحدة وهي: مواجهة الدنمارك والنمسا، ثم فرنسا.

1. قضية الدوقيات الدانماركية والحرب عليها 1864:

ونعني بها دوقيا تسزويك هولشتاين ولاونبورغ الواقعة في ألمانيا الشمالية تحت حكم الدانمارك، ولكن نظامها سياسيا اختلف عن نظام الدول الدانماركية الأصلية⁽²⁾.

والواضح أن القضية قضية قوميات في هذه الدوقيات ففي الشلزويك يوجد شعبان ومن قوميتين مختلفتين دانماركية وألمانية ودوقية هولشتاين منذ 1813م شكل جزءا من الاتحاد الكونفدرالي الألماني بالرغم من أنها تابعة لملك الدانمارك على عكس الشلزويك.

1- نفسه.

2-Christopher Clark , Der Deutsch-Dänische Krieg, 1600-1947, Munich, Pantheon, 2008,pp. 598-606

وظفت قضية الدوقيات إلى السطح وعلى المستوى الدولي بسبب ظهور العاطفة القومية الألمانية في الدوقيات احتجاجا على السيطرة الدانماركية تأثرا بالحركة القومية بألمانيا سنة 1840م، فطالبوا بربط الدوقيات بالاتحاد الجرمانى بما في ذلك القسم الدانماركي.

والسبب الثاني هو قضية وراثة عرش ملك الدانمارك فريدريك السابع، وعلى إثر هذا قامت بروسيا بشن حربين ضد الدانمارك انتهت الأولى بحدنة والثانية بمعاهدة برلين جويلية 1850م، وانتصار بروسيا دون أن تضم الدوقيات حتى لا تحرض الدول الكبرى وسويت مسألة الوراثة في معاهدة 8 ماي 1852م بترشيح كريستيان آل غلوكسبورغ الذي وعد بالمساواة بين الألمان والدانماركيين على عكس فردريك السابع حيث بذل جهودا كبيرة من أجل دمج الدوقيات خاصة الشلزويك لكثرة الدانماركيين بها⁽¹⁾.

وضع استنجد أوغستانبورغ بالحكومات الألمانية بعد اعتقاله عرش الدانمارك كل من بروسيا والنمسا في وضع مقلق ومربك، فهي مجبرة على نجدة ألمان وتأييد انفصاليهما عن الدانمارك ولكنها بالمقابل اعترفت بحقوق كريستيان في الدانمارك لكنها استغلت عدم وفاء كريستيان بتعهده بالمساواة بين الألمان والدانماركيين.

وهو الحال بالنسبة للنمسا فتدخلها سيؤثر على سياستها الداخلية باعتبارها مؤلفة من عدة قوميات وعزوفها سيجعلها في نظر الألمان دولة غير ألمانية، ومحاولة منها لتقرب من بروسيا شاركت مكرهة إلى جانبها للتدخل في الدانمارك عسكريا لتنتهي المواجهة العسكرية بصلح فيينا في 30 أكتوبر 1864م والذي ترتب عنه ضم الدوقيات لبروسيا والنمسا ضارين عرض الحائط مبدأ القوميات⁽²⁾.

1 -Christopher Clark ,op. cit. p. 604

2- حاطوم، المرجع السابق، ج 03، ص. 42

وبعد هذا سعى بسمارك لضم الدوقيات مع إقصاء أوغستانبورغ، وربط بقائه بشروط ثلاثة وهي عقد اتفاق عسكري مع بروسيا، قبوله دخول الدوقيات في الزولفرين، وأن يتخلى عن ميناء كيبل لبروسيا لتقيم فيه محطة بحرية، وقوبلت هذه الشروط بالرفض ويدعم من النمسا⁽¹⁾.

وحاول بسمارك أن يضم الدوقيات عنوة وسيتدرج النمسا إلى الحرب لكن غليوم رفض خاصة وأن موقف فرنسا والنمسا لم يتضح بعد فاضطر بسمارك إلى تسوية جديدة وهي اتفاق غاشتين في 14 أوت 1865م، وسلمت بموجبه الشلزويك لبروسيا والهولشتاين للنمسا⁽²⁾.

ومن انعكاسات قضية الدوقيات على الحركة القومية الألمانية أن عقدت الجمعية القومية الألمانية اجتماعا نوقشت فيه القضية فنتج عنها تكون أحكاما مختلفة، فالمجموعة الأولى ممثلة في ميكيل برون ضرورة اندماج الدوقيات في الاتحاد الكونفدرالي بزعامة أوغستا بنورغ، أما المجموعة الثانية ممثلة في البروسيين فكانوا من رأي بسمارك الذي دعى إلى ضم الدوقيات وإقصاء الدوق. ولقي اتفاق غاشتين انتقادا كبيرا في ألمانيا، ورأوه إعلان حرب على الرأي العام، لأنه لا يعترف باستقلال الدوقيات⁽³⁾.

والاستنتاج الذي نصل إليه هو أن خلاص الدوقيات من سيطرة الدانمارك انتصارا للفكرة القومية بل وأكثر من ذلك لأنه تمكن من فصل حتى الأراضي المأهولة بالدانماركيين.

1- نفس المرجع، ج 03، ص. 44

2 -Jasper Heinzen, Making Prussians, Raising Germans. A Cultural History of Prussian State-Building after Civil War, 1866-1935, Cambridge University Press, 2017.

3 -Jasper Heinzen,op. cit. p. 131

وظل الوضع غير مستقر في ألمانيا بعد اتفاق غاشتين لأنه حل قضية الدوقيات بشكل مؤقت ولأن قضية إصلاح الاتحاد الكونفدرالي بعد إخفاق 1862م- 1863م بقي معلقاً، وظل النزاع البروسي- النمساوي يندرج بالخلاف الذي كان بسمارك يتمناه في أول فرصة⁽¹⁾.

2. أزمة 1866م والحرب البروسية النمساوية:

حاول بسمارك أن يجد طريقاً للنزاع مع النمسا بعد اتفاق غاشتين الذي رأى فيه حل مؤقت وشكلت قضية الدوقيات وإصلاح الاتحاد الكونفدرالي أساس هذا الطريق، ففي قضية الدوقيات اعترض الدوق أوغستانبورغ على هذا الاتفاق بقيامه بدعاية ضده فطلبت بروسيا مساعدة النمسا لقمع هذه الدعاية لكل بروسيا لم تحب بدعوى أن كل دولة حرة في منطقة إدارتها، فلما وجد بسمارك أن قضية الدوقيات لم توت ثمارها بإثارة النزاع مع النمسا لجأ إلى قضية إصلاح الاتحاد الكونفدرالي، فوضع خطة للإصلاح مفادها إنشاء برلمان ألماني منتخب من الألمان، لكن النمسا عارضتها⁽²⁾.

في 28 فيفري 1866م اتخذ مجلس الوزراء البروسي قراراً بالحرب ضد النمسا في حالة تعنتها وتشبثها بموقفها لكن بعد استعداده دبلوماسياً من خلال معرفة موقف الدول الكبرى في حالة قيام الحرب.

1- حاطوم، مرجع سابق، ج3، ص. 48، انظر أيضاً:

François-Georges Dreyfus, L'unité allemande, Presses universitaires de France, 1993, pp. 245-246

2-Pierre Ayçoberry, L'Unité allemande, 1800-1871, Presses universitaires de France, 1968, pp. 215-216

فروسيا ورغم وقوفها إلى جانب النمسا في "أزمة أولمütz" إلا أن اتفاقها مع بروسيا بشأن القضية البولونية كفيل بأن يجعل منها دولة محايدة وفيما يتعلق ببريطانيا فبسمارك كان متأكدا أنها لم تهتم بأحداث أوروبا الوسطى⁽¹⁾.

في حين أن فرنسا وإيطاليا كانتا ترغبان بالتدخل، فإيطاليا ترغب البندقية التي ظلت إقليما نمساويا بعد حرب الاستقلال الإيطالي في 1859م ولكن موقفها ظل مرهونا بموقف فرنسا، ولهذا تحولت جهود النمسا وبروسيا نحو فرنسا⁽²⁾.

وحاول بسمارك استمالة نابليون الثالث الذي ربط تحالفه مع بروسيا بتعويضات أرضية على الضفة اليسرى للراين، وهو ما رفضه بسمارك.

وفي الجهة المقابلة سعت النمسا لإقناع فرنسا بمنع التحالف الإيطالي البروسي لكنها فشلت في مساعيها، فحاولت على الأقل الحصول على حيادها، ووعدت فرنسا بهذا الحياد في اتفاق سري عقد قبيل الحرب في 12 جوان 1866م، لكنه وعد مشروط بتخلي النمسا عن البندقية لنابليون الثالث ليتنازل عنها لإيطاليا مقابل حصول النمسا على توسعات في ألمانيا⁽³⁾.

1- حاطوم، المرجع السابق، ج 03، ص. 59

2- حاطوم، المرجع السابق، ج 3، ص 59. انظر أيضا :

Paul Matter, La Prusse au temps de Bismarck, la defaillance d'Olmütz, Revue Historique, T. 86, Fasc. 2 (1904), Published By: Presses Universitaires de France, pp. 242-279

3- حاطوم، المرجع السابق، ج 03، ص 60، ينظر

Geoffrey Wawro, The Austro-Prussian War: Austria's War with Prussia and Italy in 1866, Cambridge, Cambridge University Press, 1996, p,243

وفي هذه الظروف أحالت النمسا قضية الدوقيات إلى الدييات الجرمانى منتهكة بذلك معاهدة 1864م، ونتيجة لذلك دخلت جيوش بروسيا الهولشتاين التابع لإدارة النمسا، لتنتهك هي الأخرى صك الاتحاد الكونفدرالى الألماني وفق معاهدة 1815م الذي يحرم على دولة من دول الاتحاد الكونفدرالى مهاجمة أرض دولة عضوة⁽¹⁾.

ورفعت النمسا الخلاف إلى الدييات وطلبت استنصار الألمان ضد بروسيا، لهذا الخرق الصارخ للصلك الاتحادى، فانقسمت الدول الألمانية بين مؤيد لبروسيا، واقتصرت على دول صغرى في حين أيدت دول الجنوب وبعض دول الوسط وهانوفر في ألمانيا الشمالية، فكان على بروسيا أن تقابل على جبهتين جبهة النمسا وجبهة الدول الألمانية مما يعنى حرباً أهلية.

وبدأت رحى الحرب، فتفوقت بروسيا على الدول الألمانية ووضعتها جانبا بسرعة وعلى الجبهة الجنوبية أخفق الجيش الإيطالى أمام النمسا في "كوشوزا"، وهزم جيش النمسا في مقاطعة بوهيميا ومعركة

1 - Acte du 8 juin 1815 ,pour la Constitution fédérative de l'Allemagne.

سادوا⁽¹⁾ في 3 جويلية 1866⁽²⁾، وقد عرفت هذه الحرب باسم الحرب الأهلية أو حرب الاسابيع السبعة وخلافا لما كان متوقعا انقضت الحرب سريعا باهزام النمسا في أقل من ثلاثة أسابيع.

استطاعت بروسيا خلال الأيام الثلاثة الأولى منها من احتلال سكسونيا وهانوفر وهسه كاسل Hsh Cable، فسيطرت بذلك على شمال ووسط ألمانيا، وفي 23 اوت 1866 تم توقيع معاهدة براغ التي أنهت حرب الاسابيع السبعة⁽³⁾، وتنازلت النمسا عن البندقية إلى إيطاليا وعن حقوقها في شلزيك وهولشتاين إلى بروسيا ووافقت على حل الاتحاد الألماني القديم والخروج منع واعتزت بالاتحاد الذي نظمه بسمارك للإمارات الألمانية الواقعة شمال نهر المين Main river بزعامة ملك بروسيا⁽⁴⁾، كما وافقت على ان تصبح هانوفر وكاسل وفرانكفورت تابعة إلى بروسيا⁽⁵⁾، أما الإمارات الألمانية الواقعة جنوب (نهر المين) فقد اقامت اتحادا بينها وارتبطت بحلف شمال المين. وبذلك اتسعت مساحة دولة

1- هي حرب نشبت في صيف عام 1866 بين الاتحاد الألماني تحت قيادة الإمبراطورية النمساوية وحلفاءها الألمان من جهة ومملكة بروسيا ومن حالفها من الألمان ومملكة إيطاليا من جهة أخرى، وأسفرت هذه الحرب عن سيطرة البروسيين على الدول الألمانية. وتعرف باسم الحرب الألمانية (Deutscher Krieg) أو حرب الإخوة (Bruderkrieg) كما تعتبر العمليات على الجبهة الجنوبية بين إيطاليا والنمسا حرب الاستقلال الثالثة بالنسبة للإيطاليين. أهم نتيجة للحرب كانت تحول اصطفااف الدول الألمانية مبتعداً عن النمساويين ونحو الهيمنة البروسية، والدفع باتجاه توحيد كل الدول الألمانية الشمالية في ألمانيا الصغرى التي تستثني النمسا. وشهدت إلغاء الاتحاد الألماني القديم وحل محله جزئياً الاتحاد الألماني الشمالي والذي استبعد النمسا والدول الألمانية الجنوبية. كما أسفرت الحرب أيضاً عن ضم إيطاليا لمنطقة فينيتسيا التي كانت تتبع النمسا.

2- فرشوخ، بسمارك موحد ألمانيا، "تاريخ العرب والعالم"، (مجلة)، السنة 3، العدد 26، بيروت، دار النشر العربية، 4 ديسمبر 1980. ص 40.

3- محمد محمد صالح وآخرون، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، (بغداد مطبعة جامعة بغداد، 1985)، ص 142.

4- محمد صالح وآخرون، المرجع السابق، ص 143.

5- عبد الفتاح حسن أبو عليه، واسماعيل ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، القاهرة: دار المريخ، (1979)، ص 371.

بروسيا بزيادة قدرها (27) ألف ميل مربع وهذا يعني زيادة في مواردها الاقتصادية وازداد عدد سكانها خمسة ملايين أخرى⁽¹⁾.

واكتفت فرنسا بوساطة دبلوماسية بين النمسا وبروسيا واضعة أسس سلام على النحو التالي⁽²⁾:

1- حل الاتحاد الكونفدرالي الذي أوجد سنة 1815م.

2- تقسيم دول الاتحاد الكونفدرالي إلى ثلاثة أقسام:

أ. الأراضي الواقعة شمال خط نهر الماين تؤلف اتحاد كونفدرالي لألمانيا الشمالية تحت إدارة بروسيا.

ب. دول ألمانيا الجنوب تبقى مستقلة.

ج. الأراضي النمساوية، مما يعني إبعاد النمسا عن القضايا الجرمانية.

كما اقترح نابليون الثالث ضم هولشتاين وشلزويك إلى بروسيا وبعد مناقشات دامت عشرة ايام أذعنت حكومة بروسيا وتنازلت عن ألمانيا الجنوبية لكنها طالبت بضم دول ألمانيا الشمالية التي تضمن استمرار الأراضي البروسية توافق نابليون الثالث مقابل تعويضات⁽³⁾.

1- قاسم، محمد، المرجع السابق، ص 128.

2- Steven E. Clemente, For King and Kaiser!: the making of the Prussian Army officer, 1860-1914, New York, Greenwood, coll. « Contributions in military studies », 1992, 280 p

3- حاطوم، المرجع السابق، ج03، ص. 97-98

وأبرمت في هذه الظروف مقدمات صلح ليكسومبورغ بين النمسا وبروسيا والتي اتبعت بصلح براغ وفقا لاقتراحات نابليون الثالث السابقة الذكر، ولم يبق لبروسيا إلا وضع اتحاد كونفدرالي لألمانيا الشمالية⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أن أزمة 1866م قد قوضت مشروع "ألمانيا الكبرى" لكنها لم تصل إلى تحقيق مشروع ألمانيا الصغرى الذي أراده بسمارك وبقاء دول ألمانيا الجنوبية خارج الاتحاد حل ناقص ولتجاوز هذا الأمر لابد من المجازفة بحرب ضد فرنسا وهو الأمر الذي لم يكن مستعدا له⁽²⁾.

3. الحرب البروسية الفرنسية 1870:

كانت سياسة بسمارك بعد معركة سادوا تقوم على أساس تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية بين اتحادي الشمال والجنوب، ثم إعلان الحرب ضد فرنسا⁽³⁾، وكانت خطته تقوم على الأسس الآتية⁽⁴⁾:

- إعلان الحرب سريعة على فرنسا حتى لا تستطيع النمسا أن تتأثر لنفسها بالاشتراك مع فرنسا
- جعل فرنسا هي التي تبدأ الحرب حتى تستطيع بروسيا اشراك الولايات الجنوبية باسم الدفاع عن كيان الوطن الألماني.

1-Jacques Droz, L'Allemagne, vol. 1: La Formation de l'unité allemande, Paris, Hatier, coll. Collection d'histoire contemporaine / Hatier université, 1970, p. 183.

2-حاطوم، مرجع سابق، ج 03، ص. 101.

3- المرجع نفسه، ص 129.

4- أبو عليه، المرجع السابق، ص 374.

- جعل روسيا تلتزم جانب الحياد أو دخولها الحرب إلى جانب بروسيا إذا انضمت النمسا إلى فرنسا مقابل تعهد بسمارك بمساعدة روسيا على إلغاء حياد البحر الأسود الذي قرره معاهدة باريس 1856م.

في سبتمبر 1869 م نشبت ثورة ضد ايزابيلا الثانية⁽¹⁾ ملكة اسبانيا فاضطرت إلى الهرب إلى فرنسا ورشحت الحكومة الاسبانية للعرش الاسباني الأمير ليوبولد⁽²⁾ من آل هوهنزولرن وقريب الملك وليم الأول⁽³⁾، وكان هذا العمل خطرة بالنسبة لفرنسا لأن ذلك يعني تقارب اسبانيا إلى بروسيا بحكم القرابة

1- ايزابيلا الثانية (Isabella II): ابنة فرديناند السابع وماريا كريستينا ولدت في 10 تشرين اول ١٨٣٠ في مدريد، تولت عرش اسبانيا بعد وفاة والدها ١٨٣٣ وتحت وصاية والدتها والجنرال اسبيرتيرو (General Espartero)، طالب عمها (دون كارلوس) (Don Carlos) بالعرش وحدثت حرب أهلية، تولت الحكم مباشرة في المدة (١٨٩٨-١٨٦٣)، تزوجت عام 1846 من الأمير فرانسيسكو دي اسيسي ولم تستقر الأوضاع السياسية في البلد في عهدها وعزلت عن الحكم اثناء ثورة 1868 وتنازلت عن العرش لولدها (الفونسو الثاني عشر) (Alfonso XII) واتخذت من فرنسا منفى لها حتى وفاتها في عام 1904، للمزيد ينظر:

Lenman, Bruce. P. (ed), Chamber Dictionary World History , Consultant Great Britain Claysltd. ,1994, p. 461,

2- ليوبولد الأول Leopold (1790- 1865): الابن الثالث لفرنسيس فريدريك بوق ساكس- كوبورغ، انتخب ملكا على بلجيكا بعد انفصالها عن هولندا واعلانها دولة مستقلة واستمر حكمه من (1831- 1865)، تزوج من الأميرة شارلوت ابنة ملك بريطانيا جورج الرابع وبعد وفاتها تزوج من ابنة الملك الفرنسي لويس فيليب للمزيد: ينظر:

H. C. G. Harrison, ,. Matthew ,and Brin (ed), Oxford Dictionary of National Biography (from the earliest times to the year 2000), Great Britain, oxford University Press, 2000,P,342

3- وليم الأول (William 1) (1797- 1888) ملك بروسيا (1864-1888) وامبراطور ألمانيا (1874-1888)، ثم صار وصيا على أخيه المخبول فريدريك وليم الرابع (1858) وخلفه ملكا على بروسيا 1861. كان بسمارك الشخصية المسيطرة على مصائر بروسيا ثم ألمانيا خلال حكمه حينما عينه مستشارا عام 1862. قاد وليم بنفسه الجيش الروسي في الحرب البروسية - الفرنسية، ونودي به عند انتهائها امبراطورا لألمانيا في قاعة المرايا بقصر فرساي في 18 جانفي 1871 لم يكن الامبراطور الا رمزا لاتحاد ألمانيا

وهذا يقلب ميزان القوى في القارة الأوروبية⁽¹⁾ وقد وافق الأمير ليوبولد على قبول عرش اسبانيا الشاغر في جوان 1870م وقد علمت الحكومة الفرنسية بالأمر في 3 جويلية 1870م، الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات بينها وبين بروسيا⁽²⁾، وبناء على ذلك هددت فرنسا بأنها ستعلن الحرب على بروسيا إذا لم يسحب الترشيح⁽³⁾ وفي 12 جويلية 1870 أعلن الأمير كارل انطون⁽⁴⁾ باسم ابنه اليوبولد سحب ترشيحه للعرش الاسباني⁽⁵⁾، وهنا بدا وكأن خطر الحرب قد زال فأراد بسمارك استغلال الوقت لاثارة الشعب الفرنسي - لكن الحكومة الفرنسية طلبت من سفيرها في برلين أن يقابل ملك بروسيا ويطلب منه تقديم تعهد بعدم ترشيح أي شخص من آل هوهنزولرن للعرش الاسباني⁽⁶⁾ وكان غرض فرنسا من ذلك توجيه إهانة إلى بروسيا لا تقل عن الهزيمة العسكرية، وقد أخبر الملك وليم الأول السفير الفرنسي برفض ليوبولد للعرش الاسباني، وابرق في الوقت نفسه إلى بسمارك بموافقته على تنازل ليوبولد عن الترشيح⁽⁷⁾، ولكن بسمارك الذي بعد ان تشاور مع القادة العسكريين وحصلت لديه القناعة بأن

الجديد، خلفه ابنه فردريك الثالث (ت 1888) للمزيد ينظر: بالمر، الآن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ج 2، ترجمة فيصل السامر، (بغداد: دار المأمون، 1992)، ص 391-390.

1- جرائد، المصدر السابق، 241.

2- بوند، براين، الحرب والمجتمع في أوروبا-1870 - 1970، ترجمة سمير الجليبي، ط 2، (بغداد: دارالمأمون، 1988)، ص 121.

3- المرجع نفسه، ص 122.

4- الأمير كارل أنطون (Anton Karl): من عائلة هوهنزولرن زيغماتريغن (1811-1885)، كان رئيس مجلس النواب 1869، ثم رئيس وزراء بروسيا ثم اميرا، تنازل عن العرش لصالح ابنه ليوبولد في 27 اوت 1848.

5- المرجع نفسه، ص 122.

6 -A. J. P. Taylor , the Habsburg monarchy 1809-1818, Hamish Hamilton, London ,1948,p. 33

7- المرجع نفسه، ص 34.

بروسيا مستعدة للحرب، ابلغ الصحفيين بأن السفير الفرنسي قد اهان الملك البروسي، بعد أن حور بسمارك البرقية التي وصلته من الملك وفي الوقت نفسه اوحى للفرنسيين بان الملك قد اهان سفيرهم⁽¹⁾.

لقد اعلنت البرقية لتؤدي ما عبر عنه بسمارك بكلماته الساخرة، أنها رقعة حمراء نلوح بها للثور الغالي".⁽²⁾، والغالي نسبة إلى بلاد الغال وهو اسم فرنسا قديما، وقد وقت بسمارك اعلانه للبرقية في عشية العيد الوطني للشعب الفرنسي وهو الرابع عشر من جويلية⁽³⁾، وعندما اطلع الفرنسيون على الخبر اجتاحتهم نوبة غضب عارم، فارتفعت الأصوات مطالبة بالحرب للثأر من بروسيا للكرامة الفرنسية، وقد أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا عند انتصاف الليل من يوم 14 جويلية 1870م⁽⁴⁾.

بدأت الحرب وكان الجيش البروسي معدة ومنظمة على أسس علمية بقيادة هيلموت فون مولتكه Helmuth Von Moltke⁽⁵⁾ الذي اشتهر في الحرب البروسية النمساوية، كما أن الجيش البروسي كان يتفوق على الجيش الفرنسي بسلاح المدفعية الثقيلة وعدده الذي قدر عند إعلان الحرب بخمسمائة

1- مراد، خليل علي وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ط ٢، (الموصل: جامعة الموصل، 1988)

ص 200.

2- أبو عليه، المرجع السابق، ص 377.

3- المصدر نفسه، ص 378.

4- صالح، محمد محمد، تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 143.

5- مولتكه (هيلموت فون مولتكه) Helmuth Von Moltke (1800-1898): قائد بروسي تولى رئاسة اركان الجيش الروسي (الذي صار الجيش الألماني بعد تأسيس الإمبراطورية الألمانية عام 1871) من 1857-1888، قاد الجيش الروسي الى النصر ضد الجيش النمساوي عام 1816 وضد الفرنسيين عام 1870، تقاعد من رئاسة الأركان 1888 وللمزيد ينظر

Rodes, John E, Germany History, U. S. A. , Holt, Rinehard, and Winston, N,D), pp. 379- 407

ألف جندي مقابل مائتا ألف جندي فرنسي⁽¹⁾، فضلا عن ذلك الحماس الوطني الذي اجتاحت الشعب الألماني عكس الشعب الفرنسي الذي كان يعاني من تعدد الآراء والأحزاب.

وقام بسمارك بعزل فرنسا دوليا قبل نشوب الحرب مباشرة فقد ضمن حياد النمسا وروسيا، كما ابعد بريطانيا عن فرنسا⁽²⁾ وقد توالى انكسارات الجيش الفرنسي امام الجيوش الألمانية وفي 02 سبتمبر، استسلمت مدينة سيدان وأسر الامبراطور نابليون الثالث مع 82 ألف جندي فرنسي وبلغ مجموع ضحايا معركة سيدان 20 ألف قتيل من الطرفين⁽³⁾، وفي 18 سبتمبر 1870، هزم جيش فرنسي آخر يقوده المارشال بازان Bazan على يد الالمان بقيادة مولتكه إذ لم حصن مئتم مع جيش قوامه 150 ألف جندي بجبن مهين، ان لم يكن بخيانة حقيقية⁽⁴⁾.

وتقدم الالمان صوب باريس وفرضوا عليها الحصار، وفي 10 ماي 1871 م انتهت الحرب بمعاهدة فرانكفورت التي عقدت بين بروسيا وحكومة الدفاع الوطني الفرنسية والتي تشكلت في 4 سبتمبر 1871م اثر هزيمة نابليون الثالث واسره، وقد تنازلت فرنسا بموجب هذا الصلح عن مقاطعتي الألزاس واللورين ومنتز إلى ألمانيا عدا بلفورت والقسم الشرقي من اللورين مع غرامة حربية قدرها خمسة آلاف مليون فرنك، وان يبقى الجيش الألماني محت للاجزاء الشمالية من الأراضي الفرنسية حتى يكتمل دفع الغرامة

1- بوند، براين، مرجع سابق، ص 123.

2- المرجع السابق، ص 124.

3- الدسوقي، المصدر السابق، ص 125. انظر

Pierre Milza, L'année terrible - La guerre franco-prussienne septembre 1870 - mars 1871, Éditions Perrin, 2009, p. 201

4- قرقوط، ذوقان، الثورة الفرنسية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (1980)، ص 61.

الحربية⁽¹⁾، كما أطلق سراح الامبراطور نابليون الثالث مع جنوده الأسرى. وهكذا انتهت حرب السبعين يوما بانتصار عظيم وكبير لبروسيا، وكان لهذا الانتصار الدور الكبير في تحقيق الوحدة الألمانية.

ويتضح مما سبق أن بسمارك اعتمد رؤية واضحة سبقت رجال عصره في ضرورة تحقيق الوحدة الألمانية وقد عمل على تحقيقها بدرجة عالية من الدقة والتخطيط السليم مستخدما مقولته المعروفة: "السياسة فن الممكن وعلى القائد ان يتقن هذا الفن"⁽²⁾ وعلى هذا الأساس عمل بسمارك بكل الطرق الممكنة لتحقيق وحدة الشعب الألماني، التي كان يراها وفق رؤيته ومشروعه وليس باستخدام الطرق الديمقراطية بل باستخدام الحديد والنار.

4. المراحل الاخيرة من حروب بسمارك وتحقيق الوحدة الألمانية:

من أهم نتائج الحرب مع فرنسا هو إثارة الحماس الوطني والشعور القومي بين أبناء الشعب الألماني، فأعلنت الولايات الجنوبية انضمامها إلى الاتحاد الشمالي بزعامة بروسيا وبذلك تمت الوحدة الألمانية⁽³⁾. وقد عقدت معاهدة التوحيد بين بسمارك ممثلا عن اتحاد شمالي ألمانيا، وبين حكومات

1- المصدر نفسه، ص 61. ينظر

Roland Hoyndorf et Willy Schneider, La perte de l'Alsace Lorraine, Éditions Coprur, 2000, p. 75

2- Engels. F, the Role of Force in History: A study of Bismarck's Policy of Blood, in Iron, Translated By Jack Cohen , London, 1968, P. 59

3- مراد، المصدر السابق، ص 201. انظر أيضا :

الدول الألمانية الجنوبية في نوفمبر 1870 م، أي قبل انتهاء الحرب مع فرنسا، وتقرر بعد ذلك تغيير اسم الاتحاد الألماني إلى الامبراطورية الألمانية ولقب ملك بروسيا بالامبراطور الألماني بدلا من رئيس الاتحاد⁽¹⁾، وقد تمت عملية تتويج الامبراطور (وليم الأول) في احتفال مهيب في قاعة المرايا بقصر فرساي في ضواحي باريس حيث قرأ بسمارك المرسوم الامبراطوري وأعلن وليم الأول ملك بروسيا امبراطورا لألمانيا⁽²⁾، فتحقق في ذلك الاحتفال التاريخي ما كان يصبو إليه بسمارك من طموحات منذ توليه منصب مستشار بروسيا في 1862م، وقد حقق ذلك " بالحديد والدم " كما سبق واعلنه امام مجلس النواب في البرلمان البروسي⁽³⁾.

وترتب على كل ذلك أن أصبحت ألمانيا دولة قوية مؤثرة في السياسة الأوروبية في حين أصبحت فرنسا قوة من الدرجة الثانية وتعاني من الاضطرابات العمالية والصراعات السياسية وخاصة بعد قيام كومونة باريس⁽⁴⁾، كما اشتد النشاط الاقتصادي في ألمانيا بعد حصولها على مقاطعتي الألزاس واللورين

Capitaine Alfred-Oscar Wachter, Histoire de la guerre franco-allemande 1870-71, Histoire politique, diplomatique et militaire, T02, Imprimerie et Librairie militaires de L. Baudoin, 1895, p. 306

1- المرجع نفسه، ص 42.

2- جرانت، المرجع السابق، ص 243.

3- أبو عليه، المصدر السابق، ص 379.

4-Mathilde Benoistel, Sylvie Le Ray-Burimi, Christophe Pommier (dir), France-Allemagne(s) 1870-1871, la guerre, la Commune, les mémoires, Paris, Gallimard/musée de l'Armée, 2017, p. 211

الغيتين بالفحم والحديد مع الغرامة النقدية الباهضة من فرنسا⁽¹⁾، وتبعاً لذلك انتقل مركز الثقل السياسي والدبلوماسي في غرب أوروبا من باريس إلى برلين⁽²⁾.

حقق بسمارك الحلم القديم الكبير إذ اختفت ألمانيا القديمة المشرذمة والمتحدة صورية، وأخلت محلها الامبراطورية متحدة قوية، كما ارادها بانيها بسمارك تماماً، ولم يتركها، بل تابع واضعاً دستوراً، مخوة الامبراطور سلطات مطلقة، يعاونه مجلسان⁽³⁾: المجلس الاتحادي ويضم ممثلي حكام الولايات والبرلمان " الرايشتاغ " (Reichstaq)⁽⁴⁾ الذي ينتخب الشعب اعضاءه⁽⁵⁾، لقد قوى بسمارك هذا الشتات الذي يدين بثقافة واحدة ولغة واحدة فجعله أمة مترابطة تمكنت من لعب دور خطير في سير السياسة الأوروبية بل العالمية⁽⁶⁾.

1 - Taylor, op. cit. p. 42

2- فرشوخ، المرجع نفسه، ص 42.

3- المرجع نفسه، ص 43.

4- الرايشتاغ (Reichstaq): اسم اطلق على البرلمان الألماني الاتحادي منذ عام 1870 حتى عام 1945، وكان يتألف من 850 عضواً أثناء الحكم النازي الذي انحسرت اختصاصات المجلس التشريعية وأصبحت اختصاصاته الاستماع الخطب الزعيم هتلر، ثم أصبح يضم 400 عضو ينتخبون مدة خمسة سنوات بالتصويت العام من قبل الذكور، وللامبراطور الحق في حله بعد موافقة البندسرات في أي وقت يشاء وهذا المجلس اقل قوة من مجلس العموم البريطاني ومن مجلس النواب الأمريكي للمزيد ينظر: عطية الله، احمد، القاموس السياسي، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1968)، ص 559. ؛ سليمان، علي حيدر، تاريخ أوروبا الحديثة، ط3، (بغداد: مطبعة دنكور الحديثة، 1990)، ص 366.

5- فرشوخ، المرجع نفسه، ص 43.

6- مراد، المرجع السابق، ص 202.

ان عملية الوحدة الألمانية قد مرت بالمراحل التالية⁽¹⁾ :

أ- الاستعداد: من خلال العوامل المساعدة في تحقيق الوحدة، ودور بسمارك القوي في زيادة وتأثر هذا الاستعداد العالي لغرض تحقيقها.

ب- ضم دوقيتي هولشتاين وشلزيك: وهو ما كان له الأثر الأكبر في حسم الصراع مع الدنمارك التي كانت تسيطر على هاتين المقاطعتين حسب مقررات مؤتمر فينا 1815م لكن بروسيا انتزعتها عام 1864.

ج - الصدام مع النمسا: وكانت النمسا من اكبر المعارضين لقيام الوحدة الألمانية منذ عهد مستشارها مترنيخ وقد صمم بسمارك على منازلة النمسا، وكان نابليون الثالث ملك فرنسا يأمل أن تنهك المعركة الدولتين واستطاع بسمارك وقائده الكبير فون مولتكه من تحقيق النصر الذي كان له الدور الأكبر في تحجيم دور النمسا وازاحتها عن طريق اعاقا تحقيق الوحدة الألمانية⁽²⁾.

د- الحرب ضد فرنسا: كانت فرنسا ايضا تعارض قيام دولة المانية قوية وموحدة، وبدا بأن نابليون الثالث قد عزم على تأليب النمسا وإيطاليا وغيرها ضد ألمانيا ولكن الحرب انتهت بانتصار كبير لألمانيا بروسيا بقيادة بسمارك وباقتطاع مقاطعتي الألزاس واللورين مع مبلغ خمسة مليارات فرنك من فرنسا حسب معاهدة فرانكفورت في 10 ماي 1871⁽³⁾.

1- فرشوخ، المرجع نفسه، ص 44..

2- صالح، محمد، المرجع السابق، ص 145.

3- المرجع نفسه، ص 145.

هـ - الوحدة: قال أحد مساعدي بسمارك في يوم معركة سيدان: "من ارض الريخ الالزاس واللورين ولد الرايخ الامبراطورية الألمانية" (1) ونجحت خطة بسمارك الحربية كما نجحت خطته السياسية، لذا يمكن القول أن بسمارك قد حقق في هذه الحرب انتصارات عسكرية ودبلوماسية، وكان يتطلع منذ زمن بعيد الى هدفه الكبير وهو تحقيق الوحدة الألمانية، وحققا كان. فقد تقدم بسمارك هادئة ليضم الولايات الألمانية إلى الحليف القوي بروسيا بالإقناع خلافا لرأي ولي العهد المناادي بقوة الأمر الواقع والملك الذي فضل الانتظار بعد. كان وليم زاهداً بالتاج (2) لكن سياسة بسمارك وخطته سهلت جميع آراء أعضاء البرلمان وأيضا تنازل الأمراء عن سيادتهم، بعضهم كان مهزأة، وبعضهم كان صدقة (3)، لكن الاجتماع تم في قصر فرساي بقاعة المرايا في 18 جانفي 1871 ونودي وليم الأول امبراطورا وكانت صلاة الشكر، والولايات الألمانية امبراطورية (4)

1- فرشوخ، المرجع السابق، ص 45.

2- المرجع نفسه، ص 45.

3- أول. فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ج 3، ترجمة أحمد نجيب ووديع الضبع، (القاهرة: دار المعارف، 1958)، ط1، ص 135.

4- المرجع نفسه، ص 136. انظر :

Dreyfus, L'unité allemande, op. cit ;133-134.

المبحث الرابع: انعكاسات الوحدة الألمانية على مواقف الدول الأوروبية الكبرى.

اثارت عملية تكوين الإمبراطورية الألمانية في أعقاب الانتصارات التي حققها بسمارك على كل من فرنسا والنمسا مخاوف الدول الكبرى مما زاد من مخاوف الدول الأوروبية من التطلعات الألمانية، ان بسمارك كان ذا شخصية قوية لذا أصبح حديث الدوائر والمحافل الدبلوماسية الأوروبية، وكانت في يده العديد من خيوط الدبلوماسية المعقدة⁽¹⁾.

تباينت مواقف الدول الكبرى المهمة في أوروبا من الوحدة الألمانية اذ حصل ما يشبه الصدمة والمفاجئة لذلك الحدث الكبير غير المتوقع والذي سيغير بلا شك موازين القوى في أوروبا ويهدد مصالح الدول الكبرى. وخصوصا بريطانيا وفرنسا والتي كانت مواقفها كما يلي:

1- الموقف البريطاني:

لقد مر بنا أن بسمارك كان يفكر عام 1870 بشن حرب على فرنسا بهدف تحقيق ما يصبو اليه من توحيد جميع الدويلات الألمانية تحت سيادة بروسيا وسعى الى اثاره نزاع تبدو فيه فرنسا هي المخطئة، وأخيرا جاءت الفرصة التي ينتظرها. فقد كانت قضية العرش الاسباني هي القضية التي اثارت هذا الموضوع فلم تتم موافقة فرنسا على الأمير ليوبولد⁽²⁾.

انتابت الحكومة البريطانية والأوساط السياسية في لندن حالة من القلق الكبير بسبب اعلان الوحدة الألمانية وهزيمة فرنسا القاسية ومطالبة المانية بالانزاس واللورين، حيث اعتقدت الحكومة البريطانية أن بروسيا ستطالب بضم الأراضي الهولندية الى دولة ألمانيا الحديثة، اذ راودت البريطانيين الشكوك

1- عبد العزيز سليمان نوار، أوروبا من الحرب البروسية الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية، القاهرة: دار الفكر العربي، (1982)، ص 109.

2-Pierre Ayçoberry, L'Unité allemande, op. cit ;pp. 156-157.

الكبيرة بسبب تعاون بروسيا الوثيق مع روسيا ذلك التعاون الذي شكل هدفا للسياسة الخارجية البروسية. بيد أن هذا الامر سبب نوعا من الشعور العدائي تجاه بروسيا من قبل بريطانيا بسبب شكوك وزارة الخارجية البريطانية بوجود اتفاق تحريري يلزم بروسيا بتأييد روسيا في موضوع البحر الأسود. (1) كانت بريطانيا تعتقد ان تحقيق الوحدة الألمانية يتبعه تحقيق غايات أساسية لألمانيا الموحدة وهي:

1- سيادة ألمانيا على اوروبا وسيادة العنصر الألماني في العالم.

٢- تحديد نفوذ وقوة العنصر الجرمني في فرنسا وفي أي مكان من العالم، ولتحقيق ذلك فأن ألمانيا مستعدة للدخول في أي حرب بجيش قوامه مليون جندي.

٣- تهدف ألمانيا الى منع تكوين تحالفات بين الدويلات الألمانية لتكون دولة المانية موحدة، وضم المقاطعات الألمانية في النمسا لتشكيل قوة مركزية كبيرة للأجزاء الاوربية الناطقة بالألمانية(2).

صممت بريطانيا على استعادة مكانتها في القارة الأوربية، اذ ان فشل بريطانيا في التوسط لمنع وقوع الحرب البروسية - الفرنسية أولا، وفشلها في منع روسيا من الغاء فقرة الحياد الخاصة بالبحر الأسود ثانيا، دلت على عزلة بريطانيا واضمحلال مكانتها الدولية ونفوذها في القارة الأوربية، لذا ظهرت بريطانيا مرة أخرى بعد تشكيل وزارة دزرائيلي(3)، الذي شهد عهده بعض التقارب بين بريطانيا وفرنسا من تشكيل عصبة الدول المحايدة لكي تقف الى جانب فرنسا في نزاعها مع ألمانيا(4).

1- عباس، المرجع السابق، ص23.

2- الدسوقي، محمد كمال، تاريخ اوروبا الحديث 1800-1818، (القاهرة مطبعة النهضة الجديدة، د. ت)، ص 152.

3- السوداني، الدكتور صادق حسن، التطورات السياسية والاقتصادية في بريطانيا في العهد الفكتوري 1837-1901، (جامعة بغداد: كلية الآداب - قسم التاريخ، 2005)، ص 9.

4- المرجع نفسه، ص 9. انظر :

2. الموقف الفرنسي:

انتهجت فرنسا سبلا عديدة بعد هزيمتها من بروسيا عام 1870 من اجل تثبيت عزيمة الفرنسيين حين اخذوا ينادون بالحرب الثأرية أو الانتقامية ضد ألمانيا، فقد طالبت فرنسا بشراء عشرة الاف حصان من ألمانيا الأمر الذي عده المستشار الألماني بسمارك دليلا واضح للتمهيد للتعنت الفرنسية ضد بلاده لذا اوعز برفض الطلب الفرنسي⁽¹⁾.

اتهم وزير الخارجية الفرنسي ميشيل ديكارنيه ألمانيا بالعمل على تهديد فرنسا والقيام باعمال موجهة بالأساس ضدها، اذ اعتبر ديكارنيه أن بسمارك يعد العدة للقيام بعمل متكامل ضد فرنسا، الامر الذي سيؤول إلى نتائج وخيمة لذا سعت فرنسا إلى مراقبة المحاولات الألمانية بحذر شديد وخصوصا ما يتعلق بسعي ألمانيا على شراء اعتدة لجيشها او انها تعمل علنا على اكمال استعداد جيشها للحرب ضد فرنسا⁽²⁾. بيد انها اي فرنسا اعتبرت الاستعدادات الحربية لبروسيا بمثابة محاولة استعداد للحرب ضد فرنسا لذا عملت على اثارة الحكومات الأوروبية ولاسيما البريطانية والروسية ضد ألمانيا الا أن محاولاتها فشلت في استعداد الدولتين⁽³⁾

نجم عن ازمة الحرب التي ظهرت بعد عام 1870م في القارة الأوروبية توجيه تحذيرات خطيرة من الدول الثلاث بريطانيا وفرنسا وروسيا ضد ألمانيا مفادها أن تلك الدول الثلاثة غير مستعدة للسماح لها بإضعاف فرنسا أكثر مما هي عليه أو تعزيز الهيمنة والمكانة الكبيرة التي تتمتع بها ألمانيا في القارة

Roy Bridge et Roger Bullen, The Great Powers and the European States System 1814-1914, Longman, 2004, p. 223.

1- G. P. Gooch ,Studies in Diplomacy and Statecraft London 1942,P 243

2- ibid,P. 243

3- الدسوقي، المرجع السابق، ص 89.

الأوربية، وقد اعتبرت ألمانيا من جانبها أن هذا الإنذار يعبر في واقع الأمر عن هزيمة للسياسة الخارجية الألمانية، بيد أن كلا من الأطراف الثلاث ألمانيا وبريطانيا وروسيا شعرت بعد انتهاء هذه الأزمة بأن انظارهم تنهياً لازمة جديدة بدأت تظهر على السطح منذ العام 1885 (1).

المبحث الخامس: خطط بسمارك لتثبيت الوحدة القومية :

كانت أهداف بسمارك الداخلية هي الحد من تأثير الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا وربما كان ذلك بسبب خوف بسمارك من تأثير البابوات على المسيحيين الكاثوليك الألمان واستخدامهم لفكرة عصمتهم في تحريك اتباعهم نحو وجهة سياسية معينة، وخلق عدم استقرار عن طريق تقاسم بين الكاثوليك والبروتستانت (2).

حاول بسمارك أن يتوصل إلى تفاهم مع الحكومات الأوربية الأخرى، حين كانت هناك انتخابات بابوية جديدة في الفاتيكان، فالحكومات الأوربية كانت ستوافق على مرشحين غير مناسبين، وسيدفعون كاردينالاتهم إلى اختيار بابا جديد غير مؤمن بفكرة التعايش بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا، وكانت بروسيا فيما عدا منطقة الراين أغلبها من البروتستانت، لكن كان هناك الكثير من الكاثوليك يسكنون الولايات الجنوبية وخاصة بافاريا، وبوجه عام فقد كان ثلث الألمان من الكاثوليك (3).

وكان بسمارك يعتقد أن الكنيسة الكاثوليكية تحوز سلطة سياسية أكبر مما ينبغي، وكان قلقاً أيضاً من تكوين الحزب المركزي الكاثوليكي، وعلى هذا الأساس فقد بدأت حملة معادية للكاثوليكية معروفة باسم الحرب الثقافية، فألغى بسمارك القسم الكاثوليكي لوزارة الثقافة البروسية، وطرد اليسوعيين

1- الدسوقي، المرجع السابق، ص 90.

2- جرانت، المرجع السابق، ص 244.

3- المرجع نفسه، ص 244.

من ألمانيا عام 1882، وقام بدعم اللوثرية والكنائس المعادية للكاتوليكية الرومانية القديمة، وتم سن قوانين معادية للكاتوليكية في ألمانيا، سمح بموجبها للحكومة الاشراف على تعليم رجال الدين الكاثوليك الرومان، وقلصت أيضا السلطات التأديبية للكنيسة، ووضعت مراسيم مدنية لحفلات الزواج التي تؤدي في الكنائس، وقد خرج بسمارك من هذه الحملة بكسب حليف جديد هو حزب الأحرار الوطني العلماني، الذي أصبح حليفا رئيسا له في الرايشتاغ⁽¹⁾.

كان بسمارك من جانب آخر يدرك أن أي طموح للتوسع خارج ألمانيا كان يحتاج الى أرضية قوية من الاقتصاد والقوة السياسية والعسكرية ولذلك كانت خطواته بطيئة نحو هذا التوسع وركز جهوده كل هذه السنوات على الشأن الألماني الداخلي مع العمل على إبراز ألمانيا على الساحة الدولية كقوة سياسية معتبرة وفاعلة⁽²⁾. وفعلا تمكن في السير قدما في هذا المضمار بعد أن حصل تطور هائل في الصناعة والتجارة الألمانية وخاصة في السنوات التي أعقبت قيام الوحدة الألمانية عام 1870 وتحول ألمانيا إلى دولة صناعية وتجارية عظيمة⁽³⁾.

كانت النزعة العسكرية من أبرز ما اتصفت به الإمبراطورية الألمانية، تلك النزعة التي امتازت بها بروسيا وأصبحت من السمات التي اعتزت بها الإمبراطورية الجديدة، فسياسة " الدم والحديد " التي مشى عليها بسمارك هي التي خلقت الاتحاد الألماني⁽⁴⁾، وعندما تسلم بسمارك المستشارية في ألمانيا لم يكن يدور في خله الا فكرة واحدة هي الوحدة الألمانية، وقد تم له ذلك سنة 1870 كما اسلفنا، وعلى هذا

1- Gooch, op ,cit , p. 244

2- Idem

3 -Robert A Kann, History of the Habsburg Empire: 1526-1918, Los Angeles, University of California Press, 1974,p. 501

4- نوار عبد العزيز، المرجع السابق، ص 62 - 63.

ساد الاعتقاد الخاطئ بأن دوام الإمبراطورية وتعزيز كيانها يقتضيان إحلال الجيش محل الرفع في كيان الدولة. وكان الامبراطور (وليم الأول) ومستشاره بسمارك في مقدمة المعتقدين بذلك واصبحا منذ عام 1871، يعتبران من ابطال الأمة⁽¹⁾ واخذت الامبراطورية الألمانية منذ نشأتها في تطبيق قاعدة التجنيد الإجباري مقتفية في ذلك ما اخذت تطبقه بروسيا منذ عام 1862، فتضخم الجيش الألماني تضخما كبيرا بإنشاء الحصون في الالزاس واللورين وعلى الحدود البلجيكية والروسية⁽²⁾.

لم تمض خمس سنوات على هذا الاتجاه الخطير حتى أخذت الدول المجاورة من فرنسا والنمسا وروسيا وإيطاليا - تنحو نحو ألمانيا فلما رأى بسمارك تزايد رغبة الدول المجاورة في التسلح اخذ يحول دون تكتلها لهذا الغرض⁽³⁾ أما في داخل ألمانيا فكانت الطبقة البرجوازية الوسطى تنظر الى تلك النزعة العسكرية القومية نظرة ارتياح واعجاب، فهي التي تضمن لها الاستقرار في الداخل والسيطرة والفتح وحماية مصالحها التجارية في الخارج وهي التي تذكي الحماس القومي في النفوس، وهي التي تدعم الاتحاد وتقوي النظام الدكتاتوري وهي التي تكم الافواه المعارضة وتسكت الاقلية البولندية في بروسيا والفرنسيين في الالزاس واللورين. وهي التي جعلت لألمانيا مركزا خطيرا بين الدول العظمى ولذا فإن أفراد هذه الطبقة أيدها تأييدا مطلقا. كما ايدها طبقة النبلاء Junkers التي تألفت من رجالها الطبقة العليا في الجيش، واذا كان ثمة اقلية من الاحرار لاتعتد بالجيش ذلك الاعتداد الكبير، بقدر اعتدادها بالتطور الديمقراطي فانها لم يكن لها أثر يذكر في صد ذلك التيار الدكتاتوري الجارف⁽⁴⁾.

1- فشر، ه مرجع سابق، ص 106.

2- المرجع نفسه، ص 106.

3- Rodes, John E, Germany History, op. cit. p. 379

4- Rodes, op. cit. , P. 380

شهدت ألمانيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وتحديدًا منذ عام 1871م انطلاقة اقتصادية كبيرة، فأخذت تتطور صناعيًا منذ سبعينيات ذلك القرن ذلك التطور الذي جعلها تنتقل من حيث التطور الصناعي من المرتبة الرابعة إلى الثانية لا بل وتنافس بريطانيا على المرتبة الأولى، وخصوصًا في إنتاج الفحم⁽¹⁾.

بدأت طبقة البرجوازيين الألمان بالضغط على حكومة بسمارك من أجل العمل نحو إيجاد مستعمرات لألمانيا في العالم بهدف الحصول على المواد الأولية للصناعة الألمانية وكذلك أسواق تصريف بضائعها⁽²⁾ بيد أن تحول ألمانيا أثناء رئاسة بسمارك للوزارة إلى دولة صناعية كبرى، أدى إلى نشوء أزمة اقتصادية كبرى في البلاد تمثلت بزيادة الإنتاج بما لا يتناسب مع الاستهلاك المحلي⁽³⁾، وهو ما عرف بفترة "الكساد الطويل"، التي عانت منها ألمانيا ومعظم دول أوروبا عام 1873 في حين انهارت سوق الأوراق المالية في فيينا. وعرفت هذه الأزمة بأزمة المؤسسين Grunderkrise، وهو الكساد الذي ضرب الاقتصاد الألماني لأول مرة منذ التنمية الصناعية الواسعة في الخمسينيات بعد ثورة عام 1848⁽⁴⁾. ورغبة من بسمارك في مساعدة الصناعات المتعثرة أصدر قرارات بإلغاء التجارة الحرة وفرض تعريفات وقائية اضعفت الوطنيين الأحرار الذين كانوا ينادون بالتجارة الحرة وكان بسمارك يدعمهم منذ الحملة الثقافية.

1- للمزيد عن نسبة التطور الصناعي في ألمانيا بعد الوحدة الألمانية 1870 ينظر: التكريتي: د. هاشم صالح، التغلغل الألماني في المشرق العربي قبل الحرب العالمية الأولى، المؤرخ العربي"، (مجلة)، بغداد، العدد (27)، 1989م، ص 41.

2 - Steven E. Clemente, For King and Kaiser!: the making of the Prussian Army officer, 1860-1914, New York, Greenwood, coll. « Contributions in military studies », 1992, p. 192

3- سنو، عبد الرؤوف، ألمانيا والإسلام في القرن التاسع عشر والعشرين، (دمشق: دار الفرات، 2007)، ص 29

4-Rodes, op. cit, p. 318.

الأمر الذي اضعف الصلة بينهما، بيد أن بسمارك عاد من جهته لطلب الدعم وإنشاء الصلات مع القوى المحافظة ومن بينها الحزب المركزي الكاثوليكي⁽¹⁾.

شرع بسمارك وللحيلولة دون وقوع مشاكل بين الأقليات المختلفة مثل المجريين، والنمساويين والفرنسيين، بمحاولة ألمنة هؤلاء الذين كانوا يقطنون المناطق الحدودية الألمانية مثل الدنماركيين في الشمال والفرنسيين في الألزاس واللورين والبولنديين في الشرق⁽²⁾، كما قام بنهج سياسة عدائية تجاه البولنديين مما ساعد بازدياد الإحساس بالتمييز القومي بين البولنديين والألمان، وادي الى توتر العلاقة النفسية بينهما، وكانت فكرة بسمارك في هذا هو اعتقاده بأن الوجود البولندي يمثل تهديدا للدولة الألمانية الوليدة⁽³⁾.

وما تقدم ترتب على كل ذلك أن أصبحت دولة قوية مؤثرة في السياسية الاوربية، وانتقل مركز الثقل السياسي والدبلوماسي في غرب أوروبا من باريس الى برلين، كما تطور الاقتصاد الألماني والصناعات بوتائر سريعة بعد الوحدة.

1- Ibid. 318.

2- Gooch, op ,cit , P. 244

3-مراد، المصدر السابق، ص 203.

خلاصة الفصل:

لقد تضافرت العديد من العوامل الداخلية والخارجية والذاتية والموضوعية منها في تحقيق الوحدة الألمانية الشاملة بعد ان كانت ألمانيا لا تعني حتى نهاية القرن الثامن عشر سوى عدد كبير من الولايات الدويلات المفككة يربو على الثلاثمائة ولاية، وكان الشعب الألماني يعيش في ظروف لا يحسد عليها في تلك الفترة وكان للاحتلال الفرنسي لألمانيا بعد معركة (بنا) عام 1806 م بقيادة نابليون، إضافة إلى ظهور بعض الشخصيات اللامعة في بروسيا التي أخذت على عاتقها مهمة تهيئة بروسيا لقيادة الأمارات الألمانية نحو الاتحاد، وكذلك ظهور بعض الجمعيات السرية في الجامعات والمعاهد من اجل الكفاح ضد الاحتلال الفرنسي اثره في زيادة الوعي القومي لدى الالمان، بالرغم من أن الاحتلال الفرنسي قضى على الامبراطورية الرومانية المقدسة وقلص عدد الولايات الألمانية إلى 39 ولاية ضمن ما يعرف باتحاد الراين وحطم النظام الاقطاعي إضافة إلى العديد من الإصلاحات الإدارية والقضائية على ضوء مبادئ الثورة الفرنسية.

وكان لمؤتمر فينا 1815 م ونتائجه المخيبة لآمال الألمان أثره في ازدياد العزم على تحقيق الوحدة الألمانية لما فيها من اجحاف بحق الألمان مما ساعد في نمو النزعة القومية وقيام الجمعية الوطنية فيما بعد في 18 ماي 1848 التواصل الطريق من أجل الوحدة.

بيد أن العامل المهم في تغيير مجريات الأحداث هو ظهور شخصية القائد والسياسي الألماني المحنك اوتوفون بسمارك الأثر الكبير والعظيم في تحقيق الوحدة الألمانية من خلال ما أظهره من مقدرة عظيمة وشجاعة بأسلة من خلال حروبه مع الدنمرك والنمسا ومن ثم فرنسا التي انتصر عليها في معركة سيدان في 02 سبتمبر 1870 ليصبح الطريق بعد ذلك لتحقيق الحلم الكبير الوحدة سالكة امام بسمارك الذي استطاع فعلا من خلال العديد من التنظيمات السياسية والإدارية والاجتماعية والعسكرية من إنجاز وحدة ألمانيا الكاملة في 18 جانفي 1871م.

شكل وصول بسمارك على رأس الدبلوماسية البروسية عاملاً حاسماً في قيادة الشعب الألماني إلى الوحدة وسط ظروف داخلية وخارجية غاية في التعقيد، الأمر الذي أفرز واقعاً جديداً في ألمانيا الموحدة والقارة الأوروبية نتج عنه تطوراً هائلاً في حياة الشعب على كافة الصعد الحياتية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إذ تحول الشعب الألماني من بلد مفكك الأوصال إلى بلد يبحث عن مكان تحت الشمس). وقد عمل بسمارك على توحيد ألمانيا بالقوة ثم حاول تدعيمها بالسلم وسيطر تماماً على السياسة الداخلية والخارجية، وتحالف مع النمسا عام 1879 وإيطاليا عام 1882 وصالح روسيا، وعمل حكماً لأوروبا، ثم عالج أزمة انتشار الأفكار الاشتراكية في ألمانيا بسنة جملة من أوائل قوانين العمل والتأمين الصحي الاضعاف النزعة الاشتراكية، حيث ساهمت في اتساع نطاق التجارة والصناعة والمستعمرات الألمانية. لتصبح ألمانيا قوة عظمى لا يستهان بها.

خاتمة

تناولت من خلال هذه الدراسة موضوع تطور المبادئ القومية في أوروبا خلال القرن 19 م، وبالتحديد خلال الفترة الممتدة بين 1815 - 1870، ووحاولت تتبع هذه التطورات من حيث اهتمامي بالتأصيل المفاهيمي للقومية، ثم معالجة الظاهرة القومية من حيث نشأتها وتطورها التاريخي، وتفسير عوامل نشأتها خاصة في الجانب السياسي للظاهرة وتجلياته.

كما حاولت جهد نفسي التطرق الى مسألة اندلاع الثورة الفرنسية وما أحدثته من تحولات جذرية في المسائل القومية الأوروبية، خاصة بعد تبني مشروع تصدير مبادئ الثورة في كل أوروبا من خلال حروب نابليون التوسعية، ثم الى ما كان للمحفل الأوربي من دور في تجدد النظام الأوربي القديم، في ظل متغيرات حقيقية أهمها تطور المطالب القومية وانتشار الأفكار الثورية الداعية لتحقيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

كما عالجنا جانبا من سلسلة الثورات التي اندلعت في أوروبا ما بين 1830 و 1848، كمشاريع ثورية لتحقيق اهداف قومية، وبرزت اهم النماذج الأوروبية في ذلك كالثورة في فرنسا وإيطاليا وبولندا ومسألة الأراضي المنخفضة.

وعرجت بعد ذلك لدراسة نموذج تطبيقي ناجح لمشروع الدولة القومية، فالامان على غرار كثير من شعوب أوروبا ناضلوا بشكل كبير من اجل تحقيق قوميتهم ووحدتهم الوطنية ولم يكن الامر باليسير نظرا لمقتضيات المرحلة وتوازنات المنطقة.

بعد الاستفاء من دراسة موضوع تطور المبادئ القومية في أوروبا 1815 - 1870، رصدت جملة من النتائج المركزة اذكر منها :

- ان الباحث في مسائل القومية والامة والوطنية وغيرها من المصطلحات المرتبطة بهذا المجال، سيلحظ حجم الاختلاف والتنوع وزوايا النظر الى هذه القضايا، ولعل مرد ذلك ان أكثر من كتب في

القومية والوطنية أو اشكال الدولة الوطنية كان وفيما لمجاله سواء اللسانيات واللغوية أو الأنثروبولوجيا والاجتماع والاقتصاد.

- ارتبط مصطلح القومية مع التطورات التي شهدتها أوروبا مطلع العصور الحديثة أي بداية من عصر النهضة، وقد اختلفت الآراء وتنوعت في تحديد مفهوم جامع للقومية، وملامح فكرها وأسسها بل وصل الأمر الى حد التناقض بين ما طرح من مفاهيم وشروحات لها

- أن الظاهرة القوميّة بكلّ مستوياتها، ظاهرة أوروبية حديثة، ارتبط ظهورها وتطوّرها بالمجتمعات الأوروبية وما طرأ عليها من تحولات في العصر الحديث، على أن هذه النظرة هي نتاج النظرية المركزية الأوروبية لتفسير الوقائع التاريخية، فالظاهرة القومية، قبل أن تدخل أوروبا وشعوبها عصور التمدن والحضارة قد عرفت شعوب خارج القارة.

- اقترن بلوغ أوروبا المستوى الوجودي السياسي للارتباط القومي بعصر النهضة الأوروبية، وما أنتجته من فنون وفكر وتعاملات تجارية بمستويات مختلفة.

- إنّ الخصائص التي ترتبت على العوامل الاقتصادية، لعصر النهضة كانت جميعها في خدمة مشروع إقامة دولة ذات اقتصاد قوي، الأمر الذي سيوفر القاعدة المادية للدولة الوطنية / القومية القادمة في القريب

- إنّ الانقلاب الذي حدث في المراكز الاقتصادية الاجتماعية للطبقات الاجتماعية، انتهى إلى تحوّل في مراكزها وأدوارها الاجتماعية، إذ فقد طبّقه النبلاء وفئة رجال الدين مراكزهما الرّاجحة وأدوارهما المؤثرة التي كانت تتمتعان بها في العصور الوسطى لصالح الطبقة الوسطى التي سمّيت فيما بعد بالطبقة البورجوازية.

- انتهت التحوّلات الاجتماعية في نتائجها إلى تركيز السلطة السياسية في إطار دولة وطنية/قومية يقف على رأسها الملك الذي أصبح بحاجة إلى البورجوازية لضمان سير الإدارة، وسدّ نفقات حروبه الداخليّة والخارجية

- لقد استطاعت حركة الإصلاح الديني-المذهبي البروتستانتية من أن تُؤثر في البيئة الحاضنة للظاهرة القومية من خلال :

- تقوية سلطة الحُكّام السياسيين الرّمنيين وتدعيم نفوذهم، بتخليصهم من مُنافسة رجال الدين وتدخلاتهم في الشؤون الزمنية السياسية، وهو ما انتهى تلقائيًا إلى تقوية سلطة الدولة الوطنية/القومية في مُواجهة السلطة الكنيسية.

- تقوية الرّوح الوطنية/القومية والحس الوطني/القومي المشترك لدى الجماعات الوطنية/القوميّة الأوروبيّة، وخصوصًا تلك التي اعتنقت المذهب البروتستانتي، بعد أن بدأت الحركة الإصلاحية البروتستانتية نشاطًا واسعًا لترجمة الكتاب المقدّس من اللّغة اللاتينية إلى اللّغات الوطنية/القوميّة الأوروبيّة، ممّا ساعد على نشر هذه اللّغات وتعميق إحساس النّاطقين بكل لغة منها بوحدهم وتميّزهم، وهو ما كان أساسًا أوليًا مهمًّا لخلق ثقافات وطنية/قوميّة متميزة

- استجابت حركة الإصلاح الديني-المذهبي البروتستانتية للشعور الوطني/القومي الناشئ والمتزايد، فلم تصبح الكنيسة البروتستانتية مؤسسة عالمية على غرار الكنيسة الكاثوليكية البايوية في روما، بل تعدّدت وتنوّعت الكنائس البروتستانتية بما يتطابق مع تعدّد وتنوّع الكيانات الوطنية / القوميّة الأوروبيّة بكل مقوماتها بما فيها اللّغة، لتصبح الكنائس البروتستانتية المستقلّة، مؤسسات دينية وطنية / قومية تمامًا

- أحدث عصر النّهضة تحوّلات عميقة في السُّلطة السياسية الحاكمة، فقد شهدت بروز ملوك كان لهم نصيب كبير في تعزيز وجود الدولة الوطنية / القوميّة. على غرار ملوك فرنسا وإسبانيا، وإنجلترا.

- لقد تعززت سلطة الملك من خلال مركزية الدولة في شخصية المطلق، فقد زادت قوة الدولة ممثلة في شخص الملك الذي استطاع بفضل ماكانته السلطوية المهيمنة، المتمثلة بالدولة ومؤسساتها البيروقراطية والعسكرية القمعية، أن يزيد في قوته التي دعمتها وزادتها جملة عوامل مساعدة ومكملة شهدها العصر مثل: إقامة الأنظمة البيروقراطية والقانونية والضريبية، وتأسيس الجيش الوطني القومي، وظهور الشركات التجارية والورش الصناعية، وكانت هذه العوامل كلها، نتاجاً للتحديث في المؤسسات البيروقراطية والقانونية والضريبية والعسكرية والتجارية والصناعية

فضلاً عن دور الاقتصادي الميركنتلي في دفع الدولة إلى إتباع السياسات الحمائية التدخلية على نطاق واسع في الشؤون الاقتصادية، مما ترتب عليه تسهيل الانتقال من السياسة البلدية (المحلية) إلى السياسة الوطنية القومية. لذلك انتشرت عبارة أن الشركات التجارية كانت تمثل جيوشاً للدولة والملك، أما التجارة فهي (حرب الأموال).

- ارتبطت صورة الدولة الحديثة منذ القرن التاسع عشر في الغرب بمفهوم -الدول القومية- ولم تعد الدولة القومية تعني في الاصطلاح ما كانت تعنيه الفلسفات الغربية القديمة من ضرورة الجمع بين الأمة الواحدة والوحدة السياسية الواحدة فلا توزع الأمة بين عديد من دول ولا تجمع الدول الواحدة بين عديد من قوميات وإنما الدولة القومية في الاصطلاح الحديث هي الدولة التي يتحقق للعنصر البشري فيها عامل التجانس القومي المهيأ للوحدة القومية سواء باللغة أو الأصل أو حتى بوحدة المصالح وما تهيأ له من وحدة المصير

- ولقد كانت القومية أحد أهم المبادئ الجديدة التي نادى بها الثورة، وعملت على نشرها والترويج لها خارج حدود فرنسا الطبيعية، وهدفت الثورة من خلال الدعوة القومية إلى بعث ذاتية كل أمة، ونفض الغبار عليها، وذلك من خلال تحرير الشعوب من كل سيطرة أجنبية، والعمل على بناء كيانها السياسي والقومي وفق مرجعياتها التاريخية والاجتماعية

- والظاهر أن الفرنسيين بشكل عام لم ينظروا إلى تلك المبادئ على أنها محلية التنفيذ، بل إن فكرة تصديرها والوقوف إلى جانب الدول الأوروبية امر واجب وفي صميم روح الثورة

تطور لافيت في فلسفة قادة الثورة من خلال تبني نظرية الوصول إلى الحدود الطبيعية لفرنسا ونظرية تأمين البلاد والمحافظة على سلامتها

- لقد عملت فرنسا الثورة على حشد مبدأ القوميات وتحرير الشعوب من أجل النفع الذاتي، وتحقيق المصلحة الشخصية للدولة. وكان الهدف من هذه السياسة الواقعية إلى حد ما هو تأمين موارد مالية جديدة للمناطق المنظمة حديثاً، وإلى تأمين فرنسا ذاتها والمحافظة على سلامة أراضيها وذلك بإنشاء حلقة حولها والذي أصبح سلسلة من الجمهوريات الشقيقة Les Républiques sœurs والتي أقامت فرنسا وراء حدودها

لقد بدا واضحاً أن سياسة حكومة الإدارة (فرنسا الثورة) قد تحولت من سياسة تسترشد في أهدافها بمبادئ مثالية صريحة إلى سياسة واقعية نفعية بحتة. لقد أصبح متعذراً أن تبقى الحرية أو القومية فكرة نقدية أو مذهباً خالصاً من الشوائب

لقد بات واضحاً أن المذهب القومي أصبح ستاراً يحجب وراءه طائفة من العواطف القائمة على الغزيرة والرغبات التي لا تمت بأية صلة إلى المبادئ المثالية والحرية، بل قد يصبح المذهب القومي عند يقظة الشعور بالقومية وشعور الأمم بذاتيتها وكيانها الخاص بكل واحدة منها، مجرد رغبة في التوسع والاستئثار بفتوحات جديدة، فتتخذ هذه الرغبة التوسعية من مبدأ القومية ستاراً يخفي عن الأنظار حقيقتها.

لقد وجدت الثورة في المذهب القومي أداة فعالة لإدخال تغيير ظاهر على قواعد القانون العام في أوروبا من جهة، وعلى السياسة الدولية السابقة من جهة أخرى.

لقد واجه قادة أوروبا وساستها والدول الكبرى بالتحديد وضعاً معقداً ومشاكل سياسية وإقليمية وقومية متشابكة، ضف إلى ذلك تغلغل الأفكار الليبرالية والقومية بين الشعوب الأوروبية، والمطالبة بحقوقهم في بناء أوطان لهم تحقيقاً لمبدأ القوميات الذي تبناه المؤتمرين، فضلاً عن تصميم المؤتمرين على إرساء حلول للكثير من المشاكل فيما يتصل بإلغاء تجارة الرقيق، وتنظيم الملاحة في الأنهار الأوروبية وتنظيم قواعد الأسبقية الدبلوماسية... الخ.

أعيد رسم خريطة أوروبا من دون إبداء أي اهتمام بتطلعات شعوبها، وكان مبدأ القومية من أظهر القوى الدافعة التي ظلت تشكل الحوادث خلال القرن التاسع عشر والقومية وثيقة الصلة بمبادئ الحرية التي نادى بها الثورة الفرنسية فهي تدعو إلى ضرورة تحرير الشعب من كل سيطرة أجنبية عليها حتى يتسنى إنشاء الحكومة الوطنية وحتى تتمتع الشعوب بحق تقرير نوع الحكم التي ترتضيه والقومية والديمقراطية مترادفتان فتحرر الشعوب ووحدتها تتبعه تحرر الأفراد وتمتعهم بحقوقهم داخل الدولة الموحدة المتحررة.

لقد حاول قادة أوروبا الكبار استعادة الأمن والاستقرار فيها بما يخدم مصالحهم ضارين عرض الحائط الكثير من المطالب القومية لبعض الشعوب الأوروبية، وأنجزت التسويات دون النظر إليهم، مما خلق حالة تدمير من هذه التسويات، فكرس هيمنة الهولندية على البلجيكي والسويدي على النرويجيين والألمان والitalيين تحت هيمنة النمسا. إذا كانت هذه التسويات ضربة موجعة لدعاة الليبرالية والقومية، فالبلجيكي الذين أحرزوا تحررهم من قبضة نابليون قبل غيرهم قد حولوا من سيطرة آل هابسبرغ إلى سيطرة آل اورانج، مما يشكل خرقاً لمبدأ الشرعية ورغبات السكان، إلا إن هذا الخرق قد يكون مبرراً في ضوء قربهم الجغرافي من فرنسا وعدم تمكنهم من كبح جماح فرنسا لوحدهم.

إن السبب الرئيسي لفشل ثورات 1830م - 1831م، وقبلها ثورات 1821م، هو ببساطة غياب التنسيق والتآزر بين الحركات الثورية في الشمال والجنوب، ثم إن فشل هذه الثورات في تحقيق أهدافها القومية لا يعني القضاء على الأفكار الوطنية والقومية، بل استمر العمل في السرية، وربما هذا ما يتلاءم مع طبيعة الفرد الإيطالي الميال إلى الدسائس والتمرد والمؤامرة.

ولا شك أن هذا البحث يفتح آفاق بحثية جديدة، ولعل اهتمام الباحثين بتأثيرات و إسقاطات ما كان يحدث في أوروبا على الدول العربية والإسلامية، و إبراز موقف النخب المحلية من الأفكار الجديدة المتنامية في أوروبا. كما يمكن اقتراح عديد الموضوعات مستقبلاً مثل أثر و انعكاس الأفكار القومية على المحيط العربي والإسلامي، ثم انعكاسات السياسة الأوروبية اتجاه الدولة العثمانية و علاقتها ببداية تهوي هذه الإمبراطورية.

الملاحق

ACTE
DU
CONGRÈS DE VIENNE
DU 9 JUIN 1815,
AVEC SES ANNEXES.



ÉDITION OFFICIELLE
et collationnée avec le texte de l'instrument original déposé
aux Archives de la Chancellerie de Cour et d'État.

T A B L E

	Page
Preamble de l'Acte du Congrès.	1
Article 1. Dispositions relatives à l'ancien Duché de Varsovie	6
— 2. Limites du Grand-Duché de Posen	9
— 3. Salines de Wieliczka	10
— 4. Limites entre la Gallicie et l'Empire Russe	ibid.
— 5. Restitution des districts détachés de la Gallicie orientale	11
— 6. Cracovie déclarée ville libre	ibid.
— 7. Limites du territoire de Cracovie	ibid.
— 8. Privilèges accordés à Podgorze	12
— 9. Neutralité de Cracovie	ibid.
— 10. Constitution, Académie, Evêché de Cracovie	13
— 11. Amnistie générale en Pologne	ibid.
— 12. Séquestres levés	14
— 13. Exception à l'Article précédent	ibid.
— 14. Libre navigation des rivières en Pologne	ibid.
— 15. Cessions de S. M. le Roi de Saxe à S. M. le Roi de Prusse	15
— 16. Titres à prendre par S. M. le Roi de Prusse	17
— 17. Garantie des cessions désignées dans l'article XV.	18
— 18. Renonciation de S. M. l'Empereur d'Autriche aux droits de suzeraineté sur la Lusace	ibid.
— 19. Renonciation réciproque aux droits de féodalité	19
— 20. Liberté réciproque d'émigration	ibid.
— 21. Propriétés des établissements religieux	20
— 22. Amnistie générale en Saxe	ibid.
— 23. Désignation des Provinces dont la Prusse reprend possession	21

X

	Page
24. Possessions Prussiennes en deçà du Rhin	24
— 25. Possessions Prussiennes sur la rive gauche du Rhin	25
— 26. Royaume d'Hanovre	29
— 27. Cessions faites par S. M. le Roi de Prusse au Royaume d'Hanovre	ibid.
— 28. Renonciation de la Prusse au Chapitre de St. Pierre à Noerten	31
— 29. Cessions faites par le Royaume d'Hanovre à la Prusse	ibid.
— 30. Navigation et commerce entre les deux États	32
— 31. Routes militaires	33
— 32. Relations du Duc de Looz-Corawarem et du Comte de Bentheim avec le Royaume d'Hanovre	34
— 33. Cession à faire au Duc d'Oldenbourg	35
— 34. Titre de Grand-Duc dans la Maison de Holstein-Oldenbourg	ibid.
— 35. Titre de Grand-Duc dans les Maisons de Mecklenbourg-Schwerin et Mecklenbourg-Strelitz	36
— 36. Titre de Grand-Duc dans la Maison de Saxe-Weimar	ibid.
— 37. Cessions à faire par la Prusse au Grand-Duc de Saxe-Weimar	ibid.
— 38. Dispositions ultérieures relatives à ces cessions	37
— 39. Territoire à remettre immédiatement au Grand-Duc de Weimar	ibid.
— 40. Cession d'une partie du ci-devant département de Fulde à la Prusse	38
— 41. Dispositions relatives aux acquéreurs des domaines dans la Principauté de Fulde et le Comté de Hanau	39
— 42. Cession de la ville de Wetzlar à S. M. le Roi de Prusse	40
— 43. Relations des pays médiatisés dans l'ancien cercle de Westphalie avec la Monarchie Prussienne	ibid.
— 44. Cessions du Grand-Duché de Würzburg et de la Principauté d'Aschaffenburg à S. M. le Roi de Bavière.	41
— 45. Sustentation du Prince-Primat	ibid.
— 46. Ville libre de Francfort	42
— 47. Indemnités du Grand-Duc de Hesse	43
— 48. Réintégration du Landgrave de Hesse-Hombourg	ibid.
— 49. Territoires réservés pour les Maisons d'Oldenbourg, Saxe-Cobourg, Mecklenbourg-Strelitz, Hesse-Hombourg, et le Comte de Pappenheim	44
— 50. Arrangements futurs relativement à ces territoires	ibid.
— 51. Paye sur les deux rives du Rhin cédés à S. M. l'Empereur d'Autriche	45

	Page
Article 52. Principauté d'Isenbourg	45
— 53. Confédération Germanique	ibid.
— 54. But de cette Confédération	46
— 55. Égalité de ses Membres	ibid.
— 56. Diète fédérative	ibid.
— 57. Présidence de l'Autriche	47
— 58. Composition de l'Assemblée générale	48
— 59. Dispositions relatives à la Diète	50
— 60. Ordre à observer pour les votes	ibid.
— 61. Résidence de la Diète à Francfort	51
— 62. Rédaction des lois fondamentales	ibid.
— 63. Maintien de la paix en Allemagne	ibid.
— 64. Confirmation des dispositions particulières de l'Acte de la Confédération	52
— 65. Royaume des Pays-bas	ibid.
— 66. Limites du Royaume des Pays-bas	53
— 67. Grand-Duché de Luxembourg	55
— 68. Limites du Grand-Duché de Luxembourg	56
— 69. Dispositions relatives au Duché de Bouillon	57
— 70. Cession des possessions Allemandes de la Maison de Nassau- Orange à la Prusse	58
— 71. Pacte de famille entre les Princes de Nassau	ibid.
— 72. Charges et engagements tenant au Provinces détachées de la France	59
— 73. Acte de réunion des Provinces Belges	ibid.
— 74. Intégrité des dix-neuf Cantons de la Suisse	ibid.
— 75. Réunion des trois nouveaux Cantons	60
— 76. Réunion de l'Evêché de Basle et de la ville et du territoire de Bienne au Canton de Berne	ibid.
— 77. Droits des habitants dans les pays réunis au Canton de Berne	61
— 78. Restitution de la Seigneurie de Razüns au Canton des Gri- sons	ibid.
— 79. Arrangement entre la France et Genève	62
— 80. Cessions du Roi de Sardaigne au Canton de Genève	63
— 81. Compensations entre les anciens et les nouveaux Cantons	64
— 82. Dispositions relatives aux fonds placés en Angleterre	65
— 83. Indemnités pour les propriétaires des Lauds	66

مقتطفات من وثيقة مؤتمر فيينا 1815

المصدر: المكتبة الوطنية الفرنسية



جلسة من مؤتمر فيينا 1815

Isabey J.B (1767–1855)

Dessin à la plume, musée du Louvre

Consulté en mai 2019



*Combat du peuple parisien dans les journées des 22, 23, 24
février 1848, grande barricade du château d'eau, image
d'Epinal de la révolution de février 1848,
centre historique des Archives nationales, Paris.*



Les rois d'Europe forcés d'avaler les pilules de la constitution

Lithographie de 1848, musée Carnavalet, Paris.

Consulté en mai 2019



الوضع الإقليمي لأوروبا خلال سنة 1815

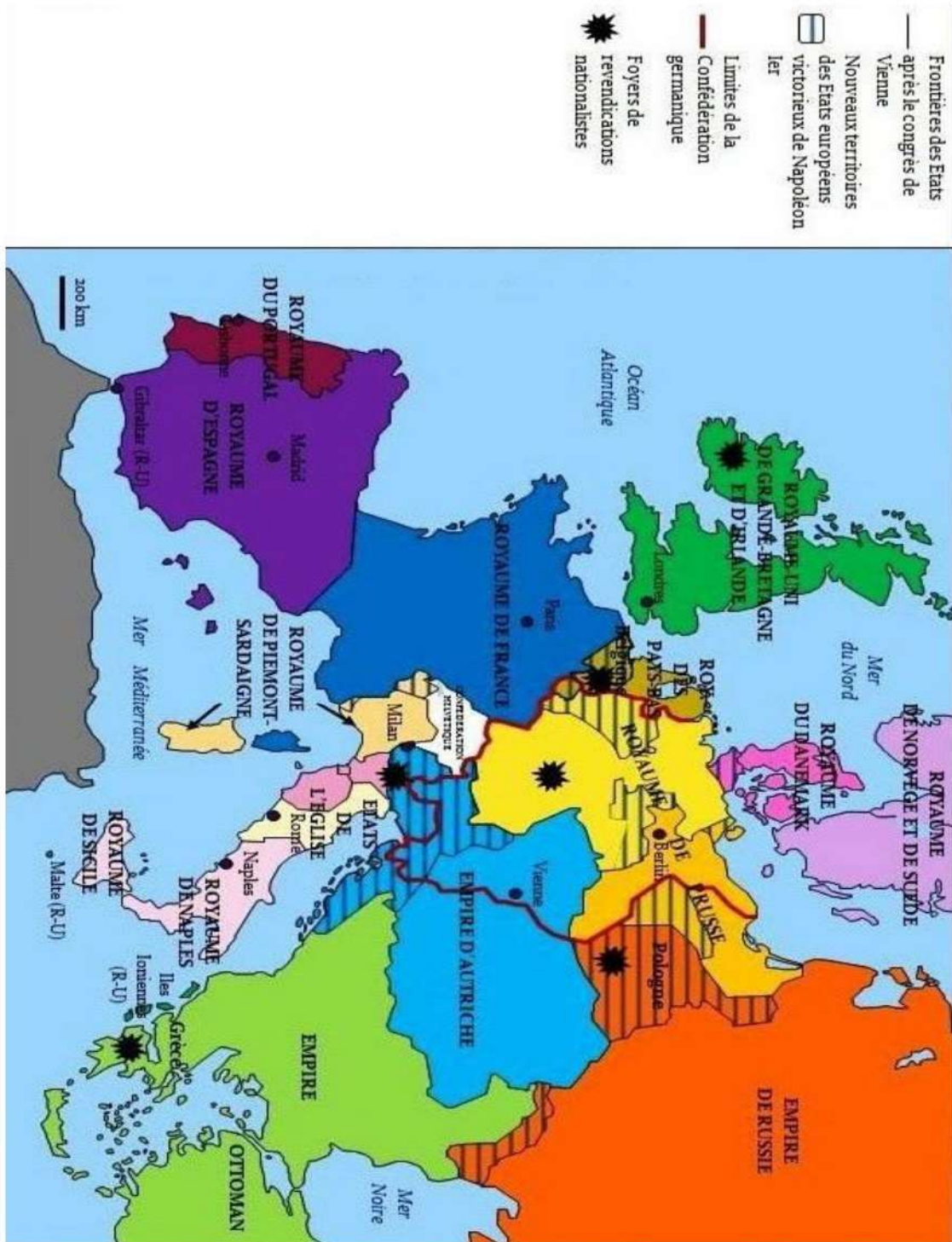


الوضع الإقليمي لأوروبا خلال سنة 1848



الوضع الإقليمي لأوروبا خلال سنة 1871

الخريطة رقم 04



خريطة أوروبا السياسية بعد مؤتمر فيينا 1815

Jean Pierre Bois, l'Europe à l'époque moderne , Paris ,
Armand Colin, 2004.

البيليوغرافيا

أولا : الوثائق الأرشيفية والمصادر

– الوثائق الأرشيفية:

- 1- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية باريس: تم الاطلاع على سلسلتين:
 - مذكرات ووثائق فرنسية وخاصة ما تعلق بمؤتمر أكس لاشايل ومؤتمر تروباو وليياخ ومؤتمر فيرونا وندوة لندن حول مسألة الاستقلال اليونانية وندوة لندن حول مسألة الاستقلال البلجيكية.
 - المراسلات الدبلوماسية وخاصة مراسلات سان بطرس بورغ سنة 1824
- 2- الوثائق الرسمية لمؤتمر فيينا- قرارات ختامية – وقد تحصلت على نسخة لأعمال المؤتمر والمسائل التي تمت دراستها بالإضافة إلى القرارات التي تمت المصادقة عليها.
- 3- الوثائق الرسمية لمؤتمر فيرونا- محاضر الجلسات وقرارات ختامية –
- 4- الوثائق الرسمية لمؤتمر تروباو – محاضر الجلسات وقرارات ختامية –

– المصادر الارشيفية المطبوعة:

1. Aspinall A. and Smith E Anthony, English Historical Documents 1783-1832, (London, 1959).
2. CHATEAUBRIAND(F.R.de), Mémoires d'outre-tombe, Paris, la Pochothèque, 1989-1998, 2 vol.
3. Congres de Vérone, guerre d'Espagne, négociations : colonies espagnoles, Paris, Delloye, 1838, 2 vol.
4. Hurst Michael, Key Treaties for the Great powers, 1814-1914, Vol.1 1814-1870, (Oxford, 1972
5. Kertesz G. A., Documents in the Political History of the European Continent 1815-1939) Oxford, 1970

6. Metternich, Mémoire, lettres et documents, divers, Paris, Plon, 1880-1884, 8 vol, V 4
7. Ministère des affaires étrangères Mémoires et documents de France, Paris.
8. Walker Mack, Metternich's Europe, (London, 1968).
9. Wiener Joel . H., Great Britain Foreign Policy and the Span of Empire 1689-1971, Vol.1 (New York, 1972).
10. Acte du 8 juin 1815 ,pour la Constitution fédérative de l'Allemagne.
11. D'Eaubonnes Françoise, Une femme témoin de son siècle, Germaine De Staël, Paris, Flammarion, 1966,
12. Le Moniteur universel, 26 juillet 1830
13. Otto von Bismarck, Mémoires, Paris, Éditions Perrin, 2021

ثانيا : المراجع

- الكتب العربية والمعرّبة:

1. ابن منظور، لسان العرب، المجلّد 11، ط 3، دار صادر للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 2004
2. أبو شيهوه مالك عبّيد وآخرون، الإيديولوجيا والسياسة (دراسات في الإيديولوجيات السياسية المعاصرة)، ط 1، مصراتة - ليبيا، الدّار الجماهيرية للنّشر والتّوزيع
3. أبو عليه عبد الفتاح حسن، واسماعيل ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، القاهرة: دار المريخ، (1979)،
4. الاقداحي هشام محمود، معالم الدّولة القومية الحديثة: " رؤية معاصرة "، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008،
5. برنار لويس، لغة السياسة في الإسلام، ط 1، ترجمة: إبراهيم شتا قبرص، دار قرطبة للنّشر، 1993،
6. بسيوني عبد الغني عبد الله، النظم السياسية: أسس التنظيم السياسي، دار المعارف، الإسكندرية، 1990

7. البشري عبد الغني، أثر سياسة القوميات في الحركة القومية العربية، ط. 1، إدارة المطبوعات والمنشورات للقوات المسلحة، القاهرة، 1964.
8. البطريق عبد المجيد، التيارات السياسية المعاصرة 1870-1960، دار الفكر العربي، بيروت، 1974.
9. بوند، براين، الحرب والمجتمع في أوروبا-1870 - 1970، ترجمة سمير الجلي، ط 2، دار المأمون، بغداد، 1988.
10. تشار جان وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة: علي مقلد، ط 2، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر، 1983.
11. تودوروف: نحن والآخر، ترجمة ربي حمود، ط 1، دار المدى للثقافة والنشر، 1998.
12. توشار جان، تاريخ الفكر السياسي، ط. 1، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983.
13. تيلور بيتر، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985.
14. تيلور بيتر، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ترجمة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، 2002.
15. جرانت أ. ح، تمبلي هارولد، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950)، ترجمة بهاء فهمي وعزت أحمد عبد الكريم، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967.
16. جروزي ستيف، القومية، ترجمة محمد إبراهيم الجندي، ومحمد عبد الرحمن إسماعيل، ط 1، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2015.
17. جروزي ستيفن، القومية: مقدمة قصيرة جداً، تر. محمد عبد الرحمن إسماعيل ومحمد إبراهيم الجندي، مؤسسة هنداوي عام 2015.
18. جنيفر، وهلين سوين هانت: نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية، ترجمة قيس النوري، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة.

19. جوينو جان ماري، نماية الديمقراطية، ط 1، الدّار الجماهيرية للتّوزيع والتّشّير والإعلان، 1995.
20. حاطوم نور الدين، تاريخ الحركات القومية، ج 1، بيروت، 1967.
21. حسن خليل حسن، الإسلام والقومية العربيّة، ط 1، دار الكتاب، بن غازي، 1974.
22. الحصري أبو خلدون ساطع، آراء وأحاديث في الوطنية والقوميّة، ط 3، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 1980.
23. الحصري أبو خلدون ساطع، ما هي القومية (أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والتّظريات)، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 1985.
24. حيدر سليمان، علي، تاريخ اوربا الحديثة، ط 3، بغداد، مطبعة دنكور الحديثة، 1990.
25. دافيز هوراس، القومية، ترجمة: سمير كرم، ط 1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1980.
26. الدسوقي، محمد كمال، تاريخ اوربا الحديث 1800-1818، القاهرة، مطبعة النهضة الجديدة.
27. دوب موريس، سوزي بل، رهل كريستوف، الإقطاع والرّأسمالية، ترجمة : عصام الخفاجي، بيروت، دار ابن خلدون، 1977.
28. ديورانت ليل، قمة الفلسفة، ترجمة: أحمد الشيباني، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت.
29. راشد زينب عصمت، تاريخ أوربا الحديث في القرن 19، ج 2، دار الفكر العربي، القاهرة.
30. رياض محمد: الإنسان: دراسة في النوع والحضارة، مؤسسة هنداوي، 2014، القاهرة.
31. زرزور عدنان محمّد، جذور الفكر القومي والعلماني، ط 3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1999.
32. زيدان محمّد مصطفى، القومية العربيّة بين التّحدي والاستجابة، دار مكتبة الأندلس، ليبيا، 1982.
33. سعادة جودة أحمد، مناهج الدراسات الاجتماعية، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1984.
34. سعد الدّين إبراهيم وآخرون، اتجاهات الرّأي العام العربي نحو مسألة الوحدة (دراسة ميدانية)، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 1980.

35. سعد الدين إبراهيم وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996.
36. سعود عبد العزيز: نظرية العلاقات الإنسانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، 2010.
37. سنو عبد الرؤوف، ألمانيا والإسلام في القرن التاسع عشر والعشرين، دمشق، دار الفرات، 2007.
38. السوداني، الدكتور صادق حسن، التطورات السياسية والاقتصادية في بريطانيا في العهد الفكتوري 1837-1901، جامعة بغداد: كلية الآداب - قسم التاريخ.
39. شكري محمد فؤاد، الصراع بين البرجوازية والاقطاع 1789 - 1848، المجلد الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.
40. شكري محمد فؤاد، الصراع بين البورجوازية والاقطاع 1789-1848م (03 مجلدات)، مؤسسة هنداوي عام 2015.
41. شلتز داون: نظريات الشخصية، ترجمة حمد دلي الكربولي وعبد الرحمن القيسي، بغداد، المكتبة الوطنية، 1983.
42. شيخاني سمير، صانعوا التاريخ، ج2، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1991.
43. شيفر بويد، القومية (عرض وتحليل)، ترجمة: جعفر خصياك وعدنان الحميري، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1962.
44. شيني ل.ج، تاريخ العالم الغربي، تر: مجد الدين حفني ناصف، دار النهضة العربية، القاهرة .
45. صوفي أبو طالب وآخرون، المجتمع العربي والقضية الفلسطينية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.
46. طه جاد، ألمانيا إلى أين المصير، دار المعارف، القاهرة، 1990.
47. عمارة محمد، الظاهرة القومية في الحضارة العربية، رابطة الادباء في الكويت.
48. عويضة كامل محمد: فريدريك نيتشه، فلسفة القوة، دار الكتاب العالمية.
49. غالب مصطفى، نيتشه، منشورات دار مكتبة الهلال، 1988.

50. غديز انتوني، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان.
51. غيلز ارنست، الأمم والقومية، ترجمة: مجيد الراضي، ط 1، دار المدعى للطباعة والنشر، سوريا، 1999.
52. فالح عبد الجبار، النزعة القومية العربية والإسلام (1890-1990) في القومية مرض العصر أم خلاصه؟ ط 01، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1995.
53. فوزي عبد المنعم، فلسفة الفكر المالي، وكالة الصحافة العربية، 2018.
54. فيشر، أول، تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ج 3، ترجمة أحمد نجيب ووديع الضبع، ط 1 (القاهرة: دار المعارف، 1958).
55. قاسم محمد، هاشم أحمد نجيب، التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، 1973.
56. فدري مصطفى أبو زيد، الوجيز في النظرية العامة للقومية العربية، القاهرة، 1964.
57. فرقوط، ذوقان، الثورة الفرنسية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.
58. كوهين هانز، عصر القومية، ترجمة عبد الرحمن صدقي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1964.
59. ماهر محمود عمر، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988.
60. محمد صالح محمد وآخرون، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، بغداد مطبعة جامعة بغداد، 1985.
61. مراد علي عباس، فياض عامر حسن، القومية والأمة: مدخل إلى الفكر السياسي القومي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017.
62. مراد، خليل علي وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ط 2، الموصل: جامعة الموصل، 1988.
63. المصري أحمد سويلم، أصول العلاقات السياسية الدولية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 3، القاهرة، 1959.

64. نوار عبد العزيز سليمان، النعني عبد المجيد، التاريخ المعاصر، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1974.
65. نوار عبد العزيز سليمان، أوروبا من الحرب البروسية الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية، القاهرة: دار الفكر العربي، 1982.
66. نيف جون، الأسس الثقافية للحضارة الصناعية، ترجمة: محمود زايد، ط. 1، بيروت، دار الثقافة، 1962.
67. هوراس دافيز، القومية (نحو نظرية علمية معاصرة)، ترجمة: سمير كرم، ط. 1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1980.
68. هويزنج يوهان، أعلام وأفكار (نظرات في التاريخ الثقافي)، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972.
69. يحي جلال، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، الجزء الثاني، المكتب الجامعي الحديث، الأزبكية، الإسكندرية.

- الكتب الأجنبية:

1. Ayçoberry Pierre, L'Unité allemande, 1800-1871, Presses universitaires de France, 1968,
2. Azurmendi Joxe, « Génie du peuple, Esprit de la nation, Volksgeist », dans Humboldt : Hizkuntza eta pentsamendua, Bilbo, UEU, 2007,.
3. BELL David A., The Cult of the Nation. Inventing Nationalism, 1680-1820, Harvard University Press, 2001,
4. Benedict Anderson, L'imaginaire national : Réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme ,(trad. Pierre-Emmanuel Dauzat), éditions La Découverte, 1996 ,

5. Benoistel Mathilde, Sylvie Le Ray-Burimi, Christophe Pommier (dir), France-Allemagne(s) 1870-1871, la guerre, la Commune, les mémoires, Paris, Gallimard/musée de l'Armée, 2017,
6. Bihr Alain, Le Crépuscule des États-nations, transnationalisation et crispations nationalistes, Page deux, 2000,
7. Bihr Alain, Le Crépuscule des États-nations, transnationalisation et crispations nationalistes, Ed. Page deux, 2000,
8. Brubaker, R. 2004, "In the Name of the Nation: Reflections on Nationalism and Patriotism," Citizenship Studies, 8(2).
9. Burdeau Geores : Droit Constitutionnel et institutions Politique , Paris , 20e d , 1989
10. Clark Christopher , Der Deutsch-Dänische Krieg, 1600-1947, Munich,
11. De Senarclens Pierre, Nation et Nationalisme, Sciences Humaines Éditions, Paris, 2018, ,
12. Delannoi Gil, Taguieff Pierre-André. ;Théories du nationalisme : nation, nationalité, ethnicité. Editions Kimé, 1991,
13. Dreyfus François-Georges, L'unité allemande, Presses universitaires de France, 1993,
14. Droz Jacques, L'Allemagne, vol. 1 : La Formation de l'unité allemande, Paris, Hatier, coll. Collection d'histoire contemporaine / Hatier université, 1970,
15. Engels. F, the Role of Force in History: A study of Bismarck's Policy of Blood, in Iron, Translated By Jack Cohen , London, 1968,
16. Gellner Ernest, Nations et nationalisme, éditions du Seuil, 1989,
17. Gooch G.P. ,Studies in Diplomacy and Statecraft London 1942,

- 18.Halloweli John, Main currents in modern political thought, First edition, New York, Holth Rinehart and Winston, USA,
- 19.Harrison H.C.G., Matthew ,and Brin (ed), Oxford Dictionary of National Biography (from the earliest times to the year 2000), Great Britain, oxford University Press, 2000,
- 20.Heinzen Jasper, Making Prussians, Raising Germans. A Cultural History of Prussian State–Building after Civil War, 1866–1935, Cambridge University Press, 2017.
- 21.Hobsbawm Eric, Nations et Nationalisme depuis 1780 : programme, mythe, réalité, éditions Gallimard, 1992,
- 22.HOBSON J, The Eastern Origins of Western Civilisation, Cambridge, Cambridge University Press 2004.
- 23.Hollyday F. B. M, Bismarck, New Jersey, Prentice Hall, 1970,
- 24.Hoyndorf Roland et Schneider Willy, La perte de l'Alsace Lorraine, Éditions Coprur, 2000,
- 25.James Paul, Nation Formation (Toward a theory of Abtract Community), 1^{er} edition, Sage publication, Great Britannica, University Press, Cambridge, 1996,
- 26.KENT George , Bismarck and his times, Libraire of congres, 1978,
- 27.Kott Sandrine, Bismarck, Paris, Presses de Sciences po, 2003 ,
- 28.Lamine Anne–Sophie, « L'ethnicité comme question sociologique », Archives de sciences sociales des religions, 131–132 | 2005,
- 29.Lenman, Bruce .P .(ed), Chamber Dictionary World History , Consultant Great Britain Claysltd.,1994,

30. Lud wing Emil, Bismarck(the story fighter, U.S.A,little Brown and Rodes, John E, Germany, History, U.S.A, Holt, Rinehard and company, 1926,
- 31.Mazzeo, Joseph Anthony, Renaissance and revolution, London, 1963.
- 32.Miller,David On nationality, Oxford university press, Clarendon Press, 1995,
- 33.Milza Pierre, L'année terrible – La guerre franco–prussienne septembre 1870 – mars 1871, Éditions Perrin, 2009,
- 34.Raoul Girardet, Nationalismes et nation, éditions Complexe, 1996,
- 35.Renan Ernest, Qu'est-ce qu'une nation ?, éd. Le Mot et le Reste,2007,
- 36.Renan Ernest, Qu'est-ce qu'une nation?1882, Paris, Presses-Pocket,1992,
- 37.RIST G., Le Développement. Histoire d'une croyance occidentale, Paris, Presses de Sciences Po,1996.
- 38.Robert A Kann, History of the Habsburg Empire : 1526–1918, Los Angeles, University of California Press, 1974,
- 39.Rodes, John E, Germany History, U.S.A., Holt, Rinehard, and Winston, N,D),
- 40.Roy Bridge et Bullen Roger, The Great Powers and the European States System 1814–1914, Longman, 2004,
- 41.Santamaria Yves et Waché Brigitte, Du printemps des peuples à la société des nations : Nations, nationalités et nationalismes en Europe, 1850–1920, Paris, éditions La Découverte, 1996.
- 42.Smith Anthony D, Nationalism and Modernism, 1^{er} edition, Rutlege, USA, 1998,
- 43.Steven *Clemente* E., For King and Kaiser! : the making of the Prussian Army officer, 1860–1914, New York,

44. Steven Clemente E., For King and Kaiser! : the making of the Prussian Army officer, 1860–1914, New York, Greenwood, coll. « Contributions in military studies », 1992,
45. Sweezy, Paul. The theory of capitalism development, Monthly review press, New York, 1956.
46. Taylor A.J.P. , the Habsburg monarchy 1809–1818, Hamish Hamilton, London ,1948,
47. Thiesse Anne-Marie, La création des identités nationales Europe xviii – xixe siècle, éditions du Seuil, 1999,
48. Tredoux Gavan, Ethnicity and ideology. Stalking the wild taboo. 1990,
49. Wachter Capitaine Alfred-Oscar, Histoire de la guerre franco-allemande 1870–71, Histoire politique, diplomatique et militaire, T02, Imprimerie et Librairie militaires de L. Baudoin, 1895,
50. Wawro Geoffrey, The Austro-Prussian War : Austria's War with Prussia and Italy in 1866, Cambridge, Cambridge University Press, 1996

ثالثا : المقالات

1. بن ترار عبد القادر، جان جاك روسو الباحث عن العدالة في أصل التفاوت، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد 07، العدد 01، (2020)، ص 225–235.
2. التكريتي: د. هاشم صالح، التغلغل الألماني في المشرق العربي قبل الحرب العالمية الأولى، المؤرخ العربي، (مجلة)، بغداد، العدد (27)، 1989م
3. الخضيرى وليد، القومية والدين.. قراءة نقدية في المفهوم الغربي للقومية، الموقع الالكتروني المقال، نشر بتاريخ 08 يناير 2014، اطلع عليه في 2019/11/12.

4. رميح طلعت: الدولة الوطنية (القومية) في العالم الإسلامي، مجلة البيان، العدد 395، فبراير - مارس 2020 م
5. فرشوخ، بسمارك موحد ألمانيا، "تاريخ العرب والعالم"، (مجلة)، السنة 3، العدد 26، بيروت، دار النشر العربية، 4 ديسمبر 1980.
6. قاسم عبده قاسم، الأنا والآخر... أو (نحن) و(هم)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 23 جويلية 2014،
7. قنان، جمال، مفهوم القومية في الفكر الأوروبي في القرن 19م، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة،
8. مفاهيم سياسية: القومية والهوية والعلاقة بينهما، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، تاريخ النشر 2018/10/30.
9. مناصرة عباس، الأدب والثقافة سياج الأمة حول نفسها، الموقع الإلكتروني السبيل، نشر في 23 افريل 2020، اطلع عليه في 2020/05/10.

10. Albertini, Mario, L'idée de nation, Cahiers fédéralistes N° 2, septembre, 2018, pp.
11. Castellan Georges, La Révolution française et son impact en Europe du Sud-Est, Revue Historique, T. 282, Fasc. 1 (571) (JUILLET-SEPTEMBRE 1989), pp. 187-195, Published By: Presses Universitaires de France.
- 12.
13. Delannoi Gil, Réflexions sur le nationalisme, rev. Esprit, n°. 198 (1) (Janvier 1994),
14. Kitsikis Dimitri, Le Nationalisme, Revue Études internationales, vol. 2 no 3, 1971,
15. Kopeczi Béla, La Révolution française et la Hongrie, Annales historiques de la Révolution française, Année 1973, pp. 161-164

16. Leuwers, Hervé « Révolution et guerre de conquête : Les origines d'une nouvelle raison d'État (1789-1795) », Revue du Nord, vol. LXXXV, n° 299, 1993, p. 21-40.
17. Matter Paul, La Prusse au temps de Bismarck, la defaillance d'Olmütz, Revue Historique ,T. 86, Fasc. 2 (1904), Published By: Presses Universitaires de France ,pp. 242-279
18. Paquin Stéphane, Les théories explicatives de l'apparition des nations et du nationalisme, Bulletin d'histoire politique, Volume 8, N° 1, 1999.

خامسا : الموسوعات، المعاجم والقواميس.

1. أسعد مفرج، موسوعة عالم السياسة، المجلد 24، دار نوبليس للنشر، 1900،
2. بالمر، الآن، موسوعة التاريخ الحديث ج 2، ترجمة فيصل السامر، بغداد: دار المأمون، 1992.
3. البعلبكي منير، موسوعة المورد العربي: دائرة المعارف ميسرة مقتطفة عم موسوعة المورد، المجلد 1، القسم 1، ط 1، دار العلم الملايين، بيروت، 1990.
4. جاسور ناظم عبد الواحد، موسوعة علم السياسة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2004.
5. صليبا جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، الفرنسية، الإنكليزية، اللاتينية، ج 2، دار الكتاب اللبناني، 1982،
6. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج 1، ط 3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997.
7. عطية الله أحمد، القاموس السياسي، ط 3، دار النهضة العربية، مصر، 1968.
8. الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.
9. الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.

10. المولا علي، الموسوعة العربية الميسرة، جزء 2، مكتبة العصر لبنان، 2010.
11. هلال علي الدين وآخرون، معجم المصطلحات السياسية، ط1، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، 1994،
12. قاموس المعجم الوسيط، اللغة العربية المعاصر، قاموس عربي عربي
13. Encyclopedia Britannica, INC., G. and Merriamco., 1971
14. The Oxford English Dictionary, 6^e edition, edited by Solly Welimeie, Oxford, university press, Britannica, 2001,
15. Third Webster's, **New international dictionary of the english language**, Volume I .

الفهارس

أولاً: فهرس الأعلام

ثانياً: فهرس الأماكن

ثالثاً: فهرس المحتويات

أولا: فهرس الأعلام

50	أرنست رينان
290, 294	اسكندر الثاني
39	إميل دور كهايم
32	انتموني سميت
31	أنتومي غدنز
48, 49	أنتوني سميت
44	أنتوني غدنز
36, 337	برنار لويس
21, 150, 230, 276, 277, 278, 280, 284, 285, 286, 287, 288, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295, 296, 298, 299, 300, 301, 302, 303, 304, 305, 306, 307, 309, 310, 311, 312, 313, 315, 316, 317, 318, 319, 320, 321, 322, 345	بسمارك
30	بوشيه
118	بول الأول
186, 187	بولينياك
106	بونياتوسكي
33	بويد شيفر
94	تاليان
120	ثيوبالد وولف
62	جاكوب بوركهارت
68	جان كالفن
28	جوزيف الثاني
62	جيرري بروتون
34	حسن خليلي حسني
93, 94, 260	دانتون
29	دي ستال
45	ديفيد ميللر

25, 26, 37, 38, 41, 46, 50, 82	ساطع الحصري
234, 235, 236	سافيني
52	ستالين
61	ستندال
176, 185, 186, 189	شارل العاشر
125	شرلمان
290	فريدريك ويليام
61	فولتير
50, 77, 226, 288	فيخته
118	كاثرين الثانية
183	لويس الثامن عشر
189, 190, 197, 206, 214, 215, 220, 221, 305	لويس فيليب
100, 208, 209, 210, 230, 257, 285, 304, 305, 306, 314	ليوبولد
39	ماتزيني الإيطالي
68, 227	مارتن لوثر
34	مالك أبو شهيوه
16, 17, 134, 137, 139, 142, 145, 148, 154, 157, 158, 160, 161, 162, 163, 165, 168, 169, 171, 176, 177, 179, 216, 219, 220, 226, 228, 229, 232, 244, 255, 275, 292, 311	مترنيخ -
34	محمّد مصطفى زيدان
65	مونتين
60	ميكيافلي
85, 101, 114, 116, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 132, 134, 135, 136, 137, 140, 142, 145, 146, 150, 152, 153, 155, 159, 178, 182, 183, 184, 186, 190, 191, 200, 220, 223, 224, 227, 238, 242, 244, 274, 275, 283, 290, 291, 293, 294, 300, 303, 308, 311, 312, 321, 319, 324	نابليون
228, 236, 237, 270	هالر
49, 230	هردر

70	-----هنري الثامن
52, 341	-----هوراس دافيز
28, 230, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 252	-----هيجل
202, 204, 208, 293, 305, 306, 309, 310, 313, 318	-----وليم الأول

ثانيا: فهرس الأماكن:

126, 127, 131, 133, 134, 144, 145, 160, 161, 163, 164, 165, 169, 170, 171, ---	إسبانيا
172, 179, 200, 201, 304, 305	
121	-----إسكتلندا
110, 113	-----الأفلاق
89, 150, 230, 308, 310, 312, 318, 319, 320	-----الألزاس
8	-----الإمبراطورية الرومانية
98, 128, 133, 147	-----البرتغال
110	-----البغدان
100, 101, 114, 140, 141, 145, 151, 159, 216, 220, 300, 302	-----البندقية
14, 110, 114, 118, 149, 154, 163, 166, 167, 168, 169, 173, 176, 177, 178,	الدولة العثمانية
179	
66	-----السويد
94	-----المحيط الأطلسي
90, 108, 111, 118, 131, 132, 133, 134, 135, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145,	النمسا
146, 147, 148, 150, 151, 153, 154, 155, 158, 159, 160, 161, 162, 163, 165, 166,	
170, 172, 173, 174, 176, 177, 178, 181, 196, 197, 198, 199, 212, 216, 217, 218,	
219, 220, 221, 222, 224, 231, 245, 247, 251, 253, 265, 275, 276, 277, 278, 279,	
280, 281, 283, 284, 287, 290, 291, 292, 294, 295, 296, 298, 299, 300, 301, 302,	
303, 304, 307, 311, 312, 314, 322, 324	
109, 110, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 166, 167, 168, 173, 176, 178, 179, 284	اليونان

31, 66, 70, 98, 103, 107, 112, 120, 121, 122, 123, 126, 128, 129, 138, 139, ---	انجلترا
140, 147, 150, 154, 155, 156, 161, 163, 164, 168, 169, 170, 171, 172, 179, 182,	
189, 191, 195, 206, 208, 210, 223, 235, 250, 266, 267, 282, 292	
7 -----	أوريا
119, 120, 121, 122, 123, 124, 135, 235 -----	إيرلندا
98 -----	إيرلندا
47, 60, 61, 62, 63, 74, 96, 97, 99, 100, 101, 102, 111, 114, 115, 118, 125, 131, إيطاليا	
132, 141, 144, 145, 146, 148, 149, 151, 159, 160, 161, 162, 163, 165, 166, 170,	
172, 175, 180, 196, 197, 198, 211, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 223, 229, 231,	
232, 254, 276, 301, 302	
15, 61, 87, 93, 100, 125, 132, 133, 149, 155, 172, 175, 186, 188, 193, 197, ---	باريس
203, 214, 215, 221, 223, 253, 293, 294, 304, 308, 309, 310, 321, 336	
126, 280, 317-----	بافاريا
95, 96, 257-----	بال
107, 274-----	بحر البلطيق
130, 193, 222, 226, 228, 230, 234, 237, 252, 264, 271, 277, 282, 289, 293, 297, برلين	
306, 310, 321	
103 -----	برن
14, 19, 21, 28, 92, 95, 100, 107, 127, 128, 129, 130, 132, 133, 135, 136, 137, -	بروسيا -
138, 139, 140, 141, 143, 144, 146, 148, 149, 150, 151, 153, 154, 155, 161, 175,	
176, 193, 221, 222, 223, 226, 228, 231, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250,	
251, 252, 257, 258, 261, 264, 265, 267, 268, 270, 271, 273, 275, 276, 277, 278,	
279, 280, 281, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295,	
296, 297, 298, 299, 300, 301, 302, 303, 304, 305, 306, 307, 308, 309, 310, 311,	
312, 313, 314, 315, 317, 318, 319, 321	
92, 139, 140, 144, 145, 146, 148, 149, 151, 190, 199, 200, 201, 204, 205, ---	بلجيكا
206, 208, 284, 305	
120 -----	بلفاست

110, 114	بوحارست
98, 137	بولنده
101, 159, 165, 217, 219, 283	بيدمونت
113, 140, 174, 176, 192	تركيا
15, 16, 161, 162, 163, 165, 166, 167, 171, 336	تروباو
94	جبال الألب
94	جبال البرانس
96, 101, 141, 159	جنوة
126	جوزيف بونابرت
96	روراشيا
168, 173, 174, 177	روسا
98, 107, 108, 110, 125, 127, 128, 129, 133, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 143, 146, 150, 153, 154, 155, 156, 159, 160, 163, 164, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 183, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 206, 223, 232, 290, 291, 304, 314, 315, 322	روسيا
108	روسيا البيضاء
8, 66, 70, 100, 101, 118, 198, 216, 321	روما
102	سويسرا
132, 222, 223, 230, 237, 255, 271, 277, 280, 284, 290, 291, 292, 293, 295, 308, 312	فرانكفورت
18, 20, 29, 30, 50, 61, 67, 70, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 102, 103, 107, 109, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 122, 123, 124, 125, 127, 128, 130, 131, 132, 133, 135, 138, 139, 140, 142, 144, 145, 147, 150, 151, 152, 153, 154, 155, 158, 159, 161, 170, 171, 172, 175, 176, 177, 178, 182, 183, 184, 185, 186, 188, 189, 190, 193, 196, 197, 199, 203, 205, 206, 207, 208, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 219, 220, 221, 222, 223, 225, 229, 230, 231, 234, 236, 260, 263, 264, 269, 277, 283, 287, 290, 291, 292, 293, 295, 296, 298, 300, 302, 303, 304,	فرنسا

305, 306, 307, 308, 309, 310, 311, 312, 313, 314, 315, 316, 318, 321, 319, 321,	
322, 323, 324	
15, 166, 169, 336 -----	فيرونا
14, 15, 16, 18, 111, 113, 116, 122, 127, 128, 131, 132, 134, 140, 141, 142, 143,	فيينا
145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 155, 156, 157, 159, 160, 163, 164,	
166, 168, 175, 180, 178, 179, 180, 191, 194, 195, 199, 210, 212, 216, 218, 219,	
222, 223, 224, 225, 227, 229, 232, 247, 257, 275, 276, 278, 281, 291, 297, 336	
207, 208 -----	لكسمبورغ
15, 135, 153, 164, 177, 178, 204, 206, 208, 209, 314, 336 -----	لندن
92, 201 -----	لييج
101 -----	مارنجو
208 -----	ماسيتريخت
96, 101 -----	ميلان
97, 100, 101, 118, 125, 131, 141, 144, 145, 159, 160, 163, 165, 166, 170, 203,	نابولي
216, 217	
96, 165 -----	نهر البو
93, 98, 122, 131, 148 -----	نهر الراين
125 -----	نوتردام
125, 143, 249, 250, 281, 302 -----	هانوفر
105, 266 -----	هنغاريا
66, 125, 131, 132, 144, 145, 146, 149, 151, 180, 200, 201, 207, 209, 266, 305 -	هولندا
96, 131 -----	هولندة
105, 106, 107, 128, 136, 137, 138, 140, 143, 145, 191, 192, 194 -----	وارسو
125, 126, 127, 138, 141, 153 -----	وستفاليا

فهرس المحتويات

ثالثا: فهرس المحتويات

7	مقدمة:-----
10	-دواعي اختيار الموضوع:-----
11	-إشكالية البحث وتحديدها:-----
12	-أهداف البحث:-----
13	-أهمية البحث:-----
13	-حدود البحث:-----
14	-مدخل وصفي ونقدي للبيبلوغرافية المعتمدة في الدراسة:-----
15	- المصادر والمادة الأرشيفية:-----
20	-فصول الدراسة:-----
21	-منهج الدراسة:-----
22	-صعوبات البحث:-----
23	الفصل الأول: التأصيل الفلسفي المفاهيمي للقومية-----
25	المبحث الأول: ماهية القومية :-----
37	المبحث الثاني: المفاهيم المقاربة لمفهوم القومية-----
37	1-القومية والأمة:-----
43	2-الشعب والجنسية :-----
45	3-الأمة والعرق والإثنية :-----

46	4-الإثنية (Ethnicity) :
48	5-الأمة والوطنية Patriotism :
50	6-الدولة القومية :
51	المبحث الثالث: قراءة في النظريات القومية
53	1- النظرية الألمانية (وحدة اللغة والثقافة) :
54	2- النظرية الفرنسية (الإدارة المشتركة)
55	3- النظرية الروسية
58	الفصل الثاني: التّأصيل التاريخي للمبادئ القومية
59	المبحث الأول: مراحل نشوء وتطوّر الظاهرة القومية.
61	1- المستوى الوجودي الشعوري للارتباط القومي.
61	2- المستوى الوجودي الفكري للارتباط القومي
62	3- المستوى الوجودي السياسي للارتباط القومي
64	المبحث الثاني: نشأة وتطوّر البعد السياسي للظاهرة القومية
68	1- العوامل الاقتصادية
70	2- العوامل الاجتماعية
73	3- العوامل الثقافية
75	4- العوامل السياسية
77	المبحث الثالث: التطور التاريخي للبعد السياسي للظاهرة القومية:

1-مراحل التطور:	77
2-عناصر الدولة:	80
3-العوامل المهيئة للوحدة الوطنية والتجانس القومي:	83
الفصل الثالث: فرنسا الثورة والمسائل القومية	92
المبحث الأول: تأثيرات الثورة الفرنسية وسياساتها اتجاه المسائل القومية في أوروبا:	93
المبحث الثاني : تفاعل الأقاليم الأوروبية مع أفكار الثورة الفرنسية:	106
1- الأقاليم الألمانية:	107
02- الولايات الإيطالية والثورة الفرنسية:	107
03- المقاطعات السويسرية والثورة الفرنسية:	110
المبحث الثالث: آثار الثورة خارج مجال الجوار الفرنسي:	112
01- الأقاليم الهنغارية (المجرية):	113
02- الأقاليم البولندية بين الحكم الرجعي والتأثير الثوري الفرنسي:	113
03- الأقاليم اليونانية بين التطلعات القومية وعقبات الانفصال:	118
04- إيرلندا وتأثيرات الثورة الفرنسية:	128
المبحث الرابع: نابليون ومبدأ تصدير الثورة وانعكاساته على الساحة الأوروبية:	134
خاتمة الفصل:	143
الفصل الرابع: المسائل القومية في ظل المحفل الأوربي 1830-1815	144

المبحث الأول: مؤتمر فيينا وبناء معالم السياسة الاورو -أوربية :	145
1- تسويات المؤتمر:	149
2- مبادئ وقرارات المؤتمر:	155
3- قراءة في قرارات المؤتمر ونتائجه:	164
المبحث الثاني: المحفل الاوربي وتطور فكرة التنظيم الدولي:	166
1- مؤتمر أكس لاشايل 25 سبتمبر 1818:	167
2- مؤتمر: فيرونا ⁰ مارس 1821م:	180
المبحث الثالث: انحلال المحفل الأوربي وأسباب ذلك:	188
خلاصة الفصل :	195
الفصل الخامس: الابعاد القومية في الثورات الأوروبية 1830 و 1848	197
المبحث الأول: الثورات الأوروبية سنة 1830:	198
1- أسباب قيام ثورات 1830:	198
02- نماذج للثورات الأوروبية سنة 1830:	203
المبحث الثاني: ثورات الربيع الأوربي 1848:	232
1- أسباب ثورات الربيع الاوربي 1848:	233
02- نماذج لثورات 1848:	237
خلاصة الفصل:	245

248	الفصل السادس: تطور المسائل الومية الألمانية-----
249	المبحث الأول: ألمانيا بعد 1815م:-----
249	01- الشعور القومي الألماني بعد مؤتمر فيينا 1815:-----
253	02- اتحاد البورشنشافت والمسائل القومية:-----
257	03- نظام مترنيخ في مواجهة الوطنيين والأحرار:-----
261	04- الحركة الفكرية الألمانية والإيديولوجية الرجعية:-----
273	المبحث الثاني: السياسة البروسية وتأسيس الزولفرين:-----
273	1- السياسة البروسية والمسائل القومية:-----
275	02- الزولفرين Zollverein:-----
281	03- الأحرار و"رد الفعل" ضد بروسيا:-----
283	المبحث الثالث: ثورة 1830م:-----
286	المبحث الرابع: الحياة الفكرية واتجاهاتها القومية في ألمانيا بعد 1830:-----
286	1- الجامعات:-----
289	2- الحركة "السانسيمونية" وتطلعاتها القومية:-----
291	3- حركة ألمانيا الفتاة:-----
294	المبحث الخامس: ثورة 1848:-----
294	1- تطور عناصر الشعور القومي (1840م- 1848م):-----

الفصل السابع: تطور المبادئ القومية الألمانية 1859-1870 وتحقيق الوحدة ----- 312

المبحث الأول: الوضع الألماني والمسائل القومية الى حدود 1859: ----- 312

1- إنشاء الاتحاد الكونفدرالي الجرمانى فى 1850: ----- 313

2- اليقظة القومية عام 1859م: ----- 316

المبحث الثانى: الحركة القومية الألمانية من 1863م-1865م: ----- 319

المبحث الثالث: حروب بسمارك فى طريق الوحدة الألمانية: ----- 321

1. قضية الدوقيات الدانماركية والحرب عليها 1864: ----- 321

2. أزمة 1866م والحرب البروسية النمساوية: ----- 324

3. الحرب البروسية الفرنسية 1870: ----- 329

4. المراحل الاخيرة من حروب بسمارك وتحقيق الوحدة الألمانية: ----- 334

المبحث الرابع: انعكاسات الوحدة الألمانية على مواقف الدول الأوربية الكبرى. ----- 339

1- الموقف البريطانى: ----- 339

2. الموقف الفرنسى: ----- 341

المبحث الخامس: خطط بسمارك لتثبيت الوحدة القومية : ----- 342

خلاصة الفصل: ----- 347

خاتمة ----- 350

الملاحق ----- 357

البيليوغرافيا ----- 369

الفهارس ----- 390

أولاً: فهرس الأعلام ----- 391

ثانياً: فهرس الأماكن: ----- 393

ثالثاً: فهرس المحتويات ----- 398